الجمهورية العراقية
وزارة الإعلام

قصي سالم علوان

الشبيبي شاعراً

منشورات وزارة الاعلام في الجمهورية العراقية

١٩٧٥ ——— سلسلة الكتب الحديثة

(٨٣)

الشابي شاعراً

قصي سالم علوان

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com



هذه الدراسة

الدراسة التي بين يدي القارىء الكريم هي رسالة تقدمت بها لنيل الماجستير من كلية الآداب في جامعة القاهرة • وقد نوقشت مساء ٢٩ أيلول (سبتمبر) ١٩٧١ ، واحيزت بتقدير جيد جدا • وكانت لجنة المناقشة مكونة من الاساتذة الافاضل : الدكتور شكري محمد عياد مشرفا ، وعضوية كل من الدكتور عبدالمحسن طه بدر والدكتور أحمد كمال زكي •

قصي سالم علوان

المقدمة

اذا ذكر أبرز أعلام العراق ذكر المرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي من بينهم فهو رجل له في مجال العمل الوطني والقومي النصيب الوافي ، في حقبة خطيرة من تاريخ العراق الحديث والامة العربية ، امتدت ما يزيد على نصف القرن ، منذ أن كان العراق يرزح تحت الحكم العثماني ، جزءا من سلطنته الواسعة ، الى ما بعد استقلاله واتخاذه الحكم الجمهوري ، مرورا بالاحتلال البريطاني وبما سمي بالحكم الوطني ، يدعو الى الحرية ويناضل في سبيلها ، ويرحل مندوبا عن العراقيين ليبلغ صوتهم خارج العراق حين لا يبلغ هذا الصوت المسامع ، ويشارك في الوزارات العراقية بعد أن أصبح للعراق كيان وحكومة ، ثم يستقيل المرة تلو المرة حين يرى ان الامور تجري على غير ما يريد • ويرفع صوته عضوا في مجلس الامة أو رئيسا لاحد مجلسيه ، مطالبا بحقوق شعبه ، فاضحا ما يبيت له في الخفاء• وهوخارج الوزارةوالمجلس العين الساهرة التي ترقب بانتباه مصالح هذا الوطن ، والقلب الذي يسعى الى تحقيق أمانيه ، سواء عن طريق المشاركات الحزبية ، أو طريق المبادرات الفردية •

وهو في مجامع العلم والادب الرجل الذي له في كل مجمع مشاركة وفي كل مضمار جولة • قال عنه الاستاذ عباس محمود العقاد في حفل استقباله عضوا في مجمع اللغة العربية في القاهرة : « في مجامع العلم والادب يصح أن يقال فيه أنه يدخل هذا المجمع من أكثر من باب واحد ، لانه شاعر ناقد ، باحث لغوي ، ناشر للعلم واللغة ، معني بآثار اللغة العربية قديمها وحديثها » •

فقد كان من أبرز شعراء العراق الحديث الذين نقلوا الشعر من ظلمة العصور المظلمة الى فجر اليقظة والشعور والتجديد ، وجعلوا للشعر مكانة هي أرفع من أن يكون سلعة تباع في سوق الجاه والسلطان ، أو طرفة يتندر بها في مجلس الاعيان أو غير الاعيان ، أو وسيلة لتزجية الفراغ مزركشة منمقة

ليس لها من الشعر غير الوزن والقافية . وفتح له ، مع من فتح ،آفاقا جديدة.

وكان باحثا ، له في اللغة والتراث العربي البحوث العديدة والمشاركات المختلفة في التحقيق والتعريف بالمخطوطات . وقد عرفت الامة مكان هذا الرجل فاختير عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق وفي مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ورئيسا أكثر من مرة للمجمع العلمي العراقي . وكرّمته جامعة القاهرة فمنحته الدكتوراه الفخرية تقديرا لجهوده في خدمة لغة هذه الامة وتراثها .

هذا هو محمد رضا الشبيبي ، عدة رجال في رجل واحد ! .

والناظر الى مشاركاته المتعددة هذه يرى انه جدير بالكثير من الدراسات والعناية ، ولكن الرجل لم ينل هذا النصيب . وان ما كتب عنه أقل من القليل الذي يستحقه . تلك الاسباب مجتمعة هي التي حفزتني الى دراسة الشبيبي . وقد أشار علي استاذي الفاضل المشرف على رسالتي أن أدرسه شاعرا أو لغويا. وقد أخترت أن أدرس « محمد رضا الشبيبي الشاعر » ، لبروز هذا الجانب في نتاجه من جهة ، ولمكانة هذا الشعر في الشعر العراقي الحديث خاصة ، والعربي الحديث عامة ، لما للشبيبي من دور في حركة البعث الشعرية في العراق .

والذي أود أن أقوله هنا ، انه بالرغم من أن موضوع رسالتي هي الشبيبي الشاعر ، فانني لم أدخر جهدا في جلاء شخصية هذا الرجل في كثير من مجالات اهتمامه طوال حياته العريضة ، متتبعا ذلك في الصحف والمجلات العراقية والعربية التي تيسرت لي في العراق ، أو التي سافرت من أجلها الى غيره من البلاد العربية ، مقابلا ما استطعت مقابلته من ذويه ومن غيرهم من الشخصيات العراقية التي توسمت فيها ما يعينني على اداء مهمتي ، راجيا أن أكون قد وفقت الى ما أصبو اليه .

قلت ان الشبيبي لم ينل حظه كاملا من الدرس والعناية ، فكل ما كتب عنه مقالات متفرقة بين ثنايا الصحافة ، وفصول واشارات قليلة في بطون بعض

الكتب ، بالاضافة الى رسالة لنيل الماجستير تقدم بها الطالب العراقي السيد علي جابر المنصوري الى كلية الآداب في جامعة عين شمس سنة ١٩٦٨، من المؤسف أن لم يتسن لي الاطلاع عليها الا بعد الفراغ من رسالتي هذه ، وفراغ استاذي الفاضل من الاطلاع على رسالتي •

وأقدم من كتب عن شعر الشبيبي هو محمد صبري (١٩١٢) في كتابه « شعراء العصر ج ٢ » اذ ذكر نبذة موجزة عن حياته قدم بها مختارات من شعره •

تلاه رفائيل بطي (١٩٢٣) ، اذ خصه بفصل من الجزء الاول من كتابه « الادب العصري في العراق العربي » ، ذكر فيه نبذة قصيرة عن حياته ، وعدَّد كتبه المخطوطة ، اذ لم يكن قد طبع له شيء آنذاك ، ثم ذكر نماذج من شعره •

بعد ذلك بزمن (١٩٥٠) كتب الدكتور حسين علي محفوظ مقالة في مجلة « الرسالة » القاهرية (مج ١٨ع ٨٦٤) بعنوان « علامّة العراق الاستاذ محمد رضا الشبيبي » تحدث فيها بايجاز عن مكانة الشبيبي العلمية ، وعن دراسته وتتبعه ، ثم أشار الى مؤلفاته المخطوطة ، وخص منها بسطور الجزء الاول من مؤلفه « مؤرخ العراق ابن الفوطي » الذي صدر حينها •ولم يتحدث عن شعره ، بحكم موضوع المقالة •

واذ أصدر علي الخاقاني الجزء التاسع (١٩٥٦) من كتابه الضخم « شعراء الغري » أفرد فيه فصلا طويلا عن الشبيبي ، تحدث فيه عن ولادته ونشأته وبيئته ونشاطه في مختلف المجالات ، مركزا على الجانب السياسي • كما أشار الى عناية الشبيبي في طبع ديوانه ، منوها بشاعريته • وهو فصل مفيد وان كان كثير الاستطراد ، القى فيه الخاقاني الكثير من الاضواء على الشبيبي • الا أن أهم ما قدمه الخاقاني في هذا الفصل هو جمعه شعر الشبيبي الذي نظمه قبل طبع الديوان ثم استبعده منه وقت ان طبعه ، فوفر بذلك جهدا كبيرا على الباحثين •

وخص أمين الريحاني الشبيبي بصفحات من كتابه (قلب العراق ط ٢ /١٩٥٧) ، تحدث فيه عن زيارته الشبيبي في النجف ، حين زار العراق ، وعن شعر الشبيبي ، مستشهدا ببعضه ، وأشار اشارة سريعة الى ايمان الشبيبي رغم ما ساورته من شكوك دينية •

وعقد مارون عبود فصلا عنه في كتابه « مجددون ومجترون ط ١٩٥٧/٢ »• وهو ككثير من كتابات مارون عبود تعتمد على العبارة الطريفة أكثر مما هي دراسة جادة • أهم ما فيها مؤاخذة الشبيبي على استنكاره مد سكة حديد بغداد • وقد ناقشنا ذلك في موضعه من هذه الرسالة •

ودعا الدكتور صفاء خلوصي : في بحث نشره في مجلة « المعرفة » البغدادية (مج ١ ج ١٩٦١/١٨) الى تكريم الشبيبي ، وتحدث فيه عن بعض خصائص شعره •

وابّن الدكتور علي جواد الطاهر « الشيخ الشبيبي » في مجلة «الاديب» البيروتية (مج ٢٥ ع ١٩٦٦/١) وأشاد به انسانا وسياسيا وطنيا وشاعرا من أبرز شعراء العراق •

وتحت عنوان « الشيخ الشبيبي معلمة من معالم العراق » تحدث عبدالهادي التازي في مجلة « اللسان العربي » الصادرة في الرباط (ع ١٩٦٦/٤) ، ذكر فيه لمحات من حياة الشبيبي ، واستشهد بشيء من شعره منوها بمكانة هذا الشعر في الشعر العربي الحديث ، وكيف انه تردد صداه في المغرب العربي منذ زمن بعيد ، ثم بيّن بعد الشبيبي عن التعصب الطائفي ، وانه عفيف الغزل ، ثم أشار الى مؤلفاته •

وكتب الدكتور عناد غزوان عن « شاعرية الشيخ محمد رضا الشبيبي ــ الوطنيات » في مجلة « البلاغ » الكاظمية (مج ١ ع ١٩٦٩/٥) وبيّن فيما كتب ان الشعر عند الشبيبي رسالة اخلاقية ، وان شعره سجل لاحداث فترة مهمة من تاريخ العراق •

وعقد كل من الدكتور يوسف عزالدين (١٩٦٧) وجعفر الخليلي

(١٩٦٨) والدكتور ابراهيم السامرائي (بلا تاريخ) ، فصلا عن الشبيبي • الدكتور عزالدين في كتابه « في الادب العربي الحديث » تحدث فيه عن دور الشبيبي السياسي وعن أهمية شعره في التعبير عن الاماني الوطنية والقومية ، مشيرا الى أثر الدين في شعره ، خالصا الى تفضيل شعر الشبيبي على شعر الرصافي والزهاوي جودة سبك وصفاء ديباجة •

والخليلي في الجزء الثاني من كتابه « هكذا عرفتهم » ، وهو انطباعات عن الشبيبي وبيئته وشعره ألقت كثيرا من الاضواء على هذه الجوانب •

أما الدكتور السامرائي فقد درس اللغة في شعر الشبيبي في كتابه « لغة الشعر بين جيلين » ، مركزا على أثر البداوة والتقليد في هذا الشعر •

هذا وقد وردت اشارات عن شعر الشبيبي في بعض الكتب منها :

« محاضرات عن الشعر العراقي الحديث » لعبدالكريم الدجيلي (١٩٥٩)، « تطور الفكرة والاسلوب في الادب العراقي في القرنين التاسع عشر والعشرين» للدكتور داود سلوم (١٩٥٩) ، « نقد وتعريف » لعبدالله الجبوري (١٩٦٢)، « الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث » لانيس الخوري المقدسي (ط ٣/١٩٦٣) ، «معالم الادب العربي المعاصر » لانور الجندي (١٩٦٤) ، الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه » للدكتور يوسف عزالدين (١٩٦٥) ، « من ملامح العصر » لمحي‌الدين اسماعيل (١٩٦٧) ، « مقال في الشعر العراقي الحديث » لعبدالجبار داود البصري (١٩٦٨) ، « الشعر العراقي الحديث ـ مرحلة وتطور » للدكتور جلال الخياط (١٩٧٠) ، الى غيرها مما أشرنا اليه خلال دراستنا هذه •

أما المنصوري في رسالته (وهي مخطوطة) ، فقد درس فيها الشبيبي بصورة عامة • والحقيقة ان الجهد الذي بذله جهد طيب ، استطاع به التعريف بهذا الرجل ونتاجه ، هذا النتاج الذي يحتاج كل جانب منه الى دراسة مستقلة لتوفيه حقه كاملا •

.. وقد أفرد المنصوري في رسالته هذه فصلين عن شعر الشبيبي ، جعل الاول لدراسة « الشبيبي الشاعر » وجعل الثاني عن « مكانة الشبيبي بين شعراء العراق المعاصرين » •

وقد تحدث في الفصل الاول عن بداية الشبيبي قرض الشعر وعن انصرافه عنه ، وعن رسالة الشعر ومعنى الشعر عنده ، ثم درس شعره السياسي والاجتماعي وشعره في المديح والتهنئة والرثاء •

أما الفصل الثاني فقد تحدث فيه عن مكانة الشبيبي بين شعراء العراق المعاصرين ، واضعا الشبيبي بين المقلدين والمجددين ، ثم تحدث عن بعض خصائصه الاسلوبية •

واذا كان هذان الفصلان هما اللذان يهمنا أمرهما في رسالة المنصوري هذه فمن الجدير بالذكر القول ان ليس من الغريب ان نلتقي في كثير من الاراء في الجوانب التي تعرضنا اليها معا في دراسة شعر الشبيبي ، فالمنبع واحد والروافد التي تجري منه لا شك تتقارب قليلا أو كثيرا • ولكن ـ وفي الوقت نفسه ـ هناك كثير من الجوانب لم يتعرض اليها المنصوري في دراسته بحكم كونها دراسة عامة لم تخصص لجانب واحد هو جانب الشعر الذي يهمنا • ولست أريد هنا أن أفصّل تلك الجوانب ، فهي تكاد تكون واضحة ، اذ فرق بين أن تكون دراسة شعر الشبيبي جزءا من دراسة تنصب على نتاجه جميعا وبين دراسة تنصب بأجمعها على شعر الشبيبي • ذلك شيء • والشيء الاخر الذي لا أظن ان من الامانة العلمية عدم الاشارة اليه ، هو انني بالرغم من كون رسالتي عن الشبيبي الشاعر ، أو لانها كذلك ، فانني كدت ان الم بجميع الجوانب الاخرى من مشاركات هذا الرجل ، اذ درست نتاجه في شتى المجالات، في سبيل اعطاء صورة واضحة لعقليته وروافدها ، وبشكل مركز ، في الفصل الذي عقدته عن « ثقافته » •

بعد هذا هناك بعض الملاحظات أود الاشارة اليها • منها انني ذكرت أهم من سبقنا ـ نحن الاثنين ـ في الكتابة عن الشبيبي ودراسته ، كما مر ، وذلك

شيء لا أقوله متفضلا فان الإمانة العلمية هي التي تحتم ذلك • ومنها انني وانا أتصفح رسالة المنصوري وجدته يذكر (ص ٥٤) سنة ولادة الشبيبي في التقويم الميلادي ١٨٨٨ ، موافقة لسنة ١٣٠٦هـ • والحقيقة أن يوم ولادته وهو ٦ رمضان ١٣٠٦هـ ، يوافق ٦ مايس ١٨٨٩م • ثم وجدته اذ تحدث عن نسب الشبيبي (ص ٥٤ أيضا) لم يوضح هذا النسب ، ولم يحدد المنطقة التي سكنها أجداده ، قبل ان تصبح النجف مقرا لاسرته ، بصورة واضحة • كما لم يسلط الضوء على جوانب أظنها مهمة في جلاء شخصية الشبيبي الجسدية والنفسية حين تحدث (ص ٥٩) عن « احتكاكه بالمجتمع واخلاقه » بل قصر الحديث في ذلك على نضاله السياسي ومحاربته الخرافة وموقف المجتمع منه • ولم يعرفنا بمجلسه وأسرته وزواجه ، فيعطينا صورة واضحة متكاملة لشخصية هذا الرجل • وقد كان لزوجه أثر كبير في حياته بما هيأت له من جو أسري ساعده كثيرا في حياته ، ثم كان ثمرة ذلك مجموعة « رنين على الاحداث » في رثاء هذه الزوج • وهو اذ تحدث (ص ٥٥) عن ثقافة الشبيبي لم يسلط مزيدا من الضوء على دراسته التقليدية التي انصرف عنها في وقت مبكر ، ولم يعطنا فكرة واضحة عن طبيعة الدراسة التقليدية النجفية ، لنعرف المدى الذي قطعه فيها ثم انصرف بعدها الى الدراسة الحرة ، بعيدا عن تأثير المعلم والمربي، كما يقول الشبيبي نفسه ، وهو حين تكلم على مشاركاته الثقافية التي تتجلى فيها سعة الرقعة التي كان يسهم فيها هذا الرجل كان كلامه موجزا مثل كلامه على مساهماته في المجال الوطني والقومي التي تشكل خلفية مهمة لنتاجه الشعري • هذا وقد لفت نظري قوله (ص ٦٠) عن الشبيبي انه « شهد كثيرا من بلدان العالم الاجنبي » في حين ان الشبيبي لم يشهد منها سوى « ايران » عندما دعي اليها سنة ١٩٥٤ للمشاركة في المهرجان الالفي لابن سينا • وهو اذ تحدث (ص ٦٩) عن « مفهوم الشعر عند الشبيبي » قصره على الحديث عن كون الشعر عند الشبيبي رسالة وربط بين « رسالة الشعر ومعنى الشعر » دون ان يتوسع في تبيان مفهوم الشعر عند الشبيبي وهو أوسع من ذلك • كما انه آخذ الشبيبي (ص ٩٢) على اهماله الحديث عن حقوق المرأة ، في حين ان

الشبيبي كان له راي في ذلك ، في مطلع حياته ، وهو ان المـــرآة للبيت ، من ناحية ، وقد ذكره في بعض شعره الذي اشار اليه المنصوري نفسه ، ومن الناحية الاخرى ، كان رأيه ان الشعر ليس سبيلا الى حل مثل تلك القضايا ، وان الزمن هو الكفيل بذلك ، كما بيناه في موضعه من رسالتنا هذه •

بعد ذلك أود ان أقول انني استطعت أن أحصل على تسع منظومات بـــين قصيدة ومقطوعة ، بالاضافة الى الخمس التي ذكرها المنصوري فاكتملت بذلك لدى مجموعة الشبيبي « رنين على الاحداث » بالاضافة الى ست منظومات تؤلف ستة وخمسين بيتا من شعره غير المجموع •

* * *

وقد جعلت رسالتي في بابين :

الباب الاول : الشبيبي وعصره وثقافته ونتاجه الشعري •

والباب الثاني : الشبيبي الشاعر •

وقد جعلت الباب الاول في ثلاثة فصـــول • الفصـــل الاول : الشبيبي وعصره • وتحدثت فيه عن مدينة النجف خاصة ، والعراق عامة ، مبينا أهمية هذه المدينة من الناحية الدينية والثقافية ، متحدثا عنها وعـن العـــراق مـــن النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية بالقدر الذي يتعلق بالشبيبي ويشـــكل اطارا لصورته • ثم تحدثت عن الشبيبي منذ ولادته حتى وفاته •

وقد جرى الحديث على الشكل التالي : النجف والعراق قبل الدســـتور العثماني ، آل الشبيبي ، ولادة الشبيبي ونشأته ومحيطه ، بعد اعلان الدستور العثماني ، الحرب العالمية الاولى ودخول الانجليز العراق، الاحتلال الانجليزي للعراق ودور الشبيبي في اقامة حكم وطني ، الشبيبي والمؤسسات الثقـــافيــة ، مجلسه ، شخصيته وخلقه ، زواجه ، وفاته •

أما الفصل الثاني ، وعنوانه ثقافته ، فقد تحدثت فيه عن ثقافة الشبيبي المستمدة من شتى ينابيع الثقافة العربية ، منذ بدء دراسته في الكتّاب ثم انتظامه في الدراسة على طريقة النجف التقليدية ، مستعرضاً شيخوخه واساتذته في كل

فرع من فروع هذه الدراسة التي انصرف عنها لما رأى فيها من تقليد وجمود الى الدراسة الحرة ، عارضا طريقة تلك الدراسة لمعرفة المدى الذي قطعه فيها • ثم بيّنت مناهل دراسته الحرة في التراث العربي والاسلامي ، في الشعر والادب واللغة والفلسفة والبلدانيات وغيرها ، وأثر الصحافة العربية الواردة من مصر والشام في ثقافته ، ثم حاولت أن أعطي صورة لعقليته من خلال بحوثه ومؤلفاته • فقسمت البحث الى :

الشبيبي واللغة العربية ، أوضحت فيه مدى اهتمام الشبيبي بهذه اللغة وبينت آراءه في المعاجم ، والمصطلحات ، واللهجات ، والحرف والخط •

الشبيبي والتراث العربي ، واوضحت فيه مدى اسهام الشبيبي في العناية بهذا التراث والتعريف به ونشره • واستعرضت مؤلفاه : مؤرخ العراق ابن الفوطي ، أدب المغاربة والاندلسيين ، تراثنا الفلسفي •

الشبيبي والرحلات ، وفيه استعرضت رحلتيه في بادية السماوة والمغرب الاقصى ، معطيا صورة لهاتين الرحلتين ولرحلته الى الحجاز غير المكتملة • واختتمت الفصل بالحديث عن بعض مؤلفاته المخطوطة •

أما الفصل الثالث ، وهو نتاجه الشعري ، فقد سلسلت فيه جميع شعره زمنيا ، وأدرجت ما تعذر معرفة تاريخه حسب تسلسل حروف الروي في الحروف الهجائية • واثبت خلال ذلك الاختلافات في شعر الديوان بين نشره الاول في الصحف والمجلات وبين نشره الثاني في الديوان ، اذ كثيرا ما حور الشبيبي في قصائده فحذف وأضاف وقدم واخر ، حين طبع ديوانه •

وقد جعلت الباب الثاني ، وهو الشبيبي الشاعر ، في أربعة فصول • كان الفصل الاول منها عن مفهوم الشعر عنده ، ذكرت فيه كيف طبع ديوانه ، والحافز الذي دفعه الى قرض الشعر ، وبينت مفهومه للشعر من حيث هو رسالة توخى الصدق والخير ، كما بينت دعوته الى التجديد ، وأوضحت نظرته الى الشعر الجديد ، وهو ، كما يراه ، الشعر الصادق الجميل ، بغض النظر عن زمنه ، وعرضت رأيه في قضايا اللفظ والمعنى والوزن والقافية •

وكان الفصل الثاني ، أغراضه الشعرية ، درست فيه أغراضه هـذه بتقسيم يختلف عن تقسيمه اياها ، رأيته أجدى في دراسة هـذه الاغراض • وجعلتها : الوطنية والقومية في شعر الشبيبي ، القضايا الاجتماعية في شعره ، المناسبات ، النظر الفلسفي ، الغزل ، الطبيعة •

أما الفصل الثالث ، وهو فنه الشعري ، فقد درست فيه هـذا الفن مـن زوايا ارتأيت انها أنسب لدراسة شعره • وكانت الزوايا هي : اللغة ، الصورة، الموسيقى ، بناء القصيدة وأسلوبه الشعري ، الشبيبي والشعراء الاخرون •

وأخيرا كان الفصل الرابع عن مكانة الشبيبي في الشعر العراقي الحديث• بينت فيه هذه المكانة في هذا الشعر •

* * *

وبعـد :

فلست أدعي في دراستي هذه انني بلغت الكمال ، فالكمال سيبقى غاية كل حي • وكل ما أقوله انني لم أدخر جهدا في سبيلي هذا •

وقبل أن أنهي هذه المقدمة يسرني أن أتقدم بعميق الشكر والعرفان الى استاذي الجليل الدكتور شكري محمد عياد لما أحاطني به من رعاية وتوجيه سددا لي خطاي ، كما يسرني أن أقدم وافر شكري الى الاستاذين الفاضلين الدكتور عبدالمحسن طه بدر والدكتور أحمد كمـال زكي لاشتراكهما في المناقشة •

بعد ذلك أقدم جزيل الشكر الى الاخ الكريم الاستاذ أسعد الشبيبي النجل الاكبر للمرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي ، لما قدمه لي من عون وما مدني به مما احتجت اليه لاستكمال بحثي هذا • كما أقدم عاطر الشكر الى الاساتذة الكرام الذين زودوني بما احتجت اليه من معلومات حول حياة المرحوم الشبيبي بصدر رحب ومحبة للعلم ، وهم : أمجد الشبيبي ومحمود المظفر وأحمد المظفر والدكتور حسين علي محفوظ وخالد عبدالحليم ومحمود الحبوبي

ومحمد جمال الهاشمي وعبدالرزاق الحسني وعبدالكريم الدجيلي وصالح الجعفري وعلي الخاقاني وقاسم الخطاط وعبدالرحمن قدوري ، كما أقدم شكري الى السيدين الفاضلين : صالح رمضان ، ملاحظ المكتبة المركزية في محافظة البصرة ، وحكمت توماشي ، أمين القسم العربي والصحف في مكتبة المتحف العراقي ببغداد .

راجيا للجميع الخير والتوفيق .

الباب الاول

الشبيبي وعصره وثقافته ونتاجه الشعري

* * *

الفصل الأول : الشبيبي وعصره .

الفصل الثاني : ثقافته

الفصل الثالث : نتاجه الشعري .

الفصل الاول

الشبيبي وعصره

النجف والعراق قبل اعلان الدستور العثماني

آل الشبيبي

ولادة الشبيبي ، نشاته ، محيطه

بعد اعلان الحرب العالمية الاولى ودخول الانجليز العراق

الاحتلال الانجليزي للعراق ودور الشبيبي في اقامة حكم وطني .

الشبيبي والمؤسسات الثقافية .

مجلسه .

شخصيته وخلقه

زواجه

وفاته

النجف والعراق قبل اعلان الدستور العثماني :

تقع مدينة النجف الاشرف على الجانب الشمالي من الفرات ، على رابية مرتفعة عن أرض رملية واسعة ، تطل من جهة الغرب على بحيرة جافة[1] . ومن الجهتين الشمالية والشرقية على مساحة واسعة تضم القباب والقبور ، الظاهر منها والمندرس . وتدعى هذه المقبرة العظيمة « وادي السلام »[2] . ولعلني لا أغالي اذا قلت ان مقبرة وادي السلام هي أعظم مقبرة في العالم[3] .

ومناخ هذه المدينة حار جاف صيفا ، شديد انخفاض الحرارة شتاء .

والنجف مدينة قديمة ، عريقة في عروبتها ، فقد كانت محط القبائل العربية وموطنها قبل الفتح الاسلامي وقبيل انتشار الاسلام فيما جاورها في العهد الذي حكم فيه المناذرة الحيرة واتخذوها عاصمة لملكهم . ففي ذلك الحين كانت النجف مأهولة معمورة ، وكانت الحضارة قائمة فيها على أسس عربية ، لقربها من الحيرة[4] .

أما بعد الاسلام فقد ابتدأ عمرانها بعد بناء قبر الامام علي بن أبي طالب (ع) وقبته ، على عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد . فاتخذها لفيف من العلويين مستقرا لهم ، مجاورة لمرقد الامام[5] .

وقد نالت هذه المدينة من أجل هذا المرقد الكريم الكثير من عناية البويهيين الذين أسسوا قواعده ، وشيدوا بازائه المساجد والدور لمن سكنوا هذه المدينة ، ووصلوهم بالصلات والاموال ، وأحاطوهم بالامن والتقدير . كما نالت مثل هذه العناية من الجلائريين والايلخانيين ، ولكنها شهدت في القرنين

---

(١) جعفر الشيخ باقر آل محبوبة : ماضي النجف وحاضرها جـ١ ص٧ .
(٢) عبد الرزاق الحسني : العراق قديما وحديثا جـ١ ص١٣٠ .
(٣) د . علي الوردي : دراسات في طبيعة المجتمع العراقي ص٢٥١ .
(٤) آل محبوبة : ماضي النجف وحاضرها جـ١ ص١٦ .
(٥) الحسني : العراق قديما وحديثا جـ١ ص١٣١ .

العاشر والحادي عشر الهجريين سنين قاسية • فقد اجتاحها الطاعون أكثر من مرة • وقاست من الحروب الطاحنة بين الصفويين والعثمانيين • الا انها اخذت تسترجع استقرارها ومكانتها منذ أواخر القرن الحادي عشر[٦] •

وتمتاز مدينة النجف عن غيرها من المدن العراقية بانها ذات قداسة لدى المسلمين عامة ، والشيعة خاصة ، اذ بالاضافة الى أن فيها مرقد الامام علي بن ابي طالب ففيها المرْجِعيّة الدينية للشيعة في العالم الاسلامي • ولهذا يؤمها الكثيرون من شتى أنحاء العالم لزيارة مرقد الامام أو لدفن الموتى فيها تبركا بهذا المرقد الشريف أو لطلب العلوم الدينية وعلوم العربية في حلقات مساجدها أو في مدارسها الخاصة التي ساهمت الى حد بعيد في حفظ العربية وتراثها في العراق كما حفظها الازهر الشريف في مصر والزيتونة في تونس •

ففي أواخر القرن التاسع عشر بدأت الحركة العلمية والادبية تنمو في النجف ، وبدأت هذه المدينة تأخذ مكانا بارزا بفضل ما بذلته الاسر النجفية لرعاية الحركة العلمية والادبية فيها ، امتدادا لجهود الشيخ الطوسي وأضرابه، كأسر آل كاشف الغطاء وآل الشيخ راضي وآل الجواهري وآل القزويني وآل الجزائري وغيرها[٧] وظهر فيها رجال أولعوا بجمع الكتب وعرفوا بذلك[*] • فمضوا يبذلون المال والجهد في طلب الكتب من مظانها ، فتيسر لهم بذلك ان يكوّنوا عدة مكتبات وخزائن كتب نفيسة • من أمثال المكتبة العلوية ومكتبة الشيخ علي وولده الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ومكتبة الشيخ هادي كاشف الغطاء ومكتبة محمد الباقر التوستري ومكتبة المحدث النوري ومكتبة السيد محمد آل بحر العلوم ومكتبة السيد جعفر آل بحر العلوم ومكتبة الشيخ الخنساري ومكتبة السيد محمد اليزدي ومكتبة الشيخ محمد السماوي وغيرها من المكتبات[٨] •

---

(٦) عبد الهادي الفضلي : دليل النجف الاشرف ص١٧ .
(٧) آل محبوبة : المرجع السابق جـ٢ ص١ وما بعدها .
(*) للشبيبي حول ذلك بحث بعنوان : « صرعى الكتب والمكتبات » نشره في مجلة « لغة العرب » ٩٤ (آذار ١٩١٣)ص ٣٦٩ .
(٨) علي الشرقي : الاحلام ص ٥٩ •

وكانت النجف في العهد العثماني قضاء تابعا لسنجق كربلاء التابع لولاية بغداد . فقد كان العراق ، شأنه شأن بقية اجزاء السلطنة العثمانية ، مقسما الى ولايات . وكانت الولايات التي يضمها العراق ثلاث ولايات ، هي : الموصل وبغداد والبصرة . وكان يتبع ولاية بغداد سنجقان ، هما : كربلاء والديوانية[٩] وقد وضع ساطع الحصري[١٠] النجف من حيث عدد السكان ، انذاك ، مع « المدن التي يقل عدد سكانها عن خمسين الف ولا يقل عن الثلاثين » .

وقد كانت السلطات العثمانية تنظر الى النجف نظرة خاصة حتى ان أمر تعيين القائممقام فيها يصدر من الاستانة رأسا . وكانت ولاية بغداد تتجنب التدخل في شؤون أهلها الا بنطاق ضيق ، مكتفية بالخضوع الرمزي[١١] .

والنجف ، شأنها شأن بقية اجزاء العراق الرازح تحت وطأة الحكم العثماني ، تعاني من التأخر والفوضى ، فقد كان العراق ذا سمعة سيئة لدى الباب العالي في الاستانة ، فهو في نظره منطقة نائية فقيرة موبوءة كثيرة القلاقل والاضطرابات . فكان – الا ماندر – يبعث اليه بالولاة الفاشلين أو المغضوب عليهم[١٢] .

وكان الولاة يتعهدون ، قبل المباشرة باعمالهم ، بدفع مبلغ معين من المال الى السلطان كل عام عن الضرائب التي يستحصلونها من السكان . وكان يعهد بتحصيل الضرائب الى الموظفين والموظفين الصغار . واذا علمنا أن هؤلاء الموظفين لا يتقاضون مرتباتهم في أوقات معينة ، ولا بصورة منتظمة ، عرفنا أي ارهاق هم يرهقون الناس ليجمعوا أكبر كمية من المال ، ليعوضوا عن مرتباتهم ، وليرضوا جشع حاشية الوالي التي يتملقونها ، ثم ليدفعوا الى الوالي

---

(٩) عبد الرزاق الهلالي : معجم العراق جـ١ ص٢٩٣ .
(١٠) مذكراتي في العراق : جـ١ ص١٠١ .
(١١) د . علي الوردي : دراسات في طبيعة المجتمع العراقي ص١٠٨ .
(١٢) بييردي فوصيل : الحياة في العراق منذ قرن ، ترجمة : د . اكرم فاضل ص٧٨ .

الذي يريد لنفسه أضعاف ما تعهد به[١٣] . وكان كل فرد من طبقة الموظفين ينظر الى من دونه في المنزلة وكأن لا هم له الا العمل من أجل سعادته[١٤] ولهذا فقد عمت الرشوة ، وانتشر الفساد ، وعم الاضطراب . وفقد الامن من البلاد، وسادت قوانين الغاب ، وبات الناس يحرسون انفسهم واموالهم باسلحتهم ، بل ان التسيب وفقدان الامن بلغا درجة أن يهجم بعض المجرمين على الناس في وضح النهار فيسلب أو يقتل دون أن يعترضه معترض أو يردعه رادع[١٥] .

وكانت الحريات معدومة . فقد بلغ التعسف بالسلطات ان حرمت بعض الالفاظ والعبارات لفظا وكتابة ، مثل : الحرية ، الدستور ، القانون الاساسي، جمهورية ، خلع ، ثورة ، انصاف ، وغيرها[١٦] . فعم النفاق وكثر الملق ، دفعا لسيف الارهاب المسلط ، وخشية العيون والجواسيس[١٧] . فالسلطات العثمانية لم يكن يهمها شيء سوى المحافظة على هيبتها وفرض طاعتها على الناس، ولا يهمها بعد ذلك شيء اخر[١٨] .

فكانت الشؤون الصحية ، والحالة هذه ، متردية ، اذ يندر أن يوجد أكثر من طبيب واحد في مركز الولاية . فكانت الامراض تفتك بالناس . وكانت الاوبئة تحصد عشرات الالوف من النفوس . فتترك الجثث في الطرق حتى تتفسخ وتفوح رائحتها . ولم يكن في العراق كله غير مستشفيين في بغداد انشأهما مدحت باشا ، أحدهما عسكري والاخر مدني[١٩] . وكان الناس يستقون من مياه الانهار . وغير خاف ما تحمله هذه المياه ، والحالة الصحية

---

(١٣) المرجع السابق ص٧٩ .

(١٤) فيليب ويلارد ايرلند : العراق ، دراسة في تطوره السياسي ، ترجمة : جعفر الخياط ص٤٧ .

(١٥) سليمان فيضي : في غمرة النضال ص٤٨ .

(١٦) المرجع السابق : الصفحة السابقة . وانظر محمد اسعد طلس : تاريخ الامة العربية (عصر الانبعاث) ص٤٠ .

(١٧) فيضي : المكان نفسه .

(١٨) د . علي الوردي دراسات في طبيعة المجتمع العراقي ص٣١١ .

(١٩) فيضي : المرجع السابق ص٥٣ .

هذه ، من جراثيم واوبئة تزيد من انتشار الامراض[٢٠] .

أما المعاهد العلمية فقد كان أثرها محدودا ، اذ لم يشهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر غير افتتاح بعض مدارس المبشرين ـ الى جانب بعض المدارس الحكومية وكلية الحقوق في بغداد ـ وبعض المدارس التي أنشأتها الطوائف الوطنية . ومن شاء أن يكمل تحصيله العالي ، بعد ذلك ، فعليه أن يذهب الى الاستانة[٢١] . ولعل أزهى عهود التعليم في العراق هو عهد مدحت باشا الذي انقضى بذهاب هذا الوالي[٢٢] . وكانت المدن العراقية ضعيفة الاتصال ليس بالبلدان الاوربية فحسب بل بالاقطار العربية أيضا ، ومنها الاقطار التي سبقتها في هذا المضمار كمصر والشام[٢٣] . وهكذا كانت أهم معاهد العلم هي الكتاتيب التي تقوم بتعليم مبادىء القراءة والكتابة والخط ، وتحفيظ القرآن الكريم ومبادىء الدين الاسلامي والعبادات[٢٤] . ولولا المساجد المنتشرة في بغداد والنجف والموصل والبصرة وما فيها من حلقات درس ولولا عناية بعض رجال الدين وبعض الاسر العلمية والادبية لقضي على اللغة العربية ، فقد كانت ممنوعة الاستعمال حتى بعد اعلان الدستور العثماني[٢٥] ، اذ كانت لغة التدريس ولغة الجرائد هي التركية[٢٦] ، و « كان أبناء العرب لا يعرفون من لغتهم أكثر مما يعرفه التركي منها »[٢٧] .

تلك هي حالة العراق . والنجف جزء منه . وقد كان من المتوقع أن

---

(٢٠) عبد الكريم العلاف : بغداد القديمة ص٧٣ .
(٢١) توفيق علي برو : العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ص١٧ .
(٢٢) د . يوسف عز الدين : الشعر العراقي الحديث واثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه ص١٣ .
(٢٣) د . جميل سعيد : نظرات في التيارات الادبية الحديثة في العراق ص٤ .
(٢٤) العلاف : بغداد القديمة ص٢٢ .
(٢٥) د . عز الدين : الشعر العراقي الحديث ص١٣
(٢٦) د . مصطفى جواد : المباحث اللغوية في العراق ومشكلة العربية العصرية ص٥٥ .
(٢٧) منير بكر التكريتي : الصحافة العراقية واتجاهاتها السياسية والاجتماعية والثقافية ص٢٢٥ .

يكون لرجال الدين ، وهم الكثرة من ذوي الشأن في النجف ، وهم الذين « كانوا يمثلون الفئة « المثقفة » في ذلك العهد ، علاوة على كونهم يمثلون الدين وتعاليمه المقدسة »[٢٨] نصيب كبير في توعية الناس والسعي الى دفع الجمود المخيم والتخلف الفكري المتفشي الا انه كان هناك ما يحد من أثر هذه الفئة ويقلل مما ينتظر منها • فهي اذ تخلصت من سيطرة السلطة فقد سقطت في سيطرة العامة ، حفاظا على مواردها المالية ، من ناحية ، وحفاظا على مراكز أفرادها من ناحية ثانية • ورجال الدين ، رغم ما كانوا يعيشون فيه من تقشف وزهد وانصراف الى العلم ، فهم يعيشون على ما يرد اليهم من الزكاةوالخمس وما يوصي به اليهم الاحياء من ثلث أموالهم بعد الموت[٢٩] • هذا من جهة ، ومن جهة اخرى كانوا يُصدّون بالرجعية التي تتلبس بلباس الدين ، وتتخذ من العامة وسيلة لاظهار سخطها على ما يريده المصلحون من اصلاح • والعامة لما تتصف به من جهل تحارب كل حركة اصلاحية وتَعدّ كل من يحاول ازالة ما علق بالدين من شوائب لاعادته الى وضعه الصحيح خارجا عن الدين فتنصرف عنه • وقد كان عامة الناس راضين بما هم فيه من جهل وتأخر ، بل كانوا متمسكين بـه لانهم يعتبرون ذلك جزءا لا يتجزأ من الدين والاخلاق والتقاليد[٣٠] •

لهذا خيم الجمود والتأخر على تلك المدينة • وكان الذين يتحسسون سوء الاوضاع من المتنورين من أبنائها يعيشون في ضيق وغربة شديدين • فقد كانوا كما يحدثنا أحدهم : « ممتحنين بحالة اجتماعية ثقيلة • ولم يجدوا ظرفا من الاقبال على بضاعتهم • فكانوا يعيشون على أعصابهم ، ويتغذون بأدمغتهم وأرواحهم ، وتكاد تكون حياتهم في عزلة وانقطاع »[٣١] •

---

(٢٨) د . علي الوردي : لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث جا ، ص ٢٩٤ .

(٢٩) د . الوردي : دراسات في طبيعة المجتمع العراقي ص٢٣٠ .

(٣٠) « جولة في الشعر العراقي الحديث » : د . محمد مهدي البصير « مجلة دار المعلمين العالية » ،مجـ٣ ع١ (حزيران ١٩٥١) ص٤٠ .

(٣١) الشرقي : الأحلام ص٣٨ .

آل الشبيبي :

في بيت صغير كأي بيت من بيوت النجف آنذاك ، وفي حي « البُراق » أحد أربعة أحياء تقتسم مدينة النجف(*) كان يسكن الشيخ محمد جواد الشبيبي .

والشيخ محمد جواد الشبيبي عربي عريق ، يعود به النسب الى فخذ « المواجد » من قبيلة « بني أسد » القبيلة العربية المعروفة التي تسكن في العراق في الجبايش وفي البطايح ، في سوق الشيوخ وما جاورها الى القرنة[٣٢] .

ولقب « الشبيبي » هو نسبة الى « شبيب » جد الشيخ محمد جواد ، اذ ان سلسلة النسب تمضي بعد الشيخ محمد جواد لتتصل بمحمد بن شبيب بن ابراهيم بن صقر الجزائري[٣٣] .

وشبيب ، أو الشيخ شبيب ، سكن الجبايش(**) ودرس في الكاظمية ، وخلف ولدين ، هما : محمد وموسى . وقد توفي الاخير ولم يخلف ، والخلف

(*) هي غير البراق ، المشراق والعمارة والجويش .

(٣٢) عبد المنعم الغلامي : الانساب والأسر جـ١ ص٢١٩ .

(٣٣) محمد رضا الشبيبي : ترجمته الذاتية ، الورقة الاولى .
وهي ترجمة مكتوبة بالآلة الكاتبة في سبع عشرة ورقة ، حصلت عليها من ذويه . وساشير اليها في الصفحات القادمة بـ « ترجمته الذاتية » .
وانظر : الغلامي : المكان نفسه .

(**) تقع الجبايش على نهر الفرات على بعد يقرب من عشرين ميلا غرب مدينة القرنة ، وستة وستين ميلا الى الشمال الغربي من مدينة البصرة وعشرين ميلا الى الشرق من مدينة سوق الشيوخ ، وخمسة وخمسين ميلا الى الشرق من مدينة الناصرية . وهي اكبر قرية في الهورين العظيمين الدائمين ، هور الحمار وهور الحويزة . يبلغ عدد سكانها (سنة ١٩٥٣) ما يقارب من احد عشر الف نسمة ، يعتمدون في اقتصادياتهم على جمع القصب وحياكة الحصر ، ويقطنون ما يقرب من الف وستمائة جزيرة صغيرة . والجبايش هي القصب والبردي والتراب الذي يستحدث به السكان جزرا جديدة او يفترشون به الواطئة من جزرهم . ومفرد (الجبايش) هو « جباشة » وهي مأخوذة من الفعل : كبس . وتتبع الجبايش ، اداريا ، لواء المنتفك ، محافظة ذي قار الان .
انظر : د . شاكر مصطفى سليم الجبايش ص٣ وما بعدها .

الشبيبي يعود الى محمد ، أو الشيخ محمد ، والد الشيخ محمد جواد ، والد شاعرنا محمد رضا الشبيبي[٣٤] .

وقد كان لهم في الجبايش « شأن وسمعة ، وفيهم الزعامة . ولهم هناك اقطاعات تنسب اليهم ، هي من مختصاتهم ، استولت على الكثير منها العشائر المحيطة بهم . ولهم بقية هناك حتى اليوم »[٣٥] .

وقد هاجر الشيخ محمد بن الشيخ شبيب الى النجف في أواسط القرن الثالث عشر الهجري لطلب العلوم الدينية هناك[٣٦] . وعندما توفي ـ وكان آنذاك في بغداد ـ بعد ولادة ابنه محمد جواد بأيام قلائل ، هاجرت زوجه بابنهما الى النجف ، بعد أشهر ، ثم الى الشطرة ، حيث يقيم والدها الشيخ صادق أطيمش « العالم الفقيه ، والرئيس الجليل المطاع بتلك الديار »[٣٧] . فنشأ محمد جواد ، والد شاعرنا ، في كنف جده لامه ، الذي علمه القراءة والكتابة ومباديء الادب وتذوق الشعر ، ورعاه ثم اجازه عندما رأى منه ميلا الى الادب ، والشعر خاصة ، وبقي يرعاه حتى توفي . ففارق محمد جواد المنتفك[*] الى بغداد ، مترددا بينها وبين الكاظمية ، ثم انتهى به المقر في النجف[٣٨] ، ليدرس الفقه والاصول على جماعة من علماءعصره[٣٩] ، وسكن حي « البراق » حيث تسكن طائفة من أقربائه ، وتزوج فيها . وكان يستعين على عيشه بما يعطيه خاله من عائد بعض أراضيه الزراعية ، وبما كان يصوغه من الحجج الشرعية ، وبما يوافق على أخذه من مال أعلام عصره كالملا محمد كاظم

---

(٣٤) آل محبوبة : ماضي النجف وحاضرها جـ٢ ص٣٧٧ .
(٣٥) المرجع السابق ص٣٦٨ .
(٣٦) المكان نفسه .
(٣٧) آغا بزرك الطهراني : طبقات أعيان الشيعة جـ١ ص٣٣٧ .
(*) محافظة ذي قار الآن .
(٣٨) المرجع السابق . الصفحة نفسها .
(٣٩) المكان نفسه .

الخراساني(**) ، المرجع الديني الاعلى للشيعة انذاك ، والشيخ خزعل خان ، أمير المحمرة ، الذى كان الشيخ محمد جواد يتردد عليه • وكان هذا الامير يجله كثيرا • فقد كان أبي النفس حتى ان ناصر السعدون ، أمير المنتفك انذاك، حاول الاتصال به ، وبعث اليه بالمال ، فرفضه واشترط عليه لا يزوره الا اذا كف عن العطاء(٤٠) •

وقد مضى الشيخ محمد جواد في طلب العلم وقرض الشعر ، فارتفع اسمه حتى صار « من الشهرة بحيث لا يذكر اسم الادب انذاك ، بجميع فنونه ، الا وكانت له من المناسبة ما تجعل الاتصال وثيقا باسم الشبيبي الكبير »(٤١) •

وكان له مجلس هو ندوة جامعة يلتقي فيها ادباء النجف ورجاله فيتطارحون الشعر ، ويتداولون الشؤون المختلفة ، كواحد من أشهر المجالس الادبية التي كانت تحفل بها النجف وبعض المدن العراقية(٤٢) • اذ كان ، وما يزال ، الكثير من علماء النجف وأدبائه المشهورين يجلسون للناس في بيوت خاصة أو في أجنحة منعزلة من بيوتهم أو في غرف مستقلة منها يتداولون مختلف الشؤون ، من اجتماعية وسياسية ، الى أدبية وعلمية • فتعقد المناظرات وتلقى القصائد • وكان أولادهم بحكم احترامهم لابائهم ، وبحكم تربية تحاول أن تشق الطريق للصغير الى الحياة الاجتماعية ليتحلى بما يتحلى به الرجال ، يحضرون تلك المجالس ، ويصغون الى ما يدور فيها ، فتتفتح عقولهم على ما يدور في تلك المجالس التي هي أشبه بالندوات • وتتاح الفرصة للنابهين منهم ليظهروا

(**) هو محمد كاظم بن ملا حسين الهروي الخراساني النجفي. ولد في طوس سنة ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م ، وهاجر شابا الى النجف لتلقي العلوم واقام فيها توفي سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م . انظر حرز الدين : معارف الرجال جـ٢ ص ٣٢٣ .

(٤٠) علي الخاقاني : من حديث شخصي .

(٤١) الخليلي : هكذا عرفتهم جـ١ ص٥٧ .
هذا ويطلق لقب « الشبيبي الاكبر » على الشيخ محمد جواد تفريقا له عن ولده شاعرنا الشيخ محمد رضا الشبيبي .

(٤٢) المرجع السابق ص٦٥ .

ما لديهم من مواهب ، من استجابتهم لما يدور من تعليقات ، وما يطرح من اسئلة[٤٣] .

ولادة الشبيبي ، نشأته محيطه :

في هذا البيت . ولهذا الرجل ، الشيخ محمد جواد الشبيبي ، وفي يوم الاثنين ٦ رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، سنة ١٣٠٦هـ[٤٤] الموافق ٦ مايس سنة ١٨٨٩م ، ولد واله هو البكر ، قرت به عيون والديه ، وأسمياه « محمدرضا » تيمنا باسم الرسول الكريم محمد (ص) ، وبلقب الامام علي بن موسى الرضا (ع) . فتعهده والداه بالعناية والرعاية حتى بلغ السن التي يذهب فيها الى الكتّاب ، شأنه شأن اترابه ، فأرسل اليه ، وحفظ القرآن على سيدة مقرئة هي مريم البراقية[٤٥] ، واستمع الى شيوخ واساتذة من أبرز من عرف في وقته ومدينته[٤٦] ، ونعم برعاية والده الذي « تعهده في معظم أوقاته بما يرفع مستواه الادبي والخلقي . وراح الولد النابه يستمع الى محاضرات والده التي كان يستمع اليها العشرات من الادباء الاذكياء ، والافاضل المبرزين في ناديه ... وامتزج بنفر عرفوا صفاء النفس ونقاء السريرة ، فاكتسب منهم القيم الاخلاقية السامية »[٤٧] .

وعندما عزفت نفسه عن الدروس التقليدية التي كانت تدرس انذاك[*] ، اتجه الى الدراسة الحرة ، بعيدا عن سيطرة المعلم والمربي[٤٨] . ونظم الشعر في سن مبكرة . فقد بدأ النظم وهو في الثالثة عشرة من عمره[٤٩] .

---

(٤٣) المرجع السابق . ص٢٩٨ .
(٤٤) ترجمته الذاتية : الورقة الاولى . وانظر : الخاقاني : شعراء الغري جـ٩ ص٣ .
(٤٥) ترجمته الذاتية : الورقة نفسها .
(٤٦) المكان نفسه .
(٤٧) الخاقاني : شعراء الغري جـ٩ ص٣ .
(*) سنتحدث عنها في الفصل القادم .
(٤٨) « ترجمة السيد محمد رضا الشبيبي » بقلمه : مجلة المجمع العلمي العربي مجـ٨ جـ٨ (آب ١٩٢٨) ص٤٩٤ .
(٤٩) محمد صبري : شعراء العصر : جـ٢ ص١١١ .

وقد أعانه على صقل شاعريته تعهد والده اياه ، وحضور الابن ندواتــه ، واطلاعه على دواوين الشعر العربي القديم[٥٠] ، من جهة ، وهـذه البيئـة الشعرية التي كانت تهيئها مدينة النجف ، من جهة اخرى . فبالاضـافـة الى ما كان يتلى على المنبر الحسيني من رثاء الحسين وآل بيته في شتى المنـاسبات الدينية وما أكثرها[**] من الشعر الذي يصبح متداولا بين الناس ، والـذي لا يقتصر على الرثاء فربما تعرض الى غيره من الموضوعات[٥١] ، فهناك العديد من الشعراء والادباء الذين تزخر بهم المجالس والندوات . وهناك المناسـبات التي يقتنصها الشعراء والادباء . فقد كانت مجالس التهاني والاعراس ،ومجالس الفواتح[*] والتأبين ، والمناظرات والمساجلات التي كثيرا ما يثيرهـا التباهي والتنافس ، والدعابة والتنفيس عن النفس هي السوق الذي يستغلـه الأدبـاء ، ويتخذون منه مناسبة لعرض منتوجهم الادبي في النجف . ولشد مـا كانـوا يفرحون حينما يسمعون بموت أحد العلماء الافاضل [!] لان مباراة الشـعر ستكون بأوسع حدودها ، حتى وان لم يكن للشاعر كبير صـلة بالعريس أو الميت »[٥٢] .

---

(٥٠) « حوار قديم في الادب والفلسفة وفي مآخذ الدراسات العراقية »: مجلة « الحديث » الحلبية . وقد تعذر علينا الحصول على العدد حتى بعد الاتصال بصاحب المجلة ، الاستاذ سامي الكيالي . وقد عثرنا على هذا « الحوار » بين اوراق الشاعر . وسنشير الى هذا العدد في الصفحات القادمة بـ « العدد المفقود » .
وانظر : خضر الولي : آراء في الشعر والقصة جـ١ ص٨ .

(**) يقول علي الشرقي في كتابه « الاحلام » ص٧٠ :
« لم تكن للنجف اعياد قومية او وطنية ، لا اعياد ولامناسبات . واني اتذكر ملحة لبعض المتندرين من النجفيين ، عندما جاء الى حلقة احـد الاعلام ، وقد كنت فيها ، فتساءل قائلا : مالنا وما بال قادتنا ؟ كل يوم ينادي المنادون بمأتم لأئمتنا ، وقيام مناحة ، حتى ان ايـام وفـاة بعض الأئمة كانت غير مضبوطة ، فكانت مآتمها متعددة حسب الروايات .بربكم ايها القادة ، أما كان لسادتنا وابنائهم ايام أعـراس نتخذها اعيـادا وافراحا ؟ » .

(٥١) محمد حسين الصغير : فلسطين في الشعر النجفي المعاصر ص٥٦ .

(*) التعزية .

(٥٢) الخليلي : هكذا عرفتهم جـ١ ص ٣٨١ .

فمضى في مجتمعه ينظم فيما ينظمون ، أو فيما لا ينظمون . وتفتحت عيناه على ما حوله فرأى ما لا يراه الكثيرون من أبناء المجتمع . صدمه ، أول ما صدمه ، جمود مناهج الدراسة التقليدية ، فعافها ليطالع ما تهواه نفسه بنفسه . ثم صدمته مظاهر الفساد والجهل والمرض والفقر المخيمة على ذلك المجتمع ، فلا الحاكم صالح يرعى شؤون الناس ويهيء لهم المستوى المعاشي اللائق ، ولا بعض رجال الدين يؤدون دورهم في المسؤولية كما يجب ان تؤدى . فكان ذلك يجعله - بالاضافة الى عقلية متفتحة ورغبة عارمة في المعرفة - ينكب على الكتاب ، اذ وجد فيه ضالة وسلوى لا يشغله عنه شاغل ، فحتى الطعام كان يقدم اليه وهو في غرفته من الباب أو الشباك ثم يترك لشأنه(٥٣) . يحدثنا عنه أمين الريحاني في كتابه « قلب العراق »(٥٤) وقت ان زاره في صباح أحد الايام ، لدى زيارته العراق(**) فيقول : « وما كان أشبه الشاعر ، صباح ذاك اليوم ، وهو متربع على فراش فوق حصير على الارض وسط قاعة فرشها عادي قليل وأمامه طاولة صغيرة عليها أوراقه وحولها كتبه ، ما كان أشبهه بصورة من الصور التي تزدان بها المخطوطات الفارسية ، الا انها قاتمة ساكنة ، لا تذهيب فيها ولا وهج لالوانها . وما اطار هذه الصورة الحية غير جدران الغرفة الدكناء العارية ، وفيها نافذتان تشرفان على جدران البيوت الملاصقة لبيت الشاعر كأن الصورة واطارها صنع فنان يحسن التجانس في فنه ، فيلتئم الوجه الهادىء والبيئة الدكناء » .

وربما خرج الى مكتبة من المكتبات الكثيرة التي تزخر بالكتب والمخطوطات. وقد يشاهد وقت العصر « متأبطا طيتين أو ثلاث طيات صغيرة من وسط عباءته وهو سالك طريق الترامواي حيث مسلك الكثيرين من طلاب العلم والادب من الشباب الذين تنحصر كل متنزهاتهم في مثل هذا الوقت من العصر في التمشي بين المقابر ، والخروج من حدود المدينة للتفسح واستنشاق الهواء . فقد كانت

---

(٥٣) اسعد محمد رضا الشبيبي : من حديث شخصي ، نقلا عن والدته وهي تحدثه عن شان والده قبل اقترانهما .

(٥٤) ص٢٥٦ .

(**) سنة ١٩٢٢ . انظر امين الريحاني : قلب العراق ص٢٥٦ .

بادية النجف ، ومن ضمنها طريق التراموای ، ذات بهجة بما كان يغطيها من الازهار من مختلف الالوان ، ولا سيما أيام الربيع »[٥٥] .

وقد كان الشبيبي معجبا بتلك المناظر التي تذكي الخيال الحساس . وربما نظم من وحيها بعض شعره . فهو يحدثنا عنها قائلا : « لا تكاد تغيب الشمس في كثير من الامسيات والعشايا حتى تسطع الكواكب أو يبزغ « ملك الليل » من ناحية المشرق ، يتهادى في سماء صافية الاديم صحية الهواء الى ان يغمر الصحراء أو الكون بأشعته الفضية ، فيكون من ذلك منظرا ... لا ينفك يذكي خيال النجفي الحساس ، ويغذيه غذاء لا ينفد معينه ، ولا تنقطع مادته. أضف الى ذلك توفر العزلة والسكون في تلك الارجاء »[٥٦] .

ذلك اذا لم يحضر مجلس والده أو يجتمع مع نخبة من القوم هامت بالادب والعلم ، أطلقت على نفسها اسم « الصفوة »[٥٧] . و « الحق أنهم كانوا صفوة القوم في بحوثهم وآدابهم وأخلاقهم في جدهم وهزلهم »[٥٨] ، أو بغيرهم من المتنورين الذين يجدون في سبيل الاصلاح والعمل على رفع شأن البلاد والحصول على حقوقها المهضومة . فهو يحدثنا في مقدمة ديوانه قائلا : « كنا في رهط من الشباب العراقيين وغيرهم نفكر تارة في رسم أهدافنا ، وطورا في الوسائل التي توصلنا اليها . ولم نكن نستهدف في الواقع الا الحياة في ظل نظام تحترم فيه الحقوق والحريات ، وتفلح في كنفه المساعي ، ويتيسر النهوض بالبلاد . كما كان في مقدمة العقبات الشاقة التي تواجهنا دائما استفحال الجمود ، وفقدان الشعور بالواجب ، خصوصا لدى المسؤولين ، وعدم اكترائهم أو مبالاتهم بالاخطار . فتضطرم النفوس ، وتثور الارواح المتمردة ،وتتضاعف

---

(٥٥) الخليلي : هكذا عرفتهم جـ٢ ص١١٢ .

(٥٦) « النجف وطبقات شعرائها » : مجلة « الاعتدال » مجـ٢ ع٤ (أيلول ١٩٣٤) ص ١٤٩ .

(٥٧) الخليلي : المرجع السابق جـ١ ص٣١٩ .

(٥٨) المرجع السابق : الصفحة نفسها

الهواجس والآلام ، ثم تفيض بهذه الصور الشعرية كما يفيض القليب الملآن »[٥٩] .

وانما كانت نفسه تفيض بهذه الصور الشعرية فتجد لها بعض متنفس في الشعر ، فذلك وقت الخلوة اليها ، والا فهي لم تترك فرصة للعمل اضافة الى القول ، مع ذلك الرهط من الشباب أو مع غيره .

فعندما طالب أحرار ايران ، انصار ما عرف بـ « المشروطة » ، بتقييد السلطان مظفر شاه بدستور ومجلس شورى ، واستنجدوا سنة ١٩٠٦ ، قبل اعلان الدستور العثماني بسنتين ، بكبار رجال الدين في النجف كالملا محمد كاظم الخراساني والشيخ ميرزا حسين ميرزا خليل والشيخ عبدالله المازندراني والسيد محمد كاظم اليزدي ، طالبين تأييدهم ، سارع هؤلاء الرجال بارسال البرقيات والرسائل المؤنبة والناصحة الى السلطات الايرانية ، متفهمين سمو غاية أحرار ايران وشرف قصدهم[٦٠] . وكان لهذه الحركة عظيم الصدى في النجف . فالطلاب الايرانيون الذين يأتون الى العراق لتلقى العلم في النجف أو كربلاء ، وهم كثيرون ، كان منهم من يعود الى وطنه بعد اكمال دراسته ، ومنهم من يستقر في مدينة دراسته . ومن الطبيعي أن يكون هؤلاء الطلاب على صلة دائمة بوطنهم ايران . فاذا حدث هناك أي صراع ديني أو سياسي فسرعان ما ينتقل أثره عن طريقهم الى العراق . أضف الى ذلك أن أكثر العلماء الدينيين الشيعة هم من الايرانيين[٦١] ، الامر الذي أدى الى ان تتبنى النجف وكربلاء حركة المشروطة ، وتسعى بجد في سبيلها . فأيدها المتحررون والراغبون في الاصلاح . وأيدتها العامة عندما رأت رؤساءها الدينيين يؤيدونها. فأخذت الاجتماعات تتكاثر لتساند هذه الحركة وترسم لها الخطط . وكان من

---

(٥٩) الديوان : ص هـ .

(٦٠) هبة الدين الشهرستاني : مذكرات هبة الدين الشهرستاني . نشرها علي الخاقاني في كتابه « شعراء الغري » جـ١٠ ص٧٩ ومابعدها . وانظر : محمد علي كمال الدين : التطور الفكري في العراق ص ٢٢ وما بعدها ، والشرقي : الاحلام ص٩٠ وما بعدها .

(٦١) د. علي الوردي لمحات من تاريخ العراق الحديث جـ ١ ص ١١ .

أشد المتحمسين لها السيد هبةالدين الشهرستاني(*) ، وهو أحد اساتذة الشبيبي[٦٢] فكان يجتمع مع مؤيدي الحركة من أنداده وطلابه ، وكان الشبيبي من أشد المتحمسين ممن كانوا يلتفون حول الشهرستاني وحول الحركة[٦٣] . ولكن النكسة ما لبثت ان أصابت تلك الحركة نتيجة ما حصل من اتفاق بين السلطتين العثمانية والايرانية ، عندما رأت الاولى ما فيها من خطر عليها . فضيقت عليها الخناق ، وطاردت زعماءها . فحصل الشقاق بين الزعماء، وتبين ان اليزدي كان يؤيد الحركة ظاهريا فقط ، وأصبح بعدئذ محورالحركة المناوئة ، المعروفة بـ « المستبد » . وهي تدعو الى اطلاق يد السلطان فيالحكم. وراح أنصارها يحاربون أنصار المشروطة بشتى الوسائل ، ويلصقون بهم أبشع التهم ، ومن بينها الاتهام بالمروق عن الدين ! فشوهت حركة المشروطة ، واضطهد أنصارها . وقد كان في الصراع بين الانجليز والروس في سبيل التغلغل في أرض العراق ما ساعد على الفرقة بين أبناء المدينة الواحدة . ولم

(*) هو محمد علي الشهرستاني او هبة الدين الحسيني وقد اشتهر بـ « هبة الدين الشهرستاني » . عالم ديني ، حارب البدع والضلالات ، وضحى في سبيل ازالة ماعلق بالدين من شوائب في مجلته « العلم » التي اصدرها في النجف عام ١٩١٠ وفيما الف من كتب عديدة . له : الهيئة والاسلام ، وتحريم نقل الجنائز ، وتوحيد أهلالتوحيد ، ونهضة الحسين وغيرها من الكتب في العربية والفارسية . ترجم بعض كتبه الى الفارسية والأردوية . حكم عليه بالاعدام مع من حكم عليهم من رجال ثورة العشرين ، وعفي عنه مع من عفي عنهم . شغل وزارة المعارف (التربية الان) سنة ١٩٢١ ، واستقال منها ثم انتخب نائبا عن بغدادوشغلبعد ذلك رئاسة مجلس التمييز الشرعي الجعفري . ولد سنة ١٣٠٠هـ ١٨٨٣م وتوفى سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

انظر : محمد مهدي العلوي : هبة الدين الشهرستاني ، والخاقاني : شعراء الغري جـ ١٠ ص ٧٩ وما بعدها ، وآل محبوبة : ماضي النجف وحاضرها جـ ١ ص ١٧٨ وحرز الدين : معارف الرجال في تراجمالعلماء والادباء جـ ٢ ص٣١٩ ، والخليلي هكذا عرفتهم جـ ٢ ص ١٩٥ ومابعدها ، علي الخاقاني : مقدمة كتابنهضة الحسين للشهرستاني نفسه .

(٦٢) ترجمته الذاتية : الورقة الاولى .

(٦٣) مذكرات هبة الدين الشهرستاني : الخاقاني : شعراء الغري جـ ١ ص ٧٩ وما بعدها .

يجد الاحرار خلاصا من محنتهم الا وقت ان أعلن الدستون العثماني سنة ١٩٠٨[٦٤] .

وقد كان لحركة المشروطة في النجف دور في اذكاء روح المطالبة بالاصلاح والسعي في سبيل الحرية وحقوق الشعب المهضومة ، بالاضافة الى عوامل اخرى من بينها ان كان في النجف بعض الضباط والاداريين الاتراك ، وأكثرهم من الاحرار الناقمين على الأوضاع ، وقد أبعدتهم السلطات العثمانية الى العراق وغير العراق من الاقطار النائية عن العاصمة . فكانوا يبثون أفكارهم التحررية الداعية الى الاصلاح . وكان هناك تلامذة أندية الاستانة ومدارسها الذين كان تنقلهم في الوظائف الرسمية في أنحاء البلاد قد أكسبهم خبرة واطلاعا . كما ان ما كان يصل الى النجف من الصحف التركية والمصرية والسورية قد ساهم في تسرب الكثير من الافكار الحرة البناءة ، وأطلع ابناؤها على الكثير من الجديد الذي عرفه العالم من حولهم[٦٥] ومن المصادفات الخيرة ان كان قائممقام النجف انذاك[*] رجلا عراقيا[**] يؤمن بالاصلاح ، ويعمل له في السر . فقد « كان في نهاره موظفا عثمانيا ، وفي ليله مؤلبا على العثمانية. وكان يملي على من يعتمد عليه الاحتجاجات الشديدة ليوقعها مشاهير النجف ويقدمونها اليه ، ليرفعها بدوره الى المراجع . وكثيرا ما كان يلقي الافكار المثيرة »[٦٦] .

بعد اعلان الدستور العثماني :

وعندما أعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ ، استبشر الناس خيرا ، فكانت للناس أعياد ، وكانت للشعر أعراس . فشارك الشبيبي غيره من الشعراء في

(٦٤) مذكرات هبة الدين الشهرستاني : المكان نفسه . وانظر : كمال الدين : التطور الفكري في العراق ص٢٢ وما بعدها ، والشرقي : الاحلام ص ٩٠ وما بعدها .

(٦٥) الشرقي : المرجع السابق ص٨٩ .

(*) سنة ١٩٠٨ وقبيل اعلان الدستور .

(**) هو ناجي السويدي . انظر : الشرقي : الصفحة نفسها .

(٦٦) الشرقي : المرجع السابق ص٩٠ .

ذلك . وكانت له قصيدة أسماها « الحرية والدستور »[٦٧] عبر فيها عن فرحته بالدستور . وانظم الى جمعية « الاتحاد والترقي » حين فتحت لهـــا فرعا فـــي النجـف[٦٨] .

وقد كان الانقلاب العثماني بداية مرحلة جديـدة في تاريـــخ العـــراق والدولة العثمانية . وكان اعلان الدستور بداية عصـــر جديد ، كـما يقـــول الشبيبي[٦٩] عصر اليقظة في الفكر والشعور ، تفنن الخـــيال العربي فيه في التعبير عن هواجس النفس الطامحة الى مجاراة الامم الناهضة الراغبة في التخلص من عوامل الضعف والانحلال » فقد كانت شعارات « الحرية والاخاء والمساواة» تلهب المشاعر ، فيتغنى الشعراء بقصائد تعبر عما يجيش في النفوس من آمـــال في هذا العهد الجديد . وكانت الخطب التي يلقيها الاتحاديون تحلق في الندوات. وقد ظهرت عدة من الصحف والمجلات .فقد منحت الامتيازات ،وخففت الرقابة على الصحف . وبعد ان لم تكن سوى صحيفة واحدة في مركز كل ولاية[٧٠] ، كثرت الصحف حتى بلغ عددها في سنة واحدة نيفا وخمسين صحيفـة ، وفي مختلف الموضوعات ، في السياسة والعلم والادب ، وفي الاحصاء والفكاهـــة والهزل[٧١] ، وأخذت الصحف تساهم في نشر الوعي بين الناس بمقالاتهـــا الحرة الصريحة ، منبهة الى المفاسد ، داعية الى الاصلاح[٧٢] ، معالجة شـتى الموضوعات الاجتماعية ، ومشاكل التربية والتعليم واللغة[٧٣] .

واذا شهدت بغداد في هذا العهد صحيفة هي الرقيب « أجمعت الكلمـة على انها أجرأ صحف وقتها ، وأكثرها شعورا بالواجب . وكان صاحبهـــا[*]

---

(٦٧) الديوان : ص٥٢ .
(٦٨) محمد رضا الشبيبي : تصدير كتاب « معروف الرصافي » للدكتور بدوي طبانة ص٣ .
(٦٩) الديوان : المقدمة ص د .
(٧٠) فيضي : في غمرة النضال ص٤٩ .
(٧١) عبد الرزاق الحسني : تاريخ الصحافة العراقية جـ١ ص٥٠ .
(٧٢) المرجع السابق : الصفحة نفسها .
(٧٣) رفائيل بطي : الصحافة في العراق ص٥٢ .
(*) هو عبد اللطيف ثنيان . انظر : المرجع السابق : الصفحة نفسها .

يقظا في تتبع سير الحكومة وأعمالها ، فما كان حسنا أطراه ، (وما كان) خطأ انتقده » [٧٤] . واذا كانت بغداد هي السابقة في اصدار الصحف ، اذ صدرت فيها أول صحيفة هي « الزوراء » سنة ١٨٦٩ ، في عهد مدحت باشا[٧٥] ، فقد سبقتها النجف في اصدار المجلات . فقد صدرت فيها أول مجلة عراقية هي مجلة « العلم » لهبة الدين الشهرستاني . وقد بلغت هذه المجلة من النضج والرصانة درجة لا يستهان بها[٧٦] وقد تفهمت مهمة الصحافة ومالها من دور في في التوعية والهداية والدفاع عن الحق واستنكار الباطل بطريقة لبقة لا تستفز[٧٧] ، في بيئة لا ترتضي من مثل الشهرستاني ، وهو من علماء الدين البارزين ، وكان يلقب بـ « العلامة »[٧٨] ، أن يجاهر حتى بقراءة الصحف والمجلات ! ولكنه لم يبال ، ومضى يصدر مجلته هذه ، غير ملتفت لافكار الجامدين . وراح يراسل الشيخ محمد عبدة والسيد رشيد رضا وأصحاب المقتطف والهلال ، ويبادلهم ما تخرجه المطابع[٧٩] ، ويقتبس من تلك المجلات وغيرها كالمقتبس والعرفان اللتين كانتا تصلان العراق آنئذ ، ما يختاره لمجلته ، شأنه شأن غيره من أصحاب الصحف العراقية الجادة .

وقد ساهمت الصحافة مساهمة فعالة في فتح الآفاق أمام الناس ، بما كانت تبديه من آراء ، وتنقله من أنباء العالم في مختلف الشؤون وفي جديد المخترعات . وكان للصحافة المصرية والسورية فضل نقل نتاج الفكر في هذين القطرين الشقيقين اللذين سبقا العراق في هذا المضمار الى العراق ، كما كان لها فضل التعريف بنتاج شعراء العراق وكتابه ، والشبيبي من بينهم ، بماكانت تنشره لهم على صفحاتها .

وقد كان لاعلان الدستور الذي جعل العرب والاتراك متساوين في

---

(٧٤) الفياض : الثوره العراقية الكبرى ص٦٠ .
(٧٥) بطي : المرجع السابق ص١١ .
(٧٦) الفياض : المرجع السابق ص٦٠ .
(٧٧) المرجع السابق : ص ٦١ .
(٧٨) ساطع الحصري : مذكراتي في العراق ص٥٣ .
(٧٩) العلوي : هبة الدين الشهرستاني ص١٠ .

الحقوق والواجبات ما رفع الروح المعنوية لدى العرب ، وجعلهم يشعرون بمكانتهم وأهميتهم ، فخفتت الاصوات التي كانت تطالب بالانفصال عن الدولة العثمانية ، اذ جاء الدستور ليزيل أسباب التذمر والشكوى • ولكن مرور الزمن لم يلبث ان أظهر استمرار الاوضاع على ما كانت عليه ، ولو انها لبست لباسا جديدا • فقد اتخذ الاتحاديون مما وصلوا اليه من مكانة وسيطرة ، وسيلة لخدمة أغراضهم ومطامعهم • وتكشفت نواياهم في التريك ودعوة العرب الى التخلي عن عاداتهم وتقاليدهم التي يعتزون بها[٨٠] مما حرك كوامن النفوس وتطلعاتها ، لا سيما وان الدستور قد سمح للاتراك والعرب بتشكيل الجمعيات ، فكثرت • ولما كانت القوانين تحظر قيام الجمعيات ذات الاهداف السياسية ، وبتسميات قومية ، فقد شكلت الجمعيات بصورة سرية ، خدمة للاغراض القومية[٨١] •

والحقيقة ان القضية العربية كانت قد بدأت بالظهور على مسرح الاحداث منذ أواخر القرن التاسع عشر ، ولو بشكل غير متبلور ، وقد كان يصدها عن البروز عاملا الارتباط بين العرب والترك برابطة الدين الاسلامي من ناحية ، والامل في نجاح المساعي التي يبذلها أحرار الاتراك والعرب في القضاء على الاستبداد الحميدي واقامة قواعد دستورية تضمن للطرفين ما يرنوان اليه من حقوق مهدورة[٨٢] ، من جهة ثانية •

ولو أردنا أن نلقي نظرة عامة على الاتجاهات والافكار التي كانت تسود البلاد العربية انذاك لوجدنا ان هناك أكثر من اتجاه واحد واكثر من فكرة واحدة • فهناك من يسعى مع أحرار الاتراك الى اصلاحات عامة للولايات العثمانية تفيد منها الولايات العربية • وهناك من يسعى الى اصلاحات خاصة بالبلاد العربية • وهناك من يسعى الى انفصال البلاد العربية عن السلطنة العثمانية

(٨٠) آيرلند : العراق ص١٧٣

(٨١) أحمد حمزة الاعظمي : القضية العربية ، أسبابها ومقدماتها وثوراتها جـ٢ ص٣٠ وما بعدها . وجـ٤ ص ٥٣ وما بعدها . وانظر : برو : العرب والترك ص٣٠٨ وما بعدها .

(٨٢) برو : المرجع السابق ص ٧٤ .

لتأسيس دولة عربية مستقلة ، الى غيرها من الاتجاهات والافكار[٨٣] • ولكن مرور الوقت جعل الافكار القومية واللامركزية تسري في نفوس الاصلاحيين العرب ، وتتغلغل فيها الى حد كبير تبعا لما يحدث من تطورات واحداث بين العرب والاتراك ، مع انهم ظلوا يشعرون برباط الدين[٨٤] •

فعندما نشبت الحرب الطرابلسية بين الدولة العثمانية وايطاليا سنة ١٩١١ ، عند عدوان الثانية على طرابلس في المغرب العربي ، وعند حرب البلقان سنة ١٩١٢ وقت ان طالبت بلغاريا والصرب والجبل الاسود بالاستقلال الاداري عن الدولة العثمانية ، تناسى العرب مساوىء العثمانيين وما تحمله قلوبهم تجاههم ، ورأوا في الحرب الاولى حربا بين دولتهم المسلمة وبين اعداء الاسلام الذين جاءوا ليغتصبوا أرضا اسلامية عربية يشاركون أهلها الاسلام والعروبة وبغض العدوان • ورأوا في الثانية انسلاخ جزء من دولتهم المسلمة ، فساندوا الدولة العثمانية وبذلوا في سبيلها ما بذلوا ، ونظم شعراؤهم ، والشبيبي[*] من بينهم ، القصائد في هاتين الحربين •

الحرب العالمية الاولى ودخول الانجليز العراق :

وعندما أعلنت الحرب العالمية الاول ، ودخل الانجليز العراق ، واعاد الاتراك تنظيم قواتهم النظامية المبعثرة ، ساعدهم العراقيون في حربهم ضد الانجليز وأفتى علماؤهم الدينيون بوجوب الجهاد لدفع الضر عن المسلمين ، و « رأوا ان تعزيز موقف المسلمين تجاه غير المسلمين لا مناص منه ، حسبما تقتضيه الشريعة الاسلامية »[٨٥] ولم يكتف العلماء بالفتيا فقط بل خاضوا المعارك قائدين الاف المتطوعين للجهاد • وكان أشدهم حماسة العالم الديني الشاعر

(٨٣) ساطع الحصري : محاضرات في نشوء الفكرة القومية ص١٧٦ .
(٨٤) برو : العرب والترك ص١٦٤ .
(*) للشبيبي قصيدتان في ذلك هما : من الحرب الى الحرب ، درس الآلام . انظر الديوان : ص١٩ ، ٢١
(٨٥) الفياض : الثورة العراقية ص١٠٧ .

محمد سعيد الجبوبي(*) فعسكر المحاربون من جيش ومتطوعين في الشعيبة ،قرب البصرة . ووقف العراقيون خير موقف في « معركة الشعيبة » ، رغم ان النتيجة كانت انتصار القوات الانجليزية[86] .

وقد شارك الشبيبي في تلك المعركة . وهو يحدثنا في « ترجمته الذاتية »[87] عن ذلك قائلا : « ولما أعلنت الحرب الكونية الاولى ، واندلعت في العراق سنة ١٩١٤ ، شارك(**) في هذه الحرب الى جانب الجيش التركي . وحضر معركة الشعيبة التي خذل فيها الجيش ومن ثم انتحر على الفور قائده « سليمان عسكري » . وكان الى جانب القائد المذكور في ميدان الشعيبة ابان هذه الحادثة النكراء » .

وقد وصف الشبيبي « يوم الشعيبة في قصيدته التي أعطاها الاسم نفسه. وقد استهل هذه القصيدة بقوله :

نبت الربى حمر أشلاء وأوراد	منثورة لك بين القصر فالوادي
دون « الشعيبة » أجساد موزعة	في اليد توزيع أعضاء بأجساد[88]

ومن الغريب بعد معركة الشعيبة هذه التي هب فيها العراقيون لمناصرة الاتراك ، مضحين بانفسهم وأموالهم ، أن يقف الاتراك منهم موقفا غادرا ، فأخذوا يهنيون رؤساءهم وينكّلون بهم ، بل ذهب أحد قوادهم(***) الى القول

(*) كتب علي الشرقي بحثا قيما بعنوان « مبدأ الصلابة عند العرب » تحدث فيه عن مشاركة الحبوبي وتضحيته في هذه الحملة . وكان الشرقي مرافقا للحبوبي فيها .
انظر : مجلة « الاعتدال » : مج٣ ع٧ (كانون الاول ١٩٣٥) ص٣٦٤ .
(٨٦) آل محبوبة : ماضي النجف وحاضرها جـ٢ ص٢٤٦ ، وعبد الشهيد الياسري : البطولة في ثورة العشرين ص٦٩ .
(٨٧) الورقة الرابعة .
(**) يتحدث الشبيبي في « ترجمته الذاتية » بضمير الغائب .
(٨٨) الديوان : ص٤ .
(***) هو : أحمد بك أوراق . انظر : فريق المزهر آل فرعون : الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها جـ١ ص٣٩

أمام المجاهدين العراقيين : « انا لو فتحنا الشعيبة والبصرة ، يبقى علينا واجب ثان ، هو فتح العراق خاصة ، واولا ، وعشائر شط دجلة ثانيا . لانهم خونة » فيرد أحد شيوخ العشائر(*) والمتطوعون أكثرهم من العشائر : « انتم الخونة للاسلام ... وتحزبكم ضد العرب كان المصداق لقولي . وأنتم ، بعد هذا ، أولى بالحرب والقتال ممن نحارب . ولولا فتوى علمائنا لما وجدتمونا في هذه الساحات التي نقاتل فيها »[89] .

وهكذا أخذت النفوس تزورُّ عن العثمانيين ، محاولة جمع شتاتها للتخلص من حكمهم . وكان العثمانيون على علم بما يبيت لهم ، فاتخذوا الاحتياطات، وأعلنوا الاحكام العرفية . وكان نصيب النجف أن أرسلوا اليها ، بعد مرور شهر واحد على معركة الشعيبة ، جيشا يقدر بالف جندي ، للقبض على الفارين من الجندية . فاخذ الجيش يقوم بالاعمال الانتقامية ، من سلب ونهب واهدار للكرامات . أضف الى ذلك أن قائممقام النجف انذاك(**) كان سيء الخلق والادارة ، مما أحدث أسوأ الاثر في نفوس النجفيين ، فأدى ذلك الى نشوب القتال بين النجفيين والاتراك . فطرد الاتراك من النجف وسيطر النجفيون على مدينتهم[90] .

يحدثنا الشبيبي[91] عما قام به النجفيون في مطاردة الاتراك في غير النجف من المدن ، وعن حكم النجفيين النجف سنتين كاملتين حتى احتلها الانجليز فقام عليهم النجفيون بثورتهم التي عرفت بـ « ثورة النجف » ، فيقول : « وما كفى ذلك حتى صاروا يعملون على تقويض أركان الحكومة العثمانية من العراق ، فكان لهم ضلع في أكثر الحوادث التي حدثت بعد ذلك ، وأريد بها طرد الاتراك ، كحادثة كربلاء الاولى في منتصف شعبان سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م وكارثة الحلة في منتصف شوال ١٣٣٣هـ (١٩١٥م) وحادثة كربلاء

(*) هو بدر الرميض . المرجع السابق الصفحة نفسها .
(٨٩) المكان نفسه .
(**) هو : عزت بك انظر : الياسري : البطولة في ثورة العشرين ص٨٦ .
(٩٠) المرجع السابق . الصفحة نفسها .
(٩١) الديوان : المقدمة الايضاحية لقصيدة « ثورة على الاتراك » ص٢٦

الثانية في ٧ رجب ١٣٣٤هـ/١٩١٦م (التي) هلك فيها خلق كثير ، وأشرفت البلدة على الخراب ، الى غير ذلك . وما زال النجفيون يحكمون أنفسهم بأنفسهم سنتين كاملتين حتى حاولوا أخيرا ألا يفسحوا بينهم مجالا للانكليز كما اتفق لهم مع الاتراك . فقاموا بثورتهم الخطيرة على الانكليز التي افتتحت بمقتل (الكابتن مارشل) حاكم المدينة ، صباح الثلاثاء ٦ جمادى الثانية سنة ١٣٣٥هـ/١٩١٧م ، فحوصرت النجف خمسة وأربعين يوما بجيش انكليزي جرار ، وتبودل اطلاق النار بينه وبين النجفيين أكثر تلك الايام الى ان تم للانكليز امساك السواد الاعظم من القوم ، وعوقب نحو مائتين منهم بالشنق والنفي والتغريب »[*] .

كل تلك الاحداث وغيرها جعلت الشبيبي يعيد النظر في فكرته عن الاتراك، فنظم عن ثورة النجفيين على الاتراك قصيدته « ثورة على الاتراك أو شكوى وعتاب »[٩٢] ، واستهلها بقوله :

لا الجبن ثار فأطفانا ولا البخل	الثائر الحقد بالاقوام والدَّخل
لو كان ما بهم جبناً لما انتقموا	وفي طريق بلوغ النقمة الاجل
السيف قرَّب منّا كلَّ قاصية	لا المنطق الفصل في قوم ولا الجدل

ثم خاطب الاتراك معاتبا بهذه الابيات التي تنضح بالمرارة :

يا من يعزُّ علينا ان نؤنبهم	في حيث لا ينفع التأنيب والعذل
جفوتمونا وقلتم : نحن ساستكم	منى مطيتها الاخفاق والفشل
كم تبذون لنا ذنبا فنعذركم	لقد تقطّعت الاعذار والعلل
أما صفحنا عن الماضي لاعينكم ؟	أما أديلت لكم أيامنا الاول ؟

(*) للاستزادة عن ثورة النجف ، انظر : الحسني : العراق في دوري الاحتلال والانتداب جـ١ ص٣٦ وما بعدها ، وآل محبوبة : ماضي النجف وحاضرها جـ١ ص٣٤٤ وما بعدها .

(٩٢) الديوان : ص ٢٦ .

أما استجيشت كمـا شئتم كتائبنا حتى تغايض منها السهل والجبل؟
أما مشت تذرع الدنيا ؟ أما انقطعت بها المتايه والغيطان والسبل ؟
أما أطاعوا ؟ أما بروا ؟ أما عطفوا؟ أما احتفوا بمواليهم ؟ أما احتفلوا ؟

والحقيقة ان الشبيبي الذي سر مع غيره من الاحرار بانقلاب الاتحاديين واعلانهم الدستور فتغنى بذلك مع من تغنى وانضم الى جمعية « الاتحاد والترقي » في النجف ، أقول ان الشبيبي مع ذلك كان له رأي في الاتحاديين. فهو يرى « أن من الخطأ ظن من يظن ان ثورة الاتراك المذكورة كانت مقصورة على قلب نظام الحكم فحسب ، بل هي ثورة عارمة على سائر نظم البلاد . غايتها قلب النظم الاجتماعية قبل نظم الحكم السياسية . وقد حذا فريق من قادتها حذو أمثالهم في فرنسا ، وقلدوهم تقليدا تاما ، ورموا الى ما رموا اليه من أهداف في الثورة الفرنسية الكبرى ... وكان هذا الفريق من الغلاة يبيتون للاسلام ، ويتآمرون على نظم الحياة الروحية والثقافة الأسلامية وفيهم من يزعم ان الدين آفة الشرق ، وان تمسكهم بالاسلام علة العلل في تأخرهم وعجزهم عن مجاراة الشعوب الغربية الناهضة »[٩٣] .

وهو لم يكن ينظر الى جميع الاتحاديين هذه النظرة ، فهو يعقب قائلا : « لم يكن الثوار كلهم ـ والحق يقال ـ على هذا الغرار ، بل كان ، ولم يزل ، فيهم عدد غير قليل من الزعماء والقادة يعدون نموذجا في الغيرة على الشريعة السمحاء ، والتفاني في سبيل الاسلام والعطف على أماني الشعوب الشرقية والشعب التركي » .

واذا اضفنا الى رأيه ذاك ما تكشف عنه الاتحاديون من استغلال وتتريك وما قاموا به من اضطهاد العراقيين والتنكيل بهم ، عرفنا لماذا انحاز الى الفريق اليائس من نفع يرتجى من العثمانيين ، والذي رأى في ثورة الملك حسين بن علي في الحجاز ، خلال الحرب العالمية الاولى ، الخلاص . فقد رأى هذا

---

(٩٣) تصديره كتاب « معروف الرصافي » للدكتور طبانة ص٦٠ .

الفريق ، كما يحدثنا الشبيبي[٩٤] نفسه أن « لا مندوحة عن اذكاء ثورتهم على الاتراك وقطع كل ما لهم من صلة بالقوم لان العرب جربوا الاتراك مرارا ، وقد علمتهم التجارب ان الحصول من القوم على قسط من الحرية أو الحكم الذاتي ليس في حيز الامكان . وقد مال أصحاب هذا الرأي الى تأييد الثورة الهاشمية . ومما شجعهم على ذلك ما جرى على أحرار العرب وشبابهم الناهض من تقتيل وتشريد على يد « جمال باشا » ، القائد التركي »[*] .

الاحتلال الانجليزي للعراق ودور الشبيبي في اقامة حكم وطني :

حين دخل الانجليز بغداد في ١١ آذار عام ١٩١٧ ، بعد تلك المعارك الدامية التي خاضها العراق في أجزاء عديدة منه ، كان ذلك حدا تاريخيا فاصلا بين عهدي الاتراك والانجليز في العراق[٩٥] .

وللانجليز مطامع في العراق تعود الى عهد يسبق الحرب العالمية الاولى بزمن غير قصير . وقد كانت تلك المطامع متعددة ! فبالاضافة الى اهتمام بريطانيا بسلامة المواصلات الامبراطورية ، والمحافظة على طريق الهند « ألمع درة في التاج البريطاني » فقد كانوا يطمعون في مركز العراق السوقي ، وعلاقته الوثيقة بجنوب ايران والخليج العربي[٩٦] ، كما يطمعون في أراضيه الزراعية ، لا سيما بعد ان أشار تقرير وليم ولكوكس الى ما ينتظر العراق من مستقبل زراعي بعد تنظيم مشاريع الري[٩٧] ، وفي النفط الذي أشار الخبراء الى وجود آباره الغزيرة منذ القرن التاسع عشر[٩٨] .

وقد أصدر الجنرال « مود » منشوره الشهير في بغداد بعد بضعة أيام من

---

(٩٤) المرجع السابق ص١٢ .

(*) للشبيبي قصيدة في رثاء الشهداء الذين أعدمهم جمال باشا عنوانها « رثاء الشهداء » . انظر : الديوان : ص١٨٣ .

(٩٥) الحسني : العراق في دوري الاحتلال والانتداب جـ١ ص٣١ .

(٩٦) عبد الرحمن البزاز : العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ص٤٢ .

(٩٧) الفياض : الثورة العراقية الكبرى ص١٠١ .

(٩٨) عبد الرزاق الحسني : تاريخ العراق السياسي الحديث جـ١ ص٥٩ .

الاحتلال ، وفيه ذكر ان الغرض من المعارك الحربية في العراق هو دحــر العدو التركي ، وان الانجليز لم يدخلوا « دار السلام » قاهرين أو فاتحين بل جاءوها منقذين ومحررين • ثم اسهب في ذكر مظالم الاتراك والحالة السيئــة التي آل اليها العراق[٩٩] •

على ان الحوادث التي وقعت في العراق بعد ذلك دلت بما لا يبقى معهــا أدنى مجال للشك بان البيان المذكور لم يكن يقصد منه الى أكثر من مهـديء ومخدر لمنع الشعب العراقي من ابداء أية مقاومة للجيش المحتل[١٠٠] •

واذا كان الاحتلال البريطاني قد هيأ لبعض العراقيين ســبيل الاتصــال بالمدنية الغربية ، وادخل بعض النواحي الادارية ، وفرض شيئا من النظـــام، فان ذلك كان مصحوبا بالكثير من الاستغلال والاساءة الى سكان وادي الرافدين• فقد كان يدير كل منطقة حاكم عسكري يأخذ تعليماته من الحاكم العســكري العام وهو بعد ذلك حر فيما يعمل ويريد[١٠١] • وهو في سبيل ذلـك يعتمد على زمرة من النفعيين ونهازي الفرص الذين يتوسلون بشتى الوسائل للوصول الى مآربهم وعلى حساب اخوانهم من المواطنين[١٠٢] وعلى جيش من الجواسيس والعيون حتى كان يخيـل للمـرء ان الاحجـار والاشـجار أيضـا أصـبحت في زمرة الجواسيس • فأصبح الاخ لا يأتمن أخاه • الامر الذي حرمت معهحرية الكلام ، وقيد الشعب بقيود حديدية »[١٠٣] • ومما زاد في خنق الحريــات منع اصدار أية جريدة سياسية غير الجرائد الرسمية ، وهي جرائد محــدودة أصدرت في بعض المدن العراقية المهمة[١٠٤] هذا وقد زيدت الضرائب بدافــع رغبة السلطة المحتلة في الحصول على الاموال بأية وســيلة كانت حتى انهــم

---

(٩٩) البزاز : العراق ص٧٤ .
(١٠٠)المرجع السابق : ص ٧٥ .
(١٠١)محمد طاهر العمري الموصلي : تاريخ مقدرات العراق السياســية جـ٣ ص٢ .
(١٠٢)الحسني : العراق في دوري الاحتلال والانتداب جـ١ ص٦ .
(١٠٣)الموصلي : المرجع السابق مجـ٣ ص٤ .
(١٠٤)بطي : الصحافة في العراق ص٤٢ وما بعدها .

فرضوا ضريبة على دفن جثث الموتى في النجف على كل من تجاوز ثلاث سنوات وجلب للدفن هناك[105] . أضف الى ذلك اللجوء الى السخرة المجانية في تهيئة ما تحتاجه هذه السلطات من العمال[106] ، كما يظهر ان سلطات الاحتلال لم تعط ناحية التربية والتعليم ما تستحقه من الاهتمام[107] . فازدادت نفرة المواطنين من المحتلين وكثرت الاضطرابات والثورات الموضعية .

ولم يجد حكم الاحتلال ما عمد اليه بعد ذلك من محاولة الاستفتاء لمعرفة رأي العراقيين في الحكم . فقد أبرقت وزارة الهند في ٣٠ تشرين الثاني عام ١٩١٨ الى « أي . تي . ولسن » ، نائب الحاكم الملكي العام في بغداد ، تطلب منه ان يستفتي العراقيين بتوجيه الاسئلة التالية :

١ ـ هل ترغبون في دولة عربية واحدة تحت الوصاية البريطانية تمتد حدودها من الحدود الشمالية لولاية الموصل حتى الخليج الفارسي [العربي] ؟

٢ ـ هل ترغبون ، في هذه الحالة ، في رئيس عربي بالاسم يرأس هذه الدولة الجديدة ؟ .

٣ ـ من هو الرئيس الذي تريدونه[108] ؟ .

وقد عمد ولسن الى استدعاء مندوبين عن المواطنين وطرح عليهم الاسئلة السابقة . وقد طلب مندوبو بغداد « حكومة عربية لا تحميهادولة اجنبية »[109] وقدم أهالي بغداد طلبا الى السلطات قالوا فيه « اننا امة اسلامية قد اخترنا أن نكوّن لبلاد العراق الممتدة من شمالي الموصل الى خليج العجم [العرب]، دولة يرأسها ملك عربي مسلم ، وهو أحد أنجال سيدنا الشريف حسين ، مقيد بمجلس تشريعي وطني ، مقره عاصمة العراق ، بغداد »[110] وأفتى في كربلاء

---

(١٠٥)الحسني : المرجع السابق جـ٢ ص٦٣ .
(١٠٦) الفياض : الثورة العراقية الكبرى ص١٣٣ .
(١٠٧)المرجع السابق : الصفحة نفسها .
(١٠٨)الحسني : تاريخ العراق السياسي الحديث جـ١ ص١٠٥ ، والحسني : العراق في دوري الاحتلال والانتداب جـ١ ص٧١ .
(١٠٩)الحسني : تاريخ العراق السياسي الحديث ، المكان نفسه .
(١١٠)المكان نفسه .

العالم الديني الكبير محمد تقي الشيرازي فتواه الشهيرة : « ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب غير المسلم للامارة والسلطة على المسلمين »[111] .

أما مدينة النجف فقد كان اهتمام ولسن بها كبيرا ، فقد ذهب اليها بنفسه، ودعا وجهاء النجف ورؤساء العشائر المحيطة بها الى اجتماع حضره الشيخ عبدالكريم الجزائري وعبدالرضا الشيخ راضي وهادي الرفيعي ومحسن شلاش وعبدالواحد سكر وشاعرنا محمدرضا الشبيبي وغيرهم[112] وكان الانجليز قد تواطأوا مع بعض صنائعهم . فعندما طولب المدعوون بآرائهم نهض أحد هؤلاء المتواطئين مع المحتل[*] قائلا : « لا نريد غير الانجليز » فقاطعه الشبيبي قائلا : « تكلم عن رأيك فقط ، لان أكثرية الحاضرين ، وهم الذين يمثلون الجمهور لهم رأي آخر في القضية يختلف عن رأيك » ثم خاطب الشبيبي نائب الحاكم بقوله : « ان الشعب العراقي يرتأي أن الموصل جزء لا يتجزأ من العراق ، وان العراقيين يرون أن من حقهم ان تتألف حكومة وطنية مستقلة استقلالا تاما . وليس فينا من يفكر في اختيار الحكم الاجنبي » . فاحتدم ولسن غيظا وقاطع الشبيبي مرارا ضاربا بيده على المنضدة التي أمامه . وحاول أن يطلع على آراء بقية الحاضرين فلم يبدوا اعتراضا على أقوال الشبيبي السالفة[113] « فكانت أول مجابهة جوبهت بها سياسة الاحتلال وطواغيت المحتلين ثم سرت في العراق سريان النار في الهشيم »[114] .

وهكذا رأى الانجليز أن نتائج الاستفتاء لم تأت كما يرغبون . ورأى العراقيون ان ما قاموا به حول بيان رأيهم في شكل الدولة التي يرغبون بها في العراق غير كاف . فقر رأيهم على الاتجاه الى خارج العراق لايصال رأيهم

---

(١١١)الحسني : العراق في دوري الاحتلال والانتداب جـ١ ص٩٤

(١١٢)المرجع السابق : ص٧١

(*) هو : هادي النقيب . انظر المرجع السابق : الصفحة نفسها .

(١١٣)المكان نفسه . وانظر : الياسري : البطولة في ثورة العشرين ص١٢٤ وما بعدها .

(١١٤)الحسني المرجع السابق ص٧٢ .

الى الملك حسين بن علي لتأييده في دعوته ، وللمطالبة بملكية أحد انجاله علــى العراق ، و « فكروا بانتداب من يقوم بهذه المهمة الخطيرة في سوريا والحجاز، فوقع اختيار الطبقات على اختلاف درجاتهــا ، من زعمــاء الفرات وعلمــاء النجف وكربلاء والحلة وشباب البلاد المثقف عــلى انتداب الشــيخ محمدرضا الشبيبي »(١١٥) فجمعت لذلك الاموال(١١٦) ومضى الشبيبي حاملا تلك الوثائق والرسائل(*) الى المنتفك ، للمداولة معرؤسائها واخذ آرائهم •يحدثنا عبدالرزاق

---

(١١٥)المرجع السابق : الصفحة نفسها .

(١١٦)الياسري : البطولة ص١٢٥ .

(*) وقد اورد الحسني في كتابه « العراق في دوري الاحتلال والانتداب » جـ١ هامش ص٧٧ ، احدى تلك الرسائل نوردها هنا كما اوردها :

« الى ملك العرب الحسين بن علي

السلام عليك ورحمة الله

اما بعد فان الحلفاء في الحرب العظمى أذاعوا على سكان الفرات في هذه الايام منشورا عاما فحواه انهم لم يحاربوا الا لتحرير الشعوب وان يكون لكل شعب من الشعوب حق تقرير مصيره بنفسه وادارة شؤونه من قبله ولم يكن لهم نية الفتح والاستعمار وبناء على هذا طاف الحاكم العســكري العام في العراق واجتمع بكافة الزعماء والرؤساء والعلماء طالبا اليهم ان يبدوا رايهم في النقاط التالية :

١ ــ في حدود المملكة العراقية وما اذا كانت الموصل جزءاً من العراق ام لا ؟

٢ ــ في الحكومة التي يرغبون فيها والامير الذي يملكونه في البلاد .

وبعد المداولات والمذاكرات ابلغوا الحاكم السياسي البريطاني العــام في العراق بان الموصل جزء لايتجزء من العراق وطلبوا اليه تأسيس حكومــة عربية دستورية على ان يكون احد انجال جلالتكم ملكا على العراق كمــــا يبلغكم تفصيله المندوب من قبل عموم العراقيين الشيخ محمــد رضــا الشبيبي » ا . هـ .

« انه قصد البصرة متنكرا ، قاصدا السفر الى جدة بطريق البحر ، فلم يحصل على جواز سفر ، وشعر بأن الجواسيس يتعقبونه في البصرة ، فآثر السفر برا الحسني[117] عن رحلة الشبيبي بعد مغادرته المنتفك الى الحجاز(**) فيقول : الى الحجاز ، وركب مع احدى القوافل التي كانت متأهبة للرحيل برئاسة ضيدان بن حثلين ، أحد زعماء النجديين(*) ، مع فريق من عرب العجمان . وفي الساعة التي غادر فيها الاستاذ(**) مدينة البصرة متوجها الى الزبير(***) كبست السلطة المحل الذي كان يقيم فيه في الفيحاء(****) فلم تعثر على شيء . وكان ذلك في شوال ١٣٣٧هـ الموافق تموز ١٩١٩م »(*****) .

(١١٧)المرجع السابق : الصفحة نفسها .

(**)ارخ الشاعر علي البازي عام بعثة الشبيبي هذه بما هو معروف في التاريخ الشعري بقوله :

لما دجى الخطب ومستعمرنا
قاومنا بالعسف والمعارضه
رات رجال الشعب في وعوده
خلفا وفي احكامه مناقضه
فاستنهضت عزم الحسين واحتمت
به ومنه رامت المناهضه
بفيصل اعظم به من فيصل
كاشف أسرار القضايا الغامضه
(رضا الشبيبي) له منتدبا
ارخ (ابا سافر للمفاوضه)
١٣٣٧هـ

انظر : علي الخاقاني : شعراء الغري جـ٦ ص٣٧٨ .

(*) يشير اليه الشبيبي في كتابه « رحلة في بادية السماوة » ص٧ .

(**)يقصد الشبيبي .

(***)قضاء تابع الى محافظة البصرة .

(****) يقصد مدينة البصرة

(*****)يحدثنا علي الخاقاني في كتابه « شعراء الغري »جـ٩ ص٨ ، ذاكرا ان الشبيبي تظاهر بعزمه على الذهاب الى الحج . واخفى الوثائق والرسائل فيغلاف المصحف الشريف بمعونة عبدالحميد زاهد الذي كانت له مكتبة في النجف .

وعندما وصل الشبيبي الى المدينة المنوَّرة استقبله فيها الامير علي بن الملك حسين • وبعد أن مكث فيها أياما معدودة بارحها الى مكة في قافلة الامير المذكور[١١٨] ، وكان في استقباله على مقربة من مكة الاميران عبدالله وزيد ، فأجمل لهما وللامير علي الغاية التي جاء من أجلها ، ثم فصَّلها للملك حسين لقائهما • وهو يحدثنا عن هذا اللقاء بقوله « وبعد تبادل التهاني والسلام ، بسطت الحالة بتفاصيلها كما هي في القطر العراقي ، واطلعته على تأزّم الوضع، وقرب اندلاع نيران الثورة بالعراق اذا لم تلب بريطانيا مطالب الامة العراقية ، الى غير ذلك مما يطول شرحه ، ثم دفعت اليه ما معي من الوثائق والرسائل الموجهة من العراق الى الحكومة العربية الهاشمية ، والى ملك العرب نفسه • فاهتم بها اهتماما بالغا ، وقطع وعدا بانه سيرسل هذه الوثائق والكتب الى ممثله في مؤتمر الصلح المنعقد في فرساي من بلاد فرنسا ليستند الامير فيصل الى هذه الوثائق المهمة في المطالبة بحقوق العراقيين • وان ملك العرب يؤيدهم التأييد كله في هذا الشأن • وقد علمت ، بعد ذلك ، بان الملك حسين بر بوعده ، وأرسل الوثائق المذكورة الى ولده • وكان للامير فيصل موقفه المعروف في صدد المطالبة باستقلال البلاد العربية وتكوين دولة موحدة فيها »[١١٩] •

وبعد أن انهى الشبيبي مهمته في الحجاز ، بعد اقامة استغرقت أربعين يوما[١٢٠] غادرها الى الشام • ولما كان الامير فيصل ، آنذاك ، يتابع مهمته في العواصم الاوربية ، لذا اجتمع بنائبه الامير زيد ، ومع العراقيين الموجودين هناك • وعندما عاد الامير فيصل اجتمع به أكثر من مرة ، وشارك في المؤتمر السوري الذي نادى باستقلال البلاد وباعلان فيصل ملكا على سوريا • وشارك في المؤتمر الذي دعا اليه العراقيون ونادى باستقلال العراق ، وعزم فيه

---

(١١٨)المرجع السابق : الصفحة نفسها .

(١١٩)آل فرعون : الحقائق الناصعة جـ١ ص٥٧١ . من جواب الشبيبي عن سؤال المؤلف حول مطالبة العراقيين بالاستقلال .

(١٢٠)مجلة « بغداد » : مجـ١ ع٢٠ (تموز ١٩٦٥) ص ١٤٥ • من مقابلة أجرتها المجلة مع الشبيبي .

العراقيون على المطالبة بحقوق العراق[١٢١] ، وطالبوا بأن يكون أحد أبناء الملك حسين (عبدالله) ملكا عليه . وأيدوا استقلال سوريا[١٢٢] .

وقد دامت اقامة الشبيبي في الشام سنة كاملة[١٢٣] وغـادرهـا في ٢٧ تشرين الاول سنة ١٩٢٠[١٢٤] على ظهور الابل عن طريق بادية الشام ، في رحلة استغرقت ستا وعشرين مرحلة سجلها الشبيبي في كتابه « رحلة في بادية السماوة »[*] .

واذا كان ذلك ما قام به العراقيون في سوريا ، فان العراقيين في العـراق ، وبعد ان تراكمت الاحداث ، قد شبوها ثورة كبرى اندلعت نارهافي ٣٠ حزيران ١٩٢٠ ، وعرفت فيما بعد ، كشعلة نار في تاريخ العراق المناضل ، بـ « ثـورة العشرين » .

وقد كان لهذه الثورة عوامل متعددة ، أهمها اصرار بريطانيا عـلى حكم العراق حكما مباشرا أو عن طريق الانتداب ، وسوء الحكـم البريطـاني في العراق[١٢٥] وقد كان لفتوى الزعيم الديني الكبير محمدتقي الشيرازي الشهيرة: « مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين . ويجب عليهم في ضمن مطالبتهم رعايـة السلم والامن . ويجوز التوسل بالقوة الدفاعية اذا امتنع الانجليز عن قبـول مطالبتهم » ، أبلغ الاثر في اشعال نار هذه الثورة[١٢٦] .

وقد كشفت تلك الثورة عن وحدة شعور العراقيين وتضـامنهم ، وعن نضج سياسي لا بأس به ، كما كشفت عن قابليات عسكرية كانت موضعاعجاب العدو وتقديره[١٢٧] .

---

(١٢١)آل فرعون : المرجع السابق ص٥٧٤ .
(١٢٢)البزاز : العراق ص٩٢ .
(١٢٣)محمد رضا الشبيبي : رحلة في بادية السماوة المقدمة ص جـ .
(١٢٤)المرجع السابق : ص١ .
(*) نشر عام ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م ، مستلا من (مجلة المجمع العلمي العراقي » مج١١ .
(١٢٥)الفياض : الثورة العراقية الكبرى ص٢٠٨ وما بعدها ، والبزاز : العراق ص٨٩ .
(١٢٦)آل محبوبة : ماضي النجف وحاضرها : جـ١ ص٢٦٣ .
(١٢٧)البزاز : العراق ص١٠٨ .

ولكن تلك الثورة لم تحقق أهدافها فقد قضي عليها ، وقتل من أبنائها من قتل وشرد من شرد . وأمسى العراق ، بعدئذ ، كما يقول الشبيبي[١٢٨] دولة « مستقلة ذات سيادة في الظاهر ولكنها لم تكن كذلك في الواقع ، فالاستقلال كان استغلالا ملوثا أو ناقصا نقصا فاضحا بل كان الحكم ثنائياً بين الانكليز وبين فريق من صنائعهم وأعوانهم في أغلب الاحيان . وكان الغنم للسلطة البريطانية وصنائعها والغرم على الشعب العراقي » . فقد عمد المندوب السامي البريطاني السير برسي كوكس الذي خلف ولسن ، والذي وصل الى بغداد والثورة قد أوشكت نارها أن تخمد[١٢٩] الى تأليف حكومة عراقية ، هي الاولى في العراق ، برئاسة عبدالرحمن النقيب ، في ٢٥ تشرين الاول سنة ١٩٢٠ . « لتكون جسرا بينه وبين الشعب العراقي الذي كان ثائرا في وجه السلطة المحتلة . وكانت هذه الحكومة تأتمر بأوامر المعتمد المذكور ، وتسترشد بآراء المستشارين البريطانيين الذين حلوا في جميع الوزارات الى جانب الوزراء العراقيين »[١٣٠] تلا ذلك اختيار الانجليز ، من بين عدد من المتنافسين على عرش العراق ، لفيصل بن الحسين ملكا على العراق في المؤتمر الذي عقد في القاهرة في ١٢ آذار سنة ١٩٢١ باشراف تشرشل ، وزير المستعمرات البريطانية ، وحضره بعض العراقيين[١٣١] وتم تنصيبه ملكا في ٢٣ آب من العام نفسه[١٣٢] .

واذا كان الشبيبي قد استوزر خمس مرات في الاعوام ١٩٢٤[١٣٣]

---

(١٢٨)« فقيدنا الكبير » كلمة للشبيبي نشرت في جريدة « الايام » ع١٢٤(ايلول ١٩٦٢) .

(١٢٩)خيري العمري : حكايات من تاريخ العراق الحديث ص٤٠ .

(١٣٠)الحسني : تاريخ العراق السياسي الحديث جـ ٣ ص٦ .

(١٣١)البزاز : العراق ص١٢١ . وانظر : العمري : حكايات من تاريخ العراق الحديث ص٤٠

(١٣٢)البزاز : المرجع السابق ص ١٣٥ .

(١٣٣)عبد الرزاق الحسني : تاريخ الوزارات العراقية مجا جـا ص١٩٦ .

و١٩٣٥[١٣٤] و١٩٣٧[١٣٥] و١٩٤١[١٣٦] و١٩٤٨[١٣٧] واختير عام ١٩٣٥ عضوا في مجلس الاعيان ، ثم انتخب رئيسا له عام ١٩٣٧ ، وانتخب عضوا في مجلس النواب أكثر من مرة ، ورئيسا لهذا المجلس عامي ١٩٣٤ و١٩٤٨[١٣٨] فقد بقي بعيدا عن المشاركة في الحكم حتى عام ١٩٢٤ ، كما مر ، اذ كان كلما عرض عليه ذلك يأبى ، حتى الف ياسين الهاشمي ، زعيم المعارضة ، وزارته الاولى في العام المذكور ، فقبل الشبيبي وزارة المعارف (وزارة التربية الان)[١٣٩] .

« وقد أسهم الشيخ الشبيبي بقسطه في تأسيس الدولة العراقية ... ورائده الاول خدمة المثل العليا المتمثلة بضمان حقوق المواطنين ، واستئصال جذور التدخل الاجنبي ومقاومة السياسة الاستعمارية . وبتلك النظرة ، ومن أجل تحقيق ذلك الهدف الاسمى ، ساهم في الحكم وتقلد بعض المناصب الوزارية في الوزارات التي كانت تجنح الى مقاومة السياسة الاستعمارية ليؤدي دوره في خدمة البلاد ، لا رغبة في تسنم المناصب ، فمتى ما ظهر له انحراف الوزارة التي يشارك فيها عن نهجها المرسوم ، أو غمطها لحق الوطن والمواطنين ، لا يتردد عن تقديم الاستقالة . فقد استقال أكثر من مرة من المناصب الوزارية »[١٤٠] .

استقال من وزارة الهاشمي الاولى ، الانفة الذكر ، وفيها يستوزر للمرة الاولى ، على أثر منح مجلس الوزراء امتياز النفط الى شركة النفط العراقية ،

(١٣٤) المرجع السابق : جـ٤ ص٧٤ .
(١٣٥) المرجع السابق : جـ٥ ص٧ .
(١٣٦) المرجع السابق : جـ٦ ص٦ .
(١٣٧) المرجع السابق جـ٧ ص٢٧٨ .
(١٣٨) « الشيخ محمد الشبيبي » : كلمة في نعيه نشرتها « مجلة المجمع العلمي العراقي » مج١٣ (١٩٦٦) ص٣٨٩ .
(١٣٩) « عجاج نويهض يؤرخ محمد رضا الشبيبي » ، كلمة لعجاج نويهض نشرت في جريدة « المحرر » ع ١٢٨٥ (٢٤ كانون الاول ١٩٦٥) .
(١٤٠) « مع رجال الفكر ـ الشيخ رضا الشبيبي مقدمة مقابلة أجرتها معه مجلة « الفكر » مج١ ع٣ (ايلول ١٩٥٨) ص٥٩ .

وهي شركة انجليزية كما هو معروف ، لانه رأى في منح الامتياز الى هـذه الشركة ، كما ورد في كتاب الاستقالة ، هضما لحقوق الشعب[١٤١] .

وعلى أثر هذه الاستقالة عانى ما عانى من دسائس السلطات الاجنبية والانجليزية منها بصورة خاصة ، فاتخذت القرارات السرية لابعاده عن المناصب الوزارية . فأبعد عشر سنوات متوالية ، أي من سنة ١٩٢٤ الى سنة ١٩٣٥ ، اذ استدعي في سنة ١٩٣٥ لشغل وزارة المعارف ، فاستجاب لتلك الدعوة بناء على الحاح المواطنين المخلصين . ولكنه لم يلبث ان اضطر الى تقديم استقالته هذه المرة أيضا لخلاف شجر بينه وبين مجلس الوزراء ورئيس الوزراء نفسه حول بعض الشؤون الاساسية المتعلقة بوزارة المعارف[١٤٢] .

وقد كان الشبيبي في « مجلس الامة » وجها مشرقا وصوتا مدويا في أسماع الطغاة الذين سلبوا حقوق الشعب . فقد كان يفضح الاعيب المستعمرين في التدخل في شؤون البلاد ، ويدعو الى اعطاء الحقوق لابناء الشعب كافة ، مطالبا برفع اجور العمال ، وانصاف الفلاحين ، والعناية بالمصالح والمرافق العامة . وكان يندد بالاحكام العرفية التي كثيرا ما أعلنت فخنقت الحريات وزج بابناء العراق في السجون[١٤٣] . وعندما أقر مجلس الامة المعاهدة العراقية البريطانية سنة ١٩٣٠ ، تلك المعاهدة الجائرة التي رفضها الشعب ، استقال الشبيبي من مجلس النواب مع جملة من رجال المعارضة أمثال ياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني وحكمة سليمان وغيرهم . وأسسوا في العام نفسه حزبا دعوه (حزب الاخاء الوطني) . وكان لهذا الحزب ، بتآلفه مع « الحزب

---

(١٤١)الحسني : تاريخ الوزارات العراقية مجا جا ص٢٢٨ .

(١٤٢)مجلة « الفكر » : المكان نفسه .

هذا وللشبيبي استقالة ايضا سنة ١٩٤٨ ، وهي اخر مرة يشارك فيها في وزارة ، وذلك للتدخل في شؤون انتخابات مجلس النواب ولمحاربة العناصر الوطنية ، كان ينوي تقديمها ثم لم يقدمها او هو قدمها ثم سحبها .

وقد اطلعت على نسخة مصورة عن نسخة خطية لهذه الاستقالة ، في المجمع العلمي العراقي .

(١٤٣)« عبد القادر البراك يتحدث عن الشبيبي في ذكراه الثالثة » ، كلمة للبراك نشرت في جريدة « النور » ، ع٤٣ (٣٠ تشرين الثاني ١٩٦٨) .

الوطني العراقي » ، دور خطير في قيادة الرأي العام العراقي ضد المعاهدة المركزية وضد التشريعات التعسفية والضرائب الجائرة[١٤٤] . وقد شارك سنة ١٩٥١ مع طائفة من النواب المخلصين في تأليف « الجبهة الدستورية المعارضة »[١٤٥]. ووقف سنة ١٩٥٥ موقفا مشرفا مما سمي « ميثاق التعاون والتبادل بين العراق وتركيا » ، الذي عرف بعدئذ بـ « ميثاق بغداد » ، ذلك الميثاق الذي ربط العراق الى عجلة الاستعمار فترة سوداء من الزمن ، اذ كان المعترض الوحيد عليه من أعضاء مجلس الاعيان ! ولولا اعتراضه لاقر هذا الميثاق دونما أية مناقشة[١٤٦] . ولا ينسى موقفه سنة ١٩٥٨ مما عرف بـ « الاتحاد الهاشمي » الذي وحد العراق والاردن تحت ظل المستعمرين ، والذي أراده الاستعمار ردا على وحدة مصر وسوريا في « الجمهورية العربية المتحدة »[١٤٧] .

وشارك سنة ١٩٥١ في تكوين جبهة سياسية من الاحزاب والهيئات والافراد باسم « الجبهة الشعبية المتحدة » ، استهدفت العمل على تحقيق اصلاح شامل عاجل لاستكمال سيادة العراق واستقلاله وتحرره من كل نفوذ أجنبي ضمن جامعة عربية متينة البنيان . والعمل على صيانة عروبة فلسطين ، وابعاد العراق عن الاشتراك في الحرب وضمان حياده تجاه المعسكرين المتنازعين ، والتعاون مع الشعوب العربية والشعوب المحبة للسلام . وتعمل على الصعيد الداخلي لدعم الوحدة العراقية ، وتحقيق نظام دمقراطي دستوري نيابي مقيد بالقانون ، يفسح المجال للعمل الحزبي والنقابي في جميع أنحاء العراق ، ساعية في المجال الاقتصادي لانقاذ العراق من الاستغلال الاجنبي لاقتصادياته[١٤٨] .

وعندما قام الشعب العراقي بثورته ، بقيادة جيشه الباسل ، في ١٤ تموز

---

(١٤٤) فائق بطي : صحافة الاحزاب الوطنية وتاريخ الحركة الوطنية ص٣٠ .

(١٤٥) مجلة « الفكر » : مج١ ع٣ (ايلول ١٩٥٨) ص٦٠ .

(١٤٦) مجموعة محاضر جلسات ديوان مجلس الأعيان العراقي لسنتي ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥ ، محضر الجلسة الحادية عشرة ، ص١٧١ .

(١٤٧) د . فاضل حسين : تاريخ الحزب الوطني الدمقراطي ص١٩٣ .

(١٤٨) د . فاضل حسين : تاريخ الحزب الوطني الدمقراطي ص٢٨٤ . وفائق بطي: صحافة العراق ، تاريخها وكفاح اجيالها ص١٣٧ .

سنة ١٩٥٨ استبشر الشبيبي بها وساندها(١٤٩) . وكان بعد هذه الثورة المباركة موضع الاستشارة ، يمد المسؤولين بالنصيحة الصادقة والرأي المخلص ، مشاركا في حل مشاكل البلد بما عرف من نزاهة وتجرد(١٥٠) .

وهكذا عاش الشبيبي لا يدخر جهدا في سبيل العرب والعراق منذ مطلع حياته حتى وافاه الاجل المحتوم سنة ١٩٦٥ ، شاعرا مترنما ، أو داعية فكر حر ، أو وزيرا يترصد للانحراف ، أو صوتا مدويا في « مجلس الامة » ، أو حزبيا مخلصا ، أو فردا مستقلا يعرف دوره في المسؤولية ومكانه بين صفوف الشعب .

الشبيبي والمؤسسات الثقافية :

رغم انشغال الشبيبي بالعمل السياسي الذي أعطاه من جهده ووقته الكثير، فان ذلك لم يصرفه عن المساهمة في الكثير من الشؤون الثقافية ومؤسساتها . فقد كان رجلا جم النشاط ، متعدد الاهتمامات ، له في كل مجال نصيب ، حتى ليستغرب من رجل واحد ان يشارك في كل هذه المجالات ثم يكون له في كل منها مكان مرموق وكأنه قد تفرغ له . فقد كان شاعرا له منزلته بين شعراء العراق المعدودين ، وقد كان معنيا باللغة العربية وتراثها ، عمل في سبيل الحفاظ عليهما ونشر كنوزهما ما عمل . ولسنا هنا نريد أن نتحدث عن نتاجه الشعري أو اللغوي أو التراثي ، وانما نريد ان نتحدث عن مشاركاته في الهيئات والمؤسسات الادبية والعلمية ، تلك المشاركات التي تدل على فاعليته في تلك المجالات ، من جهة ، وعلى مكانته فيها ، من جهة ثانية .

فعند اقامته في الشام سنة ١٩٢٠ ، بعد عودته من الحجاز ، كان أن دعا الملك فيصل فريقا من شعراء الشام وأدبائه ، ونزلاء هذا البلد من الشعراء والادباء ، مثل الشيخ فؤاد الخطيب وخيرالدين الزركلي ويوسف حيدر وشفيق

(١٤٩) محمود المطفر ، ابن اخت الشبيبي : من حديث شخصي .
(١٥٠) « ذكرى الشيخ رضا الشبيبي فقيد الادب والعلم والوطن » ، كلمة بلا توقيع ، جريدة « التآخي » ع٢٠٩ (٢٧ تشرين الثاني ١٩٦٧) .

جبري ، لانشاء جمعية أدبية . ولما كان الشبيبي هناك ، فقد دعي مع هـذا الفريق للمشاركة في انشاء هذه الجمعية[١٥١] .

وعندما عاد الى العراق ، وأنشأت طائفة من ادباء النجف ومثقفيه جمعية أدبية سنة ١٩٣٢[١٥٢] هي « منتدى النشر » ، تبنى الشبيبي فكرتها منذ ولادتها وسايرها في مختلف أدوارها حتى استطاعت ان تقوم بدور كبير في خدمة الثقافة والادب[١٥٣] . كما قام بتشجيع « الرابطة العلمية الادبية » التي انشئت في النجف أيضا قبل « المنتدى » بسنوات ثلاث وساهمت في بعث الحركة العلمية والادبية في النجف ، وأهدى اليها مجموعة قيمة من الكتب ، كانت أول هدية ثقافية الى الرابطة . وقد أجاب طلب الرابطة بطبع ديوانه ، كما يقول الشاعر محمود الحبوبي[١٥٤] ، أحد مؤسسي الرابطة « برحابة صدر ورغبة شديدة ، تشجيعا لمؤسستنا ومساهمة في نشر الثقافة والادب » .

وعندما بدأت في العراق أول محاولة لتأسيس « مجمع علمي » ، وهي محاولة ثابت عبدالنور الذي سعى لتأسيس « مجمع علمي » في بغداد سنة

---

(١٥١)شفيق جبري : انـا والشعر ص٤ .

(١٥٢)الفضلي : دليل النجف الاشرف ص١٠٢ .

(١٥٣)« الشبيبي رائد النهضة الادبية في العراق » : كلمة لمحمد تقي الحكيم ، نشرت في مجلة « النجف » ع١٦ (تشرين الثاني ١٩٥٧) ص١٦ .
هذا ، وعندما زار الشبيبي « منتدى النشر » سنة ١٩٥٧ ، حياه الشاعر مصطفى جمال الدين بقصيدة رائعة ، عنوانها « تحية الشعر لرائده » استهلها بقولـه :

رآك فاهتـز يعطي الغيث ماوهبـا
يـوم سكبت عليه أمسك الخصبا
اعطيتـه يـوم كان الحقل منكمشـا
جـدبا وكان النمير الثـر منتهبـا
وكنت في رادة اقصـى شـجاعتهم
أن يركبوا الـدرب لا ان يدركوا طلبـا

انظر : مجلة « النجف » : العدد السابق ٢١ .

(١٥٤)« رجال عاصروا الشبيبي يتحدثون » تحقيق كتبه خالد الحلي في جريدة « المنـار » ع٣٥٧٣ (تشرين الثاني ١٩٦٦) .

١٩٢١[١٥٥] كانت الهيئة المؤسسة تتألف من خمسة عشر عضوا ، كان الشبيبي من بينهم ، مع أخيه محمد جعفر[١٥٦] .

وفي سنة ١٩٣٤ تقدم الشبيبي الى الجهات المسؤولة مع جملة من الشعراء وحملة الاقلام ، منهم أخوه محمد باقر وعلي الشرقي ورفائيل بطي وابراهيم حلمي العمر وعباس العزاوي والدكتور فاضل الجمالي[١٥٧] لتأسيس « نادي القلم العراقي » . وقد اختير الشاعر جميل صدقي رئيسا له[١٥٨] ثم رأسه الشبيبي بعد وفاة الزهاوي مدة عشرين سنة[١٥٩] .

وعندما أسس « المجمع العلمي العراقي » سنة ١٩٤٧ حين الفت وزارة المعارف هيئة قوامها أربعة من رجال العلم والفكر لتختار من ترى فيه الاهلية

---

(١٥٥) عبد الله الجبوري : المجمع العلمي العراقي ، نشأته ، اعضاؤه ، أعماله ص٣١

(١٥٦) المرجع السابق : ص٣٢ .
واخوة الشبيبي ، محمد رضا ، هم :
الشيخ محمد باقر ، شاعر وطني وكاتب صحفي ، من شعراء ثورة العشرين وكتابها ولد في النجف سنة ١٨٩٠ او ١٨٩١ (١٣٠٨هـ) . وتوفي سنة ١٩٦٠ . انظر عنه : الخاقاني : شعراء الغري جـ١ ص٣٩٥ وما بعدها وآل محبوبة : ماضي النجف وحاضرها جـ٢ ص٣٦٩ ، وعبد الرزاق الهلالي : الشاعر الثائر الشيخ محمد باقر الشبيبي .
محمد جعفر ، سياسي واقتصادي معروف . ولد سنة ١٨٩٨ وتوفي ١٩٦٣ .
محمد علي : تاجر معروف . ولد سنة ١٩٠٠ وتوفي ١٩٦٢ .
محمد حسين : شاعر وأديب امتهن التدريس ، وهو الآن محال على المعاش يقيم في بغداد ، ولد سنة ١٩٠٥ .
محمد رشاد : محام ، يقيم في بغداد ، ولد في النجف سنة ١٩١٧ .

(١٥٧) مجموعة نادي القلم العراقي ، المجموعة الاولى ، ص٣٠٩ .

(١٥٨) المرجع السابق ص٧ .

(١٥٩) ترجمته الذاتية : الورقة السادسة عشرة .
ويقول الشبيبي في هامش الورقة السابقة : « وقد عطل هذا النادي بموجب مرسوم تعطيل الاحزاب والنوادي والجمعيات الصادر سنة ١٩٥٨ . ولم يتقدم أحد من أعضائه لاستئناف نشاط النادي منذ ذلك الحين » .

لعضوية المجمع المذكور ، كان الشبيبي على رأس الهيئة(١٦٠) وبعد ان تم اختيار العدد المطلوب من الاعضاء وقع الاختيار على الشبيبي ليكون رئيسا لاول مجمع علمي عراقي(١٦١) ولكن بعد ظهور تفسير للفقرة الثالثة من المادة الثلاثين من « القانون الاساسي العراقي » وهو يحول دون الجمع بين الوزارة أو العضوية في المجلس التشريعي وبين عمل اخر من اعمال الدولة ، تخلى الشبيبي عن عضوية المجمع(*) لكونه ، انذاك ، عضوا في مجلس النواب(١٦٢) .

وبعد حل هيئة المجمع ووضع قانون جديد له سنة ١٩٦٣ اختيرت لجنة مكونة من عشرة أعضاء اختارت خمسة اخرين كان الشبيبي في طليعتهم ، ثم ما لبث ان انتخب مجددا رئيسا للمجمع(١٦٣) ولكنه رغب الى زملائه باعفائه من منصب الرئاسة أكثر من مرة ، فأصروا على رأيهم ، ولم يسعه الا النزول على تلك الرغبة(١٦٤).

وقد انشأ المجمع والشبيبي في رئاسته ، خزانة للكتب ، وأصدر « مجلة المجمع العلمي العراقي » المعروفة ، وأنشأ شعبة فنية مجهزة بالالات والاجهزة(١٦٥) وقدم العون لعدة من المؤلفين الذين تقدموا بمؤلفاتهم لنشرها ، كما لم يدخر جهدا في تصوير المخطوطات وتيسيرها للباحثين ، ووضع الجوائز للنابهين من طلبة جامعة بغداد ، واشترى الكثير من الكتب الصادرة في العراق ،

---

(١٦٠)الجبوري : المجمع العلمي العراقي ص٤٤ .

(١٦١)المرجع السابق : الصفحة نفسها .

(*) كان ذلك عام ١٩٤٨ . المرجع السابق : الصفحة نفسها .

(١٦٢)المرجع السابق : ص٤٥ .

(١٦٣)د . يوسف عز الدين : خلاصة اعمال المجمع ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤ (مستل من المجلد الحادي عشر من مجلة المجمع العلمي العراقي) ص٥ .

(١٦٤)ترجمته الذاتية : الورقة السابعة عشرة .

(١٦٥)خلاصة اعمال المجمع ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، جـ١ (أيلول ١٩٥٠ ص ٣٨٤ ، وعبد الرحمن قدوري ، المشرف على الشعبة الفنية في المجمع منذ تأسيسها ، من حديث شخصي .

تشجيعا للحركة الثقافية ، كما قوّى صلاته بالمؤسسات الثقافية في العراق والوطن العربي وخارجهما[١٦٦] .

هذا وقد كان الشبيبي في المجمع العلمي العراقي على رأس عدة لجان من لجان المجمع[١٦٧] . وقد اختتم أعماله في هذا المجمع بان وجه المجمع الدعوة الى مجمع اللغة العربية في القاهرة ، الذي كان الشبيبي أحد أعضائه ، لان يعقد دورته الثانية والثلاثين في بغداد[١٦٨] لزيادة الروابط الثقافية بين الاشقاء العرب .

أقول اختتم أعماله ، لان الشبيبي لم يستمر في عضوية المجمع العلمي العراقي ورئاسته ، هذا المجمع الذي ساهم في تأسيسه وبذل من أجله الكثير ، اذ لم يلبث ان استقال منه ، ولم يشارك في المهرجان الثقافي الكبير الذي شهدته بغداد في مؤتمر مجمع اللغة العربية . وكانت استقالته في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩٦٥[١٦٩] . ولم يجد رد استقالته ولا جهود اللجنة التي شكلت لاقناعه بالعدول عن الاستقالة[*] وقد حدثني من أثق به ان استقالته كانت لتدخل الحكومة، انذاك ، في شؤون ، هي في رأي الشبيبي ، من اختصاص المجمع .

واذا كان دور الشبيبي في المجمع العلمي العراقي ما ذكرنا ، فان له من

---

(١٦٦) د . عز الدين : خلاصة أعمال المجمع ١٩٦٤ ــ ١٩٦٥ (مستل من المجلد الثالث عشر من مجلة المجمع العلمي العراقي) في أمكنة متعددة .

(١٦٧) المرجع السابق . وانظر : الجبوري : المجمع العلمي العراقي ، في أمكنة متعددة من كل منهما .

(١٦٨) زكي المهندس : من كلمة القاها في افتتاح « الجلسة العلنية لتابين المغفور له عضو المجمع الشيخ محمد رضا الشبيبي » التي دعا اليها رئيس مجمع اللغة العربية الدكتور طه حسين ، في ٣ مارس (آذار) سنة ١٩٦٦ ، في دار الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع ، في القاهرة انظر : مجمع اللغة العربية ، الدورة الثانية والثلاثون ، مؤتمر المجمع لسنة ١٩٦٥ ــ ١٩٦٦ (نشرة بالآلة الكاتبة) الورقة الثانية .

(١٦٩) محاضر جلسات المجمع العلمي العراقي ، جلسة ١٧ كانون الثاني عام ١٩٦٥ . وفيها نص استقالته . وقد ذكر فيه أن الاستقالة « لأسباب خاصة » .

(*) كانت اللجنة من الاعضاء الاساتذة : محمد شفيق العاني ومحمد تقي الحكيم ومحمود شيت خطاب . المرجع السابق .

المساهمة في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، الذي انتخب عضوا عاملا فيه منذ سنة ١٩٤٨[١٧٠] ما يشهد به له زملاؤه في المجمع المذكور .

يقول زكي المهندس[١٧١] ، نائب رئيس المجمع ،في كلمة تأبينية : «وقد قضى الفقيد في مجمعنا عشرين سنة أو تزيد ، كان فيها مثال الحيوية والجد والاخلاص في خدمة اللغة والتاريخ . فما من دورة من دورات المؤتمر الا أتى الفقيد الينا وهو يحمل ثروة علمية ضخمة أعدها من دراساته العميقة وتجاربه الواسعة واسفاره الكثيرة في ارجاء الوطن العربي وما من مسألة تاريخية عربية الا وكان للفقيد فيها جولة تنم عن غزارة علم ، وسعة اطلاع ، واحاطة تامة في التاريخ العربي والاسلامي » .

وقال عنه أحمد حسن الزيات[١٧٢] في كلمة تأبينية أيضا : « ان مجمع اللغة العربية ليشهد ان فقيده الكريم لم يتخلف عن شهود مؤتمر من مؤتمراته منذ انتخب فيه سنة ١٩٤٨ الا مرة واحدة ، ولم يحضر دورة من دوراته الا

(١٧٠)مرسوم بتعيين عضوين عاملين بمجمع فؤاد الاول [سابقاً] : مجلة مجمع اللغة العربية ، مج٧ (١٩٥٣) ص٢٨١ ، و : د . محمد مهدي علام وآخرون : مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما (المجمعيون) ص١٧٥ .
وقد ألقى الاستاذ عباس محمود العقاد كلمة استقباله عضوا قال فيها :
« صاحب المعالي الاستاذ محمد رضا الشبيبي الذي نستقبله اليوم ، عضو عامل فيمجامع العلم والادب،يصح ان يقال فيه انه يدخل هذا المجمع من اكثر من باب واحد ، لانه شاعر ناقد ، باحث لغوي ، ناشر للعلم واللغة ، معني بآثار اللغة قديمها وحديثها .
هو شاعر فصيح اللفظ ، ناصع المعاني ، سليم العبارة ، ينظم الشعر في أغراض شتى ، وفي الحوادث الكبرى ، وفي المعاني التي اصطلح المحدثون على وصفها بالغنائية ومن أمثلة شعره ... »
اختتم كلمته بقوله : « ولا جرم ان نستقبله اليوم في مجمعنا عضواً نافعا وعنواناً صادقاً للثقافة العربية في العراق وفي سائر الاقطار العربية ، ونحتفي به من حيث أقبل ، لانه على ابواب العلم جميعا حقيق بالحفاوة » .
انظر : مجلة مجمع اللغة العربية مج٧ (١٩٥٣) ص٢٨٩ .

(١٧١)نشرة « مجمع اللغة العربية ـ الدورة الثانية والثلاثون (١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ الجلسة الثامنة . الورقة الثانية » .

(١٧٢) المرجع السابق : ص٦ .

مزودا بطائفة من البحوث القيمة والملاحظات الصائبة والاقتراحات السديدة(*) كان يلقيها علينا في تواضع فيه عزة ، وتؤدة فيها ثورة ، وثقة فيها يقين ، جاءه من سعة علمه وصحة تثبته . ذلك الى سمو في خلقه ، ونبل في هواه ، وبروز في ذاته ، جعلته طوال عضويته في المجمع عميدا لاعضائه الشرقيين ، بحكم الواقع ، يتكلم عنهم يوم افتتاح المؤتمر ويوم ختامه ، الامر الذي من أجله كرّمه اشقاؤنا في مصر بان منحته جامعة فؤاد الاول (جامعة القاهرة الآن) درجة الدكتوراه الفخرية في اللغة العربية والدراسات الاسلامية سنة ١٩٥٠[١٧٣].

* * *

ولم يقتصر اسهامه في المؤسسات الثقافية على ما ذكرنا ، فقد شارك في أبحاث المجمع العلمي العربي بدمشق حيث كان فيه عضوا مراسلا منذ سنة ١٩٢٣[١٧٤]. كما القى مجموعة قيمة من البحوث سنة ١٩٥٤ في المهرجان الالفي لابن سينا ، في طهران ، بدعوة من وزارة التربية الوطنية الايرانية ، أخرجها في كتاب بعنوان « تراثنا الفلسفي ، حاجته الى النقد والتمحيص »(**) كما القى سلسلة من المحاضرات سنة ١٩٦٠ في « أدب المغاربة والاندلسيين في اصوله المصرية ونصوصه العربية » بدعوة من معهد الدراسات العربية العالية (معهد البحوث والدراسات العربية الان) التابع لجامعة الدول العربية(***) التي هو عضو في مجلسها الاعلى لمعهد المخطوطات[١٧٥] اضف الى ذلك مساهمته فيما سمح له وقته به من المواسم الثقافية والمهرجانات العلمية التي دعي اليها في غير بلد عربي

(*) د . علام وآخرون : مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما (المجمعيون) ص١٧٧ .

(١٧٣) تقويم جامعة القاهرة لسنة ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥ ـ ص٢٧٥ .

(١٧٤) مجلة المجمع العلمي العربي : مج٣ (١٩٢٣) ص٢ ، مج٧ (١٩٢٧) ص ٦١ ، ٦٢ . والجبوري : المجمع العلمي العراقي ص٥٠ .

(**) نشرة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٥ .

(***) ظهر في منشورات المعهد سنة ١٩٦١ .

(١٧٥) القرار رقم ٥٧٢ بتاريخ ٢٣/١/١٩٥٦ .

واحد(*) ، غير ما كان يلقيه من محاضرات في عدة من المواسم والمعاهد العلمية والادبية في العراق •

مجلســه :

كان الشبيبي قد ترك النجف عند استيزاره لاول مرة سنة ١٩٢٤ وسكن في بغداد دارا في حي « الزوية » في ضاحية « الكرادة الشرقية » على ضفاف دجلة • وكان له في هذه الدار « مجلس » كتلك المجالس التي يعقدها الكثير من أعلام الادب والعلم والسياسة في بغداد والنجف وغيرهما من الحواضر العراقية • ورغم ان داره كانت مفتوحة للزائرين في كل وقت فقد كان يجلس لزائريه مساء كل يوم وفي صباح الجمعة ومسائه من كل اسبوع •

وكان هذا المجلس أشبه بندوة تعالج فيها مختلف الشؤون الادبية والعلمية والاجتماعية والسياسية[١٧٦] يختلف اليها مختلف الطوائف من ادباء ورجال فكر ومتأدبين ، ومن سياسيين ووزراء وتجار وكسبة وفلاحين ، دون ان تفرق بينهم الاتجاهات والميول أو المنصب والمكانة • وكان الشبيبي يرحب بالجميع ويستمع الى الجميع وهم ينهلون من أدبه وعلمه وكرم خلقه وحلو نكتته[١٧٧] في هذا الندي الذي تحدث عنه المرحوم الدكتور عزالدين آل ياسين في رسالة[١٧٨] الى الشبيبي وقت ان كان يتابع دراسته في الخارج ، قال فيها : « وكيف أنسى ذلك الندي الذي كنت اختلف اليه فأجد فيه قرى النفس والعقل • وأحبب الي بتلك البساطة المطبوعة التي تضيق بتكلف المتأنقين وتصنع

(*) له محاضرة عن « ثقافتنا البحرية وشهاب الدين احمدبن ماجد » في الموسم الثقافي الخامس الذي أعدته معارف الكويت سنة ١٩٥٩ .
انظر : محاضرات الموسم الثقافي الخامس ، نشر معارف الكويت ، ١٩٥٩ ص١٩٩ . كما ساهم في مهرجان جامعة القرويين في ذكراها المائة بعد الألف سنة ١٣٧٩هـ ــ ١٩٦٠ م ، فالقى كلمتين في ذلك المهرجان .
انظر : الكتاب الذهبي ــ جامعة القرويين في ذكراها المائة بعد الألف ، نشر وزارة التربية الوطنية في المملكة المغربية ، مطبعة فضالة ص٤٩ ، ٩٦ .

(١٧٦) أسعد محمد رضا الشبيبي ، من حديث شخصي .

(١٧٧) د • حسين علي محفوظ من حديث شخصي •

(١٧٨) حصلت عليها من ذوي الشبيبي ، وهي غير مؤرخة .

المتشدقين • وأحبب الي بتلك الارائك المتواضعة التي لم يشوه بساطتها تقلب صاحبها في وثير الكراسي » •

ووقت ان زار وفد « الرابطة العلمية الادبية » النجفية بغداد سنة ١٩٣٥ للمشاركة في احدى المناسبات وعرّج الوفد ذات لليلة على دار الشبيبي ، وذلك في حياة المرحوم الشيخ محمدجواد الشبيبي(*) ، والد شاعرنا ، كانت جلسة في مجلس الشبيبين ، الوالد والولد ، تمتع فيها الجميع بريّق الحديث ورقيق الشعر وحلو النادرة • وكان المرحوم الشيخ محمدعلي اليعقوبي(**) ، رئيس الرابطة ، مع الزائرين ، فارتجل قصيدة قال فيها :

رعى الله ليلتنا الزاهيه ... بشرقي بغداد في « الزاويه »
جرى البدر فيها بافق السماء ... ودجلة من تحتها جاريه
كأن زوارقها أنجم ... بنهر مجرتها ساريه
وقد سجعت فوق أفنانها ... عنادل في لحنها شاديه
تفيأت منها الغصون التي ... قطوف الحياة بها دانيه
فتلك نواصع مبيضة ... وهاتيك محمرّة قانيه
كأني بمسرى عليل النسيم ... عليل سرت نحوه العافيه
كأني في موطن واحد ... بحاضرة الارض والباديه
تدير علينا أكف الهوى ... كؤوس الهنا صرفة صافيه
فناحية بدرها مشرق ... وبغداد تشرق في ناحيه

(*) توفي سنة ١٩٤٤ . انظر : الخاقاني : شعراء الغري جـ٢ ص١٨٢ ، وآل محبوبة : ماضي النجف وحاضرها جـ ٢ ص٣٧٢ .

(**) شاعر معروف وخطيب مفوه . له ديوان شعر صدر الجزء الاول منه باسم « ديوان اليعقوبي » ، وله ديوان اخر باسم « الذخائر » في مدح الرسول (ص) وآل بيته الكرام وفي رثائهم . وله ايضا « البابليات » في أربعة أجزاء ، وهو تراجم لعلماء الحلة وادبائها . ولد سنة ١٨٩٥ وتوفي سنة ١٩٦٥ . انظر : حرز الدين : معارف الرجال جـ١ ص٣٢٠ ، وعلي الخاقاني : العلامة الصادق في ذكراه الاولى ص١٢٠ .

ثم قال :

وبتنـــا بظـل (الرضا والجواد) الى الصبح في عيشـــة راضيه
ولولا همـا كان عقـد النظـــام قصيدة شـعـر بـــلا قافيـــه
وما انتشر الليـل حتى طوت يد الفجـر من بردهـــا حاشـيه
ولا عيب فيهـــا سوى انهـــا مضت لا تعـــود لنا ثانيه[179]

وقـد كان الشبيبي يعطي نفسه كلها لزائريه حتى لينشغل عن أهـــل بيته • يحدثنا ولده الاكبر « أسعد » فيقول : « ولم أدر ، في بعض الاحيان ، كيـف اختلس الفرص للتحدث الى والدي وقد أخذه الزائرون منـي • كـان ذلـك يزعجني كثيرا ، بقدر ما يفرحني » •

وكان الشبيبي يتفقد زواره ، ويحرص على السؤال عن سبب انقطاع مـن ينقطع من المترددين الى مجلسه ، لما بينه وبينهم من محبة ومودة •

كتب الدكتور حسين علي محفوظ[180] وهو من المقربـــين الى الشـبيبي المترددين الى مجلسه : « لا أزال أزوره وأتردد الى حضرته واجتمع معه ، فاذا ابطأت عليه عاتبني • ولقد منعني أن أقصد حضرته داء ألم بي غادرني رهـــين

(١٧٩)« علامة العراق الاستاذ محمد رضا الشبيبي » : مجلة « الرسالة » مج١٨ ع٨٦٤ (يناير ١٩٥٠) ص١١١ .

(١٨٠)والدكتور محفوظ ، وهو ابن الشيخ علي محفوظ شخصية علمية معروفة ولد سنة ١٩٢٥ . تخرج في دار المعلمين العالية (كلية التربية بعدئذ) في بغداد • وله عدد كبير من الكتب تأليفا وتحقيقا بالعربيـــة والفارسية والانجليزية منها : آراء حمزة بن الحسن الاصفهاني ، أثر اللغة العـربية في اللغة التاجيكية ، تاريخ الشيعة ، تاريخ العلاقات بين العراق والاتحـاد السوفياتي ، خزانة الدكتور حسين علي محفوظ بالكاظمية في العـــراق ديوان ابن سينا ، سعدي الشيرازي،عراقيات الكاظمي، فضولي البغدادي، الفيروزآبادي والقاموس ، معجم الموسيقى العربية .
انظر : عبد الكريم الدجيلي : البند في الادب العربي ، هامش ص١٦١ ، و مفيد آل ياسين : المطبوع من مؤلفات الكاظميين بين ١٨٧٠ ــ ١٩٧٠م : مجلة « البلاغ » ، مج٣ ع٤٣ (تموز ١٩٧٠) ص٨٥ وما بعدها .

الفراش ، وتركني الف الداء ، فهاجني الشوق الى مجلسه ، وثورة نزوعي نحو مجمعه ، فارتجلت هذه الابيات ، وأنا نهب السقام ، وأوفدتها عليه ضحى ١٤ تشرين الثاني من سنة ١٩٤٩ :

مولاي مـا اخترت القطيعـة ... والرضـا أقصـى رجائـي
لكـن أمنت السـخط ... والايـام تبخـل باللقـاء
وبقيـت نضـو السقم رهن ... جـوى أطارحـه عنـائي
أتذكـر الجمـع الحبيـ ... ـب فأنتشـي ويـزول دائي
ويلـم بـي طيف الخيـال ... ل وانـه خيـر الـدواء
يـا عهد جمـع يا رعـا ... ك الله مزدهـر الفنـاء
عذبت روحـي بالبعـا ... د ورعـت قلبـي بالتنائي
فأزيـل دمـع صبابـة ... وهـوى يجمجمه حيائـي
مـن لـي بأيام الوصـا ... ل كأنهـا كرهت لقائـي
خلفتهـا وتركـت فـي ... أعطافها قلبـي ورائـي
ردوا الي زمـان وصـ ... ل كنـت امحضـه اخائي
وأعـد علـي حديثـه ... حتى يعـاودني شفائـي
أفـديك يـا عهـد الاحبـة ... هـل لعودك من رجاء
ان أنسـى لا أنسى الربـو ... ع يزينهـا ثوب البهـاء

. . . .

يـا داره روّى ثـرا ... ك على المدى طـول البقاء
وسـقتك يـا ربـع الكما ... ل مـن الحيـا ديم الصفاء
تعـرو سـواك النائبـا ... ت وأنـت مرتفع البنـاء

فأعجب بها ، وطرب اليها ، غير اني قصدته قبل أن ترد عـلى اجابته ، وأقبلت عليه قبل أن يأتيني رده » .

شخصيته وخلقه :

كتب عنه أبو الهلم[١٨١] فقال : « قامة مديدة سمهرية ، تلفها عباءة عربية، وتتوجها عمّة بيضاء أنيقة . وسحنة عراقية سمراء ، يزينها شـارب خفيف ، ولحية رزينة ، وعينان نجلاوان ، يرقص فيهما القلق ، وجبين عريض جعّدته خواطر النفس وهمومها ومتاعب الحياة وشواغلها . وصوت مؤثر لا ينسجم مع فـم خطيب أشدق » .

ومما يعرف عن الشبيبي أنه كان يتميز في شبابه بمشية خاصة كان بعض شباب النجف يحاول تقليدها[١٨٢] . يحدثنا جعفر الخليلي في كتابه « هكـذا عرفتهم »[١٨٣] فيقول : « صرت أعرف الشبيبي من بعيد . وأراه عند العصر، بعض الاحيان ، متأبطا طيتين أو ثلاث طيات صغيرة ، من وسط الجانب الايمن من عباءته حتى ليرتفع ذيل العباءة من هذا الجانب شبرا أو شبرين عن الارض، وماسكا حاشية الجانب الايسر من العباءة عند الصدر ، بين طرفي سبابته وابهامه . وهي احدى طرق المشية عند طلاب العلم ، بل لعلها طريقة المتأنقين في مشيتهم المتزنة الوقورة . واذا ما بدا شيء من الاختلاف بين مشية الشبيبي ومشيـة طبقته فان خطوات الشبيبي كانت أسرع قليلا من خطوات طبقته ، بخـلاف مشيته في منتصف عمره الاخير » .

وكان الشبيبي يمتاز بعدد من الخلال الكريمة والصفات العالية بوأته لان يصل الى ما وصل اليه من مكانة ، وساعدته على ان يشق طريقه طوال حياتـه العريضة . فقد كان عفا نزيها توفي وهو لا يملك غير داره التي يسكنها منـذ ان جاء الى بغداد . وتقلب في المناصب ومن بينها الوزارة أكثر من مرة دون أن يتغير منه شيء أو يغير منه المنصب شيئا . ولستُ أذكرُ الوزارةَ لكبرهـا عليه ولكن لما يقتضيه هذا المنصب ، لا سيما في عهد العراق المباد ، من مظاهر العظمة والابهة . ولكن الرجل لم يكن له من ذلك شيء . وقد مر بنـا

---

(١٨١)« صورة قلمية لمعالي الشـبيبي » : مجلـة « قرنـدل » مج٤ ع١٣٣ (كانون الاول ١٩٥٠) ص١٠ .

(١٨٢)عبد الكريم الدجيلي : من حديث شخصي .

(١٨٣)جـ٢ ص١١٢ .

حديث المرحوم الدكتور آل ياسين في رسالته الى الشبيبي عن أثاث بيته المتواضع. وقد حدثني من أثق به انه أستدان أكثر من مرة ، مستعينا على ضيق ذات اليد بما عرف عنه من صبر وصلابة يصمدان للمغريات . وهو الى ذلك بسيط متواضع[184] ، حلو النكتة ، ورث ذلك عن أبيه الشبيبي الكبير[185] فكانت الابتسامة لا تفارق شفتيه حتى في أدق المواقف[186] ما سمع عنه انه آذى انسانا أو نال شخصا بسوء[187] ، ومع ذلك فقد كان قلما يتزحزح عن رأى ارتآه أو فكرة آمن بها ، فهو يحاول بالكلمة الطيبة والعبارة الجميلة ان يستميل محاججه الى رأيه ووجهة نظره[188] . « وانك لتشعر ، وأنت تحدثه، بملء الحرية في تبادل الرأى ، بعيدا عن الغرور والكبرياء . ثم هو لا يلتقي بشخص الا ويحييه بتحية خاصة ويذكره بما يلذ أن يذكره به ، كأنه يريد أن يقول له ، جدا أم هزلا ، انه لا ينساه أو ينسى براعته المعينة في أي موقف كان قد وقفه محدثه ، في الشعر أو النثر أو الخطبة أو القصة أو الحادثة ، مما يعرف بها الشبيبي عنه أو عن اسرته الادنين أو الابعدين »[179] .

---

(١٨٤)د . حسين محفوظ : من حديث شخصي .

(١٨٥) الخليلي : هكذا عرفتهم ج ٢ ص ١٣٢ .

(١٨٦)« الدكتور ابراهيم مدكور ، الامين العام لمجمع اللغة العربية ، يتحدث الى البلد » : جريدة « البلد » ع٤٦٦ (كانون الاول ١٩٥٦) .

(١٨٧)د . يوسف عز الدين : كلمته في جلسة المجمع العلمي العراقي في تابين الشبيبي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج٢ (١٩٦٦) ص٣٩٢ .

(١٨٨)د . عز الدين : المكان نفسه .

(١٨٩)يقول الشبيبي في قصيدة « سراب الآمال » :

واربـاب الحجـا لهم حقـوق
بنسـبتهم كربـات الحجـال

بتـدبير المنـازل هـن أولـى
وهـم أولـى بتـدبير النـزال

ولـو كلفن جلـب الـرزق كانت
وظيفتهـن طـوع الاختـلال

ومن للنسـل تربيـة وحفظـا
اذا سـاويننا في كـل حـال

انظر : الديوان ص١٠١ .

وكان الشبيبي رجلا مفتوح الذهن ، يجاري التطور ويفهم سنته • فاذا كان في مطلع حياته ، وهو في النجف ، يؤمن ان مكان المرأة هو البيت ، وان مجالات الحياة خارجه هي للرجل وحده(*) فهو بعدئذ ، وقد مرت الايام والسنون ،يبعث بناته جميعاليتخرجن فيالجامعة ! يحدثنا ولده «أسعد»(١٩٠) فيقول : « لان والدي الكريم لم يكن بالرجل المتزمت الذي يفرض على أولاده رأيا أو لباسا أو مأكلا ، وكأني بلسان حاله يقول : أولادكم خلقوا لزمان غير زمانكم » •

وأظن ان خيرما نختتم به الحديث هو ان ننقل بعض ما تحدث به مهدي القزاز(١٩١) عن خلقه السياسي ، وعلاقته بهذا الوسط الذي تظهر فيه حقيقة المرء • قال : « عرفته حزبيا نظيفا تجمع الاحزاب على تقديره واحترامه، وتعترف بايمانه واخلاصه ، ثم عرفته نائبا في مجلس النواب ، وعينا في مجلس الاعيان ، ورئيسا لهما ، فكانت خطبه وتعليقاته ومناقشاته تقابل بالاحترام والاعجاب ، كما انها كانت نموذجا رائعا للسياسي النظيف المتجرد من الاغراض الا غرض الخدمة الوطنية ومصلحة البلد وأبنائه •

كانت معارضته للاوضاع القائمة آنذاك معارضة شريفة ، رائده التنبيه والتوعية ••• ولم نجده ، خلال حياته النيابية ، خرج عن طوره في القول أو الاشارة ، على كثرة ما كانت تجري من مهاترات وشتائم •••

وكان في الوزارات التي استوزرها مثال الوزير العالم والوطني المخلص ، أعطى كل ذي حق حقه ، ولم يستمع الى وشاية واش أو لغو حسود ، ولم يجمع حوله خاشية سوء تشين سمعته ••• ورفع مستوى الوزارة ، وأكره العاملين فيها على احترام الانظمة والقوانين •

وكان خارج الحكم كما كان فيه المستشار الامين الصادق في الازمات والخطوب التي كانت تحيق بالعراق ويتحرج وضعه السياسي ، فاسهم في حل

---

(١٩٠)نبذة عن والده : الورقة الاولى .

(١٩١)« الفقيد الخالد العلامة الكبير الشبيبي » : جريدة « البلد » ع٤٦٥ (٣٠ تشرين الثاني ١٩٦٥) .

الكثير من المشاكل المستعصية بتفانيه واخلاصه وبعد نظره ... لقـد كـان يحب الجميع لذا كان محبوبا من الجميع .

زواجـه :

تزوج الشبيبي متأخرا بالنسبة الى أقرانه ، فلم يتزوج الا بعد أن بلـغ الخامسة والثلاثين من عمره ، وذلك سنة ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م(*) ولعل مشاغل الحياة والعمل الوطني هي التي حالت دون زواجه المبكر ، في بيئة عرفت هذا الـزواج .

وكان اقترانه بـ « شمسة » بنت رحمةالله ، من اسرة من كبار التجار، سكنت النجف زمنا ثم انتقلت الى بغداد ، ويعود اصلها الى السماوة .

وقد كانت زوجه خير عون له في الحياة ، فقد كانت تفهمه ، وتهـيء له كل أسباب الراحة التي يحتاجها رجل مثله تقتسم الاهتمامـات المتعـددة والمسؤوليات المختلفة وقته وجهده . كانت حافظة للقرآن ، محبـة للادب ، ذات تقوى وتعبُّد . أنجبت له ستا من الاناث ، كلهن تخرجن في الجامعة ، وأربعة من الذكور(**) كلهم جامعيون ، بين مهندس وطبيب واقتصادي(١٩٢) .

(*) وقد هناه بهذه المناسبة الشاعر محمد جواد الحمامي بالابيات التاليـة :

نظـرت الزمـان بعين الرضـا	فاتحفني بزفـاف (الرضـا)
زفاف اضـاء الفضا شمسـه	وشأن الشموس تضيء الفضا
زفـافك الـف مجموعـة	من الانسـ كـل لهـا قرضا
أرى رحمـة الله قـد خيّلت	وبـرق سـحائبها أومضـا
وهـا روضّت روض آمالنـا	وخير السـحائب ما روضـا
لعمرك حققت مـا نرتجـي	بحـق وكفـرت عما مضـى
نصرت المعـارف في عـزمة	لأمضى من الصـارم المنتضى
وانت الـرضا المرتضى خلقه	واي فتـى خلقـه يـرتضى
دعـاوى بني الشعر موكولة	اليك فقولـك فصـل القضـا
لك السـبق في حلبات العلى	فلم تبق لابن عـلا مـركضا

انظر : الخاقاني : شعراء الغري جـ٧ ص٤٢٣ .

(**) هم : اسعد واكرم وامجد وسنان .

(١٩٢) أسعد محمد رضا الشبيبي : من حديث شخصي .

وقد توفيت سنة ١٩٦٤ على أثر مرض عضال(***) وكانت وفاتها بالنسبة اليه خسارة كبيرة لعلها هي التي عجلت بوفاته ، اذ لم يطل به العمر بعدها غير سنة واحدة وبعض السنة ! حدثني الشيخ علي الخاقاني عن وقت ذهابه اليه لتعزيته بفقدها ، فقال : « وجدت الرجل قد انتهى» شاهدته وكأنه مات !)

وقد أطلعني ذوو الشبيبي على ملف كتب على غلافه ، شأنه في تسجيل بعض ما يسجله بصورة سريعة ، ما يلي : « انتقلت السيدة العزيزة أم الاولاد رحمها الله الى جوار ربها في تمام الساعة التاسعة والنصف من صباح الجمعة ٤ ذي الحجة سنة ٨٤ (١٧ نيسان سنة ١٩٦٤) عن عمر اربى قليلا على الخمسين عن ست بنات وأربعة من البنين •وقد عز فقدها على كل من عرفها من قريب أو بعيد من نساء ورجال ، وقد كانت قد أصيبت بمرض لم ينجح فيه علاج الاطباء هنا وان انتفعت بعلاج بعض الاطباء في بعض عواصم الغرب وكان لوفاتها وقع ممض في النفس لما جبلت عليه من خلال شريفة وطيبة ووفاء نادر واخلاص وصبر على مرارة الحياة وقد حمل نعشها الى مثواها الاخير في النجف في تشييع كبير تجلت فيه مواساة الناس على اختلاف طبقاتهم جزاهم الله خيرا •

وقد أعاده فقدها الى نظم الشعر بعد انقطاع دام ما يقارب الثلاثين سنة • فنظم فيها أربع عشرة منظومة بين قصيدة ومقطوعة كان يرغب في اخراجها في مجموعة بعنوان « رنين على الاجداث »(**) ولكن المنية عاجلته • فحالت دون ذلك •

وفاته :

قلنا ان الشبيبي لم يعمر بعد فقد زوجه طويلا ، فقد انتقل الى جوار ربه بعدها بسنة واحدة وبعض السنة • وكان ذلك في يوم الجمعة ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٩٦٥ ، بعد عودته بطريق الجو من القدس ، بدعوة من قاضي

(***)هو السرطان .
(**)انظر : الملحق رقم (١) .

القضاة في الادرن ، للمشاركة في احتفال الإسراء والمعـــراج . وقـــد أصيـب الشبيبي في اخريات حياته بتصلب الشرايين وبداء السكر .

يحدثنا ولده « أسعد »(*) هـــذا الحديث المؤثر عن يومـه الاخـير ، فيقول : « عاد من سفرته تلك عصر الخميس ٢٥ تشرين الثاني ســنة ١٩٦٥ ، واستقبل استقبالا حافلا في المطار . وقبلت كفه فقبل رأسي ، ولم نكن ندري انها قبلة الوداع(*) . ولقد استأذنت بالانصراف في التاسعة من مساء ذلك اليوم على أن أعود في الغد ، الجمعة ، مع الصباح ، لاستقبال الزائرين » .

فقد كان السيد أسعد متزوجا ، ويسكن دارا مستقلة ، على شيء من البعد عن دار والــده .

ولنستمع الى حديث ولده الاخر السيد « أمجد[١٩٣] » الذي يسكن معه في داره ، اذ يقول : « قضى والدي ليلته كعادته ، فقد تناول طعام العشاء ثم نام. وفي حوالي الساعة الرابعة ، بعد منتصف الليل ، استيقظ على أثر نوبة قلبيــة حاول السيطرة عليها دون جدوى ، فراح يتمشى في الدار والالم يعتصره ، ولم يجد التجلد ومحاولة السيطرة على النفس ، لكيلا يزعج أهل بيته ، فأوقظني وطلب الي أن أذهب الى المستشفى ، فأخذناه أنا وأخي الدكتـــور أكرم الى مستشفى أهلي لم يكد يصل اليه حتى فارق الحياة !! » .

وهكذا انتقل الشبيبي الى جوار ربه بعد عمر ناهز الستة وسبعين عــاماً ، بذل فيه في سبيل وطنه وأمته ما بذل ، وقدم للشعر وللعربية وتراثها ما قدم . فكان لوفاته وقع اليم في نفوس العراقيين خاصة والعرب عامة . وقد أذاعــت نعيه الاذاعة العراقية وبعض الاذاعات الاجنبية في مناهجها العربية ، ونشـــرت الصحف العراقية وكثير من الصحف العربية نبأ وفاته بكثير من الاسى والاسف، لما كان يتمتع به الرجل من مكانة تعدت حدود بلده . واقيمت له حفـــلات

(*) نبذة عن والده : الورقة الثانية .

(*) يشير الى ذلك في قصيدة يرثيه فيها ، حصلت عليها منه ، حين يقول :

ولم اك أدري حــين قبلت كفـه وقبلني ان المنايـــا على وعــد
واني لن القـــاه الا موســـــدا اعض يدي من لوعة لم اكن وحدي

(١٩٣) من حديث شخصي .

التأبين في كثير من الحواضر والارياف العراقية ، وفي المعاهد والمؤسسات الثقافية في العراق والوطن العربي(**) • وقد شارك في تشييع جثمانه الى مقره الاخير في النجف الاشرف جمهور كبير من رجال الادب والفكر ، بينهم اعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة الذين كانوا يأتمرون في بغداد ، كما مر ذلك ، كما شارك في التشييع جملة من الوزراء والمسؤولين والاف من أبناء الشعب من بغداد ومن المحافظات الاخرى التي بعثت وفودها العديدة • ودفن الشبيبي ـ رحمه الله ـ في مقبرة آل الشبيبي الخاصة(*) في النجف ، في يوم مشهود من تاريخ النجف والعراق الحديث •

وقد تبارى عدد كبير من كبار الشعراء العراقيين والعرب في رثائه ان خلال تشييعه الى مثواه الاخير وان على صفحات الصحف وفي حفلات التأبين العديدة التي أقيمت له في انحاء متعددة من العراق والوطن العربي ، مشيدين بمآثره ، معددين مواقفه ، مبرزين الاثر الفاجع الذي تركه فقده في النفوس •

ولسنا ، هنا ، نريد ان نحصي كل ما قيل في رثائه ، وهو كثير ، ولكننا نقتطف شيئا من هذا الرثاء •

فقد القى عدد من الشعراء قصائدهم اثناء تشييعه ، بعد الصلاة عليه في الروضة الحيدرية في النجف • ومن هؤلاء الشعراء الشاعر السيد مصطفى جمال الدين • وقد استهل قصيدته بقوله :

الآن اذ هبّ عزم وانتخت همم ... يطوى بكف الرعيل الغاضب العلم
الآن اذ صوتك الهادي يجمعها ... على الطريق منى شتى فتلتئم
كانت فصائل يحدوها تفرقها ... ويستبد بها خذلانها النهم
حتى طلعت طلوع الفجر فانكشفت ... بك الدروب وذابت دونك الظلم

(**) اقترحت جريدة « كل شيء » البغدادية سنة ١٩٦٦ أصدار طابع تذكاري للشبيبي تقديرا لمكانته . وقد وعدها المسؤولون ، حينها ، باصدار هذا الطابع بمناسبة ذكراه في العام التالي . ولم يتم ذلك ..!
انظر جريدة « كل شيء » ع١٠٧ (٣ تشرين الاول ١٩٦٦) .

(*) وقد اتيحت لي زيارة هذه المقبرة .

الآن اذ آمسكوا حبل الرجاء وهيبته ... كف الدليل وأعيت سعيها القدم

وصوّح الحقل لا زهرٌ ولا ثمر ... واوحش الليل لا نجوى ولا نغم

كما القى الشاعر طالب الحيدري قصيدة مؤثرة لما كان يلقاه من عناية الشبيبي ورعايته . استهلها قائلا :

أبي .. وقليلٌ أن أناديه يا ابي ... فقد كنت منه في المكان المحبب

وكم هان لو وحدي فجعت بفقده ... لقد فجعت بالشيخ أمة يعرب

طواها كما يطوي الربيع زهوره ... ثمانين ضمت كل زاه وطيب

كما فقد الجندي في الحرب سيفه ... فقدناه سيفا مرهبا أي مرهب

حملناه حمل التاج فوق رؤوسنا ... وسرنا به في موكب أي موكب

فيا نعش شيخ الرافدين تطامنت ... لك الناس تعظيما فتهتيه معجب

فما مات فردا انما مات أمة ... وما غاب الا في انطفاءة كوكب

والقى الشيخ محمد حسين الصغير قصيدة مطلعها :

أخرست صائب منطقي وبياني ... وعقدت من ألم المصاب لساني

وفيها يقول :

يا حارس الفصحى ورائد مجدها ... الخلاق في فكر لديه حواني

ثم يقول :

لك من كيانك أي مجد شامخ ... يجتاح كل مكانة وكيان

وصلابة في العود تهدم ما ابتنى ... الطغيان من قمم ومن أركان

وتواضع في الله تحسب كل من ... واخاك جزء من بني الانسان

وترى جميع الناس حين تراهم ... شركاء في وطن وفي أديان

لم تألف التمييز بين مواطن ... ومواطن . قدست من ربان

أبى الاقليميـــة وتنكـــــر للطائفيـــة في يــد ولســـان
حتى استقـام لك الجنوب بوعيـه ومشى الشـــمال اليك في ايمـان

واستهل الشيخ عبدالمهدي مطـــر قصيدته قائلا :

هتفت باســمك ساحات الجهـاد لتلبيهـا اذا نـــادى المنــادي

وفيها يقول :

رح ، أبـا أسعد ، عفا طاهــرا فلقــد زودت من أفضـــل زاد
نـم هنيئا فلقـد وفيـت مـــا كـان للامة من حـــق مــراد
وأنرت الـــدرب حتى أبصرت بعد ليـل فاحـم مرخى الســواد
وسقيت الحرث حتى اينعــت بـذرة آن لها يـــوم الحصـــاد
فلتنح يومك شجــوا مضنيـــا أمـة طوقتهـا بيض الايـــادي
أمة أرويتهـــا مـــن سلســـل عذب المورد اذ قلبـك صـــادي
جعلت يومك حشـــرا ثـانيا هــو في الدهشة من يوم المعـــاد

وعندما أقيم له احتفال الاربعين(*) شارك فيه كثير من شــعراء العـــراق وادبائه وعدد من ادباء الوطن العربي ، فالقيت القصائد والكلمات . وشارك في هذا الاحتفال ادباء العربية ومؤسساتها ، حين تعـــذر الحضـــور ، بارســـال البرقيات(**) المعزية .

(*) وذلك في ١١ شباط سنة ١٩٦٦ في جامع براثا ، في جانـــب الكرخ من بغـــداد .

(**)منها برقية من الدكتور طه حسين ، رئيس مجمع اللغة العربية ، هـذا نصها :

لجنة تأبين عـــلامة العراق الشبيبي
المكتبة العصريـــة ـ بغـــداد
اشاركم باسمي وباسم المجمع في الشعور العميق بالفجيعة في الفقيـد العزيز ، وان ذكراه لباقية في نفوسنا بشخصيته العظيمة . وان اسمه لخالد بين اعلام اللغة والادب ما بقيت العروبة . واذا تعذر علينا شهود حفلكم فاننا معكم بمشاعرنا ، سائلين الله للفقيد رضوانه .
طـه حســين
رئيس مجمع اللغة العربية

وقد حصلت على هذه البرقية من آل الشبيبي .

ومن القصائد التي القيت في هذا الاحتفال قصيدة طويلة للشاعر محمود الحبوبي عنوانها « فكرة وجهاد » استعرض فيها حياة الشبيبي العريضة، لا نستطيع ان نقتبس منها دون ان نخل بها، ونكتفي بذكر الابيات التي استهل بها قصيدته وهي :

أبا الشعب، هذا الشعب قدعاد ثانيا ... يعيد لنا عهدا من المجد ماضيا
يعيد لنا ذكراك ينفح طيبها ... كأنا نثرنا في النوادي غواليا
يعيد لنا ذكراك تسمو مفاخرا ... فتسمو بذي ود وتكبت ثانيا
يعيد لنا ذكراك نصغي لوحيها ... فنحسب أنا قد سمعنا « المثانيا»
يعيد لنا ذكراك اذ أنت فكرة ... وذكرى واثارا تباهي الدراريا
يعيد لنا ذكراك قائلة لنا : ... كذا بعده فلتتركوا الذكر باقيا

والقى الشاعر الشيخ عبدالمنعم الفرطوسي قصيدة طويلة ايضا قال فيها:

رافقت أحداث العراق فتية ... تطغى فتهزأ بالشباب وتسخر
وصحبتها وهي العجوزة بالخطا ... في كل آونة تقوم فتعثر
فوفيت في عهديهما بامانة ... وطنية والبر فيها يغدر
وبررت بالوطن المفدى مؤمنا ... فيه وغيرك بالامومة يكفر
ورجحت بالحسنات ميزانا وقد ... خفت موازين تميل فتقصر
وملكت أمر الحكم حرا آمراً ... فيه وغيرك فيه عبد يؤمر

الى ان يقول :

حاشا لمثلك لا يباع ضميره ... لمناصب فيها الضمائر متجر
كم صرخة في البرلمان زئيرها ... دوى وانت بها العفرني المحذر
بدأت حياتك بالجهاد رسالة ... وطنية عنها المآثر تؤثر

واستهل الشاعر الشيخ احمد الوائلي قصيدته بقوله :

يأبى لك الموت ما تعطي وما تهب ... الفكر والعطر والصهباء واللهب
موائد ما تكلفت العطاء بها ... لكن طبعت عليها والعلا نسب

ثم يقول :

يا من على يده الفصحى فرائدها ... تألقت فهي فيما أومضت شهب
هل استحمت بروح منك احرفها ... أم أن روحك فوق الحزن تنسكب
أيام جاءت رطانات لتزحمها ... وأين من لمان الانجم الخصب
فغردت سجعات من مقاطعها ... ولألأت جنبات خرد عرب
وكيف لا ؟ ومن القرآن ما شربت ... فكل ماتعة في كأسها حبب
وأنت والادب الباقي وريشتك الـ ... غراء اضمامة للنور تنتسب
سل النبوات هل كان الاديب سوى ... رسالة في ضمير الغيب تحتجب

الى أن يقول :

أبا البطولات لو مرت على بصري ... لحرت من أيها اجني وأنتخب
أيام جبهتك السمراء تشرب من ... شمس الصحاري ويلوى عودك القتب
وأنت تسفر بين العرب يسمعها ... رسالة الضاد منك المقول الـذرب
حتى نمته الصباح الغر في ظلم ... معتمات وخيل الدار مغتصب
أم يوم خضت لظى العشرين في فئة ... صدورها منعت ما ابتزه الذنب
أم يوم تهدر بين المجلسين وقد ... ظنوك تسكت اذ تدعى وتنتخب
تلك النحور أعزيها فما نسجت ... كي يزدهي سخف أو ترتدى نصب

وقد أرسل عدد كبير من القصائد الى ذوي المرثي من الشعراء ، مشاركة لهم في مصابهم ، نكتفي من ذكر بعضها بالاشارة الى المطلع :

نعت لنا بالاسى واللوعة الصحف ... رضا الشبيبي وضمت جسمه النجف
كريمة زكي مبارك

أغنيك يا بلبل الموسم على نغم من لهيب السلام

طالب الحيدري

لو كان تملك أعمرها الاعصار لفديتك بالعدد المكثر المدار

صادق القاموسي

كفى الاسى بها نفس والجزعا ان الذي تخشينه وقعا

علي الشبيبي

تجسد الحزن فالاخلاق تلتهب والركب يحدوه للمستقبل الغضب

ضياءالدين الخاقاني

تطوى السنون ويبقى ذكرك العطر نوراً تزال به الظلماء والخطر

رؤوف جمال‌الدين

لو استطيع لكان نعشك اضلعي وشفاه جرحك أدمعي ودمائي

مكلف نجم

صك سمعي صدى صوت المنادي ليته لا صوّت الناعي ونادى –

محمدعلي الراضي المظفر(١٩٤)

وقد أرخ عدد من الشعراء وفاة الشبيبي بما هو معروف بالتاريخ الشعري منهم علي رضا الهندي(١٩٥) بقوله :

رضا الله أكرم ما يرتجى ونال الشبيبي منه مناه

فيا أيها العلم فاخر به وأرّخ (مع الدهر يحيا رضاه)

١٣٨٥هـ

---

(١٩٤)حصلت على جميع ما مر من قصائد الرثاء من آل الشبيبي .

(١٩٥)جريدة « المنار » ع٢٢٢٥ (٣ كانون الاول ١٩٦٥) .

وعبدالكريم العلاف بقوله :

خطب مريع جل في الاوطان ... وكسا « المجامع » حلة الاحزان
الله أكبر قد مضى عهد « الرضا » ... رب البيان ومعدن العرفان
بكت العيون لفقده لما نأى ... عنه وباب العلم في خسران
لما دعاه الله لبّى طائعا ... فرأى مكانته لدى رضوان
لا في مكان واحد تاريخه ... (نال الرضا حقا بكل مكان)

١٣٨٥هـ

ومحمد الحسيني الحلي بقوله :

قد اكتوت بالحزن والنحيب ... عواطف تعصف باللهيب
مذ فوجئت بالحادث الرهيب ... بفقد علامتها الموهوب
والقائد المحنَّك المرهوب ... من فيه تجلى رهبة الخطوب
أب العراق الوطن الحبيب ... وابن الغري البلد الخصيب
فانع « الرضا » بلحنك المشبوب ... يا شعر يا تسلية القلوب
بالنور سجل ذكره بالطيب ... وغنِّ في قيثاره الطروب
مرثية في حفله المهيب ... لتغمر القلوب بالكروب
قلت وقد عم الاسى مؤرخا ... (أثكلت الامة بالشبيبي)

١٣٨٥هـ

ونختتم هذه الطائفة من قصائد الشعراء في رثاء الشبيبي بقصيدة الشاعر عزيز أباظة التي القاها في جلسة مجمع اللغة العربية بالقاهرة التي دعا اليها الدكتور طه حسين ، رئيس المجمع ، لتأبين الشبيبي ، وذلك في دار الجمعية

المصرية للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع(*) وكانت بعنوان : « عـلامـة العراق الاستاذ محمد رضا الشبيبي » وقد استهلها بقوله :

قـم فـأد العـزاء للاسـلام ... في زعيـم وشـاعر وامـام
جمع الله فيه ما تجمـع الشمس ... مـن الرأد والسنا والضـرام
الشبيبي أيـن ثاني الشـبيبي ... اذا طمَّـت الخطـوب الطوامي

الى ان يقول :

اذكر الشيخ رائدا يدفع الشرق الى مرقب المعـالي الجسـام
في بواكـير سنّه حـين أنف الشرق نهب الاذلال والارغـام
داعيا لاينـي لتجتمـع العـرب قلادا كرائمـا في نظـام
حمـل العبء قبل أن يصبح العبء جهاد الدولات والقـوام

ثم يقول :

اذكر الشيخ شـاعرا يرسـل ... الشعر رحيقـا مشعشعـا في كلام
ورياضـا تضوعت في قـواف ... وطـلا لا رقت عـلى أكمـام
وينابيـع مونقـات وضـاء ... رنحتهـا السـماء بالالهـام
حافلات بكـل معنى شريـف ... زف في مـوكـب من الانغـام

(*) وذلك في مساء الخميس ٣ مارس (آذار) سنة ١٩٦٦ ، وقد حضرهـا عدد كبير من رجال الدولة واساتذة الجامعات والعلماء والادباء وممثلي الهيئات العلمية والجامعة العربية وأبناء الجمهورية العراقية في القاهرة ، وعدد من فضيلات السيدات ، ومندوبـون عن الاذاعة والتلفزيون في الجمهورية المتحدة • ورأس الجلسة زكي المهندس ، نائب رئيس المجمع ، نيابة عن الدكتور طه حسين الذي اعتذر لمرضه ، وقد القى كلمة في رثـاء الشبيبي اعقبه بعدها أحمد حسن الزيات بالقاء كلمة قيمة اخرى تلاهما الشاعر عزيز أباظـة . وختمت الجلسة بقصيدة لأسعد محمد رضـا الشبيبي •
انظر : نشرة « مجمع اللغة العربية ـ الدورة الثانية والثلاثون ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ » ، الجلسة الثامنة . الورقة الاولى .

ثم يقول أيضا :

هل هوى الكابر الفسيبي ذو النور هوى الأطـواد والأعـــلام
هامس النيـل والفراعين وإسأل برمى ما الدموع تلك الهوامي
انها – لن يجيبك – اجهاشة الانهار في مأتم البحـور الطوامـي
ما أختشاع العراق فيك بأقصى مـن أسى القدس والتباع الشام
ومصاب مشى ليثرب واتـــاب حـراء ولـف بالاهـرام
كل جرح يلتئام يوما وجرح الشرق مذ بنت ليس بالملتام(١٩٦)

(١٩٦)المرجع السابق : الورقة الثالثة .

الفصل الثاني

ثقافة الشبيبي

مقدمـــة :

١ ـ الشبيبي واللغة العربية :

أ ـ المعـاجم .

ب ـ المصطلحات .

ج ـ اللهجات .

د ـ الحرف والخط .

٢ ـ الشبيبي والتراث العربي .

أ ـ مؤرخ العراق ابن الفوطي .

ب ـ أدب المغاربة والاندلسيين في اصوله المصرية ونصوصه العربية .

ج ـ تراثنا الفلسفي ، حاجته الى النقد والتمحيص .

٣ ـ الشبيبي والرحلات :

أ ـ رحلة في بادية السماوة .

ب ـ رحلة الى المغرب الاقصى .

٤ ـ آثاره الاخرى .

مقـــدمة :

كانت ثقافة الشبيبي حصيلة روافد متعددة ، استقت دفقها من شتى ينابيع الثقافة العربية ومجالاتها المختلفة ، ثم تجسَّمت مكونة هذه الشخصية المتعددة الاهتمامات ، والتي كان لها بدورها أسهام غني في الكثير من تلك المضامير ، رغم المهام الجسام والمسؤوليات المتعددة التي اضطلع بها • وقد كان في ذهنه المتفتح ونفسه المتطلعة ، مضافا اليها ما يتمتع به من عصامية ، ما أهله للمشاركة في تلك المضامير جميعا ، والتبريز فيها •

وقد بدأ الشبيبي مع الحرف بداية أترابه ، في كتَّاب من الكتاتيب • فلم تكن المدارس منتشرة آنذاك • و « حين فتحت بعض المكاتب ـ أي المدارس الحديثة ـ في أواخر ذلك العهد لم يدخل فيها سوى أبناء الموظفين ، « الافندية » ، كما كانوا يسمونهم ، وقليل من أبناء المتصلين بهم من الوجهاء• أما عامة الناس فلم يدخلوا أبناءهم في « المكاتب » اذ لم يخطر ببالهم أن ابناءهم يمكن أن يكونوا « أفندية » في يوم من الايام »[(١٩٧)] •

وقد حدثنا الشبيبي[(١٩٨)] انه حفظ القرآن الكريم على « سيدة صالحة مقرئة هي السيدة « مريم البراقية » • وتعلم[(*)] الخط على الشيخ هادي حصير ـ بالتصغير ـ وكان للمعلم أو المكتب المذكور كتاب يتعلم فيه الاحداث • وآل حصير ، بيت من بيوت النجف عرفوا بهذه المهنة » •

وبعد ان اجتاز هذه المرحلة بدأ بدراسة علوم العربية وآدابها • وبدراسة المنطق ، على طريقة الدراسة التقليدية في النجف ، على شيوخ وأساتذة من أجل من عرف وقته ومدينته •

---

(١٩٧) د . علي الوردي : لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث جـ١ ص٢٩١ •

(١٩٨) ترجمته الذاتية : الورقة الاولى •

(*) سبق ان ذكرنا ان الشبيبي في « ترجمته الذاتية » هذه يشير الى نفسه بضمير الغائب •

فقد قرأ النحو والصرف والبلاغة والبيان وغيرها من علوم العربية على أكثر من شيخ واحد ، في طليعتهم الشيخ محمد حسن المظفر(**) . ولعل الشيخ المظفر من أجل اساتذته في علم النحو(١٩٩) وقرأ الادب وعلومه على عدد من مشاهير ادباء النجف ، في طليعتهم السيد حسين القزويني(٢٠٠) عميد آل القزويني، الاسرة المعروفة بالادب والعلم . وصفه الشبيبي(٢٠١) فقال : « كان شاعرا خبيرا بفنون الادب ، مجددا بعيدا عن الجمود ، مفضلا دراسة الكتب القديمة الاصيلة على كتب المتأخرين » وقد رثاه الشبيبي بقصيدتين(*) كما قرأهما على الشيخ هادي الشيخ عباس من آل الشيخ جعفر الكبير(٢٠٢) المعروفين بآل كاشف الغطاء . وهم اسرة عرفت بطول باعها في العلم والادب . وكان الشيخ الهادي، كما يقول الشبيبي(٢٠٣) « أديبا ذواقة للشعر » وقد عني الشيخ كثيرا بشؤون

(**)هو الشيخ حسن بن الشيخ محمد المظفر . كان عالما فاضلا في شؤون الدين واللغة . له عدة مؤلفات في الفقه والاصول . ولد سنة ١٣٠١هـ /١٨٨٤م ، وتوفي سنة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م .
انظر : حرز الدين : معارف الرجال جـ٢ ص٢٤٦

(١٩٩)ترجمته الذاتية الورقة نفسها .

(٢٠٠)المرجع السابق : الورقة الثانية .
والسيد حسين هو ابن راضي القزويني . عالم ديني كبير وشاعر ناثر ، يرجع نسبه الى الامام علي ابن ابي طالب . مجهول تاريخ الولادة . توفي سنة ١٣٢٥ / ١٩٠٨ .
انظر : حرز الدين : معارف الرجال جـ١ ص٢٧٤ .

(٢٠١)ترجمته الذاتية : الورقة نفسها .

(*) مطلع الاولى :
حقيق اذا استنزفت عيني دماءها   فقد غيضت من لاعج الشوق ماءها
ومطلع الثانية :
طرقت تهيبها لسان الناعي   فجنت على الابصار والاسماع
انظر : الخاقاني : شعراء الغري جـ٩ ص٤٨ ، ٦٦ .

(٢٠٢)ترجمته الذاتية . الورقة نفسها .
والشيخ هادي عالم ديني كبير وشاعر . ولد في النجف سنة ١٢٨٩هـ /١٨٧٢م . وتوفي سنة ١٣٦١هـ /١٩٤٢م .
انظر: حرز الدين : معارف الرجال جـ٣ ص٢٤٥ .

(٢٠٣)ترجمته الذاتية . الورقة نفسها .

التربية ، واقتنى مكتبة ثمينة ، غنية بالمخطوطات ، • وكان من أقرب أصدقاء والده[٢٠٤] وقد هنأه بقصيدة في أحدى المناسبات ، ومدحه أكثر من مرة[٢٠٥]. أما المنطق ، فقد قرأه على أكثر من استاذ واحد ، في مقدمتهم السيد هبةالدين الشهرستاني[*] والسيد مهدي الطباطبائي[**] .

وتعرف دراسة علوم العربية هذه ، والمنطق ، تضاف اليها بصورة غير الزامية ، دراسة بعض المتون الفقهية[٢٠٦] في مراحل الدراسة النجفية التقليدية بـ « المقدمات »[٢٠٧] • وهي ليست ذات صفوف متدرجة ، ولا كتب معينة مقررة للتدريس يلزم الطالب بقراءتها ، بل هناك كتب قديمة وحديثة يقرؤها الطالب ، متدرجا ، بالاتفاق مع استاذه[٢٠٨] .

والدراسة في النجف مجانية في جميع مراحلها ، ويكاد يكون من واجبات المدرس فسح المجال لمن يطلب حضور درسه ان أمكن ذلك[٢٠٩] .

ومراحل هذه الدراسة ثلاث • هي : المقدمات ، والسطوح ، والخارج أو البحث الخارجي[٢١٠] أو الدراسة الخارجية[٢١١] .

أما المقدمات فقد مر الحديث عنها • وأما السطوح فهي « دراسة الفقه والاصول على سطح كتاب ينشر بين يدي الاستاذ والطالب ، مع دراسة بعض كتب المنطق والحساب والهندسة والفلسفة والتربية يدرس فيهما

---

(٢٠٤)المرجع السابق . الورقة نفسها .
(٢٠٥) انظر : الخاقاني : شعراء الغري جـ ٩ ، ص ٦٢ ، ٦٨ ، ٦٩ .
(*) مرت ترجمة له الفصل السابق .
(**)هو مهدي بن محسن الطباطبائي عالم ديني معروف وشاعر . له عدة مؤلفات دينية . ولد سنة ١٣٠١هـ/١٨٨٣م ، وتوفي شابا سنة ١٣٣٥هـ /١٩١٦م .
انظر : محمد صالح بحر العلوم : ديوان بحر العلوم المقدمة جـ١ ص٩ .
(٢٠٦)الفضلي : دليل النجف الاشرف ص٦٤ .
(٢٠٧)المرجع السابق . الصفحة نفسها .
(٢٠٨)آل محبوبة : ماضي النجف وحاضرها جـ١ ص٣٧٩ .
(٢٠٩)الخليلي : هكذا عرفتهم جـ٢ ص١٩٩ .
(٢١٠) محمد مهدي الاصفي : مدرسة النجف وتطور الحركة الاصلاحية فيها . ص١١٧ .
(٢١١) الشرقي : الاحلام ص٤٧ .

طلاب تفرق بينهم السن والمطالعات السابقة المختلفة ويجمعهم الكتاب الواحد المنشور بين أيديهم ويدي أستاذهم[٢١٤] .

أما الخارج ، فهو دراسة « لا يلتزم الاستاذ فيها بكتاب واحد ، بل يلقي المطالب المتعددة التي استخرجها من مواضع مختلفة كثيرة قد أتعب فكره في تحصيلها وسهر ليله في تمحيصها حتى أماط عن غامضها الحجاب وميز القشور عن اللباب[٢١٥] » ينال بعدها الطالب الاجازة العلمية[٢١٦] .

والشبيبي لم يتعد في دراسته التقليدية مرحلة « المقدمات » . وقد كان والده يتعهده « في معظم وقته بما يرفع مستواه الأدبي والخلقي . وقد كان الولد النابه يستمع الى محاضرات والده التي كان يستمع اليها العشرات من الادباء الاذكياء ، والافاضل المبرزين في ناديه الذي يفوق في تأثيره ناتج المدارس ذات المناهج المحكمة »[٢١٧] . وقد عزفت نفسه عن هذه الدراسة لما فيها من تقليد وجمود . وربما كان لبعض اساتذته كالسيد حسين القزويني ، الذي وصفه بالتجديد والبعد عن الجمود ، والسيد هبةالدين الشهرستاني المعروف ببعده عن التقليد وحبه للاصالة والتجديد من أثر في تحسسه للجمود والتقليد في هذه الدراسة مبكرا . فانصرف الى الدراسة الحرة ، يطالع ما يهواه وما تميل اليه نفسه ، مجاريا فطرته . فهو يحدثنا في ترجمة ذاتية كتبها في « مجلة المجمع العلمي العربي »[٢١٨] قائلا : « وقد أدركت أوان الطلب والتحصيل ما في تلك الطريقة من تقليد وجمود ، فملت الى الدرس الحر ، والتفكير المجرد من

---

(٢١٢) المرجع السابق . الصفحة نفسها .

(٢١٣) المكان نفسه .

(٢١٤) آل محبوبة : ماضي النجف وحاضرها جا ص٣٧٩ .

(٢١٥) المرجع السابق . الصفحة نفسها .

(٢١٦) المكان نفسه .

(٢١٧) الخاقاني : شعراء الغري جـ٩ ص٣ .

(٢١٨) مجـ٨ جـ٨ (آب ١٩٢٨) ص٤٩٤ .

تأثير المعلم والمربي • وأخذت نفسي بما كانت تميل اليه من درس الفلسفة ومذاهب أهلها ، وجاريت فطرتي في التمرس بالفنون والاداب ، ودرس البلاغة خاصة • وقد مرت عليّ أطوار كثيرة وعانيت شدائد خطيرة أثناء تقلبي في مجاهل الافكار ، وتأملي في بدائد الاثار •

« لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها »

وهكذا مضى الشبيبي يروي غليل نفسه المتطلعة • فانكب على الورق لا يشغله شاغل ، حتى الطعام حين يحل وقته ، كان يقدم اليه من باب غرفته أو شباكها ، ثم يترك لشأنه(٢١٩) •

والنجف التي حافظت ، مع غيرها من مراكز الدراسات الاسلامية والعربية ، على اللغة العربية وتراثها في غمرة اللغة التركية وسواد الجهل والامية ، بما تضم من المكتبات العديدة ، خاصة وعامة ، الزاخرة بكتب العربية وتراثها ، قد هيأت له الكثير مما يتطلع اليه ، كما هيأت له جوا حافلا بالشعر والادب ، بما كانت تحفل به من مجالس ومناسبات يردد فيها الشعر ، ويدور حديث الادب • هذا وقد كانت تصل الى النجف ، لا سيما بعد الانقلاب العثماني ، مجموعة قيمة من المجلات والصحف الصادرة في مصر والشام ، حاملة الجديد في العلم والفكر والادب ، كالمقتطف والهلال والمقتبس والعرفان والبرق • وقد فتحت تجاهه تلك الصحافة آفاقا جديدة لم يكن يعرفها محيطه • فبان أثرها في شعره العلمي وفي هذه الشذرات في شعره في غير العلم ، وفي بعض ما كتب من مقالات علمية(*) ، كما بان في هذا الاحتكاك بين ما حملته الصحافة وبين عقائده الموروثة وأفكاره ، في غير موضع واحد من شعره • واذا كان هذا الجديد لم يقتلع عقائده وأفكاره ، فقد زاده سعة في الافق ، وشمولا وعمقا في النظرة •

---

(٢١٩) أسعد الشبيبي ، من حديث شخصي ، نقلا عن والدته وهي تحدثه عن شأن والده قبل اقترانها بـه .

(*) انظر : « الامتحان العلمي او هل تفيدنا النظريات ؟ » : مجلة «العرفان» مجـ٣ جـ١٥ (٢٧ تموز ١٩١١) و « مختصر الاكتشافات الفلكية » : مجلة « العرفان » مجـ٣ جـ٢٣ (تشرين الثاني ١٩١١) .

ولما كان للبعض أن يصنفوا المطالعة الى مطالعة للمتعة الفنية ، ومطالعة للعمق في التفكير ، فقد كان الشبيبي يهيم بالصنفين . فهو يقرأ ، مثلا ، كتب الرحلات للقدماء والمحدثين . وهو يقرأ أمهات كتب الادب مثل كتب الجاحظ والعقد الفريد وروايات الاصمعي وغيرها ، الى الدرر الثمينة والقطع النفيسة في شعر البحتري وأبي فراس وأبي نواس وابن الرومي والمعري والشريف الرضي [٢٢٠] وغيرها ذلك للمتعة الفنية .

وهو يقرأ للعمق في التفكير ، سير أعلام الفكر ، وتراجم اساتذة الفلسفة ، من القدماء والمحدثين « لا سيما الكتب الخاصة بتراجم اولئك الذين طال مطافهم في شعاب الفكر ، وبذلوا وسعهم في طلب الحقيقة ، فأفضى بهم تعمقهم في البحث الى نوع من التصوف ، من قبيل المعري والغزالي وبهاءالدين العاملي ، من القدماء . وباسكال وتولستوي من المحدثين [٢٢١] . الى كتب الفارابي وابن رشد ونصير الدين الطوسي [٢٢٢] .

وقراءات الشبيبي باللغة العربية . فهو لا يحسن غيرها ، مع بعض المام بالفارسية [**] فأبناء النجف وكربلاء عامة يلمون بالفارسية أو يحسنونها ، لأختلاطهم بالفرس الكثيرين في هاتين المدينتين . أقول هو يلم ببعض الفارسية ولا أقول يحسنها لانه في الوقت الذي يشير فيه الى الفاظ فارسية في بعض ما كتب [*] بل ويقتبس أحيانا نصوصا بالفارسية ، مشيرا الى المصدر في طبعته الفارسية [**] نراه يقدم محاضراته في الاحتفال الالفي لابن سينا ، في طهران ،

---

(٢٢٠) « حوار قديم في الادب والفلسفة وفي مآخذ الدراسات العراقية » ، مجلة « الحديث » ، « العدد المفقود » .
(٢٢١) المرجع السابق .
(٢٢٢) المرجع السابق .
(**) أسعد الشبيبي ، من حديث شخصي .
(*) انظر : « معجم الالفاظ العراقية » في كتابه « اصول الفاظ اللهجة العراقية » في أمكنة متعددة ، و « المصطلحات العلمية » وكتاب « جامع المفردات النبات » للادريسي في « مجلة مجمع اللغة العربية » جـ٩ (١٩٥٧) ص١٦٢ ، ١٦٣ .
(**) انظر ، مثلا : مؤرخ العراق ابن الفوطي جـ٢ ص٢١٥ .

بقوله : « ولا بد لي قبل الشروع بالمقصود أن استميحكم عذرا وأسفا لانني لا أجيد الخطابة والكتابة بلغتكم العذبة ، أعني الفارسية ، ولو حاولت لجاء هذا اللحن ناشزا ثقيلا على الاسماع »[٢٢٣] .

بعد هذا نود ان نقوم بجولة مع الشبيبي في بحوثه ومؤلفاته ، نطلع فيها على آرائه ومشاركاته ، وقد قسّمنا بحثنا بالشكل التالي :

١ ـ الشبيبي واللغة العربية .

٢ ـ الشبيبي والتراث العربي .

٣ ـ الشبيبي والرحلات .

٤ ـ آثاره الاخرى .

وقد آن لنا أن نبدأ ذلك .

---

(٢٢٣) تراثنا الفلسفي ص٦ .

الشبيبي واللغة العربية :

عني الشبيبي باللغة العربية عناية كبيرة منذ عهد مبكر من حياته • ثم كتب فيها عدة من البحوث والدراسات ، تناولتها من مختلف جوانبها • فكتب في المعاجم ، والمصطلحات ، واللهجات ، والحرف والخط • وليس غريبا من رجل هذا شأنه ، بالاضافة الى انه معني بالتراث العربي وشاعر بارز ، ان ينتخب عضوا عاملا في مجمع اللغة العربية في القاهرة(*) ، وان ينتخب ، قبل ذلك بزمن بعيد ، عضوا مراسلا في المجمع العلمي العربي بدمشق(**) وأن يكون أحد مؤسسي المجمع العراقي ، ورئيسا له حقبة مديدة من الزمن ، حتى سنة وفاته(***) • فمثلما أحب الشبيبي العرب ، قومه ، وعمل من أجلهم ، وتغنى بهم في شعره ، أحب لغة العرب ، وعمل من أجل رفع شأنها والحفاظ عليها ، فقد كان عارفا بمكانة اللغة من الامة وبأهميتها في مكانة الامة بين الامم ، لا سيما بالنسبة الى امة ناهضة مثل امتنا العربية الساعية الى لم شتاتها ، وتحرير اجزائها الرازحة تحت نير الاجنبي ، بشكل سافر أو مقنّع • فالاعتزاز باللغة وحياطتها وبعثها ، كما يقول ، « نقطة البداية في نهضة كل امة ، فلا خطر عليها ما عنيت أو اعتزت بآداب لغتها وبلغتها نفسها وكأين من امة فقدت استقلالها وتصدع كيانها ثم تسنى لها استرجاعه والاستمتاع به لانها حافظت على استقلالها اللغوي • فالاعتزاز باللغة مفتاح الاستقلال ، والمنفذ المفضي الى الحرية • والتفريط بها يعني ضربا من الضياع والانحلال ••• والواقع ان العربية تراث متين انتقل من الخلف الى السلف ووديعة أؤتمن عليها مئات الملايين من الناس ••• والشرق بأسره ضنين بذلك التراث الثمين »(٢٢٤) •

(*) سنة ١٩٤٨ .

(**) سنة ١٩٢٣ .

(***) سنة ١٩٦٥ .

(٢٢٤) « سنة التطور في اللغة » : مجلة مجمع اللغة العربية جـ١١ (١٩٥٩) ص٥٩ .

ولم يكن حب الشبيبي للغة العربية حبا أعمى يجعله غافلا عن رؤية ما حل بالعربية منذ زمن طويل وحتى وقتنا الحاضر ، من جهة ، ولا عما فعلته الامم الاخرى ، وتفعله ، من اجل لغاتها ، من اصلاح ما اعتورها من فساد ، أو في سبيل اغنائها واثرائها في الوقت الذي تسعى الامة العربية الى ذلك ، ولكن ببطء شديد ، من جهة اخرى . فهو يقول : « ان عربيتنا لا تزال فقيرة فقرا بالغا في مقومات حياتها ، وهي مقومات توفرت لغيرها من اللغات الحديثة في عصور وأجيال ، فأصبحت أغنى اللغات . ولا مطمع للعربية بمجاراتها الا اذا نسج أبناؤها على منوال الفرنجة من حيث عنايتهم البالغة بلغتهم وتعهدها بالنمو والازدهار ، مهما كلفهم ذلك من جهود مادية ومعنوية[٢٢٥] . وهو يحدد مكانة اللغة بالنسبة الى المتكلمين بها ، فلا يجعل منهم مماليك أرقاء للغتهم ، كما لا يجعل من اللغة مملوكة رقيقة لهم ، أو لطائفة منهم ، يتصرفون فيها كما يتصرف المالك فيما يملك[٢٢٦] . وهو يرى ان الاخذ بيد العربية يكون عن طريق التبصر والتأني ، طريق المعرفة بقيمة هذه اللغة وما فيها من كنوز . والمعرفة ، في الوقت نفسه ، بما تراكم على هذه الكنوز من غبار يجب ان ينفض، وبصقل هي في حاجة اليه .

قلنا ان عناية الشبيبي باللغة العربية تعود الى عهد مبكر من حياته . فقد كتب سنة ١٩١٢ بحثا بعنوان « كتب اللغة الانتقادية » نشره تباعا في مجلة « المقتبس »[٢٢٧] قال فيه ، في معرض توضيح المقصود بـ « اللغة الانتقادية » انه عندما اختلط العرب بغيرهم من الامم ، بعد الفتح الاسلامي ، ظهر اللحن على بعض الالسن ، في التراكيب والمفردات ، فأدى ذلك الى ظهور علم يحفظ التراكيب عن الخطأ ، هو علم النحو . واخر يحفظ المفردات ، هو علم اللغة. وانه « دوّن في اثنائها فن يصح أن يسمى « اللغة الانتقادية » ، وهو فرع ، بمعنى خاص ، من علم اللغة ، تنتقد فيه ، المفردات المستعملة غلطا في كلام

---

(٢٢٥) « بعث العربية » : مجلة مجمع اللغة العربية جـ٨ (١٩٥٥) ص٣٠ .
(٢٢٦) « سنة التطور في اللغة » : المرجع السابق ص٥٩ .
(٢٢٧) مجـ٦ .

الخاصة والعامة . فيذكر المصحَّف والمحرَّف والمقلوب والمستعمل في غير موضعه والمتغير وضع حركاته وسكناته »[٢٢٨] ، ثم تحدَّث عمن ألفوا في هذا الفن من لغويي العرب . وذهب إلى انه يرجِّح ان أول من الف فيه هو اللغوي البصري أبو عبيدة معمر بن المثنى ، في كتابه « ما تلحن فيه العامة »[٢٢٩] . وبعد ان استعرض ما الف ، حدثنا عن رسالتين في هذا الباب ، وقف عليهما في مجموعة رسائل في موضوعات شتى ، مرتين على حروف الهجاء ، دون ان تنسبا الى مؤلفيهما ، جوَّز ان تكون الثانية لابي الفرج عبدالرحمن ، صاحب كتاب « المدهش »[٢٣٠] ، ثم أورد بعض ما جاء في الرسالة الاولى ، وأورد الرسالة الثانية ، بعد ان حذف منهما ما رأى انتفاء الحاجة الى ذكره .

وقد أعد معجما ، ما يزال مخطوطا ، أطلق عليه اسم « المأنوس من لغة القاموس »[*] قال عنه الدكتور حسين علي محفوظ[٢٣١] : « ومعجمه النفيس الذي أسماه « المأنوس » كتاب مجمل جميل ، استودعه منتخب الفاظ القاموس المحيط للفيروز أبادي » .

---

(٢٢٨) مجلة (المقتبس) : مجـ٦ جـ١٠ ص٦١٨ .
(٢٢٩) المرجع السابق ٦١٨
(٢٣٠) المرجع السابق : ص٦٢١ .
(*) وعند اطلاعي عليه وجدته في مائة وثلاث وخمسين صفحة من القطع الصغير ، ترك الشبيبي بعد صفحة العنوان ثلاث صفحات ، ربما لكتابة مقدمة له .
وقد نشر أبوابه الثلاثة الاولى ، وهي الهمزة والباء والتاء في مجلة « الدليل » النجفية ، في أعدادها : الثاني والسادس والسابع من المجلد الاول سنة ١٩٤٧ .
وقد حدثنا عنه ولده الاكبر اسعد ، حين بدأ بإعادة نشره تباعا في مجلة « البلاغ » الكاظمية ، فقال : « وفي يوم من أيام سنة ١٣٨٥هجرية اخذ الشبيبي يستعيد ذكريات سني حياته الطويلة ، وسحب دفترا صغيرا أسود الغلاف فاذا به المأنوس ، ومن ثم كتب الملاحظة التاليةعلى صفحته الاخيرة :
مضى على تاريخ هذا الكتاب الى هذه السنة اي ١٣٨٥ ، خمسون سنة . مرت كما لو كنا نعيش في حلم من الاحلام . والبقاء لله تعالى » .
انظر « المأنوس من لغة القاموس تأليف الشيخ محمد رضا الشبيبي » : مجلة « البلاغ » مجـ٢ ع٩ (نيسان ١٩٦٩) ص٥٠ .
(٢٣١) « تراث الشبيبي » : جريدة « البلد » ع٧٩٤ (٢ كانون الثاني ١٩٦٧)

وقاموس المجد هذا ، من خزائن اللغة العربية الحافلة بكل ما يحتاج اليه من المعارف والفنون • وقد دلنا الشبيبي باختياره على لغوي أوتي من البلاغة حظ الناقد البارع ، ورزق من الفصاحة نصيب الشاعر الملهم ، ونال من البيان سهم الاديب الموفق ، وفاز من اللسن بحصة الذرب الفائق »(**) •

هذا الاطلاع المبكر على أمهات كتب العربية وتراثها ، وهذا الحس اللغوي الذي حدثنا عنه الدكتور محفوظ يدلان على قدر ما يكنه الشبيبي للعربية وتراثها من حب واهتمام ورغبة صادقة في العمل من أجل هذه اللغة وهذا التراث •

وفي الصفحات القادمة نحاول أن نستعرض ما تعرض اليه الشبيبي من جوانب اللغة العربية ، وما كان له من آراء ووجهات نظر فيها :

أ • المعاجم :

عني الشبيبي بمعاجم اللغة العربية ، القديم منها والحديث • وكان له رأي في وضع معجم عربي يناسب هذا الجيل وما يليه من الاجيال •

فقد كتب بحثا بعنوان : « مصادر الشك في كتاب العين »(٢٣٢) تعرض فيه الى مصادر الشك في نسبة هذا المعجم الرائد الى الخليل بن أحمد الفراهيدي، ذهب فيه الى ان كثيرا من أئمة اللغة العربية قد شكوا في نسبته هذه ، وأصبحوا على حذر من رواية الاقوال الواردة فيه على انها للخليل نفسه • وقد أيدهم الشبيبي في هذا الشك ، مستندا على عدد من الاسانيد ، منها ما ذهب اليه الازهري صاحب « تهذيب اللغة » الذي درس ، كما يقول الشبيبي ، الكتاب دراسة دقيقة ، بعد ان وقع على اكثر من نسخة واحدة منه • وهو يعد ، كما يرى الشبيبي ، طليعة من نبهوا الى ذلك • فقد ذهب الازهري الى ان هذا الكتاب ليس للخليل ، وانما لتلميذه الليث بن المظفر نحله استاذه ليروج كتابه•

(**) نقتبس هنا بعض ما جاء في الصفحة الاولى في باب الهمزة من « المأنوس » : الأشاء كسحاب : صغار النخل . قال ابن القطاع همزته أصلية عن سيبويه . فهذا موضعه لا كما توهم الجوهري . المباذاة : الفاحشة . باء فلان : قتل به ودمه بدمه عدله . البواء : الكفء . ثما الكماة كجعل : طرحها في السمن . الجبأة : خشبة الحذاء .

(٢٣٢) مجلة مجمع اللغة العربية : جـ١٠ (١٩٥٨) ص٤٣ .



« الناموس من لغة القاموس »
الصفحة الاولى

وقد عقب الشبيبي على ذلك قائلا : « كيف لا يكون ذلك ، وفي غير مادة من مواد كتاب « العين » نجد هذه العبارة : « قال الخليل » أو « يقول الخليل » أو « قال غير الخليل » .

وذكر الشبيبي من اللغويين الذين حذوا حذو الازهري بنقل النصوص عن « العين » دون نسبتها الى الخليل ، اللحياني والصاغاني وغيرهما . ورأى أن ابن منظور ، صاحب « لسان العرب » ، قد نسب أقوالا هي لصاحب « العين ». وان سبب ذلك هو انه أخذ ما أخذ عن طريق النقل والرواية ، دونما اطلاع على الكتاب ، ولذلك نجده يقول في عدة مواضع : « حكاه الازهري عن الليث».

ثم يضيف الشبيبي الى أسباب الشك ما لاحظه « النظار من اللغويين » اذ يقول : « لاحظ النظار من اللغويين ان اخر كتاب « العين » لا يناسب أوله أو مقدمته التي تدل على أن واضعها باقعة في الذكاء وجودة الذهن والتفكير » ثم يقول : « واذا رأينا الشك يساور أئمة اللغة في نسبة هذا الكتاب الى الخليل بن أحمد اجمالا ، فان أكثرهم لا يشك بان مقدمة « العين » وما اشتملت عليه من فلسفة لغوية وأسلوب مبتكر واحصاء أبنية الكلم وما الى ذلك انما هو الخليل » .

* * *

ومع اعتزاز الشبيبي العربي بالتراث العربي المعجمي فقد قال في معرض حديثه عن المعجم العربي الذي ينشده لسد حاجة هذا الجيل وما يليه من الاجيال : « لهو غير المعجمات القديمة التي وضعت في عصور الازهري والجوهري وابن فارس وابن سيده والزبيدي والفيروزابادي ومن في طبقتهم من اللغويين. بل نحن نذهب الى أبعد من ذلك ان معجمنا اللغوي المنشود يجب ان يختلف عن هذه المعجمات الحديثة التي وضعها اللغويون المعاصرون في مصر ولبنان والشام »[٢٣٣] . وهو يرى ان المعاجم القديمة حاوية على غير قليل مما هو من غريب اللغة ، بل وغريب الغريب . وهذا ما تناولته الاقلام في الجاهلية

(٢٣٣) « بعث العربية » : مجلة مجمع اللغة العربية جـ٩ (١٩٥٧) ص٢٠ .

وصدر الاسلام ، وتعرضت الى بعضه الاقلام في العصر العباسي ، فهو في عصرنا الحاضر بحكم المندثر . واذا كانت تلك المعجمات قد تضمنته فلانها وضعت لزمان غير زماننا[٢٣٤] . وهو من أجل ذلك عرض أكثر من وجهة نظر واحدة في احدى دورات مؤتمر اللغة العربية في القاهرة ، ولكنه لم يفضل احداها على الاخرى . ولعله أراد بذلك أن يثير القضية ثم يتركها للمؤتمرين المهتمين بوضع معجم حديث ، لعلهم يصلون في ذلك الى رأي . فقد عرض ان يطرح الحوشي الغريب ويدّون في معجمات خاصة ، أو أن يسلك مسلك وسط فيؤخذ بعض الغريب ويطرح البعض الاخر ثم تساءل : « هل يمكن وضع قاعدة ضابطة للعمل في هذا الباب ؟ وهل يمكن أن تحكم الاذواق في طرح ما يطرح وابقاء ما يبقى ؟ »[٢٣٥] .

وقد كانت قضية غريب اللغة في المعاجم العربية لا تنفك تشغله ، لاقتناعه بقلة الحاجة الى ذلك الغريب في معجم يريده ميسرا لهذا الجيل والاجيال التالية ، معينا لهم في تفهم العربية وفي الاستزادة من فقهها ، فهو ان تحدث عن « المعجم المساعد » وهو معجم مخطوط للاب أنستاس الكرملي[٢٣٦] نبه الى ما رآه تعسفا من الكرملي في رد المواد والمفردات العربية الى اصول يونانية أو لاتينية أو سريانية أو آشورية أو الى غير ذلك من الاصول . ورأى ان الكرملي « يعنى باثارة الغريب أو المهجور من الالفاظ على وجه لا يستسيغه

---

(٢٣٤) « اقتراح في شأن الفاظ المعجمات القديمة » : مجلة اللغة مجمع اللغة العربية جـ٨ (١٩٥٥) ص٦٥ .

(٢٣٥) المرجع السابق . الصفحة نفسها .

(٢٣٦) « المعجم المساعد للكرملي » : مجلة مجمع اللغة العربية جـ٩ ص٤٢ . وقد وصف هذا المعجم قائلا : « المعجم المساعد عبارة عن الكلمات او المواد اللغوية التي فاتت اللغوي البيروتي بطرس البستاني مصنف « محيط المحيط » فأضافها الكرملي اليه ، واستدركها عليه ، علاوة على تنبيهه على أوهامه وسقطاته » . ولزيادة المعلومات عن هذا المعجم انظر : سالم الآلوسي : في ذكرى الاب الكرملي الراهب العلامة ، مطبعة الجمهورية ـ بغداد ١٩٧٠ ، ص٤٣ وما بعدها .

الذوق في كثير من الاحيان »[٢٣٧] .

وهو بالاضافة الى اهتمامه بقضية غريب اللغة وضرورة الاهتمام بها في وضع المعجم العربي المنشود قد أثار غيرها من القضايا في سبيل ذلك ، فهو يقول : « نريد معجما يوضع على غرار أحدث المعجمات اللغوية المصنفة في اللغات الاوربية الحديثة من الدقة والاستيعاب . نريد معجما يعنى واضعوه بتاريخ الكلمة وكيف تحولت مدلولاتها بتحول العصور ، على أن تكون عنايتهم معززة بالشواهد والنصوص المقتبسة من آداب العربية في مختلف عصورها . لماذا لا نحذو في تكوين معجمنا المنشود حذو لغويي الانكليز الذين وضعوا معجم اللغة الانكليزية المعروف بمعجم اكسفورد ؟ . فهذا المعجم مثال يحتذى في غزارة مادته ، وفي اسلوبه المبتكر الطريف[٢٣٨] .

وهو لا يرى بأسا ، في وضع المعجم المنشود ، في الاستفادة من اللهجات العامية ، بل هو يرى في ذلك اغناءا لهذا المعجم ، فهناك الفاظ في لهجات الشعوب العربية ، كلها أو جلها لا تذكرها المعاجم ، من الضروري ادخالها في اللغة[٢٣٩] . وهو يقول : « كم فات المعجمات العربية من مواد والفاظ نعثر عليها في كتب الادب والتاريخ وفي مصطلحات العلوم والفنون ! وفي وسعنا أن نقول ان كثيرا من المواد اللغوية المستعملة في اللهجات العربية لم يهتد الائمة من أصحاب المعجمات اليها . ففي اجماع الناطقين بالعربية على استعمال لفظة ما حجة قاطعة على عروبتها أقوى من حجج أهل المعجمات »[٢٤٠] كما يرى انه من الممكن الاستفادة من الالفاظ العامية التي لا تستعمل الا في قطر واحد والتي تدل على معان لا يوجد ما يحل محلها في الفصحى[٢٤١] .

---

(٢٣٧) « المعجم المساعد للكرملي » : المرجع السابق . ص٤٣ .

(٢٣٨) « بعث العربية » : مجلة مجمع اللغة العربية جـ٩ ص٢٠ .

(٢٣٩) أصول الفاظ اللهجة العراقية : ص١٤ .

(٢٤٠) المرجع السابق . الصفحة نفسها .

(٢٤١) المكان نفسه .



« المأنوس »

الصفحة الاخيرة

ب . المصطلحات :

ظهرت المصطلحات عند تدوين العلوم والفنون ، بعد ان استقر العرب في البلدان التي فتحوها . وأقدم ما دوّن العرب من العلوم ، علوم اللغة والحديث والشريعة . وعندما نقلت العرب العلوم الدخيلة ازدادت الحاجة الى المصطلحات، فأصبح لبعض الكلمات معنيان ، لغوي واصطلاحي ، بالاضافة الى ما عرّب من مصطلحات واشتق من الفاظ عربية .

وفي عصرنا الحاضر ، وبتقدم العلوم والفنون البشرية المختلفة ، وباطراد نقل العرب لكثير من هذه العلوم والفنون الى لغتهم ، شأنهم شأن غيرهم من الامم الناهضة ، ازدادت الحاجة الى المصطلحات ، لا سيما وإن الكثير من هذه العلوم والفنون جديد ليس علينا فحسب بل على أهله أيضا . وهو ، والحالة هذه ، غير ذي رصيد من المصطلحات التي تداولها أجدادنا .

وقد عني المهتمون باللغة العربية بأمر المصطلحات ، لا سيما فيما نقل الى لغة العرب من العلوم والفنون . وكانت هناك آراء مختلفة في موقف اللغويين من المصطلحات وكيفيتها في اللغة العربية . وقد كان للشبيبي مشاركات عديدة في هذا المجال .

فهو يدعو الى العناية بمصطلحات العلوم التي نقلت الى العربية ودونت فيها فاندمجت فيها على نحو أصبحت فيه من قبيل تلك المصطلحات الاصيلة . ومن هذا النوع تراثنا الاسلامي الاصيل من المصطلحات الطبيعية والرياضية والفلسفية، وهي « مصلحات قيمة لا يجوز التفريط فيها ، وانما يجب التنقيب عنها في مظانها ، ويتحتم درسها وتمحيصها للاستفادة منها في نهضتنا الحديثة »(٢٤٢) اذ هو يرى ان لدينا رصيدا ضخما من المصطلحات هيأه لنا اسلافنا العرب نستطيع بتتبعه واحياء ما مات منه ان نفيد منه في نهضتنا ، دونما قبول ، بلا قيد ولاشرط،

(٢٤٢)« مصطلحات في الادب والتربية » : مجموعة البحوث والمحاضرات التي القيت في مؤتمر مجمع اللغة العربية في الدورة الخامسة والعشرين ، (١٩٦٠) ص١٣ .

لما يدفع الينا من مصطلحات العلوم الحديثة ، وتعريبها كلها ، بهيئتها وأبنيتها الاعجمية ، خلافا لجميع القواعد والاصول ... لانها مصطلحات مألوفة في بعض المختبرات والمعامل لدى الاطباء ! »[٢٤٣] اذ ان مثل هذا الصنيع لم يقم به لغويو الغرب أنفسهم من انجليز والمان وفرنسيين ، فيشذوا عن الاصول العلمية للغتهم ، رغم انهم نقلوا الى لغاتهم الكثير من مصطلحات اللغات الاخرى[٢٤٤] . واذا كان أسلافنا القدماء قد عربوا الكثير من الالفاظ ، وأدخلوها الى العربية في ذلك الوقت ، فيجب ان نلاحظ للفارق البعيد بين حالهم آنذاك وحالنا الحاضر ، فقد « كان العرب في ذلك العصر على جانب عظيم من القوة والمنعة . وهذا يختلف عما نحن عليه الآن . فهجوم المعربات والالفاظ الاجنبية والتهاون في قضية تعريبها أمر جدير بالنظر »[٢٤٥] . ولكن الشبيبي ، مع هذا ، لم يسد الباب تماما في وجه التعريب ، وهو أصل من الاصول اللغوية ، ولكنه يرى ان علينا أولا الافادة مما لدينا من مصطلحات حفل بها تراثنا . فباحياتنا لهذه المصطلحات نستطيع ان نسد ثغرة كبيرة في مجال ما نحتاجه من مصطلحات . واذا عجزنا بعد ذلك فلا ضير من الافادة من أصلين لغويين مهمين هما : التعريب والاشتقاق . فهو يقول : ان « الانصاف يقتضينا ان نقول هناك عدد ضخم من المصطلحات الحديثة الناشئة في علوم أو فنون لم يحط بها أجدادنا علما . وكم ترك الاول للآخر ؟ من ذلك مصطلحات الصناعة الحديثة والفنون الالية الى كثير من فنون الحضارة التي تتجدد حينا بعد حين ، فليس من السهل رفض هذه المصطلحات الحديثة بالجملة ، وليس من الهين قبولها كذلك . فهذه هي مشكلة المصطلحات اليوم . وليس من المتعذر حلها مع الجد والاجتهاد .

---

(٢٤٣) « سنة التطور في اللغة » : مجلة مجمع اللغة العربية جـ١١ (١٩٥٩) ص٦٠ .

(٢٤٤) المرجع السابق . الصفحة نفسها .

(٢٤٥) تعقيبه على بحث الدكتور اسحق موسى الحسيني ، « الفاظ معربة » : مجموعة البحوث والمحاضرات التي القيت في مؤتمر اللغة العربية في الدورة الثلاثين (٦٣ — ١٩٦٤) ص٥٥ .

وليس من المستحيل تيسيرها بتطبيق الاصول اللغوية كأصل التعريب والاشتقاق »(٢٤٦) •

وهو من أجل احياء الالفاظ والمصطلحات العلمية العربية كثيرا ما لجأ الى التعريف بمخطوطات وبكتب من التراث ، ضمت أو تعرضت الى الالفاظ أو المصطلحات ، عارضا اياها ، بغية لفت الانظار اليها للافادة منها في هذا المجال • فقد القى في احدى دورات مؤتمر مجمع اللغة العربية بحثا بعنوان : « المصطلحات العلمية وكتاب « اشتات النبات » للادريسي »(٢٤٧) تحدث فيه عن المؤلفين العرب الذين عنوا بعلم النبات في المشرق والمغرب العربيين ، ثم خلص من ذلك الى الحديث عن مخطوطه كتاب الادريسي الذي هو كما قال الشبيبي : « كتاب ديساقوريدس في النبات ، مشروحا ومضافا اليه ما فاته واستدركه عليه] الادريسي [• ولا أغالي اذا قلت انه أوسع كتاب وصل الينا في موضوعه »(٢٤٨) ، معطيا صورة موضحة للكتاب ، يختتمها بطائفة من الالفاظ والمصطلحات العلمية الواردة فيه •

وقد القى بحثا بعنوان : « الطب والمصطلحات الطبية »(٢٤٩) تحدث فيه عن مخطوطة كتاب « منهاج البيان فيما يستعمله الانسان » لابي حسن يحيى بن عيسى بن علي المعروف بابن جزلة البغدادي ، من أطباء أواخر المائة الخامسة الهجرية ، ـ مبينا طريقة ابن جزلة في التأليف • واختتم الحديث بطائفة من الالفاظ والمصطلحات الطبية الواردة في الكتاب •

وهو في سبيل احياء المصطلحات العربية القديمة يعنى بمختلف المصطلحات وفي شتى المجالات ، لا في مجال العلم وحده • فقد القى في احدى دورات

---

(٢٤٦) مجموعة البحوث والمحاضرات التي القيت في مجمع اللغة العربية في الدورة الخامسة والثلاثين (١٩٦٠) ص١٣ .

(٢٤٧) مجلة مجمع اللغة العربية : جـ٩ (١٩٧٥) ص١٥٩ .

(٢٤٨) المرجع السابق : ص١٦١ .

(٢٤٩) مجموعة البحوث والمحاضرات التي القيت في مجمع اللغة العربية في الدورة الخامسة والثلاثين ص١٦٥ .

مجمع اللغة العربية بحثا بعنوان : « الالفاظ الايوبية في كتاب تقويم النديم »[٢٥٠] تحدث فيه عن مخطوطة كتاب « تقويم النديم وعقبى النعيم المقيم » لفخرالدين يوسف بن حمويه الجويني ، لاشتماله على طائفة من المصطلحات الحرفية الشائعة في عصره ، ذاهبا الى انه أول من طرق هذا الباب[٢٥١] . وهو بعد ان يعطي نبذة عن مؤلف الكتاب وموضوع الكتاب ، ينقل طائفة من المصطلحات الحرفية الواردة في الكتاب ، مع شرح موجز لها ، وايضاح لمعانيها . مصنفا تلك المصطلحات كل مصطلح في بابه . وهو يرى ان هذا الكتاب « مفيد كل الفائدة لمن يعنى بالبحث عن المصطلحات والالفاظ الحرفية في العربية الفصحى أو اللهجات العامية الشائعة في أقطار الشرق العربي ويستفيد منه ، مضافا الى ذلك ، من يعنى بتاريخ العمران والحضارة في مصر الاسلامية »[٢٥٢] . والجدير بالذكر انه أهدى هذه المخطوطة الى وزارة المعارف المصرية ، حينها ، كما ذكر لنا في بحثه هذا .

وقد عمد في بحث القاه بعنوان : « تراثنا القديم من المصطلحات ، مضانه ومصادره »[٢٥٣] الى الحديث عن المصطلحات ، وعن الانساب العربية والمصطلحات ، ليخلص الى الحديث عن كتاب « الانساب » للسمعاني ، لاشتماله على طائفة من المصطلحات المهنية والحرفية . وهو تحدث عنها لانه رأى ان « في هذه المصطلحات المهنية والحرفية ما يمكن الاستفادة منه ، واطلاقه على ما يقابله من المصطلحات الاجنبية الحديثة »[٢٥٤] . وقد أورد في ختام البحث معجما للمصطلحات الواردة في كتاب « الانساب » مبتدئا بحرف الالف ومنتهيا بحرف الشين ، ذاكرا المصطلح والنسبة اليه .

واذا كان الشبيبي فيما مر من بحوث يعمد الى احياء المصطلحات العربية في

---

(٢٥٠) مجلة مجمع اللغة العربية : جـ ٨ (١٩٥٥) ص٣٣٤ .
(٢٥١) المرجع السابق . الصفحة نفسها .
(٢٥٢) المرجع السابق : ص٣٤٠ .
(٢٥٣) مجلة مجمع اللغة العربية : جـ١٤ (١٩٦٢) ص٥٢ .
(٢٥٤) المرجع السابق : ص٦٢ .

مخطوطات التراث وكتبه ، بغية الافادة منها في وضع المصطلحات لما استجد في الحياة العربية من علوم وفنون • فقد أفرد بحثا بعنوان : « توحيد المصطلحات »[٢٥٥] عالج فيه أمر اختلاف المصطلحات في القوانين والمؤسسات المختلفة في مصر والاقطار العربية الاخرى • فقد منيت البلاد العربية بسيطرة الدول الاعجمية عليها عصورا طويلة • وقد تركت تلك السيطرة ، مع ما تركته، أثرا واضحا للعجمة في أقطار هذه البلاد ، فكثرت الالفاظ الدخيلة فيها ، وتسربت هذه الالفاظ الى ما يستعمل في الشؤون المختلفة • ولا شك ان اختلاف ما يطلق من مصطلحات على الشيء الواحد في أقطارنا العربية فيه من البلبلة ما يزيد التباعد بينها ، في الوقت الذي تحاول هذه البلاد لم شملها وتوحيد شؤونها [٢٥٦] • وقد عمد في هذا البحث الى تصنيف المصطلحات كل مصطلح في مجاله ، ذاكرا المصطلح في مصر ومعقبا عليه بما يقابله في غيرها من الاقطار العربية الاخرى ، دون ان يفضل مصطلح قطر على اخر • وربما فضل المصطلح المصري • وقد فعل ذلك ليضع هذه المصطلحات تجاه انظار المعنيين ، بغية التوصل الى توحيدها •

جـ اللهجات :

عني الشبيبي بدراسة اللهجات العربية وغايته من ذلك هو الحفاظ على اللغة العربية والوصول الى « لغة موحدة سليمة » • فهو يرى « ان هذه اللهجات تحفل بمادة صالحة من المفردات والمركبات والفصح الشاردة ، على ما فيها من فساد والتواء واعوجاج • فعلينا ان نعنى باصلاح ذلك ، وبذل الجهد في التوفيق بين الفصحى ولهجاتها من هذه الناحية ، لنخلص الى لغة موحدة سليمة »[٢٥٧] • وكان يسعى الى تعميم اللهجة الفصحى عن طريق نشرها واغنائها • فهو حريص أشد الحرص على هذه اللهجة ، ناع أشد النعي على

---

(٢٥٥) مجلة مجمع اللغة العربية : جـ٨ (١٩٥٥) ص١٣١ •

(٢٥٦) المرجع السابق • الصفحة نفسها •

(٢٥٧) أصول الفاظ اللهجة العراقية : ص٩ •

الدعاة الى اللهجة العامية واستعمالها بدل الفصحى للتخلص من الازدواج اللغوي. وهو يرى ان « الابقاء على الفصحى ... ابقاء على الحياة ، واستجابة لمقتضيات الطبيعة . وفي التفريط بها تفريط بالكيان القومي والمشخصات العربية والثقافة الاسلامية والمعاني الانسانية »[٢٥٨] . فاللهجة العامية ليست واحدة ، فلكل قطر من الاقطار العربية لهجته ، بل لكل جزء من أجزاء هذه الاقطار لهجته . وفي الدعوة الى العامية دعوة الى تفكيك أجزاء الوطن العربي الكبير ، في الوقت الذي تدعو الحاجة أشد الدعوة الى الوحدة[٢٥٩] . أضف الى ذلك ان اللهجة العامية لهجة عاجزة ، فأنت لا تستطيع ان تنشيء قطعة أدبية أو مقالة علمية بلهجة من اللهجات العامية[٢٦٠] .

الى هذه الاسباب وغيرها تراه يدفع الدعوة الى العامية ، ويرى في دعوة الذين يرون ان الغلبة ستكون للعامية ، وان اللهجات ستتحول في يوم الايام الى لغات مستقلة قائمة بذاتها ، وان مصير الفصحى سيكون مصير اللاتينية أو السامية البائدة ، اسرافا في التكهن والرجم بالغيب . فقد تكلفت بحفظ الفصحى وحياتها وخلودها معجزة كتاب العرب الخالد ، القرآن الكريم ، اذ لولا اعجازه لجاز أن يحدث لهذه اللغة ما حدث للاتينية والسامية[٢٦١] .

وهو يرى ان الصعوبة في الفصحى متأتية من ناحية الاعراب. وهو يرى انه « قد زال هذا الاعراب لانه لم يعد عمليا في عصرنا الحاضر على الاقل فلنحافظ على سلامة لغتنا الفصحى وتوحيد لهجاتها وتقويم النطق بها ، ولو بالتخلي عن الاعراب الى حين ، الا في التلاوة وما اليها . على أن ينظر الى مشكلة الاعراب وان يعهد بذلك الى المتخصصين المنقطعين لهذه الدراسات . ولا

---

(٢٥٨) « سنة التطور في اللغة » : مجلة مجمع اللغة العربية جـ١١ (١٩٥٩) ص٥٩ .

(٢٥٩) « بين الفصحى ولهجاتها » : مجلة مجمع اللغة العربية جـ٩ (١٩٥٧) ص٢٠٧ .

(٢٦٠) « سنة التطور في اللغة » : المرجع السابق ص٦٠ .

(٢٦١) « بين الفصحى ولهجاتها » : المرجع السابق ص٧١ .

يخفى ان الكتاب المجيد تكفّل بحفظ الاعراب »[٢٦٢] •

وهو في بحث بعنوان : « اللهجات القومية وتوحيدها في البلاد العربية »[٢٦٣] يدعو الى «توحيد اللهجات وتغليب لغةفصحى سليمة عليها»[٢٦٤] ويرى ان السبيل الى ذلك جملة من الوسائل الفعالة التي توصلنا الى هذه الغاية • وهي :

أولا ـ نشر التعليم المنهجي ومكافحة الامية والاكثار من المتعلمين المدركين لمكانة اللغة من الدولة والمجتمع والقومية •

ثانيا ـ توحيد التلفظ واصلاح النطق ، على ان تقوم بذلك مراجع فنية مختصة •

ثالثا ـ ان يصاحب نشر التعليم والعناية به الاهتمام بعلوم الدين ليواكب الاهتمام بعلوم الدنيا[٢٦٥] •

ونحن اذ نقرأما ذهب اليه هنا نكبر فيه النية الطيبة ، والرغبة المخلصة في جمع شمل الامة العربية عن طريق لغتها ، ولكننا نتساءل : كيف يتم توحيد اللهجات في البلاد العربية ؟ وكيف تستطيع المراجع الفنية توحيد التلفظ واصلاح المنطق واللغة المحكية ، كما لا يخفى عليه ، لا تفرض على الناس فرضا ؟ بل هو نفسه قد القى بحثا في احدى دورات مؤتمر مجمع اللغة العربية أطلق عليه عنوان « بلبلة اللهجات»[٢٦٦] تحدث فيه عما يحدثه تعدد اللهجات من بلبلة واضطراب ، وعما في محاولة توحيدها من صعوبة •

على أية حال ، من ذلك نرى ان الشبيبي محب للغة العرب ، حريص عليها ، متأذ مما يراه قد حل بها من اشكال ، راغب في الوصول الى لهجة تجمع امة العرب ، تنبع من واقعهم ولا تتنكر لماضيهم ، وتزيل ما هم فيه من ازدواج

---

(٢٦٢) المرجع السابق : ص٧٣ .
(٢٦٣) مجلة مجمع اللغة العربية : جـ١٤ (١٩٦٢) ص٨٥ .
(٢٦٤) المرجع السابق : ص٨٨ .
(٢٦٥) المرجع السابق . الصفحة نفسها .
(٢٦٦) مجلة مجمع اللغة العربية : جـ١٢ (١٩٦٠) ص٨٨ .

لغوي . وهو في سبيل ذلك تعرض الى مشكلة اللهجات بل درس بعض اللهجات في بعض الاقطار العربية .

فقد أصدر كتابا في « اصول الفاظ اللهجة العراقية »(*) كتب له مقدمة في اصول الفاظ اللهجة العراقية ، وفي مواد هذه اللهجة . وبين رأيه في الغرض من دراسة اللهجات ، والدافع الذي دفعه الى الانصراف الى هذا البحث ، ثم خلص الى وضع معجم دعاه « معجم الالفاظ العراقية » رد فيه بعض الالفاظ والتعابير العراقية الى أصولها .

وهو يرى في بحثه هنا ان اللهجة العراقية التي يتخاطب بها العراقيون الان هي احدى لهجات عدة اشتقت عن الفصحى واختلفت باختلاف البلدان ، هي لهجة قديمة مضت على العراقيين أجيال وهم يتحدثون بها ، أو بلهجة شبيهة بها جدا(٢٦٧) فبعد ان استولى المغول على العراق ، في أوائل النصف الثاني من القرن السابع الهجري « تغيرت العادات والرسوم والاداب واللغات . وكان نصيب لغة العراقيين من التغير والتأثر نصيبا موفورا . فقد تسرب اليها الكثير من المفردات والمراكبات والاساليب الانشائية الفارسية والتركية والمغولية بالاضافة الى ما كان قد تسرب اليها من قبل ذلك من اللغات الهندية والارامية والسريانية وغيرها من اللغات(٢٦٨) .

وهو يذكر ان بحثه في تاريخ العراق في عصر المغول(*) هو الذي استدرجه الى النظر في اصول اللهجة العراقية الشائعة الان ، وفي صلتها باللهجة العراقية الشائعة في كتب مؤرخي عصر المغول ، ودعاه الى الاعتقاد بان اللهجة الحاضرة

(*) طبع بمطبعة المجمع العلمي العراقي في بغداد سنة ١٣٧٦هـ ــ ١٩٥٦م
(٢٦٧) المرجع السابق : ص٦ .
(٢٦٨) المرجع السابق : ص١٠ .
(*) اصدر الشبيبي دراسة بعنوان « مؤرخ العراق ابن الفوطي ، بحث في ادوار التاريخ العراقي من مستهل العصر العباسي الى اواخر العصر المغولي » في جزءين طبع الاول في مطبعة التفيض ببغداد سنة ١٣٧٠هـ ــ ١٩٥٠م وطبع الثاني في مطبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٣٧٨هـ ــ ١٩٥٨م . وسيأتي الحديث عنه .

لا تختلف كثيرا عن اللهجة الشائعة آنذاك[٢٦٩] .

هذا وقد اعتمد في بحثه هذا على جملة من المراجع التاريخية والادبية ،كان مرجعه الاول بينها ، كما ذكر ، هو كتاب « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة »[**] المنسوب الى ابن الفوطي .

هذا وقد صنف معجم الالفاظ العراقية ، وهو ما اشتمل عليه جل الكتاب ، في ست وثمانين مادة مرقمة من ١ الى ٨٦[*] .

هذا وقد القى في مجمع اللغة العربية بحثا بعنوان : « في تاريخ اللهجة المصرية »[٢٧٠] تحدث فيه عن تاريخ استعمال الالفاظ العامية المصرية ،وعن لهجة أهل أسوان وتعليل وجودها ، وعن الامالة والترخيم في اللهجة المصرية .

والقى في المجمع المذكور بحثا اخر بعنوان : « لهجات الجنوب »[**] بعد ان أطلع على بعض المعلومات في نشرة أصدرها أحد مكاتب احدى الشركات العامة في الجزيرة العربية . وهي تذكر انه قد توصل الى وجود أربع لغات سامية مستقلة عن العربية ، يتخاطب بها فيما بين حضرموت والربع الخالي .

---

(٢٦٩) المرجع السابق : ص١١ .

(**) عنيت بطبعه المكتبة العربية في بغداد (مطبعة الفرات) سنة ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م . بمقدمتين احداهما للشبيبي والثانية للدكتور مصطفى جواد .

(*) وهذا انموذج لمادة من مواد المعجم المذكور . هي المادة الاولى :
«١ ـ الادارة والمدير : ادارة الشيء : أماله ، وفاعله المدير . هذا هو معنى الكلمة في لغة العرب . ومنذ عصر المغول تحول مدلول هذه الكلمة فأطلقت على تصريف الاعمال وتدبيرها وأطلقت كلمة مدير على المتصرف وشاع استعمالها بهذا المعنى في عصور الاتراك والعصور الحديثة . قال ابن الفوطي في ترجمة احد الملقبين فخر الدين : « كان عارفا بأمور القضاء والعدالة ورسوم الادارة والوكالة » .
ثم جاءت من كلمة ادارة (مديرية) و (مجلس ادارة) و (مدير). وفي (نشوار المحاضرة) للتنوخي : « كان فلان يدير الولاية » . ويغلب على ظننا ان كلمة يدير في هذه النسخة محرفة عن « يدبر » من « التدبير » .
ص٢١ .

(٢٧٠) مجلة مجمع اللغة العربية : جـ١٢ (١٩٦٠) ص١٢٩ .

وهي : المهرية والبطحرية والشهخرية والخرسوسية • وانه قد توصل بوساطة هذا الكشف الى معرفة بعض الاعلام البلدانية غير العربية في جنوب الجزيرة •

وقد رد الشبيبي في بحثه هذا تلك المعلومات • وذهب الى القول بان « المهرية » هي « الامهرية » ، لغة الحبشة التي ربما تسربت بعض الفاظها الى تلك الجهات • وان « الشحرية » هي لهجة عربية • وهي المعروفة بـ « السواحلية » ، نسبة الى ساحل اليمن • أما اللهجة الحضرمية فهي لهجة ••• عربية « من أقرب اللهجات الى الفصحى في الوقت الحاضر »(٢٧١) وقد نفى وجود أعلام غير عربية في تلك المنطقة • ورجح ان تكون تلك الاعلام مرتجلة أو محرفة غاية التحريف ، الامر الذي أوهم انها غير عربية(٢٧٢) •

وقد تحدث عن اللهجة المغربية في « رحلة الى المغرب الاقصى » اذ لاحظ انها خليط من الفاظ عربية وبربرية وفرنسية(٢٧٣) كما أشار الى بعض خصائص اللهجة المغربية من مثل قلبها الياء الفا أو همزة في بعض الالفاظ والافعال ، أو قلبها الجيم ياءا في عدد من الالفاظ ، ومثل وجود ظاهرة اختزال الاعلام • وذكر ان مثل هذا القلب شائع في بعض انحاء العراق(٢٧٤) وقد أشار الى ان لهجة ابناء فاس هي أكثر لهجات المغرب قربا الى الفصحى ، شأنها شأن غيرها من المدن العربية التي تعنى بالدراسات الاسلامية والعربية (٢٧٥) •

د • الحرف والخط :

من الطبيعي ان نتوقع من معنيٍّ باللغة العربية مثل الشبيبي ، حريص عليها ، ان يكون حريصا على الحرف العربي وطريقة الكتابة العربية • فهو يرى في الذين يدعون الى ابدال الهجاء اللاتيني بالهجاء العربي وفي غيرهم من الذين

(**) نشره مجمع اللغة العربية في كراس مستقل . (١٩٦٠ ــ ١٩٦١) .
(٢٧١) لهجات الجنوب : ص٣ .
(٢٧٢) المرجع السابق : ص٢ .
(٢٧٣) رحلة الى المغرب الاقصى : ص٢٧ .
(٢٧٤) المرجع السابق : ص٢٨ .
(٢٧٥) المرجع السابق : ص٢٥ .

يريدون اغراق العربية بطوفان من المواد الاعجمية ، بحجة التطبع بحضارة الغرب، اناسا « يضمرون وراء ذلك قطع كل صلة لهم بالشرق ، مطلع النور ، ومبعث الحياة »[٢٧٦] فنحن ، مثلا ، نختلف عن تركيا فيما ذهبت اليه من استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية لظن الاتراك « ان سر تأخر الامة التركية هو اتصالها بأدب الشرق . وليس لدينا مثل هذا الظن لكي نعمل على الاستبدال بالحروف العربية »[٢٧٧] لا سيما وهو يرى ان الكثير من علماء تركيا يحنون الى الكتابة بالحروف العربية الجميلة »[٢٧٨] .

وهو لا يحرص على الكتابة العربية أو الاملاء العربي بشكل مغلق ودونما رغبة في التيسير ، وانما يرى ان ذلك لا يتم دون ضابط وحسب الاجتهادات الشخصية . فقد استفتت مجلة « عالم الغد[٢٧٩] البغدادية طائفة من رجال اللغة والادب في أمر اثبات الالف بعد واو الجماعة ، وكان الشبيبي من بينهم ، فكان رده قوله : « لا مانع من النظر في اصلاح ما يحتاج الى الاصلاح من قواعد الاملاء ، ولا حرج من النظر في الغاء بعض الحروف الزائدة التي تكتب ولا تقرأ مثلا ، على شرط ان يكون ذلك الى هيئة فنية ذات اختصاص تام في الموضوع . فالاصلاح لا يتم بجرة قلم . واذا جاز لكل كاتب أو باحث أن يغير أو يبدل في القواعد والاصول الكتابية المقررة ، وذلك بحجة الاجتهادات ، أو بدعوى حرية الرأي ، لم نأمن من الوقوع في الفوضى أو التورط في أغاليط فنية ولغوية لا تغتفر » .

---

(٢٧٦) « سنة التطور في اللغة » : مجلة مجمع اللغة العربية جـ١١ (١٩٥٩) ص٦٠ .

(٢٧٧) مجموعة البحوث والمحاضرات التي القيت في مؤتمر مجمع اللغة العربية في الدورة الخامسة والعشرين (١٩٦٠) ص٦٦ .

(٢٧٨) « مع الاستاذ أحمد لطفي السيد في المجمع اللغوي » : كلمة للشبيبي ، مجموعة البحوث والمحاضرات التي القيت في مؤتمر مجمع اللغة العربية في الدورة الثلاثين (١٩٦٥) ص٨٧

(٢٧٩) جـ١١ (١٦ نيسان ١٩٤٥) ص٣٠ .

(٢٨٠) ص٣٦ .

وحرص الشبيبي على الحرف والكتابة العربيين يدعو الى المناداة بتوحيد طريقة الكتابة في أجزاء الوطن العربي . فهو يتحدث في « رحلة الى المغرب الاقصى »[٢٨٠] . عن القاعدة المتبعة في الخط المغربي ، والتي يكتب بها المغاربة « بشكل يختلف عن شكلها في الكتابة الشرقية حتى ان قراءتها لا تخلو من صعوبة على المشارقة »[٢٨١] داعيا المغاربة الى الاستعاضة عنها بالطريقة الشرقية ، لا تحيزا للمشرقية ولكن لمصلحة الامة العربية التي تقتضي توحيد طريقة الكتابة ، كما تستدعي توحيد المناهج الثقافية [٢٨٢] .

(٢٨١) رحلة الى المغرب الاقصى : ص٣٦ .
(٢٨٢) المرجع السابق : ص٣٨ .

الشبيبي والتراث العربي :

فتح الشبيبي ، محمدرضا ، عينيه في بيت هو بيت الشيخ محمدجواد الشبيبي ، والده ، وفي مدينة هي مدينة النجف . ولسنا نريد ان نعيد الحديث عن الشبيبي الكبير وبيته ، ولا عن مدينة النجف ومكانتها العلمية والادبية ، فقد مر بنا الحديث عن ذلك كله . وعرفنا مكانة الشبيبي الكبير ، شاعرا وناثرا ومعنيا بالتراث ، كما عرفنا النجف ، مدينة من المدن المعدودة في العالمين العربي والاسلامي ، حفاظا على اللغة العربية ، وصيانة لتراثها ، بما استوطنها من أسر علمية وأدبية ، وبما حفلت به من خزائن كتب ومكتبات ضمت نفائس الذخائر العربية والاسلامية .

أقول فتح الشبيبي عينيه في هذا البيت وفي هذه المدينة ، واذا كان لامريء ذلك ثم رزقه الله الملكة والقدرة على معرفة ما للعربية من تراث شامخ فعلقه قلبه ، فقد أوتي خيرا كثيرا . وقد كان الشبيبي هذا المرء ! . فقد شغف بالتراث العربي ، وأخذ يعنى بتتبعه ودرسه والتعريف به ، حرصا عليه وخدمة له . وقد حدثنا عن شغفه هذا فقال : « من أشرف اللذات ، وأبهج أدوار الحياة عندي ما مضى في الاهتمام بآثار السلف والاشتغال بحفظها من التلف »(٢٨٣) . وقال أيضا ، وقد وقف على ما تبقى من آثار « الخزانة العلوية » في النجف : « ما تأملت تلك الآثار ، ولا تصفحت تلك الاسفار ، حتى علمت انها بغية الطالبين ، وحسرة الراغبين ، وضالة الباحثين »(٢٨٤) .

هذا الشغف بآثار السلف ، وهذا الحرص عليها من الضياع والتلف هما اللذان دفعاه الى مشاركة نفر ممن شاركوه شغفه ذاك وحرصه(*) في تكوين

(٢٨٣) « بستان الاطباء وروضة الالباء او دمشق في عصرها الذهبي » : مجلة المجمع العلمي العربي مجـ٣ جـ١ (١٩٣٢) ص٢ .
(٢٨٤) المرجع السابق . الصفحة نفسها .
(*) منهم الشيخان علي الشرقي وعبد العزيز الجواهري . انظر : الخليلي : هكذا عرفتهم جـ٢ ص٥٤ ، ٥٦ .

جمعية غايتها العناية بالتراث ونشره . يحدثنا جعفر الخليلي في كتابه « هكـــذا عرفتهم »[٢٨٥] فيقول : « والشبيبي أول من فكر هو وزمرة من أنداده في النجف باحياء التراث الادبي وتأسيس جمعية تقوم بدراسة المخطوطات وتحقيقها وتولّى طبعها ونشرها على غرار لجنة التأليف والترجمة والنشر التي تأسست بعد ذلـك بزمن في مصر » . ومضى الشبيبي وصحبه يكثرون التردد على مزايدة للكتـب كانت تجرى كل اسبوع في النجف ، من أجل الحصول على المخطوطات والكتب باسـعار زهيدة ، لشحة مـا لديهم من مـــال[٢٨٦] حدثنا علي الشـرقي[٢٨٧] أحد أعضاء تلك الجمعية ، بانهم من أجل الحصول على المال الذي يستعينون به على شراء المخطوطات وما يستلزمه تحقيقها ونشرها انهم عمـــدوا الى تكويـــن « شركة » أطلقوا عليها اسم « شركة مقاومة الفقر »[*] ! .

وقد تهيأ لهذه الجمعيـــة أو لبعض أعضـائها أن يجمعـوا بعض الدواويـن ويبوبوها ويشرحوها وينشروها . مثل ديوان ابراهيم الطباطبائي ، وديوان مهيار الديلمي ، وديوان محمد سعيد الحبوبي ، وكتاب « العقد المفصّل » للســـيد حيدر الحلي ، وكتب ودواوين اخرى[٢٨٨] .

وقد مضى الشبيبي في البحث عن التراث والعناية به حتى تجمعت لديه طائفة كبيرة من الرسائل والكتب . بينها نسخ مفردة[٢٨٩] .

وكان الشبيبي لا ينفك ينقب عن التراث اينما حل ، ومهما كان محـــاطـــا بالمشاغل والمسؤوليات ! فعندما حل في الشام سنة ١٩٢٠ لاتمام المهمة التي انتدبه

---

(٢٨٥) جـ٢ ص١٢١ .

(٢٨٦) الخليلي : هكذا عرفتهم جـ٢ ص٥٤ ، ٥٦ .

(٢٨٧) الاحلام : ص٧٥ .

(*) للاستزادة من هذا الحديث الطريف الدال على شغف الشبيبي وصحبه بتتبع التراث والتضحية من أجل ذلك ، انظر : المرجع الســـابق ص٧٥ وما بعدها .

(٢٨٨) الخليلي : المرجع السابق جـ٢ ص٥٣ . وعن قصة طبع ديوان الحبوبي انظر : المرجع نفسه ص٥٦ .

(٢٨٩) المرجع السابق : جـ٢ ص١٢٢ .

من أجلها العراقيون في الحجاز وجد في دمشق « دار الكتب الظاهرية » . والظاهرية تضم طائفة قيمة من كنوز التراث العربي . فكيف ينام الشبيبي في دمشق والظاهرية غير بعيدة ؟! فكانت نتيجة ذلك عثوره على مخطوطة الجزء الرابع من معجم ابن الفوطي ، المؤرخ العراقي ، « تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب »(**) الذي دفعه الى البحث عن بقية أجزائه حتى عثر على جزئه الخامس بعد جهد جهيد ، وبعد زمن جاوز ربع القرن(***) . وكان المحفز لاخراج ما أخرج من اقسام كتابه « مؤرخ العراق ابن الفوطي » وأعانه في كتابة عدة من البحوث ، كان من أهم مراجعه فيها .

واذا كان الشبيبي لا يدخر جهدا في تتبع التراث والتنقيب عنه فهو لا يدخر جهدا في محاولة تسليط الاضواء عليه ، وتنبيه المعنيين به عليه ، للافادة منه . وهو يحقق ويدرس ويصف ويهدي بعض ما لديه من مخطوطات الى الجهات التي يرى في اهدائه اليها تعميما للفائدة .

وطالما نحن نتحدث عن التراث العربي ، وكان للمستشرقين يد في درس هذا التراث ونشره فنظن ان من الفائدة ان نعرّج على رأي الشبيبي في المستشرقين وصنيعهم . والذي نود ان نقوله هنا هو ان الشبيبي كان يسيء الظن في المستشرقين بصورة عامة ، لكونهم أجانب ، لغتهم غير لغتنا ، وتفهمهم لهذه اللغة لا يتيح لهم الوقوف على أسرارها كأبنائها ، من جهة . ولكونهم ليسوا أبناء هذه الامة . لذا فان لهم من المقاييس الاخلاقية والسياسية وغيرها من الشؤون ما يختلف عن مقاييسنا في كثير من الاحيان من جهة اخرى ، هذا اذا

(**) هذه التسمية مختصرة له ، اسماه بها الشبيبي أحيانا ، واسماه بها محققه د . مصطفى جواد . واما اسمه الكامل فهو : (تلخيص مجمع الاداب المرتب على معجم الاسماء في معجم الالقاب» . وقد ظهر تحقيق د . جواد له في دمشق ، في اربعة اقسام ، من مطبوعات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، بلا تاريخ .

(***) سنة ١٩٤٧ . انظر : مؤرخ العراق ابن الفوطي جـ١ ص٧ .

خلصت النيات[٢٩٠] . وهو لا ينكر ان فيهم بعض المنصفين وان فضلهم غير منكور في احياء كنوز تراثنا الثمينة ، ولكنه ، في الوقت نفسه ، يرى ان عدد ذوي النوايا الخبيثة ليس بالقليل . فهناك ذوو الاغراض السياسية ، وهناك ذوو الاغراض الدينية ، وهناك ذوو الاغراض الاخرى . وهو يدعو شبابنا الذين درسوا في الغرب على أيدي المستشرقين الى التثبت وعدم الاندفاع في تقليدهم[٢٩١].

بعد ذلك ..

فقد أصدر الشبيبي ثلاثة كتب جميعها تنطلق من التراث المخطوط أو تدور حوله . وهي حسب صدورها :

أ ـ مؤرخ العراق ابن الفوطي .

ب ـ أدب المغاربة والاندلسيين في اصوله المصرية ونصوصه العربية .

جـ ـ تراثنا الفلسفي ، حاجته الى النقد والتمحيص .

واتماما للبحث سنحاول في الصفحات القادمة استعراض هذه الكتب وابراز بعض آراء الشبيبي في القضايا التي تعرض اليها فيها :

أ . مؤرخ العراق ابن الفوطي :

مؤرخ العراق ابن الفوطي[*] بحث في أدوار التاريخ العراقي من مستهل العصر العباسي الى أواخر عصر المغول . وقد صدر منه الجزء الاول[**] ثم

---

(٢٩٠) مؤرخ العراق ابن الفوطي : جـ١ ص٢١ .

(٢٩١) المرجع السابق . الصفحة نفسها .

(*) للشبيبي محاضرة بهذا العنوان القاها في قاعة كلية الحقوق ببغداد مساء ٢٢ نيسان سنة ١٩٤٠ . وقد طبعت بمطبعة الجزيرة في بغداد ، بلا تاريخ .

(**) من مطبوعات المجمع العلمي العراقي . طبع بمطبعة التفيض في بغداد سنة ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م .

القسم الاول من الجزء الثاني(***) « لتيسر اصوله أكثر من بقية الاجزاء»[٢٩٢]

ويحدثنا الشبيبي[٢٩٣] بان فكرة البحث عن تاريخ العراق في العصر المغولي ثم عن سيرة مؤرخ العراق كمال الدين عبدالرزاق المشهور بابن الفوطي (٦٤٢-٧٢٣هـ) خالجته بعد ظفره بالجزء المار ذكره من معجم ابن الفوطي في دار الكتب الظاهرية في الشام سنة ١٩٢٠ . فقد رأى ان المؤلف معني بهذا العهد من تاريخ العراق أكثر من غيره بكثير . وقد حالفه التوفيق في حفظ قسم كبير من تاريخ هذا العصر الذي عاش فيه حتى غدا هذا المعجم أصلا لا يمكن الاستغناء عنه في تاريخ العراق بعد ان استولى عليه المغول . وقد رأى الشبيبي اتماما للفائدة ان يكتب بحثا في الدولة العباسية يكون مدخلا لبحثه ذاك[٢٩٤] وهكذا كان .

والجزء الذي عثر عليه هو الجزء الرابع ، كما قلنا ، من أجزاء عدة(*) ثم استطاع العثور ، بعد زمن طويل ، على جزئه الخامس منشورا في احدى مجلات جامعة لاهور[٢٩٥] .

ويذكر الشبيبي أن أهم الاصول التي اعتمد عليها في كتابه هذا هما الجزءان المذكوران من معجم ابن الفوطي ، وكتاب « الحوادث الجامعة والتراجم النافعة في المائة السابعة » المنسوب لابن الفوطي ايضا والذي يعتقد الشبيبي انه له

(***) من مطبوعات المجمع العلمي العراقي . طبع بمطبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م . هذا وقد كتب الشبيبي تعقيبا وتصحيحا للكتاب في المجلد السادس (١٩٥٩) من « مجلة المجمع العلمي العراقي » ص٣٦٨ وما بعدها . وكتب الدكتور مصطفى جواد نقدا مهما للكتاب في المجلد نفسه ص٣٧١ وما بعدها .

(٢٩٢) مؤرخ العراق ابن الفوطي : جـ٢ ص٣ من المقدمة .
(٢٩٣) المرجع السابق . الصفحة نفسها .
(٢٩٤) المكان نفسه .

(*) يقول الشبيبي ان عددها بين الستة والثمانية : مؤرخ العراق ابن الفوطي جـ١ ص٨ . ثم يقول في ص٤٤ : ان عددها يتراوح بين الستة والسبعة ! اما الدكتور مصطفى جواد فيقدر عددها بسبعة أجزاء : نقده الكتاب مجـ٦ « مجلة المجمع العلمي العراقي » ص٣٧٦ .
(٢٩٥) مؤرخ العراق ابن الفوطي : جـ١ ص٨ .

فعلا[٢٩٦] أما غير هذه الاصول فهو يقول انه اختط لنفسه أن يعود الى المصادر الاصلية للبحث ، بعد التوفر على تحقيقها قدر الامكان[٢٩٧] •

وقد انصب القسم الاول من الجزء الاول من الكتاب على الحديث على الحكم العباسي والصراع الذي دار حوله بين العباسيين من جهة وبين العلويين والطالبيين من جهة اخرى ، الى استطرادات جر اليها التوسع في البحث أحيانا ، أو خرج اليها الشبيبي ، كعادته في بعض مؤلفاته ، في وضع كل ما تيسر له من معلومات حول ما يتناوله من بحث ، تمت اليه بصلة من قريب أو بعيد •

أما القسم الاول من الجزء الثاني فقد عنى فيه بالتعريف المفصل باصول بحثه وهي جزءا معجم ابن الفوطي وكتاب الحوادث الجامعة ، بالدرجة الاولى، ثم عرض سيرة ابن الفوطي ليخلص الى عرض بعض العادات والتقاليد العراقية والاحداث التاريخية مما وردت في تلك الاصول •

وهو في كتابه هذا قد القى كثيرا من الاضواء على جوانب مهمة من تاريخ العراق جديرة باهتمام الباحثين ، وأعطى صورة عريضة لسيرة المؤرخ العراقي ابن الفوطي • وقد ختم الكتاب بفهارس للاعلام ، وللقبائل والفرق والجماعات، وللبلدان والامكنة والبقاع ، بالاضافة الى فهرست الكتب والمراجع طبعا •

ب • ادب المغاربة والاندلسيين في اصوله المصرية ونصوصه العربية :

وهو محاضرات القاها الشبيبي سنة ١٩٦٠ على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية في معهد الدراسات العربية العالية (معهد البحوث والدراسات العربية الآن) التابع لجامعة الدول العربية[*] •

ويحدّد الشبيبي[٢٩٨] في المقدمة اغراض محاضراته هذه بثلاثة اغراض

---

(٢٩٦) المرجع السابق : جـ٢ ص ١١٦ •

هذا والدكتور جواد يخالف الشيخ الشبيبي فى ذلك وفى كون هذا الكتاب هو كتاب (الحوادث الجامعة) • انظر نقده مجـ٦ (مجلة المجمع العلمي العراقي) ص ٣٧٢ •

(٢٩٧) مؤرخ العراق ابن الفوطي جـ١ ص١٧ •

* ظهر فى منشورات المعهد سنة ١٩٦١ مطبوعا بمطبعة الرسالة •

(٢٩٨) أدب المغاربة الأندلسيين ص٥ •

« أولها : التعريف بمخطوط نادر عني مصنفه بالترجمة لشعراء الأندلس والمغرب بأقسامه الثلاثة ، بالاضافة الى شعراء جزيرة صقلية ، وذلك بعد استيلاء الافرنج عليها في أواسط المائة الخامسة الى أواخر المائة السادسة • والمخطوط المذكور هو الجزء المجرد في شعراء الاقطار المذكورة من كتاب « الخريدة » للعماد الكاتب • ولا يخفى انه الجزء الوحيد الذي لم ينشر من هذا الكتاب • أما الغرض الثاني : فهو التعريف باصول مصرية بحتة ، أو مآخذ مغربية اندلسية ، بيد ان مصنفيها جاوروا في مصر ، أو لجأوا فيمن لجأ الى الديار المصرية من أهل الاندلس وجزيرة صقلية[٢٩٩] [أما الغرض الثالث فهو] : ايراد طبقة من شعراء المغرب والاندلس استجدنا شعرهم وأدبهم • وهم طبقة عني بذكرها المصنفون في هذا المعنى • ومنهم العماد الكاتب واخرون من أعلام الادب قبله ، عول العماد على كتبهم المصنفة في هذا الشأن »[٣٠٠] •

واضح ان نقطة الانطلاق في هذه المحاضرات هي مخطوطة كتاب العماد الاصفهاني ، « خريدة القصر وجريدة العصر » الذي اسماه الشبيبي « خريدة القصر وجريدة أهل العصر »[**] • ومعروف ان العماد الف « الخريدة » في

---

(٢٩٩) المرجع السابق ص٥ •

(٣٠٠) المرجع السابق ص٨ •

(**) يقول يوسف حسين بكار : « ان في تسمية الكتاب على هذا الشكل زيادة في كلمة « اهل » . وقد جاءت هذه الزيادة من اعتماد الشيخ الفاضل [يقصد الشبيبي] على ماجاء في نهاية النسخة المخطوطة التي اعتمدها والتي يرجع تأريخ كتابتها الى عام (١٠٠٧هـ) . وهنا لابد من الاشارة الى ان ليس الاستاذ الشبيبي وحده وقع في هذا فمن القدماء صاحب كشف الظنون الذي يسمي الكتاب « خريدة القصر وجريدة اهل العصر » ، وقد اعتمد هذه التسمية إيضا جرجي زيدان من المحدثين كما نجد للكتاب تسميات اخرى عند القدامى والمحدثين . ومما يؤكد عدم صحة كل ما تقدم من أسماء ما جاء على لسان العماد نفسه ، صاحب الخريدة ، حيث قال : « وقد سميته خريدة القصر في جريدة العصر ، لانها حسناء ذات حلى وحلل غانية » .

انظر : « نظرات في « أدب المغاربة والاندلسيين » للمرحوم الاستاذ الشبيبي : مجلة « الاقلام » مج٤ جـ٦ (شباط ١٩٦٨) ص٢٨ .

أقسام ، فقسم لشعراء العراق ، وقسم لشعراء الشام ، وقسم لشعراء مصر وصقلية والقيروان والاندلس[٣٠١] ، وقسم لشعراء العجم وفارس وخراسان[٣٠٢] وقد نشر أغلب هذه الاقسام[*] ، والشيبي جريا على دأبه في نشر التراث العربي والتعريف به رأى ان الجزء الخاص بشعراء المغرب والاندلس بقي وحده دون نشر[**] ، فقام بدرسه والتعريف به والانطلاق منه الى بحوث اخرى بعد عثوره على مصورة لمخطوطته في خزانة المجمع العلمي العراقي[٣٠٣] .

وقد بدأ محاضراته بالتحدث عن أعلام الادب في المائة السادسة ، من مشارقة ومغاربة ، ممن عنوا بتصنيف الكتب في طبقات شعراء عصورهم وما اليها، وقارن بين أساليب المشارقة ، والعماد منهم ، وبين اساليب المغاربة في التصنيف، وذهب الى تفضيل الاولين لانهم « كانوا أقرب الى الاحاطة والاستيعاب في مناهجهم، فكتبوا عن شعراء عصرهم من جميع البلاد ، ولم يقصروا بحثهم على شعراء اقليم معين »[٣٠٤] واتخذ « ابن بسام » صاحب الذخيرة » مثلا لمصنفي المغرب ،

---

(٣٠١) أدب المغاربة والاندلسيين : ص٩ .

(٣٠٢) بكار : المرجع السابق . الصفحة نفسها .

(*) ظهر قسم العراق في مطبوعات المجمع العلمي العراقي بجزءين الاول بتحقيق محمد بهجة الاثري والدكتور جميل سعيد سنة ١٩٥٥ والثاني بتحقيق محمد بهجة الاثري سنة ١٩٦٤ . وظهر قسم الشام في مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق بجزءين ايضا بتحقيق الدكتور شكري فيصل وطبع بالمطبعة الهاشمية بدمشق . الاول سنة ١٩٥٥ والثاني سنة ١٩٥٩ .

وظهر قسم مصر في مطبوعات لجنة التاليف والترجمة والنشر بجزءين بتحقيق احمد أمين والدكتور شوقي ضيف والدكتور احسان عباس سنة ١٩٥١ .

(**) يقول « بكار » : « وقد غاب عن الاستاذ ان قسما مهما من الخريدة لما يحقق وهو القسم الثاني الذي خصصه العماد لشعراء العجم وفارس وخراسان » .

انظر : المرجع السابق : الصفحة نفسها .

هذا وقد ظهر قسم المغرب في منشورات الدار التونسية للنشر بتونس بتحقيق محمد المرزوقي وجماعته سنة ١٩٦٦ .

(٣٠٣) أدب المغاربة والاندلسيين : ص٩ .

(٣٠٤) المرجع السابق : ص١١ .

ومضى في المقارنة بينه وبين العماد من حيث السير والتاريخ واتساع الرواية والاسلوب والطبقات واختيار الدواوين والتبويب والتقسيم ، وخلص الى تفضيل العماد[٣٠٥] . ثم تحدث ، معددا ، مآخذ العماد في قسم شعراء العراق من الخريدة[٣٠٦] ، وعن مآخذه في قسم شعراء مصر والقيروان والمغرب والاندلس[٣٠٧] . وهو يرى ان القاضي الفاضل كان قسيم العماد وشريكه في تأليف الخريدة[٣٠٨] وبعد ان تحدث عن القاضي الفاضل وتراث الفاطميين[٣٠٩] وعن شعراء العصر الفاطمي والديوان الفاضلي[٣١٠] ، وعن طعن العماد في نسب الفاطميين وعن علاقته بالايوبيين[٣١١] ، عقد فصلا بعنوان « دولة الفاطميين بين المشرق والمغرب »[٣١٢] تحدث فيه عن استيلاء الناصر صلاح الدين على الفاطميين في مصر ، وعن علاقته بالحكم العباسي في بغداد ، وبالمرابطين في المغرب. ثم عاد الى الحديث عن مآخذ العماد[٣١٣] . وهو في حديثه هذا عن المآخذ يعرضها ويذكر نبذة عن مؤلفيها ومؤلفاتهم .

وهو في نبذة بعنوان « تعليقات أندلسية »[٣١٤] يتحدث عن تعليقات لغوية وادبية وتاريخية وجدها على حواشي النسخة التي عثر عليها من الخريدة لمعلق لم يذكر اسمه . وهو يرجح انه من ادباء المغرب أو الاندلس الذين هاجروا الى مصر بعد ان ضاق بهم المقام في ديارهم[٣١٥] وبعد ان يثني على كاتب التعليقات ويذكر رأيه في النسخة ، يورد طائفة من تعليقاته[٣١٦] .

---

(٣٠٥) المرجع السابق : ص١٥ .
(٣٠٦) المرجع السابق : ص١٩ وما بعدها .
(٣٠٧) المرجع السابق : ص٢٢
(٣٠٨) المرجع السابق : ص٢٣ وما بعدها .
(٣٠٩) المرجع السابق : ص ٢٦ وما بعدها .
(٣١٠) المرجع السابق : ص٢٨ وما بعدها .
(٣١١) المرجع السابق : ص٣٠ وما بعدها .
(٣١٢) المرجع السابق : ص٣٢ وما بعدها .
(٣١٣) المرجع السابق : ص ٤٠ وما بعدها .
(٣١٤) المرجع السابق : ص٤٩ وما بعدها
(٣١٥) المرجع السابق : ص٥٠ .
(٣١٦) المرجع السابق : ص٥٠ وما بعدها .

وهو يعقد فصلا بعنوان « أعلام الفكر والفلسفة في دول الاندلس والمغرب »(٣١٧) يتحدث فيه عن الفكر في عصور ملوك الطوائف وعصور المرابطين بعد بلوغها « مرحلة بعيدة من النضج العقلي اختمرت فيها مذاهب مختلفة، اجتماعية واقتصادية وفلسفية كان من مظاهرها ضرب من الصراع العقلي بين طبقتين من الاندلسيين، أعلام الفلسفة والادب والشعر من جهة، ورجال الحكم والقضاء من جهة اخرى »(٣١٨)، وما لقيه الاولون من جور واضطهاد انعكس على آراء النقاد والمؤرخين لتلك الحركة الفكرية، فانقسموا الى فرق ومذاهب، بعضها كان على المعنيين بالحكمة والفلسفة والادب، والاخر كان لهم من المناصرين. ويضرب مثلا للفريق الاول بـ « الفتح بن خاقان » في كتابه « المطمح » و « القلائد »، و « ابن دحية » في « المطرب ». ويضرب للفريق الاخر مثلا بـ « العماد » في « الخريدة » و بـ « عبدالواحد المراكشي » في « المعجب في تلخيص أخبار المغرب ». ويتخذ للفريق الذي اتخذ موقفا وسطا مثلا « ابن بسام »، « الذخيرة »(٣١٩) وبعد ان يذكر نبذة عن منهج كل من ابن خاقان والمراكشي وابن بسام يتحدث عن « الغزالي بين انصاره وخصومه في الاندلس »(٣٢٠). ويتحدث عن « عصر الموحدين »(٣٢١)، فيقول انه « لم يكن للجمود والجامدين في عصر الموحدين تلك الصولة التي عرفت في عهد المرابطين، خصوصا في أيام يوسف بن عبدالمؤمن بن علي »(٣٢٢)، اذ ان الاخير قرّب الفلاسفة والعلماء، وعلى رأسهم « ابن الطفيل » و « ابن رشد ». ويعلق على روايتي عبدالواحد المراكشي وابن خلكان حول استدعاء ابن الطفيل لابن رشد بان « أمير المؤمنين - وهو لقبه عند الموحدين - أبا يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن يشكو من قلق عبارة أرسطا طاليس وغموض أغراضه ويقترح

---

(٣١٧) المرجع السابق : ص٥٨ وما بعدها .
(٣١٨) المرجع السابق : ص٥٨ .
(٣١٩) المرجع السابق : ص٦٠ .
(٣٢٠) المرجع السابق : ص٦٤ وما بعدها .
(٣٢١) المرجع السابق : ص٧٠ وما بعدها .
(٣٢٢) المرجع السابق : ص٧١ .

عليه تلخيص كتبه وتقريب أغراضها فكان ذلك هو الباعث لابن رشد على تلخيص كتب الحكمة حسبما نقل عنه »[٣٢٣] بقوله : « ولا تخلو هذه الرواية ـ فيما نرى ـ من تنميق أو تصرف ، خصوصا فيما يتعلق بمعالجة السلطان للبحوث من الفلسفة على وجه لا يحسنه الا المنقطعون لهذه البحوث ، ولا ينهض به الا أمثال ابن الطفيل وابن رشد من الحكماء »[٣٢٤] . ومما يناقشه أيضا من رواية المراكشي ، اخذه على ابن رشد تسمية ملك المغرب بـ « ملك البربر » وهي التي أدت ، برأي المراكشي ، بابن رشد الى ما أدت اليه ، بقوله : « لكن ابن رشد جرى على سجيته . ومن رأينا انه لم يكن ساذجا ولا مغفلا . وجائز ان يكون له رأي خاص في بداوة البربر . ولا يخفى ان علاقة الاندلسيين بالمغاربة وبدول المغرب لم تكن حسنة دائما الا في أوائل الفترة التي عبر فيها القوم الى الجزيرة الخضراء لنجدة أهل الاندلس ... وقد فاته ان ابن رشد لا يعرف المداورة ولا المخاتلة ولا أساليب الانشاء والمترسلين وانما هو فيلسوف ذو رأي وعقيدة ، يحاسب نفسه على كل كلمة تصدر منه ، ولا يحيد عن رأيه ولو كلّفه ذلك تحمل الاذى والاضطهاد »[٣٢٥] .

وهو في « طبقة مختارة من الشعراء »[٣٢٦] ، وهو القسم الثالث من المحاضرات ، اختار طائفة من شعراء المغرب وصقلية والاندلس ممن ورد ذكرهم في هذا الجزء من « الخريدة » وفي غير من المآخذ ممن لم يشتهروا فيعرفهم جمهور المتأدبين ، وذكر نبذة عن كل منهم وروى شيئا من شعره .

وواضح أن في هذه المحاضرات ما يشوب بعض المحاضرات من حيث كونها محتاجة الى شيء أفضل من التنسيق والتبويب ، ومن حيث كونها لا تخلو من استطرادات عرفت في اسلوب الشبيبي ، ولكنها ، في الوقت نفسه ، بادية الدلالة على سعة اطلاع الشبيبي في مجالها ، ورغبته في استكمال ما يطرقه من بحوث ،

---

(٣٢٣) المرجع السابق : ص ٧٢ .
(٣٢٤) المرجع السابق : الصفحة نفسها .
(٣٢٥) المرجع السابق : ص ٧٣ .
(٣٢٦) المرجع السابق : ص٨٢ وما بعدها .

كما تظهر روح الدفاع عن الرأي والفكر ، ومحاولة الدقة في اصدار الاحكام في الملاحظات التي أبداها ، بالاضافة الى وضوح تعلق الشبيبي بالتراث العربي ودعوته الى تتبع هذا التراث والتنقيب عن كنوزه لا سيما في ختام هذه المحاضرات[٣٢٧] .

جـ . تراثنا الفلسفي ، حاجته الى النقد والتمحيص :

يضم هذا الكتاب مجموعة البحوث التي القاها الشبيبي عندما دعي سنة ١٩٥٤ للمشاركة في المهرجان الالفي لابن سينا في طهران من قبل وزارة التربية الوطنية الايرانية ولجنة البحوث والاثار القديمة فيها . وقد نشره « بمناسبة انعقاد دورة مؤتمر مجمع اللغة العربية التي تعقد لاول مرة خارج القاهرة ، في بغداد[٣٢٨] سنة ١٩٦٥[*] .

وهو يبدأ حديثه بتمهيد تبدو فيه ذهنية الشبيبي المتفتحة البعيدة عن التعصب المؤمنة بعالمية المعرفة . فهو يرى في هذا التمهيد انه اذا كانت أكثر من امة واحدة من الامم الشرقية تتنافس في الادعاء بانتساب ابن سينا اليها فان ذلك « لا خير فيه ، ومن الخير ان نترك لكل امة حقها في ذلك ، كما وقع فعلا ، ففي مثل هذا الضرب من المباراة والتنافس رياضة للاذهان وشحذ للافكار . وهذه الحقائق لا تومض الى بعد تصادم الاراء »[٣٢٩] .

وهو بعد ذلك يرد من يقول بمعرفة ابن سينا بغير العربية والفارسية بما يستنتجه من أقوال ابن سينا نفسه[٣٣٠] . ويبدي رأيه في التراث العربي الفلسفي ومكانة ابن سينا فيه . فيرى انه قد وصل الينا تراث فلسفي ضخم اسهم فيه عدد كبير من الفلاسفة المسلمين ، قدامى ومحدثين « من أشهرهم ان لم

(٣٢٧) المرجع السابق ص١٣٧ .
(٣٢٨) تراثنا الفلسفي : ص٥
(*) ظهر في مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، مطبوعا بمطبعة العاني في بغداد .
(٣٢٩) المرجع السابق : ص٧ .
(٣٣٠) المرجع السابق : ص٨ .

يكن أشهرهم أبو علي الحسين ابن سينا المعروف بالشيخ الرئيس . فتراثه من الفلسفة اضخم تراث واتمه على الاطلاق »[٣٣١] . وهو يدعو الى العناية بتراث ابن سينا ، ويرى ان الكثيرين من ناشري هذا التراث المخطوط قد أساءوا اليه ، لا سيما في السنوات الاخيرة ، اذ كان نشره دونما عناية أو تحقيق[٣٣٢].

بعد هذا التمهيد يتحدث عما تحفل به مكتبات العراق وخزائن الكتب فيه ، ولا سيما في النجف ، من كتب نادرة ومخطوطات قيمة لتراثنا ، ليخلص الى الحديث عن احدى مجاميع المخطوطات التي تيسر له الاطلاع عليها ، وصفا وتعريفا . وتضم هذه المجموعة أربعة وعشرين كتابا أو رسالة ، كثير منها من تاليف الشيخ الرئيس ، وبعضها من جمع تلامذته .

بعد هذا الوصف لمخطوطات المجموعة والتعريف بها اختار ثلاثا منها مما كتب ابن سينا ، بين رسالة وكتاب ، وقام بعرضها ودراستها . وهي : رسالة الاسئلة والاجوبة[٣٣٣] التي أسماها في حديثه السابق أجوبة مسائل أبي ريحان البيروني لابي علي[٣٣٤] ورسالة ماهية العشق[٣٣٥] وكتاب المباحثات[٣٣٦] . وأورد الشبيبي خلال ذلك كله طائفة من الاراء والملاحظات .

فهو حين تحدث عن احدى مخطوطات المجموعة ، وهي « الخطب والتحميدات للشيخ الرئيس أبي علي » يدافع عن سلامة ايمان الشيخ الرئيس ، ذلك الايمان الذي اختلف فيه الباحثون ، مستشهدا بما ورد في هذه الخطب والتحميدات وفي غيرها مما كتب ابن سينا ، أو مما رواه من سيرته تلميذه الجوزجاني[٣٣٧] .

وهو يستغرب من ابن سينا حين يغض من مكانة الطب بالنسبة الى الفلسفة

---

(٣٣١) المرجع السابق : الصفحة نفسها .
(٣٣٢) المرجع السابق : ص٩
(٣٣٣) المرجع السابق : ص٢٢ وما بعدها .
(٣٣٤) المرجع السابق : ص١٠ .
(٣٣٥) المرجع السابق : ص١١ وما بعدها .
(٣٣٦) المرجع السابق : ص٥٦ وما بعدها .
(٣٣٧) المرجع السابق : ص١٠

الالهية . فهو يرى ان ابن سينا بنى جانبا كبيرا من شهرته على مهارته في الطب والعلاج ، في حين وجه الكثير من الطعون الى آرائه الفلسفية[٣٣٨] . وهو يشك شكا قويا في نسبة كتاب « السياسة » لابن سينا ، حين يشير الى نفاسته ، وذلك لانه يراه بعيدا عن اسلوب ابن سينا العلمي في التأليف ، وهو يرى في اسلوبه شبها باسلوب أبي حيان التوحيدي وطبقته من أئمة الترسل والانشاء والادب[٣٣٩] .

وانت تلاحظ خلال ذلك اعتزاز الشبيبي بالتراث العربي الفلسفي اذ يرد الذين يذهبون الى ان الفلسفة الاسلامية ما هي الا نقل وترجمة[٣٤٠] . وهو يذهب الى القول بأن « البيروني » سبق « بايكن » و « ديكارت » في نقدالفلسفة القديمة[٣٤١] . ويكشف عن وجه الاسلام الحقيقي في تعقيبه على ما ذهب اليه فخرالدين الرازي في رسالته « تحقير اللذات »[٣٤٢] ، احدى مخطوطات المجموعة الانفة الذكر ، فيقول : « وليس من السهل ـ فيما نرى ـ التوفيق بين رأي الرازي ودعوته هذه الى طريق القرآن في التجافي عن التعمق والتقعر في بحث العقائد ، ومذهبه في التشاؤم وتحقير اللذات حتى المعنوية منها ، كما نراه في هذه الرسالة ، وذلك لان دعوة الاسلام لا تنكر التفاؤل »[٣٤٣] .

والشبيبي يوفق بين الفلسفة والشريعة الاسلامية باصالة تأبى التقليد الاعمى. فهو يرى أن الفلسفة « صاحبة الشريعة والاخت الرضيعة »[٣٤٤] . وهو يرى في الصراع الذي مر بين علوم الشريعة والفلسفة انه اذا تمادى تقليد المقلدين وجمود الجامدين في المنقولات نشطت المعقولات وراجت المباحث الفلسفية ونبغ فيها من نبغ الى حين « ثم لما تمادى تقليد المقلدين وتخريف المخرفين بالحكمة

---

(٣٣٨) المرجع السابق : ص٣٣ .
(٣٣٩) المرجع السابق : ص١٦ .
(٣٤٠) المرجع السابق : ص٢٦ .
(٣٤١) المرجع السابق : ص٢٥ .
(٣٤٢) المرجع السابق : ص١٢
(٣٤٣) المرجع السابق : ص١٢ .
(٣٤٤) الارجع السابق : ص١٣ .

أو بما يسمى حكمة وليس بحكمة ، وداخلهم ما داخلهم من العجب والغرور والاعتداد بالرأي تنكر من تنكر لهم من حذاق المعارف الاسلامية وورثة الملة وعنوا بتقليم أظفارهم وردهم الى الصواب ... ان البلاء انما هو في التقليد الاعمى من أية ناحية جاء ، سواء من ناحية المعنيين بالمنقول أو المعقول »[٣٤٥] .

واختتم الشبيبي « تراثنا الفلسفي » بفصل في « أدوار مختلفة في تاريخ الفلسفة »[٣٤٦] تحدث فيه عما مر على الفلسفة الاسلامية من ازدهار وانحطاط ، وما كان يلقاه المعنيون بها من تشجيع أو عسف في عهود مختلفة أشار فيه الى العهد المبتدىء بالمأمون والمنتهي بالمتوكل . ثم تحدث بشيء عن عصور العباسيين وعصور بقية الدول الاسلامية بعد المتوكل ، منيطا الازدهار والانحطاط بميل ولاة الامر من خلفاء أو حكام وبمدى عنايتهم بالبحث والنظر وتشجيعهم لحرية الرأي من جهة ، وبغاية الفلسفة من جهة اخرى . ثم تحدث عن بعض الفلاسفة على ضوء ما عثر عليه لهم من مخطوطات ، ممن ناقض ابن سينا أو المشائين ، الى استطرادات اخرى[٣٤٧] .

واهتمام الشبيبي بالفلسفة قديم . فقد حدثنا عنه منذ انصرافه في أول حياته الى الدراسة الحرة[٣٤٨] كما حدثنا رفائيل بطي في كتابه « الادب العصري في العراق العربي »[٣٤٩] ان للشبيبي كتابين مخطوطين في الفلسفة هما : « تاريخ الفلسفة من أقدم عصورها الى اليوم لا سيما الفلسفة العربية » و « فلاسفة اليهود في الاسلام » . والشبيبي لم يخرج هذين الكتابين ، كما لم يخرج غيرهما مما ذكر بطي ، ولم نعثر على مسودات هذين الكتابين . وسنتحدث عنهما في حديثنا عن آثار الشبيبي الاخرى في الصفحات المقبلة .

---

(٣٤٥) المرجع السابق : ص٣٥ .
(٣٤٦) المرجع السابق : ص٨٣ وما بعدها .
(٣٤٧) المرجع السابق : ص٩٩ وما بعدها .
(٣٤٨) «ترجمة السيد محمد رضا الشبيبي» بقلمه، مجلة المجمع العلمي العربي مج٨ جـ٨ (آب ١٩٢٨) : ص٤٩٤ .
(٣٤٩) جـ١ ص١١٤ .

هذا وللشبيبي ، بالاضافة الى ما ذكرنا هنا ، وفيما مر في حديثنا عن « الشبيبي واللغة العربية » بحوث ودراسات اخرى في التراث العربي ، منها تحقيق لكتاب « احصاء العلوم » للفارابي نشره في مجلة « العرفان »(٣٥٠) بعد عثوره على مخطوطة له(*) ، وبحوث هي « التربية في الاسلام »(**) و « القاضي ابن خلكان ، منهجه في الضبط والاتقان »(***) و « ابن خلكان وفن الترجمة، وابن خلكان المؤرخ »(****) و « البلوي في كتابه ألف باء »(*****) بالاضافة الى غيرها من البحوث .

---

(٣٥٠) مجـ٦ جـ١ ـ ٦ (كانون الاول ١٩٢٠) .

(*) حققه بعد ذلك د . عثمان أمين في كتاب صدرت طبعته الثالثة سنة ١٩٦٨ نشر مكتبة الانجلو المصرية في القاهرة .

(**) القي في دار المعلمين العالية ببغداد مساء ٦ شوال ١٣٧٧هـ ـ ٢٦ نيسان ١٩٥٨ . ونشر في كراس سنة ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٩م . مطبوعا بمطبعة المجمع العلمي العراقي .

(***) طبعته الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية في القاهرة سنة ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣ م .

(****) وهما بحثان ، القيا مع ما يليهما من بحوث في مجمع اللغة العربية. وقد جمعا في كراس واحد (دون ذكر مكان الطبع ولا تاريخه) قد كتب على الغلاف ان البحث الاول القي في ٦ شوال ١٣٨١هـ ـ ١٢ مارس (آذار) ١٩٦٢م . والقي الثاني في ١٦ شوال ١٣٨١هـ ـ ٢٢ مارس (آذار) ١٩٦٢ م .

(*****) لم يذكر مكان الطبع ولاتاريخه . وقد القي هذا البحث كما كتب على غلافه في يوم الثلاثاء ٢٢ شوال سنة ١٣٨٤هـ ـ ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٦٥م .

الشبيبي والرحلات :

طرح على الشبيبي مرة سؤال عن الكتاب الذي يؤثر قراءته لما فيه من متاع فني ، فأجاب : « يصعب الاقتصار على تسمية كتاب بعينه من الكتب التي تستدرجني الى القراءة لمتعتها الفنية ، وقد يبدو غريباً اذا قلت : اني مولع بفن الرحلات •• رحلات القدماء والمحدثين ••• ومزايا الرحـــلات التي تستميلني الى قراءتهـــا كثيرة : (١) ان هذه الرحلات في تسلسل حوادثها وفي حبكها أحيانا ، وانتقالهـا بالقارىء من موقف شائق الى اخر أشبه شيء بالقصص والروايـــات الممتعة (٢) تبدو ملكة النقد ، نقد الاخلاق والعادات ، ودقة الوصف ، وصف محاســـن الطبيعة ، ومظاهر العمران ، وغير ذلك من الملكات ، ظاهرة كل الظهور في كتب الرحلات (٣) ان ساعة تخلو فيها الى الرحلات تغنيك عن أيام وشهور تبددها بين الكتب والاثار ، وتنقلك في لمحات الى آفاق من المعرفة ، وكنوز من التجارب• ثم انك تستعرض في هذه الساعة مواكب الاجيال ، وصور العصور ، تحس فيهـا دبيب الحياة وتدفق النشاط وكأنك في مشهد لا نهاية لما فيه من متاع أو عبـر ودرس •

هذا وكثير من امهات كتب الادب مثل كتب الجاحظ والاغاني ••• »(٣٥١)•

نلاحظ ان الشبيبي قدم كتب الرحلات على غيرها من الكتب التي تستهويـه قراءتها لمتعتها الفنية ، وفصّل سبب استهواء هذه الكتب اياه • والحقيقة اننـــا نقرأ الكتب ، بالاضافة الى ما فيها من متعة فنية ، نتطلب فيها خلاصة معـــارف الاخرين وتجاربهم ، فنصل ، قدر الامكان ، الى ما وصـلوا اليه من معـــرفـة نستخلص منها العبرة والدرس ، كما قال الشبيبي ، ونستهدي بها في هذه الحياة• فان المرء ، مهما أوتي من طول عمر وتفرغ ومال ، غير قادر على ان يلم بنفسه بمعارف البشرية وتجاربها كافة ، فذلك مستحيل واضح الاستحالة ، لذلك يعمد

---

(٣٥١) « حوار قديم في الادب والفلسفة وفي مآخذ الدراسات العراقيـــة » : مجلة « الحديث » ، العدد المفقود .

الى الكتاب ، يطلب منه هذه المعارف والتجارب ، مجمّعة جاهزة مصنّفة ،وبقدر أقل من الجهد والتضحية • فقد عمدت البشرية الى ضم معارفها وتجاربها بين دفتي الكتاب ، ليقدم السابق ما وصل اليه الى اللاحق ، ليفيد هذا منه ،ويكمل ما بدأه الاول ، أو يصلح ما فيه من نقص • والحقيقة أيضا ، وبعد ذلك أو قبله ، أن البحث ، كما يقول الشبيبي(٣٥٢) « الذي يعتمد على تصفح الكتب وحدها بحث ناقص ، ولا يتم الا اذا اقترن بالمشاهدة والعيان أو بالتطبيق ، وما راء كمن سمعا ، كما جاء في المثل العربي المشهور » ولكن ما الحيلة ؟ والانسان كائن محدود القدرات ، محدود البقاء على ظهر هذا الكوكب ! •

عرفنا رأي الشبيبي في الرحلات ، واذا أضفنا اليه أن الشبيبي أحد أبناء النجف ، تلك المدينة التي حدثنا بنفسه عن أبنائها فقال : « عرف النجفيون يبعد الهمة في الترحال والاقدام والاغتراب • وهم من أبعد الناس نجعةً في المكاسب والتجارات • شهد بذلك لهم من زارهم من الراحالين ، وفي مقدمتهم ابن بطوطة »(٣٥٣) عرفنا مقدار هيام الشبيبي بالرحلات • ولكن الرحلات الكثيرة المتصلة أمر لا يتاح لكل امرىء من الناس • واذن فقد وجد الشبيبي ان أفضل الطرق الى ما يريد هو مطالعة كتب الرحلات •

ذلك شيء •

والشيء الاخر انه قد أتيح للشبيبي أن يقوم برحلة الى الحجاز سنة ١٩١٩ ومنها الى الشام ، منتدبا من العراقيين ، كما مر بنا ، عاد بعدهما الى العراق عن طريق بادية الشام أو بادية السماوة • كما أتيح له ان يزور طهران، عاصمة ايران ، سنة ١٩٥٤ ، وقت ان دعي للمشاركة في المهرجان الالفي لابن سينا • كما اتيح له ان يزور الكويت سنة ١٩٥٩ ، للمشاركة في موسمها الثقافي الخامس • وقام برحلة الى المغرب ، مدعوا للمشاركة في احتفالات الذكرى المائة بعد الالف لجامعة القرويين •

---

(٣٥٢) « كلمة الاستاذ الكبير الشيخ محمد رضا الشبيبي » : الكتاب الذهبي جامعة القرويين في ذكراها المائة بعد الألف ص٢٩

(٣٥٣) رحلة في بادية السماوة : ص٢ .

وقد سجل الشبيبي نتفا من رحلة الحجاز ، وسجل رحلتيه في بادية السماوة ، والى المغرب ، كاملتين .

وقد آن لنا ان نتحدث عما سجل من رحلاته .

يقول الشبيبي :[٣٥٤] « تيسر لكاتب هذه الكلمة قبل أكثر من أربعين عاما القيام برحلة بعيدة المدى ، قطع خلالها مفازتين كبيرتين من مفاوز البلاد العربية . قطع المفازة الاولى من الشرق الى الغرب ، أو من بادية البصرة الى مدينة حائل في نجد ، ثم الى المدينة المنورة في الحجاز ، مارا ببقاع وسهول وجبال وقبائل شتى ، في مراحل تعد سبعا وعشرين مرحلة . وقطع المفازة الثانية من الغرب الى الشرق أو من بادية الشام ، التي تعرف بالسماوة ، الى ضفاف نهر الفرات ، في مراحل تعد ستا وعشرين مرحلة ، مارا بفلوات موحشة ، وبوادي شاسعة . ولما كانت ماجريات هذه الرحلة الثانية مضبوطة أو محفوظة أكثر من الاولى قدمناها الى النشر على تلك الرحلة النجدية . راجين أن يجد فيها الناظر شيئا من المتعة والفائدة » .

وهكذا نشر رحلته في بادية السماوة . وقد نشرت لاول مرة في «مجلة المجمع العلمي العراقي »[٣٥٥] ونشرت مرة ثانية في كتاب مستقل بالعنوان نفسه ، « رحلة في بادية السماوة »[*] مستلة من المجلة .

أما رحلته الى الحجاز ، أو رحلته النجدية ، كما اسماها أعلاه ، والتي هي كما يبدو « غير مضبوطة أو محفوظة » بالنسبة الى رحلته في بادية السماوة، والتي ربما بقيت كذلك ، اذ انها لم تر النور ، فلا نعرف عنها سوى ما ذكره من اشارات اليها في رحلته في بادية السماوة ، وفي اجابته عن اسئلة وجهها اليه فريق المزهر آل فرعون في كتابه : « الحقائق الناصعة في الثورة العراقية في سنة ١٩٢٠ ونتائجها »[٣٥٦] عن مطالبة العراقيين بالاستقلال،وانتدابهم اياه

---

(٣٥٤) المرجع السابق : ص جـ المقدمة .
(٣٥٥) مجـ١١ (١٣٨٤هـ ــ ١٩٦٤م) : ص ــ هـ ٣٢ .
(★) طبع بمطبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٣٨٤ هـ ــ ١٩٦٥ م .
٣٥٦ جـ١ ص٥٧ وما بعدها .

لمقابلة الملك حسين • وها نحن ننظر في رحلته في بادية السماوة ، ثم في رحلته الى المغرب •

ا • رحلة في بـادية السماوة :

يبدأ الشبيبي رحلته بمقدمة تلفت النظر لا بطولها فحسب ، اذ يزيد عدد صفحاتها على عدد صفحات الرحلة نفسها بنصف عدد الصفحات ، بل بكونهـا استقصاءا لكثير من كتب التراث التي ورد فيها ذكر لهذه البادية ولـو بصـورة قصيرة •

وهو في هذه المقدمة يتحدث عن طبيعة هذه البادية ، مقارنا بينها وبـين البادية النجدية • ثم يتحدث عما أسماه « السماوة في ميادين الكفـاح[٣٥٧] ، ذاكرا المعارك العربية التي وقعت في هذه البادية ، ومنها معركة « صفين »المعروفة، لينتقل بعدها الى الحديث عن قبيلة « كلب » التي لا تذكر هذه البادية ، كمـا يقول ، في كتب البلدان والتاريخ والانساب غالبا الا مضافة اليها[٣٥٨] • بعـد ذلك يعقد فصلا بعنوان « رواد السماوة »[٣٥٩] يتحدث فيه عن رحلة خالـد بن الوليد من العراق الى الشام • عن طريق هذه البادية ، باعتباره أول قائد أو صحابي فاتح أقدم على قطع هذه البادية من الشرق الى الغرب[٣٦٠] ، كما يتحدث عن رحلة أبي الطيب المتنبي في البادية نفسها في طريقه من مصر ، ذاكر مراحل رحلته بين القاهرة والكوفة ، مختتما ذلك بنبذة عن حياة المتنبي ومغامـراته • وأخيرا يتحدث عن رحلة السمعاني في طلب الحديث وزيارته العراق ، واتصاله بدو السماوة ،ليخلص الى ذكر نبذة عن قبائل السماوة في عصر السمعاني •

والشبيبي في مقدمته تلك يبدي خلال حديثه بعض الآراء والملاحظـات المهمة • فهو حين يتحدث عن كتاب « فتوح الشام » المنسوب الى الواقـدي ، يقول : « لا بد لمن يعنى بدراسة هذا الكتاب من أن يساوره شك قوي فـي

(٣٥٧) ص : ق .
(٣٥٨) ص : خ .
(٣٥٩) ص : حح .
(٣٦٠) الصفحة نفسها .

نسبته الى الواقدي ، المؤلف الشهير في السير والتاريخ . فالكتاب لا يخلو من قصص محدثة متأخرة ، يشهد بذلك الاسلوب المتبع في تأليفها وكتابتها . وهو اسلوب ضعيف متأخر ، يختلف عن اسلوب الواقدي وطبقته في باب السير والتاريخ . وفي تضاعيف الكتاب اضطراب غير قليل »[٣٦١] . وهو اذ ينقل عن « معجم ما استعجم » للبكري يصحح بعض ما يورده البكري من معلومات. فهو اذ ينقل قوله : « السماوة ، بفتح أوله ، مفازة بين الكوفة والشام . وقيل بين الموصل والشام . وهي أرض كلب »[٣٦٢] يعقب قائلا : « ولا يخلو من غرابة ، اذ المعروف ان الموصل من ديار ربيعة ، وان الجزيرة من بلاد مضر . وأين بلاد ربيعة ومضر وديار بكر من سماوة بني كلب ، وبينهما النهران الرافدان ، دجلة والفرات ؟ والفرق جسيم بين هذا التحديد وقول من يقول : أرض بين الكوفة والشام ، اذ لا يعترض الحدود بين باديتي الكوفة والشام ، ولا يفصل بينهما فاصل من قبل هذه الانهار »[٣٦٣] . وهو حين يتحدث عن التقاء الضحاك بن قيس الفهري مع حجر بن عدي ، عند اغارة الاول على الحيرة ، يقول : « ومن رأينا ان هذه الغارة التي قام بها الضحاك الشامي على الحيرة سالكا بادية الشام وقعت في فصل الربيع أو الخريف ، وفيهما يمكن قطع هذه المفازة للجيوش ، خصوصا اذا كانت فرسانا أو خليطا من الفرسان وغيرهم . فان الضحاك اتجه من السماوة جنوبا الى حدود الديار النجدية ، ثم عاد الى طفوف بادية الفرات والحيرة »[٣٦٤] .

بعد هذه المقدمة يبدأ الحديث في الرحلة . وقد جعلها على مراحل ، متخذا المرحلة العربية ، وهي مسيرة يوم واحد ، أساسا لحساب المسافات ، اذ لم تكن معهم وسائل للقياس غير هذه الوسيلة[٣٦٥] . وقد استغرقت الرحلة ستا

---

(٣٦١) ص : هـ .
(٣٦٢) ص : م .
(٣٦٣) ص : م ايضا .
(٣٦٤) الصفحة نفسها .
(٣٦٥) ص : جـ .

وعشرين مرحلة ، سجله خلالها الزمن الذي استغرقه مسيرهم من موضع الى موضع باليوم والساعة ، في جدول ألحقه باخر الكتاب ، بعنوان : « مراحل السفر في بادية السماوة على الهجين » ، على النحو التالي :

		الساعة غروبية	
٢٧ تشرين الأول ١٩٢٠	تحركنا من الشام	٢	صباحا
٢٧ تشرين الاول ١٩٢٠	وصلنا « ضمير »	٨ر٥	مساء

... وهكذا[٣٦٦]

وقد بدأت الرحلة في يوم الاربعاء ١٤ صفر عام ١٣٣٩هـ الموافق ٢٧ تشرين الاول عام ١٩٢٠ وانتهت في يوم الاحد ١٠ ربيع الاول الموافق ٢١ تشرين الثاني من العام نفسه . وكانت بدايتها في دمشق ، بعد ان سلخ الشبيبي فيها وفي غيرها من حواضر الشام سنة كاملة[٣٦٧] . وكان يشاركه رحلته هذه رفيق عراقي ، وصفه الشبيبي دون ان يذكر اسمه[*] . وكانت الرحلة بمعية قافلة تحمل بضائع وسلعا من تجار دمشق الى تجار العراق ونجد ، على الابل النجيبة .

وقد سجل الشبيبي انتقالهم من موضع الى موضع ، ومن منزل الى منزل ، مستعينا على تعرف أسماء المواضع والمنازل بادلاء القافلة وخفرائها[٣٦٨] على شكل يوميات نظمها ، كما يبدو ، بعد عودته ، وراجع ما احتاج الى مراجعته من أسماء المواضع وغيرها في المراجع والمظان . اذ كثيرا ما يذكر اسم الموضع ويعقب عليه قائلا : انه اسم حديث ، أو مرتجل ، أو انه في معجم البلدان ، مثلا ، كذا ، أو هو لم يذكر . فهم ، مثلا ، اذ نزلوا في موضع يقال له

---

(٣٦٦) ص : ٣ .
(٣٦٧) ص : ١ .
(*) هو رشيد الخوجة . عن رسالة خطية الي من البحاثة السيد عبد الرزاق الحسني بتأريخ ٤ تشرين الثاني ١٩٦٩ .
(٣٦٨) ص : جـ .

« الصيقل » ، يقول : « والغالب انه اسم حديث أو مرتجل • ولم يرد في معجم البلدان لياقوت »(٣٦٩) • وهو يقول عن موضع اسمه « السبع بيار » : « وقد أطلق اسم « السبع بيار » على مكان اخر غير هذا المكان • قال ياقوت : ••• »(٣٧٠) • وهو يقول عن موضع يقال له « الولج » : « ولم يذكره ياقوت وانما ذكر « الولج والولجة » على انها مواضع في الحجاز والعراق والمغرب »(٣٧١) وهو يقول عن واديي « صواب » و « صويب » : « واللفظتان ، على الاكثر ، من جملة الاعلام أو أسماء الاماكن المرتجلة عند المتأخرين من أهل البادية »(٣٧٢) •

وهو أحيانا يتعرض الى قضايا لغوية ، وهو الرجل المعني باللغة العربية • فهو حين يقول « فوّزنا »(٣٧٣) يعقب عليها بقوله : « والكلمة ، أعني فوزنا ، بهذا المعنى ، عربية فصيحة • يقال : فوز بابله أي ركب المفازة » وهو اذ يذكر موضع « الولج »(٣٧٤) المار ذكره ، يقول : « قال الفيروز آبادي :الولج، الطريق في الرمل » • وعندما يتحدث عن وادي « الگمرة »(٣٧٥) بالكاف الفارسية ، يقول : « هذا ونرجح ان لفظة « الگمرة كما يلفظها البدو ، محرفة عن « القارة » • والقارة في اللغة وكلام البلدانيين ، تعني : الاكمة أو الحرة ، وهي أرض ذات حجارة سود متفرقة خشنة » • وعندما يصلون الى موضع يقال له « معيشر »(٣٧٦) يقول : « وفيه كان (معشانا) كما يقول البدو ، أو متعشانا ، كما ينبغي أن يقال • ويقصدون ، بمعشاهم المكان الذي ينزلونه لاجل تناول العشاء والمبيت فيه • وكان العرب الفصحاء والمستعربون القدماء

(٣٦٩) ص : ٥ •
(٣٧٠) ص : ٦ •
(٣٧١) ص : ٩ •
(٣٧٢) الصفحة نفسها •
(٣٧٣) ص : ٦ •
(٣٧٤) ص : ٣ •
(٣٧٥) ص : ١٤ •
(٣٧٦) ص : ١٧ •

يستعملون لتأدية هذا المعنى كلمتي « المغدى » و « المراح » . فالمغدى منزلهم أو منزل ركبانهم في المساء . وأصله غدو الرعاة ورواحهم بماشيتهم . وفي الآية الكريمة : ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون » .

وهو يتحدث عن بعض أنساب من يصادفونهم من النازلين بعض المواضع، كما فعل في « الدهامشة » النازلين قرب ماء « الگمرة »(٣٧٧) ، وعن أنساب بعض مالكي بعض المواضع ، كما فعل في حديثه عن « الشيخ فهد بن هذال » صاحب « الفيضة »(٣٧٨) .

والرحلة وثنايا مقدمتها تعكسان بعض ما صادفه من شؤون أهل تلك البادية وعاداتهم . فمن طريف ما حدثنا عنه استخفاف بدو القافلة من بطء حركة رفاقهم الحضر ، وعن خفة النساء البدويات حين قال : « بقينا في نظر فريق من هؤلاء البدو الخلّص ، مضافا الى من لقيناهم في البادية من الاعراب ، لغزا غامضا لا حل له ، ملامح غير مألوفة لرفاقنا في الاشكال والالوان . ولا يكتمك بعض القوم زرايتهم على ثقل خطانا وبطء حركتنا ومظاهر الترهل في أبداننا . وطالما جوبه الحضر المستضعفون من أهل القافلة بهذه العبارة : « ما أثقلكم على وجه الارض ! » وقد لاحظنا ان البدويات من نساء القوم أكثر رشاقة وأخف حركة وأعظم جلدا وصبرا من رجالنا المنغمسين في أسباب الحضارة . ولا عجب ، فالشجرة البرية أصلب عودا وأبطأ خُموداً ، كماقال الامام علي عليه السلام »(٣٧٩) .

ويتحدث عن بدو السماوة والصلاة فيقول : « ولم نجد بدو الشمال أو بدو السماوة من مقيمي الصلاة ، وذلك بعكس اخوانهم بدو الجنوب ، أو بدو الديار النجدية ، فهم أحرص أبناء الجزيرة على اقامة الصلاة وخصوصا الصلاة الجامعة »(٣٨٠) .

---

(٣٧٧) ص : ١٣ .
(٣٧٨) ص : ٢١ .
(٣٧٩) ص : هـ .
(٣٨٠) ص : ٧ .

ويحدثنا عن عادة البدو في اكرام ضيفهم حين تحدث عن نزولهم على عرب « المحينات »[٣٨١] • فيقول : « دعينا الى تناول طعام العشاء بعد المغرب • وقد أرخى الظلام سدوله على بيوت القوم • وغاب العرب المضيفون ساعة ، وأطفأوا الضياء • كل ذلك حرصا على حرية أضيافهم ساعة تناول الطعام • وهذه عادة قبيلة عنزة ، وقد توجد عند غيرهم من أحياء العرب » •

ومن طريف ما حدثنا عنه مما صادفهم في هذه الرحلة حديثه عن ليلة « الضويع » ، وهو واد من وديان البادية • حين قال : « وقد استحوذ علينا القلق ليلة الضويع ، ولم تغمض لصحبنا عين الى الصباح • وذلك لاشتباهنا بغارة شنها علينا جيش من البدو الغزاة • ومن عادة القوافل التي تقطع البوادي اذا توقعت شرا أو بوغتت بغزو أن تنتظم في شكل دائرة تامة تحيط بها أحمال البضائع وبعدها الرواحل والجمال ، يكمن خلفها الرجال باسلحتهم ، كما يكمن الجنود في خندقهم ، متأهبين للطوارىء • وهكذا فعلنا نحن في تلك الليلة • وكنا نطلق النار بكثرة على أشباح وهمية • وما أكثر الاشباح في آفاق الصحراء• ولما أصبح الصباح ظهر لنا اننا كنا نطلق النار على كلب تائه ضل أهله ، وراح يتتبع آثار القافلة »[٣٨٢] •

هذا وقد ألحق بالرحلة عدة فهارس ، بالاضافة الى فهرست المحتويات والمراجع طبعا ، الحق فهارس للاعلام الواردة فيها ، وللقبائل والفرق والجماعات ، وللبلدان والامكنة والبقاع •

ب ـ رحلة الى المغرب الاقصى :

وقد كتب هذه الرحلة بعد زيارته المغرب مع الوفد العراقي في خريف عام ١٩٦٠ ، مدعوا من قبل وزارة التربية الوطنية في المغرب ، للمشاركة في

---

(٣٨١) ص : ١٧ .
(٣٨٢) ص : ١٦ .

الإحتفال بمرور أحد عشر قرنا على تأسيس جامع القرويين ومدرسته في فاس(*). وقد دامت هذه الزيارة خمسة عشر يوما(٣٨٣). وقد كان لهذه الرحلة هوى في نفسه، إذ كان في تلبيتها تحقيق أمنية من أعز الاماني عليه(٣٨٤).

وقد نشر هذه الرحلة أول مرة في «مجلة المجمع العلمي العراقي»(٣٨٥) ثم أخرجها في كتاب مستل من المجلة المذكورة(**). وقد الحق بها فهارس شبيهة بتلك التي ألحقها برحلته في بادية السماوة. وهو لم يكتبها على شكل يوميات كما فعل في الأولى، ولم يقدمها بمثل مقدمتها الطويلة، وانما جعلها على نبذ، تقصر أو تطول، حسب ما يقتضيه المقام في مشاهداته وانطباعاته.

وقد بدأها بالحديث عن تجزئة الاستعمار للبلاد العربية(٣٨٦) وعن العلاقات القومية بين المشرق والمغرب العربيين(٣٨٧) وعن الرحيل الذي قام به طالبو العلم من مغاربة واندلسيين في عهود العرب الماضية الى المشرق، وما قام به المشارقة الى المغرب(٣٨٨) ثم انتقل الى الحديث عن طريق رحلته الى المغرب، وكانت بالطائرة. ثم وصول الوفود المدعوة وتنقلاتها في مدن المغرب وحواضره، حسب المنهاج الذي أعد لهم. ولنستمع الى بعض هذا الحديث. يقول الشبيبي(٣٨٩): «من الدار البيضاء، وهي حاضرة التجارة ومرسى السفن في المغرب، اتجهنا الى الرباط، حاضرة السياسية، وذلك بعد ظهر الاثنين ٣-١٠-١٩٦٠. ولا تزيد المسافة بينهما أكثر من ١٠٠ك، قطعناها

(*) وقد القى في هذه المناسبة كلمتين. انظر: الكتاب الذهبي، جامعة القرويين في ذكراها المائة بعد الألف: كلمة الاستاذ الكبير الشيخ محمد رضا الشبيبي، ص٤٩، والطبيعة في المغرب، ص ٩٦.

(٣٨٣) رحلة الى المغرب الأقصى: ص١٥.

(٣٨٤) المرجع السابق: ص٤.

(٣٨٥) مجـ ١٢ (١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م) ص ٣ - ٤٠.

(**) طبع بمطبعة المجمع العلمي العراقي عام ١٩٦٥.

(٣٨٦) ص: ٣.

(٣٨٧) ص: ٤.

(٣٨٨) ص: ١١.

(٣٨٩) ص: ١١

في طريق معبدة مظللة بالاشجار ، واجتزنا أودية بمياه راكدة ، وغابات كثيفة وبقاعا مخضوضرة ، كنا نظنها فيما مضى بقاعا جرداء • وبعد المكث ثلاثة أيام في الرباط ، عاصمة المغرب ، وضع لنا منهج يتضمن جولة شائقة في أرجاء عدة ، منها ما يقع الى الشمال ، ومنها الى جهات اخرى ، بدأنا فيها من الرباط الى طنجة وتطوان ، وبعض مدن الريف ، قلعة الثوار ومعقل المجاهدين الاحرار • وعدنا من هذه المنطقة الشمالية ، في أعقاب رحلة شاقة طويلة بسيارات من الحجم الكبير في الغالب ، الى مكناسة الزيتون وجبل زرهون • ودعينا الى مصيف ايفران ، وهو منطقة جبلية تكثر فيها الغابات وتتوفر المياه الجارية العذبة والمروج الخضراء • وتعد ايفران من أحسن مصايف المغرب ، ينتجعها الراغبون في الاستجمام » •

ويمضي في الحديث عن تنقلاتهم على هذه الشاكلة •

ونلاحظ أن ما مر ان هو الا مشاهدات سريعة وانطباعات خاطفة •وماذا نتوقع غير ذلك من عضو في وفد يتجول مع مجموعة وفود في سيارات كبيرة في الغالب ، وفي طرق مرسومة توصل الى مناطق معينة ومواضع محددة رسم منهجها من قبل الحكومة الداعية ؟ •

ورغم ذلك فقد احتوت الرحلة على انطباعات مفيدة وملاحظات مهمة • فقد صور لنا جانبا من الطبيعة في المغرب ، كما مر بعضه ، كما صور بعض جوانب الحياةالسياسية والاجتماعية والثقافية فيه ، بأسلوب لا يخلو منصراحة• فقد ذكر ان بعض المغاربة قد وقف موقفا سلبيا من المهرجان ، ورد ذلك الى ان « منهم ، فيما يبدو ، من يحن الى عهد قديم حوربت فيه رسالة القرويين[٣٩٠] • وقد استغرب من جهل رجل الشارع المغربي بالغاية التي جاءت من أجلها الوفود ، وبالغرض من المهرجان ، من وجوم وسائل الاعلام والمنظمات تجاه المهرجان ، فقال : « كانت مواكبنا تسير في شوارع الرباط وطنجة وفاس وتطوان ، ومكناسة ، حيث يتجمهر الناس من حولها وهم لا يعلمون

---

(٣٩٠) ص : ١٢ .

ما هذه المواكب ومن أين جاءت ؟ ولاحظنا ان رجل الشارع لا يعرف عنها أكثر من انها مواكب سواح . وكانت الصحافة والاذاعة اللاسلكية واجمة كذلك ، مع انهما صحافة واذاعة رسميتان . فلا الصحافة ولا الاذاعة ولا الاحزاب ولا الجمعيات كانت معنية بهذا العيد العظيم »[391] .

وتحدث عن خنق الحريات في المغرب ، وعن مظاهر الفقر ، وقلة العناية بالشؤون الصحية ، فقال : « ولاحظنا في البلاد ضربا من الكبت والحجر على الافكار ، لعله من بقايا ذلك العهد الذميم عهد الحماية . ولا تخلو الاحياء القديمة من المدن ، وفي مقدمتها فاس ، من مظاهر الفاقة والحرمان... ولاحظنا أيضا ، ان الاحياء القديمة في حواضر المغرب لا تتوفر فيها شروط الصحة ، وخصوصا في فاس القديمة ، فانها لا تخلو من المستنقعات ، ولكنها قليلة المجاري والمصارف التي تدفع المياه الاسنة الى أماكن بعيدة »[392] .

وحدثنا عن سكان المغرب . فهم خليط من العرب والبربر . والاخيرون أكثر من العرب وأقل تحضرا ، وهم العنصر القديم من سكان البلاد . وكلهم مسلمون . وفي أصلهم أقوال ، منها ما يردهم الى عرب الجزيرة ، ومنها ما يردهم الى غير ذلك من الاصول . وفي لغتهم أقوال من قبيل ذلك[393] .

وقد لفتت نظر الشبيبي أزياء العامة في المغرب ، وما فيها من احتشام ونظافة . فحدثنا عنها قائلا : « وأزياء العامة ، فيما لاحظناه ، وبالخاصة في الاقاليم الشمالية ، محتشمة ، فالذكور يلبسون القمصان والاقبية والعمائم على الاكثر . والنساء الازر والملاءات واللون المفضل هو البياض . ولا تنقصه النظافة في كثير من الاحيان . وهذا الزي قديم . وهو زي يحجب مفاتن المرأة، وينأى بها عن التبرج والبذلة »[394] .

وما تبقى من الرحلة تحدث فيه عن التربية والتعليم في المغرب ، وعن

---

(391) الصفحة نفسها .
(392) ص : 13 .
(393) ص : 15
(394) الصفحة نفسها .

اللغة ، وعن البربرية ولهجاتها . وأخيرا تحدث عن الخط المغربي وتفضيله المشرقي عليه ، مستعينا ببعض آراء ابن خلدون في بعض ما ذهب اليه .

فقد رأى أن في التعليم المغربي ثلاثة اتجاهات . الاول : يدعو الى المحافظة على الدراسة السلفية التقليدية . والثاني : يدعو الى الاندفاع نحو علوم الغرب والثالث : يدعو الى التوفيق بين الاتجاهين والافادة مما فيهما من خير(٣٩٥) .

كما رأى ان اللغة الفرنسية شائعة في خطاب أهل المغرب نتيجة للحماية الفرنسية له في زمن سابق . وان المغرب جاهد في نشر العربية(٣٩٦) . وان لهجة المغاربة هي خليط من الفاظ عربية وبربرية وفرنسية(٣٩٧) ، ولكن لهجة أهل فاس أكثر لهجات المغاربة سلامة وقربا الى الفصحى لكونها احدى مراكز الدراسات الاسلامية والعربية(٣٩٨) . وتحدث عن بعض خصائص اللهجة المغربية كالقلب مثلا . فهم يقلبون الياء في بعض الافعال الفا أو همزة . فيقولون في : يكون : أكون(٣٩٩) . وهم يقلبون الجيم ياءا في كثير من الالفاظ . فيلفظون مسجد : مسيد(٤٠٠) . وهم يختزلون الاعلام فيلفظون : عبدالرحمن : رحوم، وزكريا : زكور(٤٠١) . وتحدث عن بعض الفاظهم الشائعة ، وعن بعض الاصطلاحات التي يختصون بها . فهم يستعملون « وخّى » بدل « حاضر » في اللهجة المصرية ، و « طيّب » في العراقية(٤٠٢) . وهم يصطلحون على كلمة « المخزن » في الدلالة على السلطة والحكومة . وكلمة « المشور » لتدل على قصر السلطان أو دار الحكومة(٤٠٣) .

---

(٣٩٥) الصفحة نفسها وما بعدها .
(٣٩٦) ص : ٣٢ .
(٣٩٧) ص : ٢٧ .
(٣٩٨) ص : ٢٥ .
(٣٩٩) ص : ٢٧ .
(٤٠٠) ص : ٢٨ .
(٤٠١) الصفحة نفسها .
(٤٠٢) ص : ٢٧ .
(٤٠٣) ص : ٢٦ .

وهو حين تحدث عن اللغة البربرية ، وهي لغة خطاب دون كتابة ، اذ ليس لها حروف ، وتسمى في المغرب بـ « الشلحة » ، اقترح ان تسمى بـ « المرابطية » ، كما وردت في بعض كتب التاريخ[٤٠٤] وساق بعد ذلك نبذة قصيرة عن تاريخ البربر ، وكيف انهم وجدوا في شمال افريقيا منـــذ عهـــد سحيق ، وان هناك عادات مشتركة بينهم وبين العرب كاكرام الضيف ، والغيرة على الاعراض ، والانفة ، وبساطة العيش[٤٠٥] .

وأخيرا تحدث عن الخط المغربي مبينا ان حروف الكتـــابة المغربيـــة هي العربية ، الا أنها تكتب بشكل يختلف عن شكلها في الكتابة المشرقية ، حتى ان قراءتها لا تخلو من صعوبة على المشرقيين[٤٠٦] . وأشار الى قدم هذا الخط ، موردا نبذة عن تاريخه ، ثم دعا المغاربة الى اصطناع الخط المشرقي في سبيل الوحدة العربية[٤٠٧] خاتما الرحلة بما اقتبسه من رأي ابن خلدون في تفضيل الخط المشرقي[٤٠٨] .

٤ ـ آثاره الاخرى :

قلنا في حديثنا عن « الشبيبي والتراث العربي » ان رفائيل بطي ذكر في كتابه « الادب العصري »[٤٠٩] وقد صدر عام ١٩٢٣ ، حين ترجم الشبيبي ، ان للشبيبي كتابين مخطوطين هما : « تاريخ الفلسفة من أقـــدم عصورها الى اليوم ولا سيما الفلسفة العربية » و « فلاسفة اليهود في الاسلام » ويضيـــف بطي ان للشبيبي غير هذين الكتابين كتبا اخرى هي :

١ ـ أدب النظر في فن المناظرة .

٢ ـ تذكرة في نعت ما عثر عليه من الكتب والاثار النادرة .

---

(٤٠٤) ص : ٢٩ .
(٤٠٥) ص : ٣٠ .
(٤٠٦) ص : ٣٦ .
(٤٠٧) ص : ٣٨ .
(٤٠٨) ص : ٣٨ ، ٣٩ .
(٤٠٩) جـ١ ص ١١٤ .

٣ ـ المسألة العراقية .

٤ ـ تاريخ النجف ، تاريخ مطول لبلدة النجف الاشرف قديما مع تطور العلوم فيها(*) .

وقد ذكر هذه الكتب جميعا علي الخاقاني في كتابه « شعراء الغري »[٤١٠] الصادر عام ١٩٥٦ ، اتفاقا مع « الادب العصري » ثم قال : « ورأيي ان معظم هذه الكتب لا يزال في دور المسودة الاولى التي لا تصلح للظهور »[٤١١] . وقد ذكر في موضع اخر من كتابه هذا عن أثر الشبيبي الموسوم « تاريخ النجف » قوله : « وأعلن [يقصد الشبيبي] قبل ثلاثين عاما ان يؤلف كتابا عن شعراء النجف وتاريخه ، فحصل على مجموعة من المجاميع والكتب الخطية النادرة بهذا القصد ، ولكن الظروف لم تساعده على ذلك »[٤١٢] . والشبيبي نفسه يقول في ترجمة له بقلمه ، كتبها عام ١٩٢٨ : « ولي عدة مؤلفات لم يخرج أكثرها الى المبيضة . وأنا أرى من دواعي الغبطة عدم انتشار شيء منها بالطبع الى الآن ، بعد ان تحققت ان أكثر ما يتعجله وينشره هذا الانسان الجاهل المغرور انما هو جنس من التزيد والفضول »[٤١٣] .

بعد هذا نقول : ربما كان ما ذكره صاحب « الادب العصري » من مؤلفات الشبيبي التي قال عنها الخاقاني بعد ما يقارب الاربعين سنة ، « ان معظم هذه الكتب لا يزال في دور المسودة الاولى » هو ما أشار اليه الشبيبي ، وبعد عشر سنوات ، في ترجمته الذاتية الانفة الذكر ، من مسودات لم تخرج الى المبيضة ، واغتبط لـ « عدم انتشارها بالطبع » اذ رآها ، على ما نظن ، تمثل مرحلة من حياته كان قد اجتازها ، ورأى فيها فجاجة التأليف الاول ورأى نفسه أكبر من

(*) حقق أسعد الشبيبي بعض مذكرات والده عن ثورة النجف وقدمها . انظر : مجلة « الثقافة الجديدة » ع٤ (تموز ١٩٦٩) ص٢٨١ وما بعدها

(٤١٠) جـ٩ ص٥٦ .

(٤١١) المرجع السابق الصفحة نفسها .

(٤١٢) المرجع السابق : جـ٩ ص٦ .

(٤١٣) « ترجمة السيد رضا الشبيبي » بقلمه ، مجلة المجمع العلمي العربي ، مجـ٨ جـ٨ (آب ١٩٢٨) ص : ٤٩٤ .

ان يخرج الى الناس شيئا من نتاج تلك المرحلة . ولا أدل على ذلك من عدم نشره « المأنوس من لغة القاموس » وقد وقع في يده في عهد قريب ، كما مر .

واذا كنا قد عثرنا على « المأنوس » ، فاننا ، للاسف ، لم نستطع ان نعثر على غيره مما مر ذكره من آثاره ، وعسى ان نعثر في وقت قريب ، فنطلع على نتاج تلك المرحلة من مراحل عمر الشبيبي في تلك المجالات .

* * *

وهكذا رأينا ان ثقافة الشبيبي هي حصيلة جهود شخصية وتتبع حر مستمر ومتشعب ، فهو لم يمض في دراسة نظامية غير جزء قليل من حياته . بدأ بالكتاب وانتهى بدراسة المقدمات في الدراسة التقليدية النجفية ، ثم مضى يضرب في مجالات الثقافة العربية والاسلامية بشتى مظاهرهما حتى استوعب الغزير منهما ، فكانت ثمارها هذا النتاج المنوع في الشعر والادب واللغة والتاريخ والفلسفة والرحلة وغيرها ، يحدوه حب العربية وتراثها واعلاء شأنهما .

الفصل الثالث
نتاجه الشعري

بدأ الشبيبي نظم الشعر في سن مبكرة ، فقد نظم وهو في الثالثة عشرة من عمره[٤١٤] واستمر يحاول ان يطوع شيطان شعره ، ليرضي ربّة الشعر ، فسود ما سود من الصفحات التي لم تصل الينا ، شأنه شأن غيره من الشعراء ، حتى وصل الى ما وصل اليه من منزلة شعرية مرموقة .

واقدم ما وصل الينا من شعره تخميس لقصيدة والده الشيخ محمد جواد الشبيبي التي مطلعها :

علّم الغصن ان يميل كقدك ومر المسك أن يفوح كندك

ومطلع هذا التخميس هو :

عد وفِ واصلا لمطول وعدك وافضح الورد في شقايق خدك
واذا ملت فاتحا نشر جعدك « علم الغصن أن يميل كقدك
ومر المسك أن يفوح كندك[٤١٥] »

ويرجع تاريخ هذه القصيدة الى سنة ١٣٢٢هـ[٤١٦] أي وقت أن كان في السادسة عشرة من عمره . وفي الوقت الذي يبدو فيه التكلف في هذا التخميس، كما هو الحال في كثير من التخميسات اذ هي ليست نابعة من تجربة ذاتية ، ونرى فيه الصنعة البديعية ، وذلك متوقع من شاعرٍ ناشيء في وسط كلف بالصنعة البديعية ، أقول في الوقت الذي نلاحظ فيه ذلك نلاحظ دلائل شاعرية تبشر بهذا الخير الذي وجدناه بعدئذ .

ومضى الشبيبي ينظم في الغزل ليمزقه بعد ذلك[٤١٧] . وينظم في المديح والرثاء وغيرهما ، لما يرى من صنيع والده وغيره من الشعراء الكثيرين في النجف،

(٤١٤) محمد صبري : شعراء العصر جـ٢ ص١١١ .
(٤١٥) الخاقاني : شعراء الغري جـ٩ ص٤٦ .
(٤١٦) المرجع السابق : الصفحة نفسها .
(٤١٧) د . حسين علي محفوظ : من حديث شخصي .

حتى استقام عوده ، ونضجت شاعريته ، فاستقل بما يريد ان ينظم ، واخذ ينشر شعره الذي تلقفته المجلات والصحف العراقية والعربية •

وقد كانت تمر بالشبيبي فترات ينقطع فيها عن نظم الشعر(٤١٨) ليعود بعدها مستأنفا اياه • وأطول فترة انقطع فيها هي الفترة الواقعة بين عامي ١٩٣٦-١٩٦٤ • فاخر قصيدة نظمها في عام ١٩٣٦ كانت في ذكرى المتنبي ، وهي قصيدة « ذكرى شاعر »(٤١٩) ولم ينظم بعدها حتى انتقلت زوجه الى جوار ربها عام ١٩٦٤ ، سوى قصيدة واحدة هي « ذكرى أديب » في تأبين صديقه أديب التقي عام ١٩٤٦(٤٢٠) • وقد نظم في رثاء زوجه أربع عشرة منظومة ، بين قصيدة ومقطوعة اطلق عليها اسم « رنين على الاجداث »(٤٢١) وكان في نيته اخراجها في مجموعة تحمل هذا الاسم ، ولكن المنية عاجلته ، فتوفي في العام التالي ، كما ذكرنا • هذا ولم تكن مجموعة « الرنين » في مستوى شعره الذي عرفناه في الديوان •

ولعلنا نستطيع ان نقول ، بشكل من الاشكال ، انه انقطع عن النظم في عام ١٩٣٦ ، فقصيدة واحدة في بحر ما يقارب الثلاثين سنة ، هي قصيدته في رثاء أديب التقي ، لا تعني أنه استمر على النظم • ثم ان شعره في رثاء زوجه بادي التكلف ظاهر نضوب الشاعرية •

وقد سئل الشبيبي بعد انقطاعه ذاك عن نظم الشعر ، عن سبب ذلك ، فقال : « الشعر كالنبع الذي يفيض بالعذب السلسال • وقد يطرأ على مصدر الشعر عند الشاعر ما يطرأ على الينبوع الفياض فينقطع بسبب صدمة أو أزمة نفسية أو لغير ذلك من الاسباب »(٤٢٢) •

---

(٤١٨) قصيدة « إلمامة بالشعر » : الديوان ص٨٦ .

(٤١٩) الديوان : ص١٩٦ .

(٤٢٠) جريدة « الحرية » : ع٣١١ (٢٠ حزيران ١٩٥٥) ، والملحق رقم (٢) .

(٤٢١) الملحق رقم (١) .

(٤٢٢) مجلة « الفكر » : مجـ٣ ع٩ ، ١٠ (آذار نيسان ١٩٦٠) ص٨ •

ولم نصل في حياة الشبيبي الى ما يعلل ذلك . وقد ذهب البعض في تعليله الى كونه « وجد ان الفكرة التي سعى اليها أكبر من أن يكون لها الشعر وسيلة فالاصلاح [كما يرى الكاتب] لن يحققه قصيد الكفاح »(٤٢٣) .

واذا كان هذا التعليل يوضح لنا لماذا هجر الشعر المكافح والمصلح ، فلا أظنه يعلل لماذا ترك غيره من أغراض الشعر . وقد سأله ، أيضا ، الدكتور ناصر الحاني ذات يوم عن شيطانه الشعري ، وما اذا كان (في اجازة) منذ أعوام ؟! فقال له : « لقد شغلت — وحقك — بشياطين الحكم عندنا . وكنت أحسب اننا سنخوض معركة قصيرة معهم ، ولكن يبدو ان الدرب طويل » .

ويعقب الدكتور الحاني على ذلك قائلا : « وراح يسهب بالحديث عن الحكم ومسالك الحاكمين وسياستهم ، فأدركت ان وراء حديثه نقمة شديدة ، وثورة كنت أعرف فحواها في خطبه التي تملأ أجنبة المجلس النيابي ، ومواقفه من الاحداث العامة ، فعرفت — في ذلك اللقاء — معناها وكنهها ... لقد أدرك ما انتابنا جميعا ، فالتفت نحوي قائلا : « هذه هي قصة شيطاني جررتني أنت الى سردها ، ولعلك ترى فيها عذرا مقبولا »(٤٢٤) .

ولعلنا نرى !

... وقد حاولت في الصفحات القادمة ان أتتبع نتاج الشبيبي الشعري وأرتبه، قدر المستطاع ، زمنيا . فقد أرخ الشبيبي الكثير من قصائده ، وعرفت تاريخ بعضها من مناسبته أو من تأريخ المجلات أو الصحف التي نشر فيها ذلك النتاج. وعمدت الى الترجيح في الصحف الاخر ، ثم سلسلت القصائد التي تعذر ترتيبها زمنيا الى ترتيبها حسب تسلسل حرف الروي لكل منها في الحروف الهجائية . وقد أشرت الى مواضع الاختلاف في القصائد التي فيها اختلاف ، بين نشرها

---

(٤٢٣) « صورة قلمية لمعالي الشيخ محمد رضا الشبيبي » : بقلم ابي إلهام . انظر : مجلة « قرندل » ، ع١٣٣ (٢٨ كانون الاول ١٩٥٠) ص١٠ .

(٤٢٤) « ذكريات مع العلامة الشبيبي » ملحق « الجمهورية » ، ع٦٢ (١٠ تشرين الثاني ١٩٦٦) .

في المجلات أو الصحف ونشرها في الديوان ، من حيث الحـــذف والاضـــافـة والتغيير(*) .

وقد آن لنا ان نطلع على ذلك :

(١٩٠٥)

× تخميس قصيدة لوالده ، الشيخ محمدجواد الشبيبي ، مطلعها :

علِّم الغصـن أن يميـل كقـدك ومـر المسـك أن يفـوح كنـدك

ومطلعـه :

عد وفِ واصلا لمطـول وعدك وافضـح الورد في شقايق خدك

واذا ملت فائحا نشر جعـــدك « علم الغصن ان يميـــل كقـدك

ومر المسك ان يفوح كنـدك »(٤٢٥)

× قصيدتان في رثاء الشيخ محمد طه نجف(**) مطلع الاولى :

صفايح العلـم قد فلت مضاربهـا وقوضت بعـد بانيهـا مضاربهـــا

ومطلع الثانية :

لنعيـك قـد طال الحنين المرجـع غداة نعى الناعون فيك فاسـمعوا

(١٩٠٦)

× قصيدة في رثاء أحمد القزويني مطلعهـا :

يا هلالا بـك استقل الحمـــام حان منه لولا الخطوب التمام(٤٢٦)

(*) سنعد دراسة نقدية لهذا الشعر مستقلة عن دراستنا هذه .

(٤٢٥) الخاقاني : شعراء الغري جـ٩ ص٤٦ .

(**) توفي في ١٣ شوال عام ١٣٢٣هـ الموافق ١١ كانون الاول عام ١٩٠٥ .
انظر : المرجع السابق : ص٣٩٠ .

(٤٢٦) المرجع السابق : ص٥٠ .

(في أو قبل ١٩٠٨)(*)

× ست قصائد في مدح الشيخ خزعل خان ، أمـــير المحمـــرة ، وفي تهنئته ومطلعها هي :

- أبقوا غداة لتجديد النوى شخصوا مثال عيني فيالظبي الذي قنصوا[٤٢٧]
- خـل عنـك المـلام والتعنيفـا ودعِ العذل تالـداً وطريفـا[٤٢٨]
- ما تمتعت بالخيال الطـروق بين جفن قـذ وقلب خفـوق[٤٢٩]
- طـير التهـاني ترنـم والعيـد بالبشـر أقـدم[٤٣٠]
- وريقك لم أفتحلرشف الطلا فما فما هيصهبائي وخمرتي اللمى[٤٣١]
- اهنـأ سـعدت بمنّة السلطان وافخـر على الامراء والاقران[٤٣٢]

(١٩٠٨)

× قصيدتان في رثاء حسـين القزويني(**) مطلع الاول :

حقيق اذا استنزفت عيني دماءهـا فقد غيّضت منلاعج الوجد ماءها[٤٣٣]

ومطلع الثانية :

طرقت تهيبهـا لسـان الناعـي فجنت عـلى الابصار والاسماع[٤٣٤]

(*) وقد أرخناها هذا التاريخ لان مؤلف كتاب « الدرر الحسان في منظومات مدائح الشيخ خزعل خان » الذي جمع ، أصلا هذه القصائد ، لـم يذكر تأريخها ولم يذكر عام طبع الكتاب ، ولكنه ارخ مقدمة الكتاب بعـام ١٣٢٦هـ الموافق ١٩٠٨م . انظر : عبد المسيح الانطاكي بك : الدرر الحسان .

(٤٢٧) الخاقاني : المرجع السابق ص٦١ .

(٤٢٨) المرجع السابق : ص٧٠ .

(٤٢٩) المرجع السابق : ص ٧١ .

(٤٣٠) المرجع السابق ص٨٠ .

(٤٣١) المرجع السابق : ص٨٢ .

(٤٣٢) المرجع السابق : ص ٩٢ .

(**) توفي في ٢١ ذي الحجة عام ١٣٢٥ هـ الموافق ٢٥ كانون الثاني عام ١٩٠٨م انظر : اليعقوبي : البابليات جـ٣ ق١ ص١٢٣ .

(٤٣٣) الخاقاني : شعراء الغري جـ٩ ص٤٨ .

(٤٣٤) المرجع السابق : ص٦٦ .

× قصيدة في الشيخ عبد الكريم الجزائري عند قدومه من الحج • ومطلعها:

باليمن قد أصبحت عمايد   يا بن الساميح الأماجد[435]

× الحرية والشعر[436] •

وقد نشرت قبل الديوان في مجلة « العرفان »[437] بعنوان : « العالم والحرية أو الشعر وذووه » •

وقد استبدل فيها كلمة « السنا » بـ « الثنا » في البيت الثاني ، وهو :

فأضاء عنهل البرق ينبض عرقه   سلكاً عليه حلى « الثنا » وأسلاك

وحذف بيتين منها هما الثاني عشر ، وهو :

أمسكت عن (عرفان أحمد) مقولا   ذربا بحيث يفتقد الامساك

والخامس عشر ، وهو :

حدث بما فيها وأن تك جاهلا   فلقد تحدث قبلك المسواك

(١٩٠٩)

× الاخلاق[438] •

وقد نشرها في مجلة « العرفان »[439] بعنوان « الاخلاق والنصيحة » •

وقد حذف منها في الديوان الابيات التالية :

الثالث ، وهو :

هذا تراه بريبة متدينا   خطأ وذاك بدينه مترببا

البيتان التاسع والعاشر ، وهما :

يلقاك منه مقال حر صادق   ويجن تحت القول قلبا قلبا

يهوى الفنون فان كشفت ضميره   لم يهو الا الحسان فيه مكتبا

---

(٤٣٥) المرجع السابق : ص٥٣ .
(٤٣٦) الديوان : ص٥٢ .
(٤٣٧) مجـ١ جـ٤ (نيسان ١٩٠٩) ص١٦١ .
(٤٣٨) الديوان : ص١٢٥ .
(٤٣٩) مجـ١ جـ٦ (حزيران ١٩٠٩) ص٢٧٥ .

والثاني عشر ، وهو :

يا حسن وجهك بالبها لي مسفرا ... لو لم يكن بالغدر لي متنقبا

× ها أنا[440] .

× سراب الامال[441] .

وقد نشرها في مجلة « العرفان»[442] بعنوان « مناجات الخيال أو مخادعة الامال » وقد حذف منها :

البيت السادس ، وهو :

أطوع يدي في سنتي ومن لي ... اذا ايقظت عقلي بالوصال

كما حذف ستة أبيات مبتدئا بالبيت الخامس عشر ، وهي :

عدلتم عن شؤونكم مزايا ... تدين بها دعاة الأعتدال

فأما عامل لفناء جسم ... بسعي حظه خطر الكلال

اذا ماتت دقائقه جميعا ... فتقدير الامور من المحال

وأما فارغ من كل فعل ... يكل كما يكل من الفعال

فما أعضاؤه في الحل الا ... مركبة تشف عن انحلال

رويدك قل لنفسك كيف تنجو ... فأنت فريسة الداء العضال

وخمسة أبيات اخرى مبتدئا بالبيت الثلاثين ، وهي ختام القصيدة . والابيات هي :

فأنت لكل عائلة طبيب ... يصح به اسير الاعتلال

ترد حياة هذا الجسم طفلا ... اليك من الرضاع الى الفصال

---

(٤٤٠) مجلة « العرفان » : جـ١ جـ١ (آب ١٩٠٩) ص١٧٩ . والخاقاني : شعراء الغري جـ٩ ص٣٩ .

(٤٤١) الديوان : ص١٠٠ .

(٤٤٢) مجـ١ جـ٩ (أيلول) ص٤٢٧ .

واما عاد يحيى الطفل نفساً ففيك وفي أبيه من العيال
ولا يحيى له عقل اذا لم يقم محييه في حل العقال
حكيم لا يزيد القول فصلا وأستاذ له فصل المقال

(١٩١٠)

× نظرة في النظام الشمسي(٤٤٣) .

× قصيدة في رثاء الشيخ عبدالحسن الشيخ راضي(*) مطلعها :

صف لي رثاك فما أملك لذاك فما حزنا أو استمل فيه اللوح والقلما(٤٤٤)

× نحن في سيارة(٤٤٥) .

× دجلة والفرات(٤٤٦) .

وقد نشرت في مجلة « العرفان »(٤٤٧) . وقد كان صدر مطلعها بالشكل التالي :

أي دمع لم يجر من أي مقله . . . . . .

فجعله في الديوان :

أي دمع « يفيض » من أي مقله . . . . . .

واستعاض عن كلمة « يوم » في البيت العاشر ، وهو :

رب « يوم » اسريت فيه برحلي مصحرا أقطع التنائف رحله

---

(٤٤٣) مجلة « العرفان » : مجـ٢ جـ١ (كانون الثاني ١٩١٠) ص٩ .
(*) توفي في ٧ جمادي الاولى عام ١٣٢٨هـ الموافق ١٧ مايس عام ١٩١٠م . انظر حرز الدين : معارف الرجال ، جـ٢ ص٢٣ .
(٤٤٤) الخاقاني : شعراء الغري ، جـ٩ ص٨٤ .
(٤٤٥) مجلة « العرفان » : مجـ٢ جـ٦ (٩ حزيران ١٩١٠) ص٢٧٩ . وانظر : الخاقاني : المرجع السابق ص٣٥ .
(٤٤٦) الديوان : ص٥٣ .
(٤٤٧) مجـ٢جـ٧ (تموز ١٩١٠) ص٣٥٥ .

بكلمة « ليل » . واستبدل بتعبير « قربنا » في البيت الثالث عشر ، وهو:

و « قربنا » للنيل والنيـــل رمــل   وانتهينــا لواســط وهــي رمله

تعبير « دنونا » . وجعل مكان الواو في البيت السابع ، وهو :

يا خليلـيّ ان تشـــاءا اسـعداني   « و » شجوني فالخل يسعد خله

« في » . وحذف البيت الثاني والعشرين ، وهو :

كل قرم كالنصـل حدا وامـــا   قلـت سـرا فالعمر يكتم نصله

وحذف البيتين التاسع والعشرين والثلاثين ، وهما :

كل ســـمع أصمّه كـل طرف   عنـه أعماه كـل بـاع أشـــلّه

كل حجـر أباحـه كـل شـر   سـنه كـــل مستريح أعلّـــله

كما حذف البيت الرابع والاربعين ، وهو الاخير في القصيدة ، وهو :

ان دعوهــا قضت دعــا يا عساهــا   أو دعـــوه قضت دعــت يا لعلـــه

واستبدل في الحادي والعشرين ، وهو :

قــد تربى عــن النهــى مســـتقلا   وربــت عنـــه لا ربت مســـتقلـه

قوله « وتربت عن الحجا » بقوله « وربت عنه لا ربت » .

× نفثة مصدور(٤٤٨) .

وقد نشرت في مجلة « العرفان »(٤٤٩) .

× الهزار الشاعر(٤٥٠) .

وقد نشرت في مجلة « الغري »(٤٥١) .

---

(٤٤٨) الديوان : ص١٩٦ .

(٤٤٩) مجـ٢ جـ٨ (٥ تشرين الاول ١٩١٠) ص٣٩٩ .

(٤٥٠) الديوان : ص١٦٠ .

(٤٥١) مجـ١ عدد ٢ (٢٩ آب ١٩٣٩) ص١٣ .

× الاجتماع والشعراء[٤٥٢] .

وقد نشرت في مجلة « العرفان »[٤٥٣] . وحذف منها في الديوان الابيات السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر ، وهي :

فكم نفس الى العليا نزوع بها لكنها تحت النزاع
وكم متقيل يهوى انحطاطا تمنى أنها مرقى ارتفاع
وما فخر المقصر حين يسعى ويزعم انه مبسوط باع

واستبدل « بكم » بـ « لكم » في البيت الثالث والعشرين . فقد كان كما يلي :

« لكم » كشف اللثام عن المعاني لمسدول اللثام أو القناع

× قصيدة في باقر الهندي(*) ومطلعها :

أتى الافق مبريا فقيل هلاله ولو قيل قوس صدّقته نباله[٤٥٤]

× الحبيب المعرض[٤٥٥] .

× نظرة في الحياة[٤٥٦] .

وقد نشرها في جريدة « البرق »[٤٥٧] .

× محاكمات[٤٥٨] .

وقد نشرها في مجلة « العرفان »[٤٥٩] بعنوان « الحقيقة لا تدرك » .

---

(٤٥٢) الديوان : ص٩٦ .
(٤٥٣) مجـ٣ جـ١ (١ كانون الثاني ١٩١١) ص٣٤ .
(*) توفي في ٣ محرم عام ١٣٢٩هـ الموافق ٤ كانون الثاني عام ١٩١١م . انظر : حرز الدين : معارف الرجال جـ١ ص١٣٤ .
(٤٥٤) الخاقاني : شعراء الغري جـ٩ ص٧٤ .
(٤٥٥) مجلة « العرفان » : مجـ٣ جـ٥ (٢ آذار ١٩١١) ص٢٠٣ ، والخاقاني : المرجع السابق ص٥٩ .
(٤٥٦) الديوان : ص٧٢ .
(٤٥٧) ع١٣٠ (٨ آذار ١٩١١) ص٢٢١ .
(٤٥٨) الديوان : ص١٢١ .
(٤٥٩) مجـ٣ جـ٨ (٣ نيسان ١٩١١) ص٢٩٥ .

واستبدل فيها في الديوان « زاد » بـ « ازداد » في البيت الثاني ، وهو :

رأيت المرء أنَّى « ازداد » علماً   تحير فكره فازداد جهلا

واستبدل « حقائق » بـ « حقايق » في البيت الرابع ، وهو :

« حقايق » لا تحيط بهن بعضا   ولو أفنيت عمر الدهر كلا

كما استبدل « خبرا » بـ « عمرا » في البيت السابع ، وهو :

أراك وان قتلت الدهر « عمرا »   بحجر أبيك هذا الكون طفلا

وحذف البيت الحادي عشر ، وهو :

يؤلفها قياسا منطقيا   تمثله قضايا الوهم شكلا

والبيت السابع عشر ، وهو :

بماذا يا نصير الجهل قل لي   تميس تغطرسا وتميل دلا ؟

ووضع مكان « حنانكم » في البيت السادس والثلاثين « حنانيكم » والبيت هو :

« حنانكم » فقد خلقت لترعى   وما خلقت نفوسكم لتقلى

كما استبدل « يرد اليه » بـ « ترد عليه » في البيت التاسع والثلاثين ، وهو :

« ترد عليه » عاطشها فان لم   تجده وابلا غدقا فطلا

× على ضفاف دجلة[٤٦٠] .

نشرت في جريدة « البرق »[٤٦١] . وقد حذف منها في الديوان الابيات التالية :

الخامس عشر ، وهو :

---

(٤٦٠) الديوان : ص٥٦ .

(٤٦١) ع ١٤٣ (٢٢ نيسان ١٩١١) ص ٢٥٣ .

هذي النفوس ولكن ليس تربية وذي العقول ولكن ليس تعليم

والتاسع عشر والعشرين ، وهما :

بأي فاضلـة تبغون مفخـرة هيهـات ليس لنا فخر ولا خيم

بعزنـا وسـنام العز منقطـع أم مجدنـا وجبين المجد مرثوم

الخامس والعشرين والسادس والعشرين وهما :

المسلمون ومـا تقضي صفاتهـم لربهم والنصـارى والاقاليـم

أيألف العلـم يا قومي ربوعكم أم ليس يأتلف السرحان والريم

الثامن والعشرين والتاسع والعشرين والثلاثين وهي :

ماذا تريدون في تاخيركم ولكـم عـلى الورى بقدامى المجد تقديم

ألستم العرب العربـاء ما وقفت في نهج نهضتها فـرس ولا روم

فهـل أراكم وشمل الجهل بينكم مشتت وشـتات الشمـل ملموم

واستعاض عن كلمة « العجز » بـ « الخير » في البيت الرابع عشر ، وكـان كما يلي :

مالي أرى الارض جنات وأرضكم يا امة « العجز » مومات وديمـوم

وعن كلمة « مخدرون » بـ « محيرون » في البيت السابع عشر ، وهو :

« مخدرون » قد استهوى عقولكم جهل وبعض ضروب الجهل تنويم

وعن « وبهرجة » بـ « معطلة » في البيت العشرين ، وهو :

يا قوم ما الدين عادات « وبهرجة» وانمـا الدين تحليل وتحريـم

× الحب الطاهر(٤٦٢) .

وقد نشرت في مجلة « العرفان »(٤٦٣) بعنوان « الحب الطاهر والاباحـي أو بنات الدوح » .

---

(٤٦٢) الديوان : ص٤٠ .

(٤٦٣) مجـ٣ جظ٩ (١ أيار ١٩١١) ص٣٣٥ .

وقد جعل في الديوان كلمة « افتكار » في موضع « فكر » في البيت الرابع والعشرين منها وهو :

سهرت لـه السود الغرايب انهـا ليالي « فكـر » مالهن صـباح

وجعل « المنى للناشئين » بدل « الاماني للنفـوس » في البيـت السـابع والعشرين ، وهو :

رأيـت « الاماني للنفوس » سـعادة وان لم يصدق حملهن نجـاح

× ليالي دجلة(٤٦٤) .

وقد نشرها في مجلة « العرفان »(٤٦٥) بعنوان « الليلة البيضاء » .

وقد جعل في الديوان البيت الثاني عشر منها مطلعا ، ونصب « ليـل » المجرورة في البيت الثاني ، وحذف الابيات التالية :

الخامس ، وهو :

وكم جدول ضارب في الثـرى كمـا درجت حيـة في مخيـط

والتاسع ، وهو :

ذكـت ورنت وانثنـت قـامة كغاليـة كغـزال كخـوط

والثالث عشر ، وهو :

فهـا هي أرواحكـم رفرفـت عليَّ بـدون عناء الوسـيط

والسادس عشر ، وهو :

تطـير برمتـه السـافيـات وتلفظـه الريح لفـظ الثعيط

والتاسع عشر ، وهو :

فيا امـة الشـرق ان تهلكـي ففيمـا جنوا هلكوا قـوم لوط

---

(٤٦٤) الديوان : ص١٧٥ .

(٤٦٥) مجـ٣ جـ١١ (أيار ١٩١١) ص٤٢٢ .

× العلم والعلم[٤٦٦] .

× خواطر اليوم أقوال غد وأعمال ما بعد[٤٦٧] .

وقد نشرها في مجلة « العرفان »[٤٦٨] وحذف منها في الديوان أبياتها التالية: الثالث والرابع والخامس وهي :

وجائرا دون نهج السالكين افق ... فما وقوفك لم تصدر ولم ترد
ان لم تقم مستقيما فاستقم خلقا ... أو لم تَفِدْ نوعك الانسان فأستفدِ
أو لم تلن و (بنات البحث) معترك ... انعمتها نظرات حرة أعد

ووضع البيتين السابع والثامن كلا مكان الاخر ، وحذف البيتين العاشر والحادي عشر ، وهما :

ولا صبرت على العادات منهكة ... وكيف يصبر ظمآن على ثمد
ولا يقيم على ذل يراد به ... الا الاذلان عير النؤى والوتد

وحذف البيت الثامن عشر ، وهو:

مخضت صفوة أحبابي وخيرهم ... فأزبدوا لي وما أجلوا عن الزبد

والثامن والعشرين ، وهو :

كل العوالم للتغيير خاضعة ... ولا تشد عليها لاتبا أحد

كما حذف البيتين الرابع والثلاثين والخامس والثلاثين منها ، وهما :

فمن جوامع آداب الى عمل ... الى لسان الى جنس الى بلد
ما لاجتماعكم يا ماسكي يده ... أشت مفترق في شكل متحد

وحذف البيت الثالث والاربعين ، وهو :

كأنما الليل مجدور وقد ظهرت ... بقية من بثور الليل في الجلد

---

(٤٦٦) مجلة « المقتطف » : مجـ٣٨ جـ٦ (حزيران ١٩١١) ص٥٥٣ . وانظر : الملحق رقم (٢) .

(٤٦٧) الديوان ص٨٣ .

(٤٦٨) مجـ٣ جـ٢ (٢٤ أيلول ١٩١١) ص: ٨١٤ .

واستبدل بـ « معطوبون » في البيت السادس والثلاثين « مرزؤون » . وقد كان كما يلي :

تقلَّب الناس بعض في بلهنيـة　　　وأكثر الناس « معطوبون » بالنكد

كما استبدل « فعالجتها » في البيت الثاني والاربعين منهـا بـ « فروَّعتها » وكان البيت بالشكل التالي :

كـأن شـهب الليالي ثلة رصدت　　　« فروعتها » ذئـاب الليل بالطرد

× رثاء استاذ[٤٦٩] .

وقد حذف منها اثني عشر بيتا ، وأثبتها كاملة علي الخاقاني في « شـعراء الغري »[٤٧٠] . فقد حذف الشبيبي من مطلعها الابيات الثلاثة التالية :

الدين فيك المعزَّى لو ثوى فينا　　　لكنهم نقدوا في فقـدك الدينـا

بالامس كنت بعز الدين تضحكنا　　　واليوم صرت بذل الدين تبكينا

كانت عليك أمانينـا مرفرفـة　　　حسـب المنايا فقد خابت أمانينـا

وحذف الابيات التاسع والعاشر والحادي عشر ، وهي :

أخـلَّـفَ الدين شيئا من (كفايته)(*)　　　أم غـاب كافلنـا عنّا وكافينـا

من يصدر العلم ملفوظا ومكتتبـا　　　من يبرم الحكم مفروضا ومسنونا؟

من المجيب اذا حنَّـت صوارخنا　　　الى الهدى ودعا للدين هادينـا ؟

كما حذف البيت التاسع عشر ، وهو :

أصغوا الى الملأ الاعلى يناشدهـم　　　هيهـات مات أبو المهدي محزونا

---

(٤٦٩) الديوان : ص١٨٨ . وهي في رثاء الملا محمد كاظم الخراساني ، المتوفي في ٢٠ ذي الحجة عام ١٣٢٩هـ الموافق ١٢ كانون الاول عام ١٩١١ . وقد أثبت خطأ تاريخ وفاته الميلادي في المقدمة الايضاحية للقصيدة ، والصواب ما ذكرناه . وانظر : حرز الدين : معارف الرجال . جـ٢ ص٣٢٤ .

(٤٧٠) جـ٩ ص٨٧ .

(*) اسم كتاب للمرثي يعد من الكتب المهمة في تطور أصول الفقه .

وحذف البيت الحادي والعشرين ، وهو :

كنا نود الدماء الحمر سائلة	من الرقاب فسالت من مآقينا

وحذف الابيات : الثاني والثلاثين والثالث والثلاثين والرابع والثلاثين ، وهي:

مضى فأوضح للدنيا حقيقته	وكان أمرا بسر الغيب مكنونا

اليك يا موت أرواحا معذبة	خذها فقد بلغت منا تراقينا

« آمين آمين لا أرضى بواحدة	حتى ازيد عليها الف آمينا »

× تخميس مقصورة ابن دريد[٤٧١] .

(١٩١٢)

× الاقليمية أو الجنسية المصطنعة[٤٧٢] .

وقد نشرت في جريدة « البرق »[٤٧٣] بعنوان « الجنسية » .

× تيتنيك[٤٧٤] .

وقد نشرت في مجلة « لغة العرب »[٤٧٥] . واستبدل فيها كلمة «آلهة» ووضع مكانها « معجزة » في البيت الثالث عشر ، حيث يقول :

ولو أن « آلهة » الجمال تمثلت	للناس قبلك صورة حسبوك

وحذف البيت الرابع عشر ، وهو :

ولألّهوك ووحّدوك حقيقة	اذ أنت واحدة بغير شريك

وحذف البيتين الخامس والعشرين والسادس والعشرين ، وهما :

من كل سافرة النقاب تنقبت	بسنا ملاك واحتشام مليك

---

(٤٧١) الخاقاني : شعراء الغري جـ٩ ص٤٠ .
وقد وضعناها في اخر قصائد هذا العام لخفاء تاريخها المحدد .
(٤٧٢) الديوان : ص٩٠ .
(٤٧٣) ع١٨٣ (٦ تموز ١٩١٢) ص ٢٥٩ .
(٤٧٤) الديوان : ص١٦٩ .
(٤٧٥) مجـ٢ جـ٢ (تموز وآب ١٩١٢) ص ٤١ .

جمدت تقلدها الحلي كأنما　　جمد السبيك على مثال سبيك

وحذف البيت التاسع والعشرين ، وهو البيت الاخير فيها ، وهو :

قد كان مقطوفا لاكرم قاطف　　فليفد أقتل شائك لمشوك

× حديث القمر(٤٧٦) .

وقد نشرها في جريدة « البرق »(٤٧٧) . وجعل في الديوان في مطلعها « لقد » بدل « وقد » .

× لولا الهوى(٤٧٨) .

وقد نشرها في جريدة « البرق »(٤٧٩) أيضا ، بعنوان « اياك » .

حذف منها البيت الثامن ، وهو :

وأنا الفداء لمقلتيك وان أبي　　تيّاه عطفك أن أكون فداكا

كما حذف البيتين الثاني عشر والثالث عشر ، وهما :

خلقتني لا أشتكيك ولو شكا　　صب فهل الا اليك شكاكا

نسبوك (وحشي الفلا) لما رأوا　　ان الضلوع الخافيات حماكا

وحذف أيضا البيتين الخامس عشر والسادس عشر ، وهما :

يا حارسا بالصدغ روضة خده　　كم من دم هدر الغرام هناكا

راقبت ورد الوجنتين فردني　　ودنوت منه فصاح بي : اياكا

× بين العقل والقلب(٤٨٠) .

وقد نشرت في مجلة « العرفان »(٤٨١) بعنوان « بين العقل والعواطف » .

---

(٤٧٦) الديوان : ص ١٥٣ .
(٤٧٧) ع١٨٨ (١٠ آب ١٩١٢) .
(٤٧٨) الديوان : ص١٥٠ .
(٤٧٩) ع١٥٩ (٢١ تشرين الاول ١٩١٢) .
(٤٨٠) الديوان : ص١٣٧ .
(٤٨١) مجـ٧ جـ٢ (تشرين الثاني ١٩١٢) ص٧٢ .

وفي الديوان جعل البيت السابع منها خامسا ، وحذف البيت التالي ، وهو العاشـر .

يا سادتي لثم أيديكـم عـلى شفتي   قدري والا فقدري لثم أعتـاب

وجعل البيتين الثاني عشر والثالث عشر كلا في موضع الاخر .

× ولم أر كالانسان[٤٨٢] .

وقد نشرت في مجلة « الزهور »[٤٨٣] بعنوان « التمدن العصري » .

واستبدل في الديوان « هل » بـ « ما » في المطلع ، وجعل البيت الخامس سابعا ، ثم أضاف اليها ستة أبيات هي المبتدئة بالبيت التالي :

تتبعـت آثار المقابـر واجمـــا   لما تركت فيهن أيدي الملمات

واستبدل كلمة « الموت » بـ « الدين » وكلمة « الكون » بـ « العصر » في البيت الثاني عشر ، وهو :

ألا هل يعود « الدين » وهو مشتت   جماعات هذا « العصر » جامع اشتات

وحذف البيت الاخير ، وهو :

ولكن أبـوا الا التنـــازع فالتقـت   أدلـة نفي في أدلـــة اثبـــات

× في العراق[٤٨٤] .

× عاذل وعاذر[٤٨٥] .

× من الحزب الى الحرب[٤٨٦] .

---

(٤٨٢) الديوان : ص١١٣ .
(٤٨٣) مجـ٣ جـ (تشرين الثاني ١٩١٢) ص٣٦٣ .
(٤٨٤) الديوان : ص٥٢ .
(٤٨٥) الديوان : ص٩ .
(٤٨٦) الديوان : ص١٩ .

× درس آلام[487] .

(١٩١٣)

× تذكروا انا عطاشى[488] .

وقد نشرت في جريدة « البرق »[489] .

× في سبيل الشرق[490] .

وقد نشرت في مجلة « المقتبس »[491] وفي الديوان وضع « جـيرتي » موضع « نهلان » في البيت الثاني ، وهو :

نزلت بـ « نهـلان » الهمـوم فلم يطـق حتى نزلن بكاهلـي فأطاقها

× رفقا بنا[492] .

وقد نشرها في جريدة « البرق »[493] . واسـتبدل منها « تكنزون » بـ « تجمعون » في المطلع الذي كان على الشكل التالي :

---

(٤٨٧) الديوان : ص٢١ .
والقصائد الاربعة الاخيرة نظمـت جميعـا عام ١٩١٢ ، كـما هو مذكور في مقدماتها الايضاحية ، لما كنا لم نستطع العثور على الصحف او المجلات التي نشرت فيها لنحدد تواريخها من العام المذكور فنسلسلها حسبها ، لذا اثرنا ان نسلسلها بالشكل المذكور اعلاه . وذلك لان كل أثنتين من هذه القصائد تشتركان في موضوع واحد ، الاولى والثانية ، ثم الثالثة والرابعة . وقد اشار هو ايضا الى ذلك في المقدمة الايضاحية لكل قصيدة ووضع كل واحدة جنب صاحبتها . ولما كانت الخيبـة بأعلان الدستور العثماني ، موضوع القصيدتين الاوليين ، أسبق من حرب طرابلس بين العثمانيين والايطاليين ، وهي موضوع الاخريين ، لذا قدمناهما على الاخريين .

(٤٨٨) الديوان : ص١٤٥ .

(٤٨٩) ع٢١٥ (١١ آذار ١٩١٣) . وقد ذكر العدد وسنة النشر خطأ في المقدمة الايضاحية للقصيدة والصواب ماذكرناه .

(٤٩٠) الديوان : ص٥ .

(٤٩١) مجـ٤ جـ٧ (نيسان ١٩١٣) ص٨٢ .

(٤٩٢) الديوان : ص١٠٩ .

(٤٩٣) ع٢٣٧ (٢ آب ١٩١٣) .

لمـن ـ خفف الله اطماعكـم ـ   لمن « تجمعـون » حطـام الدنى ؟

واستبدل « غواة » بـ « ملوك » في البيت الرابع ، وكان على هذا الشكل :

ولم ارَ مثل « ملـوك » النضار   ولا مثـل معدنهـم معدنـا

× الهـوى[٤٩٤] .

وقد نشرها في جريدة « البرق »[٤٩٥] أيضا ، وكان عنوانها فيها « أما الهوى » .

× نشوة الحب[٤٩٦] .

وقد نشرت في جريدة « البرق »[٤٩٧] بعنوان « وأنا المشوق » .

× خواطر فلسفية[٤٩٨] .

وقد نشرت في مجلة « العرفان »[٤٩٩] . وقد جعل في الديوان « تلـك » بدل « هن » في البيت الرابع منها ، وهو :

« هن » الخطوب ـ وما أجل عديدها ـ   ملكت يدي وتعاورت أطرافي

وأضاف اليها قبل أولها تسعة أبيات هي في الديوان في مطلع القصيدة .

× الايـام[٥٠٠] .

(١٩١٤)

× طلائع الحرب العامة[٥٠١] .

× الحب والشكوى[٥٠٢] .

---

(٤٩٤) الديوان : ص١٣٥ .
(٤٩٥) ع١٣٩ (١٦ آب ١٩١٣) .
(٤٩٦) الديوان : ص١٥٥ .
(٤٩٧) ع٢٤٥ (تشرين الاول ١٩١٣) .
(٤٩٨) وقد ذكر العدد خطأ في المقدمة الايضاحية للقصيدة ، والصواب ماذكرناه
(٤٩٨) الديوان : ص٧٠ .
(٤٩٩) مجـ٥ جـ١ (٢٩ تشرين الثاني ١٩١٣) ص٣٢ .
(٥٠٠) الديوان : ص٧٨ .
(٥٠١) الديوان : ص١٥ .
(٥٠٢) الديوان : ص١٤٦

وقد نشرت في جريدة « البرق »(٥٠٣) بعنوان « عسى تنفع الشكوى » •
وفيها استبدل « لهو » بـ « هول » في البيت الثامن عشر ، التالي :

كرى بعده ما كنت أرجو انتباهة وسكرة « هول » ما انتظرت لها صحوا
× السحر(٥٠٤) •

وقد نشرها في جريدة « البرق »(٥٠٥) أيضا ، وحذف منها في الديوان البيت الثالث ، وهو :

أما غناك ـ وقد قيدت له أذني ـ فذاك أعذب ايقاعا من الوتر

وكذلك البيت الثامن ، وهو :

واجتاحت النفس في الافاق قائلة في الكون سفري وفي أنحائه سفري

كما حذف ثمانية أبيات مبتدئا بالبيت الحادي عشر • والابيات المحذوفة هي:

وان أصل معاني الكون واحدة وانما يوجد التعداد في الصور
وان أسلم خلق الله أوضعهم وأخطر المجد ترك المجد والخطر
اذا تكلفت في ابقاء مأثرة شرا نصحتك ان تبقى بلا أثر
وخير قولك ما صرّفته عظة لعامل فيه أو ذكر لمدكر
وطالما قد نهينا غير محتفل بالنهي ثم أمرنا غير مؤتمر

★ ★ ★

يا أيها الملك البيضاء غرته وما أردت بقولي ذا سوى القمر
أرسل أشعتك اللاتي مزجت بها بلذة الروح مني لذة النظر
أنا وأنت كلانا شاحبان ضنى وحبذا أنت لو شاطرتني سهري

---

(٥٠٣) ع٢٧٤ (٩ أيار ١٩١٤) ص٦٦١ •
وقد ذكر العدد وعام النشر خطأ في المقدمة الايضاحية للقصيدة والصواب ما ذكرناه .

(٥٠٤) الديوان : ص٧٤ .

(٥٠٥) ع٢٨٢ (٤ تموز ١٩١٤)ص٧٢٥ .

× الرجاء بعد اليأس[٥٠٦] .

× الشعر خيال[٥٠٧] .

وقد نشرت في جريدة « البرق »[٥٠٨] . وقد أكثر من الحذف والاضافة فيها في الديوان . فقد حذف البيت الرابع ، وهو :

السهول استسلمت خاشعة ... لك وانقادت بما فيها الجبال

وحذف البيت العاشر ، وهو :

طلبتكم همة أرضية ... وتساميتم فأضناها الكلال

وحذف الابيات السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر ، وهي :

سرحوا الدرهم عن ايمانكم ... طال والله امتساك واعتقال

قتل المال فباستثماره ... يخذل السلم ويعتز القتال

جِدة أفنتك ما ضرك أن ... يتلافاك فيفنيها النوال

كما حذف الابيات التالية :

العشرين ، وهو :

ان أكن أطلب احراز الغنى ... لا لتناذي فطلابيه ضلال

والحادي والعشرين والثاني والعشرين ، وهما :

واجتنب مسألة الناس وان ... سمعوا . هان على الناس السؤال

واذا السيف نبا عن مضرب ... هتك المضرب أو كاد المقال

والبيت الثامن والعشرين ، وهو الاخير ، وهو البيت التالي :

حسبنا صوغ القوافي ما استوى ... ذلك الزيغ ولا قام المال

---

(٥٠٦) مجلة « العرفان » : مجـ٥ جـ٧ (٢٥ تموز ١٩١٤) ص٢٢٧ . والملحق رقم (٢) .

(٥٠٧) الديوان : ص٩٢ .

(٥٠٨) ع٢٨٦ (١ آب ١٩١٤) ص٧٥٧ .

وأضاف الابيات التالية :

الخامس والسادس(*) وهما :

الروح لم تزل تبعثها كل هذا ؟ عز ما شاء الجمال
كم يد مبيضة نحفظها لك نحن ولياليتا الطوال

والثامن ، وهو :

لا أساغ الله لي ان لم يكن رنقا بعدكم الماء الزلال

والحادي عشر ، وهو :

قد بلوتم وخبرتم شيمي فانظروا نمَّ عن السيف الصقال

× هي الاحلام(٥٠٩) .

وكان نشرها في جريدة « البرق »(٥١٠) بعنوان « يا دهر حسبي » .

وفيها استبدل « ثم » بـ « تم » في البيت التالي ، وهو الرابع .

لامر « تم » جردني سلاحي وقلده كليل المضربين

وحذف البيت التاسع عشر ، وهو :

أألفهن(**) من صدق صريح وان أحصر فمن كذب ومين

× الوداع(٥١١) .

× حلوان بعد العراق(٥١٢) .

(*) هذا التسلسل يدل على الابيات كما ورد في الديوان .

(٥٠٩) الديوان : ص١٥١ .

(٥١٠) ع٢٨٧ (٨ آب ١٩١٤) ص٧٦٥ .
وقد ذكر في المقدمة الايضاحية ان تاريخ نشرها هو عام ١٩١٣ ، والصواب ماذكرناه .

(**) كذا . والصواب : اؤلفن .

(٥١١) الديوان : ص٢٤ .

(٥١٢) الديوان : ص١٢ .

(١٩١٥)

× شهيد الدفاع أو الاستاذ الحبوبي(٥١٣) .

وقد نشرها في مجلة « العرفان »(٥١٤) وفيها استبدل « منّا دولـة » بـ « دولة أحمد » في البيت التالي ، وهو الرابع والعشرون :

أدركت ان ستدول « دولة أحمد» وعلمت ان ستبدل الاحكام

وحذف البيتين التاسع عشر والعشرين ، وهما :

أين البسالة والعدالة والتقى أين الحفاظ المر والاقدام ؟
هل كان يومك وهو بغتة باغت طيف الكرى وطروقه المام ؟

والبيت الحادي والعشرين ،

يوم يكاد الدهر ينكر عدّه منه وتطلب لغوه الايام

والبيت الحادي والعشرين ، وهو :

يستعطفونك في ابتكارك نهضة وشؤون ذاتك كلهن عظام

والابيات الاربعة المبتدئة بالبيت الثاني والثلاثين ، وهي :

عقدوا عليك خناصرا وتأكدوا ان الوكيل عن الامام امام
وسعوا اليك فثم ودت انها تسعى الرؤوس اليك لا الاقدام
وتكاتفوا يطأون عتبتك التي عنت الوجوه لها وذل الهام
وبدا جبينك فيهم فتهافتوا شأن الفراش فهم عليك حيام

(١٩١٦)

× حماسة لا سياسة(٥١٥) .

---

(٥١٣) الديوان : ص١٨٣ .
وقد توفي الحبوبي في ٣ شعبان عام ١٣٣٣هـ الموافق ١٦ حزيران عام ١٩١٥م . انظر : حرز الدين : معارف الرجال جـ٢ ص٢٩٣ .
(٥١٤) مجـ٨ جـ٧ (نيسان ١٩٢٣) ص٥٤٠ .
(٥١٥) الديوان : ص٣٩ .

(١٩١٨)

× نغمة الصلح[٥١٦] .

(١٩٢٠)[*]

× رثاء الشهداء[٥١٧] .

وهي منشورة في مجلة « العرفان »[٥١٨] . وقد أكثر في الديوان من التقديم والتأخير في أبياتها المحصورة بين السابع والسابع عشر ، وها نحن ننقل الابيات كما وردت في المجلة :

يكفي السعادة والشهادة انها ... خطبت فكنتم انتم أكفاءها
ان غم ما كابدتموه فطالما ... فرجتم وكشفتم غماءها
تبكيكم أرض الشآم وقد أرى ... هذي الجداول دمعها لاماءها
من حيث ساء مصابكم انقذتم ... فيه البلاد وسرها ماساءها
قالوا : تكون فداءهم أوطانهم ... فتجاوبوا : كلا نكون فداءها
عاشت دمشق فأي أم قبلها ... طلب الفداء فقدمت أبناءها ؟
النيل ضعضع يومكم فسطاطه ... لما أتاه ودجلة زوراءها

---

(٥١٦) مجلة « الحضارة » : مجـ٣ ع٣٨ (٨ مايس ١٩٤٥) ص٥ . والملحق رقم (٢) .

(*) لما كان بعض هذه القصائد غير منشور ، وكان بعضها الاخر منشورا في الاعوام التالية لعام نظمها وهو ١٩٢٠ ، كما تشير المقدمات الايضاحية لها جميعا ، فقد أضاع ذلك علينا ما يلقيه تاريخ النشر من ضوء في سبيل تحديد تواريخ تلك القصائد من العام المذكور ، وبالتالي وضعها فيمكانها المحدد في ترتيب قصائد العام ، ولخلو هذه القصائد من المناسبات التي يقترن بها نظم القصيدة ، فقد عمدنا الى ترتيبها حسب تسلسل حروف رويها ، فيما عدا القصيدة الاخيرة ، الهيام بين العراق والشام التي وضعناها اخر تلك القصائد ، لانها نظمت ، وهذه القصائد جميعا نظمت في الشام ، فياواخر اقامته في دمشق ، كما تشير مقدمتها الايضاحية .

(٥١٧) الديوان : ص١٨٣

(٥١٨) مجـ٧ جـ١ (تشرين الاول ١٩٢٣) ص٦٢ .

عظمت علـى النائي فكيف مجاله ... لو كـان يشهد ما جرى أثناءها
يا نكبة دون الجـزيـرة أثّـرت ... في طورهـا وتناولت سيناءهـا
الامة القاضي عليكـم عسـفها ... لقيت بذلكـم القضاء قضاءهـا
ما كان يفعلها الذي استشفى بكم ... لو كان يدري ما تجـر وراءها

هذا وقد استبدل فيها بـ « قتلتم » ، « صلبتم » في البيت الثاني ، وقـد كان على الشكل التالي :

يا سادةً أُحصيتم فـ « قتلتم » ... لكـم مزايـا مـا أرى احصـاءهـا

وجعل موضع « الامة » في البيت قبل الاخير في الابيات أعلاه ، «العصبة» كما استبدل الضمير « ها » في البيت الثامن عشر ، بالضمـير « نا » ، والبيت هو :

لـم يكفهـا تقطيعها أرحامـ (نـا) ... ممـا جنته فقطعت أعضاءها

وفي البيت الحادي والعشرين استبدل كلمة « الشم » بـ « الصيد » ، وكان البيت كما يلي :

يـا امتي لا تحـزني أو فاحـزني ... حزن النفوس « الصيد » زاد مضاءها

× رجال الغد[٥١٩] .

وقد نشرت في مجلة « اليقين »[٥٢٠] ، وفيها عوض عن « شرقية » في البيت الثاني والعشرين بـ « ميمونة » ، وهـو :

بوركـت ناشـئة «شـرقيـة» ... نشـأت في ظل ذاك المعهـد

× اغنية الروح[٥٢١] .

× سكرة النفس[٥٢٢] .

---

(٥١٩) الديوان : ص٨١ .
(٥٢٠)مجـ١ جـ١ (نيسان ١٩٢٢) ص٩ .
(٥٢١) الديوان : ص١٣٦ .
(٥٢٢) الديوان : ص١١١ .

× الهيام بين العراق والشام[٥٢٣] .

(١٩٢١)

× لغة الحب[٥٢٤] .

وقد نشرها في مجلة « العرفان »[٥٢٥] . وقد أكثر من الحذف والاضافة فيها . ولاظهار ذلك بوضوح نعيد ايرادها كما نشرت في المجلة :

تفاهمتا عيني وعينك لحظة ... وأدركتا ان القلوب شواهد
مشت نظرة بيني وبينك وانبرى ... من القلب مدلولا على القلب شاهد
كأن الذي حاولت ثم وحاولت ... من الحب معنى بيننا متوارد
أحاديث لم تلفظ وللنفس منطق ... وحيز والفاظ اللسان زوائد
اذا لم تجد في ظاهر الرأي علتي ... أما أدتا عيناي ما أنا واجد
وما خير رأس لاتبين لناظر ... على طرفه من ناظريه المقاصد
اذا لم يكن للعين لحن ومنطق ... فمن أين قالوا للدموع فرائد ؟
جباه الذين استهجنوا الحب كزة ... وأوجههم شر الوجوه الجوامد
صرفت اليك النفس عن شهواتها ... وجاهدتها ما حب من لم يجاهد؟
كثير محبوك الذين تجلدوا ... وأما الذي جارى هواك فواحد
وما طال عهدي بالقصيد ومن رأى ... لكم نظراتي قال هن القصائد
دواوين أهل الشعر تغني وللهوى ... هوى الروح ديوان من الشعر خالد
شواهد حالي مفصحات بما انطوى ... عليه « مغيبي » لا الفصاح الشوارد

× العام الجديد[٥٢٦] .

---

(٥٢٣) الديوان : ص٤٢ .
(٥٢٤) الديوان : ص١٣٣ .
(٥٢٥) مجـ٧ جـ١٠ (تشرين الاول ١٩٢١) ص٩ .
(٥٢٦) الديوان : ص٧٥ .

وقد نشرت في مجلة « العرفان » ايضا[٥٢٧] .

× بدائع الخيال[٥٢٨] .

(١٩٢٢)

× تنازع البقاء[٥٢٩] .

وقد نشرها في مجلة « الاعتدال »[٥٣٠] وفيها جعل في الديوان « قادهم » بدل « قادها » في البيت :

حدت كل من تلقى من الناس غاية   وقد « قادها » قيد الاذلاء مطمح

وهو البيت الحادي عشر من القصيدة .

وجعل « يرجحوا » موضع « يربحوا » في البيت الثالث عشر منها ،وهو:

فما اقتحموا الاخطار الا ليأمنوا   ولا احتملوا الاوزار الا « ليربحوا»

× باطل الحمد ومكذوب الثنا[٥٣١] .

وهي منشورة في مجلة « العرفان »[٥٣٢] . وفيها استبدل « حقه » بـ « حقها » في البيت :

بلغ الناس الاماني « حقها »   وبلغناها ولكن بالمنى

وهو البيت العاشر في القصيدة .

× هم علي ثقيل هذه الكتب[٥٣٣] .

---

(٥٢٧) مجـ٩ جـ٢ (تشرين الثاني ١٩٢٣) ص١١٣ .
(٥٢٨) الديوان : ص١٤٩ .
وقد اخرناها لتعذر تحديد تأريخها .
(٥٢٩) الديوان : ص٨٨ .
(٥٣٠) مجـ٣ ع١٠ (حزيران ١٩٣٥) ص٧ .
(٥٣١) الديوان : ص١٠٥ .
(٥٣٢) مجـ٧ جـ٦ (آذار ١٩٢٢) ص٣٢٨ .
(٥٣٣) الديوان : ص٦٦ .
لم نستطع العثور على الجريدة . وقد وضعنا هذه القصيدة والتي بعدها في اخر قصائد هذا العام وحسب تسلسل حروف رويها لخفاء تاريخها المحدد .

وقد نشرت في جريدة « العراق » .

× بين القول والعمل[٥٣٤] .

(١٩٢٣)

× عزلة واغتراب[٥٣٥] .

× خير رأيك ما يراه النبي[٥٣٦] .

× هوى نفسي[٥٣٧] .

× لزوم ما لا يلزم[٥٣٨] .

× منتصف شوال[٥٣٩] .

× الشعر بين الحق والباطل[٥٤٠] .

وقد نشرت في مجلة « العرفان »[٥٤١] بعنوان « لامية العرب الجديدة » .

ثلاثة أبيات في تقريظ كتاب « الشعر المقبول » للشيخ قاسم محي الدين ، أولها :

يا قاسم يا بن أبي جامع | يا ناظم الاشعار مرويه[٥٤٢]

---

(٥٣٤) الديوان : ص١٢٤ .

(٥٣٥) الديوان : ص١٠٨ .

(٥٣٦) الديوان : ص١١٦

(٥٣٧) الديوان : ص١٣٠ .

(٥٣٨) الديوان : ص١٢٧ .

(٥٣٩) الديوان : ص١١٢ . وقد ذكر تاريخها الميلادي في سنة ١٩٢٢ والصواب ما أعتبرناه .

(٥٤٠) الديوان : ص٦١ .

(٥٤١) مجـ٨ جـ١٠ (تموز ١٩٢٣) ص٧٢١ .

(٥٤٢) الخليلي : هكذا عرفتهم ، جـ٢ ص١٣٤ . وقد كان طبع هذا الديوان في هذا العام . وقد أخرنا هذين البيتين لعدم تأريخهما بالنسبة لهذا العام .

(١٩٢٤) *

× محنة الحب[٥٤٣] .

× سوانح في الحب والحكمة[٥٤٤] .

× أعياد وأفراح[٥٤٥] .

× سوانح في الحب والحكمة[٥٤٦] .

× سانحة في الحب[٥٤٧] .

× سوانح في الحب[٥٤٨] .

× الهوى لا شك فيه[٥٤٩] .

× الطيف[٥٥٠] .

(*) للشبيبي في باب الوجدانيات قصيدتان بعنوان « سوانح في الحب والحكمة » . كتب في المقدمة الايضاحية لاولهما ـ هي الثانية هنا : « هو عنوان ديوان صغير له اشتمل على هذه المقطوعة وبعض المقطعات التي تليها في هذا الباب » . وقد أرخ الثانية في الديوان بعام ١٩٢٤ . وهكذا وضعنا القصائد والمقطوعات التي تلت هذه المقطوعة ورأينا فيها « سوانح في الحب والحكمة » ، في هذا العام وقد وضعنا الثلاث الاولى في مكانها وترتيبها لتحديده تأريخها . وسلسلنا الباقية حسب تسلسلها في الديوان لعدم تأريخها .

والجدير بالذكر ان تسمية هذه المجموعة من المقطوعات والقصائد « ديواناً » ربما يعني انه كان في نيته اخراجها في ديوان مستقل قبل ان يطبع « ديوان الشبيبي » .

(٥٤٣) الديوان : ص١٥٧ .

(٥٤٤) الديوان : ص١٤٢ .

(٥٤٥) الديوان : ص١٣٩

(٥٤٦) الديوان : ص١٣٨ .

(٥٤٧) الديوان : ص١٤٣ .

(٥٤٨) الديوان : ص١٤٤ .

(٥٤٩) الديوان : ص١٤٤ .

(٥٥٠) الديوان : ص١٤٨ .

(١٩٢٧)

× الفيضان[٥٥١] .

وقد نشرت في « مجلة المجمع العلمي العربي »[٥٥٢] .

(١٩٣٣)

× بين الادب واخلاق[٥٥٣] .

وقد نشرت في مجلة « الاعتدال »[٥٥٤] . وقد قدم واخر في بعض ابياتها ، فجعل البيت الثاني والثالث كلا في موضع الاخر . وصنع الصنيع نفسه في البيتين الحادي عشر والثاني عشر .

(١٩٣٤)

× وحي الغروب[٥٥٥] .

× وقد نشرت في مجلة « الاعتدال »[٥٥٦] أيضا ، بعنوان « من سوانح الغروب » .

× الشباب الطائش[٥٥٧] .

وقد نشرها في مجلة « الاعتدال »[٥٥٨] بعنوان « الشيب والشباب » .

وكان صدر البيت الخامس بالشكل التالي : « وفي أحوالنا خلل » .

× نحن في واد[٥٥٩] .

وقد نشرت في مجلة « الاعتدال »[٥٦٠] أيضا ، بعنوان « مراجلنا تغلي » .

---

(٥٥١) الديوان : ص١٦٥ .

(٥٥٢) مجـ٧ جـ٨ (كانون الثاني ١٩٣٤) ص٦١ .

(٥٥٣) الديوان : ص١١٥ .

(٥٥٤) مجـ١ ع٢ (آذار ١٩٣٣) ص٦٣ .

(٥٥٥) الديوان : ص١٧٧ .

(٥٥٦) مجـ٢ ع٦ (تشرين الثاني) ص٢٤٨ .

(٥٥٧) الديوان : ص٩١ .

(٥٥٨) مجـ٢ ع٩ (شباط ١٩٣٥) ص٣٨٥ .

(٥٥٩) الديوان : ص٩٨ .

(٥٦٠) مجـ٢ ع١٠ (آذار ١٣٥) ص٤٣٥ .

× الفوز في الحياة(٥٦١) .

(١٩٣٥)

× التكريم المصطنع(٥٦٢) .

وقد نشرها في مجلة « الاعتدال »(٥٦٣) .

× روح الرسول(٥٦٤) .

× الدست المهجور(٥٦٥) .

(١٩٣٦)

× ذكرى شاعر(٥٦٦) .

(١٩٤٦)

× ذكرى أديب(٥٦٧) .

(١٩٦٤)

× مجموعة « رنين على الاجداث » وهي أربع عشرة منظومة بين قصيدة ومقطوعة(٥٦٨) .

---

(٥٦١) الديوان : ص٩٤ . وقد اخرناها لتعذر تحديد تاريخها .

(٥٦٣) العدد السابق : الصفحة نفسها .

(٥٦٤) الديوان : ص١٠٧ . وقد اخرناها لتعذر تحديد تاريخها .

(٥٦٥) مجلة « الحضارة » : مجـ٣ عدد ٣٨ (مايس ١٩٤٥) ص٥ ، والملحق رقم (٢) . وقد رجحنا انها نظمت في هذا العام لانها اذ نشرت عام ١٩٤٥ قدمت لها المجلة التي نشرت فيها بقولها : « وهذه مقطوعة ... مضى على نظمها أكثر من عشر سنوات ... وهي نفثة عبر بها الشاعر الكبير معالي الشبيبي عن غرض في نفسه » . ولعل هذا الغرض هو استقالته من الوزارة التي جرت في هذا العام ، لما فيها من تلميح الى ذلك

(٥٦٦) الديوان : ص١٩٣ .

(٥٦٧) جريدة « الحرية » : ع٣١١ (٢٠ حزيران ١٩٥٥) ، والملحق رقم (٢)

(٥٦٨) الملحق رقم (١) .

وهذه مجموعة من القصائد تعذر تحديد تأريخها ، وقد قسمناها الى قسمين .

الاول : يضم الشعر الذي نظمه في مطلع حياته . والثاني : يضم الشعر الذي نظمه بعد ذلك .

وقد اهتدينا الى القسم الاول من اشارته الى ذلك ، كما فعل في قصيدة « ايدي الربيع »(٥٦٩) . أو من انتسابها الى الاغراض التي طرقها في ذلك الحين ، مستفيدين من وضوح التقليد والاهتمام بالمحسنات البديعية فيها ، مما وسم الكثير من شعره في مطلع هذا القرن ، امتداداً لشعر العهود السابقة . وقصائد هذا القسم هي من شعره الذي استبعده من ديوانه ، فيما عدا جزء من قصيدة « أيدي الربيع » المارة الذكر .

هذا وقد رتبنا قصائد كل قسم حسب تسلسل حروف الروي .

القسم الاول :

× قصيدة في رثاء أحد أصدقائه(٥٧٠) . ومطلعها :

أمقبل كبوة عاثر الاحقاب عثرت بك الايام عثرة كاب

× أيدي الربيع(٥٧١) .

وقد اثبتها مؤلف « شعراء الغري »(٥٧٢) بعنوان « الربيع الباسم » . وقد حذف الشبيبي منها أربعة عشر بيتا مبتدئا بالبيت الثامن . والابيات المحذوفة هي :

وكأن الورد والاس بها خد تبر منقبل في عنبر
والبهار السقم قد أنهكه فهو صب ذو أهاب أصفر
فاصطبح أو فأغتبق مشمولة عصرت من قبل خلق الاعصر

---

(٥٦٩) الديوان : ص١٧٩ .
(٥٧٠) الخاقاني : شعراء الغري جـ٩ ص٥٢ .
(٥٧١) الديوان : ص١٧٩ .
(٥٧٢) جـ٩ ص٥٩ .

واذا ذاق جبـان كأسـها هـزأت سـطوته فـي عنتـر
يرشـف الشـرب طلاها أحور مـزج الراح بريـق كوثـري
رق طبعا وأديمـا فـاذا مـر أدمى وجنتيـه نظـري
واذا صـوره عـاشـقه كـاد أن يمـزجـه بالفكـر
ان قلبي في هـواه كلمـا سـطرت طلعتـه في سـفر
قـد أقـرت وجنتـاه بدمـي فادعـى ناظـره أني بـري
وثنى لـي معطفـا لم يقض لي بانعطـاف وهـو غض وطري
تحسـب الخـال على وجنتـه مسـكة قـد القيت في مجمـر
لو رآه الفلـك الاعـلى لـه قال : طوقتـك نصف القمـر
ولـك الجوزاء منـه ولهـا من هـلال شـد شبه الخنجر

× قصيدة في رثاء الحسين (ع)[٥٧٣] ، ومطلعها :

لاطفت في مقلتي بل لاطفقت كرى الفت بعد الاليف السهد والسهرا

× قصيدة في تهنئة الشيخ علي كاشف الغطاء بقران ابن أخيه كاظم كاشف الغطاء[٥٧٤] ، ومطلعها :

اخفى خيالك واستره بـدر رآك فضحت بـدره

× قصيدة في تهنئة الشيخ هادي كاشـف الغطـاء بقـران ولـده محمدرضا[٥٧٥] ، ومطلعها :

بعض الصـدود قتلت صبك معرضا أو ما كفاك من القطيعة ما مضى؟

× قصيدة في تقريظ منظومة الشـيخ محمد حسـين الكيشـوان في العروض[٥٧٦] ومطلعها :

---

(٥٧٣) الخاقاني : شعراء الغري ، جـ٩ ص٥٩ .
(٥٧٤) المرجع السابق : ص٥٥ .
(٥٧٥) المرجع السابق : ص٦٢ .
(٥٧٦) المرجع السابق : ص٦٧ .

يا بحر فضل بلآليه صدف ما صد عنه حاجب ولا صدف

× قصيدتان في مدح الشيخ هادي كاشف الغطاء • مطلع الاولى :

متى يا ناضر العطف تمني الصب بالعطف[٥٧٧]

ومطلع الثانية :

قلبي لشرع الهواء أسلم مذ ظنني من هواه أسلم[٥٧٨]

القسم الثاني :

× نحن تماثيل ، نحن مرائي[٥٧٩] •

× الصبر[٥٨٠] •

× ليلى[٥٨١] •

× الملامة بالشعر[٥٨٢] •

× العلم والمال[٥٨٣] •

× ذكريات الماضي[٥٨٤] •

---

(٥٧٧) المرجع السابق : ص٦٨ .
(٥٧٨) المرجع السابق : ص٧٦ .
(٥٧٩) الديوان : ص٧٧ .
(٥٨٠) الديوان : ص٩٩ .
(٥٨١) الديوان : ص١٣٤ .
(٥٨٢) الديوان : ص ٨٦ .
(٥٨٣) الديوان : ص١١٩ .
(٥٨٤) الديوان : ص١٤١ •

الباب الثاني

الشبيبي الشاعر

الفصل الاول : مفهوم الشعر عند الشبيبي .

الفصل الثاني : أغراضه الشعرية .

الفصل الثالث : فنه الشعري .

الفصل الرابع : مكانة الشبيبي في الشعر العراقي الحديث .

الفصل الاول

مفهوم الشعر عند الشبيبي

عندما نتصفح « ديوان الشبيبي » تطالعنا مقدمته لتقـــول لنا امورا ثلاثة .

اولها : ان هذا الديوان لم ينشـ بدافع ذاتي من صاحبه ، وانما هو قد طولب كثيرا بنشره . وممن فاتحه في ذلك مجلس ادارة احدى المؤسسات الثقافية(*) التي قامت بنشره بعدئذ(٥٨٥) .

والثاني : هو الدافع الذي حفز الشاعر فنظم ما يحويه الديوان من قصائد ومقطوعات(٥٨٦) .

أما الثالث : فهو رسالة الشاعر ، كمـــا يراهـــا الشبيبي ، صـــاحـب الديوان(٥٨٧) .

نستشف من الامر الاول ، وهو ما يتعلق بنشــره الديـــوان ، شـــعوره بمسؤولية نشر « ديوان » لان الشاعر ــ أو الاديب أو الكاتب بصورة عامة ــ عندما يضم نتاجه المنشور ، وأغلب شعر « ديوان الشبيبي » منشور ، ليخرجـه في كتاب ، فان ذلك تزكية منه لنتاجه ، اذ فرق بين أن ينشر هذا النتاج متفرقـا في المجلات والصحف ، وبين أن يضمه في كتاب وينشره مرة ثانية . صحيـح ان صاحب النتاج يشعر بمسؤولية النشر منذ نشره الاول ، ولكنها تتضاعف في النشر الثاني ، فهو في هذه المرة يخرجه بعد ان نشره ثم وجـــد فيــه ، وفي نفسه ، الثقة في هذا الذي يقدمه الى القراء . وأنه ما يزال عند رأيه فيه ، أو في أغلبه ، وانه يستحق هذا الجمع وهذا النشر . ولذلك نجد اعادة النظـر فيه عند الكثيرين ، ومنهم الشبيبي نفسه . فقد أعاد النظر في شـعره وحـذف

(*) جمعية الرابطة الادبية في النجف .

(٥٨٥) الصفحة الاولى .

(٥٨٦) الصفحة السابقة .

(٥٨٧) ص : هـ .

ما غير رأيه فيه ، وأضاف اليه ما رأى ان الحاجة تدعو الى اضافتـه ، ليستوي كما يجب ان يقدمه الى الناس •

وشعور الشبيبي بمسؤولية نشر نتاجه هي التي حدت به الى القـول عـن نتاجه النثري ، كما مر بنا « ولي عدة مؤلفات لم يخرج اكثرها الى المبيضـة • وأنا أرى من دواعي الغبطة عدم انتشار شيء منها بالطبع الى الان ، بعـد ان تحققت أن أكثر ما يتعجله وينشره هذا الانسان الجاهل المغرور ، انما هـو جنس من التزيد والفضول »(٥٩٨) وهو يقول عن الديوان : « وغاية ما اسمح به لنفسي من القول ان الديوان لم يكن نابيا عن بيئة بل كان على الارجح ملائما للزمان والمكان الذي نظم فيه ، كما ان أغراضه لم تكن سياسية قط ، وانما كانت في جملتها اصلاحية ، ولعل طبيعة البلاد ، وما ألم بها من أحداث ، وما اجتازته من أزمات ـ وفيها ما يثير الشجن والالم الممض ـ أكبر مصادر الالهام في هذا الديوان »(٥٩٠) •

والمطالع لهذا الديوان يلمس فيه الروح المتوثبة المتحسسة لآلام الشعب ، فهو معه فيما يمر به من أحداث ، من فرحة باعلان الدستور العثماني ، ومـن خيبة في الاتحاديين ، ومن دفاع عن حق المسلمين والعرب ضد الاوربيين وضد المقصرين من أبناء الوطن ، داعيا الى الاصلاح والسير في طريق التقدم بوعـي وعزيمة ، والى اجتثاث الفساد ، وخلع رداء الخمول ، محفزا الى التمسـك بالفضيلة والاخلاق الكريمة ، في شعر متدفق مخلص •

واذا كان القارىء وهو يمضي في مطالعة الديوان سيجد الشـاعر يمضـي ليختلي بنفسه في بعض الاحيان ، فما أحوج الشاعر ، والانسان ، أحيانا الى أن يجد فسحة من الوقت يختلي فيها بنفسه ، فانه سيجده حتى في الكثـير مـن خلواته ، وهو يتأمل مرة ، أو يتغزل اخرى ، مثلا ، ظاهر الالتزام بالخـط الذي انتهجه لنفسه في سبيل الخير • فهو اذ يتأمل فيسجل ذلك شعرا انمـا

---

(٥٨٩) الفصل الثاني من هذه الرسالة .
(٥٩٠) الديوان : المقدمة : ص د .

يكشف عما يقلقه من مظاهر الكون والحياة والمجتمع ، فيكشف للقارىء جانبا مما يدور في كثير من النفوس المتطلعة المتسائلة . وكانت نفس الشاعر احدى هذه النفوس ! وهو اذ يتغزل ينهج في غزله نهجا عفيفا يربأ بالنفس عن الارتماء في الشهوات الجسدية التي تنحدر بالحب الى درك لا يريده الشاعر للنفس العاشقة . بل اننا حتى عندما نجده راثيا نجده لا يرثي الا مجاهدا أو عالما أو شخصية ذات شأن .

ويتضح الخط الذي انتهجه في الشعر في الثالث مما ذهب اليه من امور في مقدمة الديوان ، في حديثه عن رسالة الشاعر . فهو يراها « لا تعدو صفة الدواء ، بعد تشخيص الداء ، ولا تعدل عن استخراج العبرة البالغة من سنن الاجتماع وعبر التاريخ ، ولا تتعدى الاشادة بقيم الفضائل ومكارم الاخلاق . فاذا كانت للشاعر جولة في وجه من وجوه الاصلاح ، أو ناحية من نواحي الخير، واذا ومضت في فنه شعلة تنير السبل الحالكة ، أو علت صرخة تثير العزائم الخامدة ، أو سرت نفحة تحيي الرمم البالية ، فقد ادى الرسالة ، وهي هدفه الاقصى ، وفيها عوض عن كل فائت لمن عشق فنه ، أو أخلص لمثله الاعلى . واذا كانت الاخرى فليس الناظم بأول سار غرة القمر ، فمضى يخبط في مفاوز الحياة »(٥٩١) واذا لم تكن غاية الشعر تلك الغاية فلا قيمة له ، ولا داعي الى قوله واذاعته :

من الحق حبس الشعر الا لغاية
تفرق فيها بين حق وباطل

ولا خير في شعر اذا لم يقم به
خمول نبيه أو نباهة خامل(٥٩٢)

....

(٥٩١) الديوان : المقدمة : ص‌هـ .

(٥٩٢) الديوان : ص٦١ .

والشبيبي يجانب الروح الانعزالية في الشعر تلك الروح التي سيطرت على الشعر العربي زمنا ، انغلق فيه الكثير من الشعراء على أنفسهم أو على خاصتهم، فمضوا ينظمون في أغراض غير ذات نفع ، أو هي في خدمة فئة محدودة من الناس ، بشعر يطغى عليه التكلف والصنعة .

والشبيبي من أوائل من طرقوا الموضوعات الاجتماعية بين شعراء العراق عامة ، وأولهم على الاطلاق بين شعراء النجف ، كما يذهب بعض مؤرخي الادب العربي الحديث[٥٩٣] .

ولم يكن الشبيبي ـ في غير شعر الديوان ـ قد سلم مما وقع فيه سابقوه أو معاصروه من النظم في أغراض تدور حول تهنئة بقران ، أو مديح أو رثاء شخصين ، فقد كان « شاعرا نجفيا ، تأثر بمحيطه ، وخضع لواقعه ... كسائر أبناء المحيط الذين يخضعون لشتى الاعتبارات ، فهو اذ يمدح فانما يفهمك ضرورة ما قام به من امتزاج وصداقة حدث به الى ذلك . وهو حينما يرثي فانما يقوم بقسط من واجب فرض عليه أن يعمل ذلك . وهو في كل ذلك تراه ذلك الروحي الذي شعر قبل غيره بكرامته »[٥٩٤] ولكنه بمرور الزمن وتغير نظرته الى الامور وما طوره من نضج ، هجر ذلك اللون ، أو تلك الالوان من الشعر حتى انه عندما طبع ديوانه الوحيد جرده من ذلك الشعر .

والشبيبي شاعر يرى أن « الصدق » يجب ان يكون رائد الشعراء ، وهم قادرون على قوله ، فهو يدعو الشعراء الى احترام شعرهم وعدم ابتذاله وجعله وسيلة خادعة لكسب مغنم أو مصدرا للرزق . فالرزق يأتي بالعمل لا بالبطالة وقرض الشعر . كما يدعو الى تجنب الهبوط بالشعر بترديده في التهاني أو فرح اللقاء أو ترح الوداع أو في الرثاء الشخصي ، لان للشعر دورا أهم من ذلك

---

(٥٩٣) أحمد حسن الزيات : كلمته في تأبين الشبيبي . انظر : نشرة « مجمع اللغة العربية ـ الدورة الثانية والثلاثون ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ » الجلسة الثامنة الورقة الثانية .

(٥٩٤) الخاقاني : شعراء الغري : جـ٩ ص٣٥ .

هو الدفاع عن الحق ، وهو الايقاظ والهداية ، وهو نصرة قضايا الشعوب .
ولنسمعه في قصيدة « الاجتماع والشعراء »(٥٩٥) اذ يقول :

لئن كلفت نطقك قول صدق   فما كلفت فوق المستطاع

وليس أقل حدا من أديب   تخيل شعره شرك انتجاع
يجاذبه اليه صدى مهين   ويستولي عليه صوت ناعي
يصانع باللسان لنيل رزق   يجانب فيه فن يد صناع
ونهج الجد للارزاق أولى   بأهل المجد من نهج الخداع
فسمعاً أيها الشعراء سمعا   وقول الحق أجدر بالسماع
مللنا القول في فرح التلاقي   بمن نهواه أو ترح الوداع
فيا شعراءنا انتقلت اليكم   مراقبة العوائد والطباع
مراقبة هداية غير هاد   تقوم بها ، ويقظة غير واع
رعى الله القريض وناظميه   ومن لهم رعاية كل راع
فان لهم لالسنة حدادا   أحق من الصوارم بالدفاع
وان لهم لافئدة شدادا   تسد مسد سابغة ادراع
وان لهم على الشعب اطلاعا   كما اطلع المطل على يفاع
وان لهم لانفاسا حرارا   وأنفاس النفوس الى انقطاع

والشعر يجب أن يكون نابعا من نفس قائله ، لا أن يقال تلبية لرغبة الاخرين ، ولمناسبة يرون ، هم ، أن يقول فيها الشاعر شعره .

اذا لم يجئك الشعر عفوا تحامه   وان لم يسعك القول لا تتخلق(٥٩٦)

---

(٥٩٥) الديوان : ص٩٦ .

(٥٩٦) الديوان : ص٤٢ .

فشعر مثل هذا شعر مصطنع متكلف . ونحن نقرأ الشبيبي عندما يطلب اليه مرة رفائيل بطي أن ينظم قصيدة يعارض فيها قصيدة « ياليل الصب » يقول لـه ، كما يحدثنا بطي نفسه(٥٩٧) : « لا أعرف أمرا يقال له الطلب الى الشاعر أن ينظم كيت وكيت . والشعر شعور تجيش به النفس ويصدر من القلب » ثم أوليس الشبيبي هو القائل :

ليس هذا الشعر ما ترونه ان هذي قطع من كبدي(٥٩٨)

ولكننا قرأنا له في حديثه في بعض حالات نظمه الشعر قوله :

متى زحمت عوادي الدهر ركني والفتي مهيض الجانبين
بسطت الى مليك الشعر كفي فرد الهم منقبض اليدين
لمردت وساوسي بمقطّعات جلوت بها سبائك من لجين
أؤلفهن من صدق صريح وان أحصر فمن صدق ومين
اذا جربت أن أقتاد بيتا فأسلس لي طمعت باخرين(٥٩٩)

ونلاحظ في الابيات السابقة ملاحظتين :

أولاهما : ان الشعر يتأبّى عليه أحيانا ، حتى ليصاب بـ « الحصر » .
ثانيتهما : قوله انه يؤلف أبياتا من صدق صريح ، فان يحصر فمن صدق ومين ! .

وبالنسبة الى الملاحظة الاولى فانه يشير الى حالة يمر بها بعض الشعراء أحيانا . وأما عن الملاحظة الثانية فانه يوضح قصده في هذا البيت من كلمة « مين » في الهامش الذي حذفه مع البيت من الديوان . فيقول : « لا تذهب

---

(٥٩٧) الادب العصري : جـ١ ص١٣ .
(٥٩٨) الديوان : ص٨٣ .
(٥٩٩) جريدة « البرق » : ع٢٨٧ (٨ آب ١٩١٤) ص٧٦٥ . وقد اثبت تاريخ النشر في الديوان ، خطأ ، سنة ١٩١٣ . وغيّر عنوان القصيدة من « يادهر حسبي » الى « هي الاحلام » ، وحذف البيت الرابع من الاستشهاد أعلاه . انظر الديوان : ص١٥١ .

الى المين الصريح ، فبئس الخلة ، وانما المعنى بعض ضروب المبالغة والمجاز التي لا بد منها لمن يذهب مذاهبهم في الكلام » •

فهل يقصد ان « الصدق » ، في هذه الحالة ، هو البعد عن « ضروب المبالغة والمجاز التي لا بد منها » ؟ وهل تدعى مبالغة اذا كان لابد منها ؟ واذا خلا الشعر مما لا بد منه من الضروب المذكورة ، وهي التي تضفي عليه الاخيلة والصور ، فهل يكون ذلك شعرا دون أن ننسى ان الشعر هو أكثر من كلام موزون مقفى ؟! •

ربما أراد أن يقول انه « وقت الحصر » يتكلف بعض شعره ، ولما كان ذلك لا يتفق مع دعوته الى الصدق والبعد عن التكلف نراه حذف البيت وقت ان أثبت القصيدة في الديوان • ومن يدري ؟ لعل القافية هي التي جرته الى هذا اللفظ ، فدعاه الى شرحه في الهامش ، ثم دعاه ، بعد ذلك ، الى حذف البيت بأكمله مع هامشه ! •

* * *

وهكذا نرى ان الشبيبي واحد ممن دعوا الى التجديد في الشعر العراقي الحديث وسعوا الى الابتكار فيه • والحقيقة ان روح التجديد أخذت تسري في الشعر العربي الحديث منذ تألق في سماء مصر شعراء دفعوا الشعر العربي في طريقه ، منذ البارودي وشوقي وحافظ « الذين انقذوا الشعر العربي من هوة سحيقة كان قد تردى فيها منذ عصور العباسيين المتأخرة حتى حركةالبعث العربي الحديثة »(٦٠٠) فقد نقل البارودي الشعر العربي نقلة خطيرة « فهو الشاعر الذي أعاد للشعب العربي ديباجته الاولى ، وخلصه من المحسنات البديعية العقيمة والزخارف اللفظية الخاوية التي كان قد انحدر اليها ، وذلك بعودته الى الشعر العربي القديم في عصور ازدهاره ••• واستطاع بذلك رد الديباجة القديمة الناصعة لشعرنا الغنائي ، وذلك مع قوة في الطبع ، وانفعال باحداث عصره وظروف حياته الثورية الشجاعة ، فجاء شعره ايذانا بنهضة

(٦٠٠) د . محمد مندور : الشعر المصري بعد شوقي ، الحلقة الاولى ، ص٣ .

شعرية رائعة هي التي وضعت الاساس للنهضة الادبية المعاصرة »[٦٠١] •

وقد كان لدخول الصحافة العربية الى العراق بعد اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨م أثره البين في تغذية اليقظة الفكرية والادبية في العراق الامر الذي جعل العراقيين ينتفعون بكثير من التجارب التي مرت بها مصر وغيرها من البلاد العربية السابقة الى النهضة • « فرأينا الاديب العراقي يقفز ويسير مع الشاعر المصري ، لذلك لم نجد في العراق من مثل محمود سامي البارودي واسماعيل صبري ، لان النهضة وصلت العراق كاملة ، فتأثر الشعراء بتيارات الفكر العربي في مصر وسوريا بوساطة الجرائد والمجلات ••• حيث نشرت قصائد حافظ وشوقي ومطران الى جانب قصائد الزهاوي والرصافي والدجيلي والشبيبي وخيري الهنداوي •

ويظهر أثر هذه النقلة في شعر الشعراء ، فاذا قرأنا أول شعرهم وجدناه يعنى بالمحسنات اللفظية وكأنه من شعر القرن التاسع عشر ، فيه ترصيع وتخميس وتشجير ورد العجز على الصدر ، وبعدها نجده شعرا يساير النهضة الحديثة ، من عناية بالمعاني والسهولة والبساطة • وبذلك جمع الشعر فترتين من فترات مصر ، فترة الجبرتي التي عنيت باللفظ ، وفترة ثورة عرابي ، حيث بدأت عوامل التحرر والتجديد تسري في أعطافه • وبذلك كانت فترة التقليد قصيرة الأمد »[٦٠٢] نسبيا • وهكذا وجدنا الرصافي ينفتح على قضايا الناس ليعالج المشاكل الاجتماعية والوطنية والسياسية ، مبتعدا عن التزويق اللفظي والمحسنات البديعة ، داعيا الى التجديد والابتكار • ووجدنا الزهاوي يندفع الى التجديد بما طرق من موضوعات علمية بأسلوب هابط بعيد عن العناية باللفظ هوى به الى الحضيض في طلب التجديد[٦٠٣] وترديد الدعوات الى الابتكار والتجديد

---

(٦٠١) د • محمد مندور : فن الشعر ، المكتبة الثقافية ، ع (١٢) ، ص١٣٣ •
(٦٠٢) د • يوسف عز الدين : في الادب الحديث ص١٦ •
(٦٠٣) د • يوسف عز الدين : مقدمة « الزهاوي ، دراسات ونصوص » ، جمع واعداد : عبد الحميد الرشودي ص ١٠ •

على الالسن ، فسمعنا الرصافي[٦٠٤] يقول :

لا يحسن الشعر الا وهو مبتكر ... وأي حسن لشعر غير مبتكر ؟

وسمعنا الزهاوي[٦٠٥] قائلا :

سئمت كل قديم ... عرفته في حياتي
ان كان عندك شيء ... من الجديد فهات

والشبيبي[٦٠٦] الذي ردد :

يا ناشدي الاثر القديم ألا ايأسوا ... من طول نشدان القديم العافي
بقي القديم وانما جددتم ... ضربا من الاسماء والاوصاف

وردد :

أهيم بسر الابتكار لانني
ـ وقد طال عهدي ـ لا أرى غير ناقل[٦٠٧]

دعا الى نبذ المقاييس القديمة البالية التي تقيم الشعر على أساس من الصناعة اللفظية والمحسنات البديعية والمشاعر المصطنعة والعواطف الكاذبة . فهو يقول في تصديره لاحد الكتب : « من المسلم به ... ان تهمل مقاييس القدماء ، وموازين المقلدين الذين يوازنون فيها بين الجيد والرديء من القول ، أو الغث والسمين من الكلام . وما كانت الموازين والمقاييس القديمة البالية الا هذه الصناعات اللفظية والمحسنات البديعية . هذا من جهة الالفاظ ، والا هذا الشعور المصطنع والعواطف الكاذبة ، غلوا في المدح ، واقذاعا في الهجو[٦٠٨] .

وهو لم ير ، كما يرى الزهاوي ومن يرى رأيه ، أن القديم لا خير فيه،

---

(٦٠٤) ديوان الرصافي : ص٨١ .
(٦٠٥) اللباب : ص١٥٤ .
(٦٠٦) الديوان : ص٧٠ .
(٦٠٧) الديوان : ص٦١ .
(٦٠٨) معروف الرصافي ، حياته وشعره وبيئته للدكتور بدوي طبانة : ص٤ .

وان الخير كل الخير في الجديد فقط ، بل هو يحدد المقياس الذي يريد ان يقاس به الاثر الادبي ، غاضاً النظر عن زمنه . فهو يقول : « من أهل زماننا قوم شغفوا بالجديد لانه جديد ، وذهبوا الى استبعاد القـــديم مـن تراثنـا في الاداب والفنون لانه قديم . والحق ان العبرة ليس في حداثة عهده ، عـــلى ما يرام قوم ، ولا في قدم عصره ، كما يذهب اخرون ، بل العبرة في هـــذا الباب بلطف المعنى وسلامة المبنى وبلاغة العبارة وصدق العاطفة وجمال الشعور والتصوير . وان من الشعر لما يهز النفس ويرضي الوجدان . وان من الشعر لمـا يلهم الصواب ويهدي الى الحكمة . والخلاصة ، اذا توافرت في الشـعر القديم هذه الخصائص فهو شعر جديد . واذا خلا منها الشعر الحديث فهـــو غث عتيق »(٦٠٩) .

واذا رأينا بعد ذلك ان الشبيبي يؤكد جانب المعنى فذلك تمثل لطبيعة تلك الحقبة التي أصبح فيها الشعراء يحاولون أن يعبروا عما يجـول باذهانهـــم في رؤيتهم المتطورة للحياة والمجتمع من ناحية ، ومن ناحية اخرى لادراكهم الجديد لتفاهة التزويق البديعي وعدم انسجامه مع ما للشعر من مكانة ودور . وهكذا نجد الشبيبي يلفت النظر الى المعاني ، فهي الارواح وما « اللغى » ســـوى هياكل . والنفس الرفيعة تعشق المعاني ، ففيها السر الذي يجذب النفوس .

معانيك الفاظ هياكلهـــا اللغـــى وسرك في الالفاظ لا في الهياكـل

اذا ارتفعت نفس وجلت تعشقت جلال المعاني لا جلال المنازل(٦١٠)

أو قـوله :

زن قبل لفظك معنى البيت تنشئه فرب بيت بمعنى غير متزن(٦١١)

ذاهباً الى أن وزن البيت وقيمته انما هي في المعنى الذي يحويه وليس في الفاظه ووزنه .

---

(٦٠٩) ادب المغاربة والاندلسيين : ص٨ .
(٦١٠) الديوان : ص٦٣ .
(٦١١) الديوان : ص١٤٢ .

ويعيد بعض ذلك المفهوم ، ، مشيرا الى بعد اخر للقضية . فمعلوم ان الاهتمام باللفظ كثيرا ما جر الى كلام طويل لا طائل تحته ، ولا خير من ورائه ، ولهذا فهو يدعو الى الايجاز في التعبير ، والى عدم الاطالة . فرب بيت مركز يصيب القصد خير من قصيدة كاملة تخطئه :

وأجمع أقوال الرجال أسدها　　معان كبار في حروف قلائل
وقد يفضل البيت البليغ قصيدة　　مطولة لكن على غير طائل[٦١٢]

واذا رأينا الشبيبي في ذلك يؤكد جانب المعنى دون اللفظ فذلك لما سبق من سبب ، وليس لعدم اهتمام باللفظ ، فقد مر بنا قوله : « ان العبرة في الشعر ... بلطف المعنى وسلامة المبنى وبلاغة العبارة » . وهو يقول في موضع اخر : « ان الادب الاصيل هو الفن الذي لا يقتصر على العناية بالمعنى تاركا ناحية القوالب والمبنى . فالالفاظ وأساليب التعبير يجب ان تنال حظا من العناية لا يقل عن حظ المعاني »[٦١٣] .

واذا كان رأيه في المعنى واللفظ هو ذاك ، وهو اهتمام بالمعنى دون تفريط في اللفظ ، فان رأيه في القافية هو رأي المعتز بها ، معتبرا إياها ركنا للبيت الرفيع ، فالشعر دونها لا قيمة له . استمع الى قوله :

ركن الرفيع من الابيات قافية　　لا خير في البيت تبنيه بلا ركن[٦١٤]

وهو اذا قال في موضع اخر في حديث له عن الشعر :

. . . .　　وادهى دواهي الشعر تقييد مطلق
فيا رب حسناء الاعاريض تتقى　　وتهجر كل الهجر ان لم تطلق[٦١٥]

أو قوله مخاطبا « الهزار الشاعر »[٦١٦] .

---

(٦١٢) الديوان : ص٦١ .
(٦١٣) مقدمته لكتاب « قلب العراق » لامين الريحاني : ص١٠ .
(٦١٤) الديوان : ص١٤٢ .
(٦١٥) الديوان : ص٤٣ .
(٦١٦) الديوان : ص١٦٠ .

ابدعت نظم الشعر غير مقيد بُعداً لشعر بالقوافي يلجم
ونثرته هزجا واثقل شاعر لا يستجيد الشعر حتى ينظم

فهو يتحدث في الشطر والبيت السابقين عن لون معين من الشعر يقول فيه :

الى الآن لا يستملح الشعر ان علا ولا يستجاد القول ان لم يلفق
قريض طلول عافيات وأربع وشعر جمال سائرات وأينق
مقيدة أبوابه و فنونه وأدهى دواهي الشعر تقيد مطلق
. . . . الخ(٦١٧)

فهو يتحدث عن هذا الشعر التقليدي الذي يبدأ بالحديث عن الاطلال ورحيل الحبيبة ورحلة الشاعر ، لا لان للشاعر حبيبة ارتحلت فوقف على أطلالها ، ولا لان الشاعر قد قام برحلة على ظهور الابل بل لان الشاعر يردد ذلك مقلدا ، ارضاء المتقليد ومستملحيه ، وما ذلك غير شعر ملفّق قيد دونما داع للتقييد . انه يتحدث عن القيود التقليدية لهذا الشعر . ولكننا نجده ،رغم استهجانه لصنيع هؤلاء الشعراء ، قد وقع في ما استهجنه . فبدأ بالحديث عن الحب والحبيبة ووقف على الاطلال في بعض قصائده(٥١٨) .

وهو عندما يحدث « الهزار الشاعر » في البيتين السابقين فكأنه يتخذ من تغريد هذا الهزار مثلا أعلى لشعر رفيع بلا قيود ، لانه ، كأي شاعر اخر يلتزم القافية ويشعر بما لها من أهمية ، يحس ، بشكل من الاشكال ، انها قيد على أية حال . ومتى أحب الانسان القيود ، شاعرا كان أو غير شاعر ؟! ومن لا يطمح الى بلوغ عالم خيّرٍ جميل بعيد عن كل قيد ؟! ولكن ذلك لا يتأتى ، مثلما لا يتأتى شعر رفيع بلا قافية ولا وزن ، على حد رأيه .

ولعل اعتزاز الشبيبي بالقافية والوزن على النسق التقليدي هو الذي حدا

---

(٦١٧) الديوان : ص٤٣ .
(٦١٨) الديوان : القصائد : « في سبيل الشرق » ص٥ ، « الحب الطاهر » ص٤٠ . « الشعر خيال » ص٩٢ ، « بقاء الاصلح » ص١١٧ ، « الحب والشكوى » ص١٤٦ .

به الى اعتبار « الشعر الحر » شعرا غير أصيل ، يعجز عن بلوغ الاصيل فهو يرد سائله عن « مصير الشعر العربي بعد طغيان حركة الشعر الحر عليه » قائلا :
- ان الشعر المطلق أو الحر أو ما يسمى شعرا طليقا أو حرا سوف يعجز عن معارضة الشعر العربي الاصيل »(٦١٨) •

فمفهوم الشعر لدى الشبيبي ، اذن ، ان الشعر مسؤولية ، وهو رسالة على الشاعر أن يؤديها • وهذه الرسالة هي صفة الدواء بعد تشخيص الداء ، واستخراج العبرة من الحياة ، والدعوة الى الفضيلة ومكارم الاخلاق ، ليتسنى للشاعر ان يحفز الهمم ويدفع بمجتمعه الى الرقي ، متجنبا الموضوعات التي تحط من مكانة الشعر ودوره حين تجعله آلة في خدمة الاغراض الضيقة •

واذا كان الشعر العراقي قد حفل زمنا بالمحسنات البديعية والصناعة اللفظية والعواطف الكاذبة ، فهو يرى ان تلك أساليب قديمة يجب ان يتخلص الشعر منها بالاهتمام بالمعنى الموجز دون تفريط باللفظ ، للوصول الى الشعر الجيد الجديد •

وهو في مفهومه هذا لا يفرط في الشعر القديم من أجل هذا الشعر الجديد، لانه لا يقرن الجدة بالزمن بل بلطف المعنى وسلامة المبنى وبلاغة العبارة وصدق العاطفة وجمال الشعور والتصوير • فتلك الامور هي التي تجعل الشعر يهز النفس ويرضي الوجدان ويلهم الصواب ويهدي الى الحكمة • وبها يكون الشعر جديدا ، قديما كان أو حديثا •

وهو الى ذلك يحرص على القافية ، رغم شعوره بما فيها من تقييد ، لانه يراها ركن البيت الرفيع ، ولا خير في بيت بلا ركن • ولعله من أجل ذلك رأى الشعر الحر شعرا غير أصيل ، وأنه يعجز عن معارضة الشعر الاصيل •

---

(٦١٩) مجلة « الفكر » : مجـ٣ ع٩ ، ١٠ (آذار ، نيسان ١٩٦٠) ص٨ .

الفصل الثاني
اغراضه الشعرية

١ ـ الوطنية والقومية في شعر الشبيبي •

٢ ـ القضايا الاجتماعية في شعره •

٣ ـ المناسـبات •

أ ـ الرثـاء •

ب ـ المديح والتهنئة •

٤ ـ النظر الفلسفي •

٥ ـ الغـزل •

٦ ـ الطبيعـة •

طرق الشبيبي عدة من الاغراض الشعرية ، منها ما هو قديـم تقليـدي كالغزل والرثاء والمديح والتهنئة مثلا ، ومنها ما هو جديد مستحدث انفتح بابه مع مطالع هذا القرن كالوطنية والقومية وغيرها •

وقد قسم الشبيبي ديوانه بين الابواب التالية :

الحماسة ، الحكميات ، الاجتماعيات ، الاخلاقيات والالهيات ، الوجدانيات ، الوصفيات ، الرثاء ، المتفرقات •

ولكننا اذ درسنا أغراض شعره لم نجرِ على هذا التقسيم ، وذلك لاننا لاحظنا ان الغرض الشعري ، في كثير من الاحيان ، ينبسط على أكثر من باب واحد ، كما ان بعض الاغراض ، كالمديح والتهنئة مثلا ، لم يكن ضمن شعر الديوان ، من جهة ، ولان هذا التقسيم لا يوصلنا الى الغاية التي نريدها في دراسة أغراض هذا الشعر ، من جهة اخرى •

وقد سلسلنا الاغراض حسب أهميتها عنده ، أو اتساعها في شعره • ونرجو أن نكون قد وفقنا في هذا السبيل •

١ ـ الوطنية والقومية في شعر الشبيبي :

مر بنا في فصل سابق(*) الحديث عن حياة الشبيبي ، وعرفنا مع ما عرفنا ، جانبها الوطني والقومي ، ونود الآن أن ننظر في شعره الذي صور هذا الجانب، والذي وضعه في باب أطلق عليه « الحماسة » ، وهو أول باب في الديوان •

والشعر الحماسي ، كما ذهب بعض مؤرخي الادب الحديث ، هو « ذلك الشعر الذي نظمه الشعراء في معارك النضال القومي ، ممجدين فيه بطولات الابطال والشهداء ، منددين فيه بمظالم المستعمرين وأحابيلهم ، مستحثين فيه همم مواطنيهم كي يمضوا قدما في الكفاح ، ليستردوا حقوقهم المهضومة »[٦٢٠] •

(*) ـ الفصل الاول من الباب الاول .

(٦٢٠) د . أمجد الطرابلسي : محاضرات عن شعر الحماسة والعروبة في بلاد الشام ص٥ .

وطالما ان الامر كذلك فاننا سنفيد ـ كما قلنا ـ من قصائد اخرى في غير هـذا الباب ، مما ينطبق عليه هذا المفهوم •

يتحدث الشبيبي[٦٢١] في مقدمة ديوانه عن شعر الديوان فيقول : « تألفت هذه المجموعة الشعرية خلال مدة لا تقل عن الثلاثين سنة ، كان الشطر الاول منها حافلا بالحوادث الجسيمة ، اتجه الناس فيه اتجاها جديدا لم يسبق له مثيل ، ومالوا الى الاهتمام بمظاهر التقدم والرقي على اختلافها ، وذلك بمجرد اعلان الدستور في بلاد الدولة العثمانية سنة ١٣٢٦هـ سنة ١٩٠٨م • وقد امتاز العصر المذكور بكونه عصر اليقظة في الفكر والشعور ، تفنن الخيال العربي فيه في التعبير عن هواجس النفوس الطامحة الى مجاراة الامم الناهضة الراغبة في التخلص من عوامل الضعف والانحلال • وحاول الادب أن يمثل الحياة ، وذلك في مختلف صورها الضاحكة والباكية ، وشتى مظاهرها المشرقة والداجية • وما هذه المجموعة الشعرية في الحقيقة الا من وحي تلك الايام الى نهاية الحرب العامة [الاولى] بل الى ما بعدها بعدة سنين » •

من هذا الجزء من المقدمة ومن معرفتنا بحياة الشبيبي ، ومن تحدث الشبيبي لرسالة الشاعر الاخلاقية الاصلاحية التي يرى فيها ان « للشاعر جولة في وجه من وجوه الاصلاح ، أو ناحية من نواحي الخير • واذا اومضت في فنه شعلة تنير السبل الحالكة ، أوعلت صرخة تثير العزائم الخامدة ، أو سرت نفحة تحيي الرمم البالية ، فقد أدى الرسالة ، وهي هدفه الاقصى ، وفيها عوض عن كل فائت لمن عشق فنه ، أو أخلص لمثله الاعلى • واذا كانت الاخرى ، فليس الناظم بأول سار غرة القمر ، فمضى يتخبط في دياجير الحياة »[٦٢٢] • أقول من معرفتنا بذلك كله نستطيع معرفة المجال الذي سيدور فيه شعر الشبيبي في هذا الصدد •

« تأثر الشبيبي بما حاق البلاد ، وقد كان يدفعه دافعان عميقان ، الدافع

---

(٦٢١) ص : جـ .
(٦٢٢) الديوان : ص : هـ .

الاسلامي ومقوماته الثقافية والتاريخية ، والدافع العربي الأصيل الذي تبلور بالتيارات الغربية ، وما فيها من مظاهر عامة ، الحرية ومقومات اقتصادية تدعو الى انقاذ الامة ورفع مستواها الاقتصادي . وقد حافظ الشبيبي على هذين الدافعين في شعره ، فقد كان شأنه شأن أي عربي يشفق من زوال الحضارة الاسلامية وتراثها العميق ، ولا يرضى أن يتخلى عن عروبته أو يفقدها . وبذلك لا يمكن التمييز بين العروبة والاسلام في تفكير أي شاعر من شعراء هذه الفترة »[٦٢٣] .

آمن الشبيبي بالاسلام وآمن بالعروبة وعمل من أجلهما ، وتغنى بهما في شعره ، ودعا الى رفع شأنهما . ذلك الايمان السمح البعيد عن التعصب المستعلي . وآمن بالشعب وحقوقه وحريته . فالشعب المهدور الحقوق شعب غير حر ، لانه أسير مستعبديه ومستغليه . والشعب الذي يعيش تحت ظل حكم فاسد تسوده الفوضى شعب غير حر ، لانه مقيد بأغلال الفساد والاضطراب . والشعب الذي يعيش أبناؤه في فقر وعوز شعب غير حر ، لانه مكبل بالجوع والعري وضمور الملكات .

آمن بالاسلام ، ورأى الدولة العثمانية دولة الاسلام ، فساندها وذبّ عن حياضها وبذل في سبيلها ما بذل ، ولكنه لم يكن يجهل أنواع الجراثيم التي كانت في جسم هذا « الرجل المريض » .

وآمن بالعروبة ، فكان من أوائل الشعراء الداعين اليها ، فهو العربي العريق في عروبته ، وهو ابن هذه الارض العربية . وكان ايمانه بالاسلام والعروبة ايمان من يريد لهما الاستظلال بظلال العزة والكرامة ، بل كان يريد للعزة والكرامة أن تظللا كل مكان .

فعندما اشتعلت حركة « المشروطة » في ايران والتي كانت تدعو الى ان يكون حكم السلطان مقترنا بمجلس شورى لاقامة حكم عادل يقوم على المساواة، بعيدا عن الطقوس البعيدة عما جاء به الاسلام في مقابل حركة اخرى عرفت

---

(٦٢٣) د. عز الدين : في الادب العربي الحديث ص١٢٥ .

بـ « المستبد » ، تدعو الى اطلاق يد السلطن فيما يعتقده باعتباره المرجع الديني الاعلى للمسلمين . أقول عندما اشتعلت هذه الحركة في ايران ، وتلقفتها النجف والعراق سنة ١٩٠٦ بزعامة الملا محمد كاظم الخراساني ، المرجع الديني الاعلى للشيعة آنذاك ، سارع الشبيبي الى الانضمام اليها والى العمل من أجلها(٦٢٤) .

وعندما توفي الملا محمد كاظم الخراساني سنة ١٩١١ رثاه الشبيبي بقصيدة أثبت أكثرها في الديوان ، وعنوانها بـ « رثاء استاذ »(٦٢٥) . فقد كان

---

(٦٢٤) انظر : الفصل الاول من الباب الاول من هذه الرسالة .

(٦٢٥) الديوان : ص١٨٨ .

وقد قال الخاقاني في ترجمته للشبيبي عن هذه المرثية : « ومن الغريب ان المترجم له اثبت قطعة من المرثية . واغرب من الغريب انه اغفل اسمه [يقصد الخراساني] واغفل الاشارة اليه فقال (رثاء استاذ) . . . وهو الذي كان يقود الملايين من المسلمين ، وهو الذي صرخ غير مرة في وجه قياصرة الروس وشاهات ايران وسلاطين العثمانيين . . . ان اغفاله اسمه أثار زوبعة من النقد عليه اشتركت فيها جميع الطبقات العلمية والادبية »

انظر : شعراء الغري : جـ٩ ص٨٧ .

وقد حدثني محمود الحبوبي ــ وهو شاعر معروف ، ومن أبرز أعضاء الرابطة العلمية الادبية ، ناشرة ديوان الشبيبي ــ انه عند تهيئة شعر للشبيبي للنشر في الديوان ، اراد الشبيبي عدم اثبات هذه القصيدة في الديوان اصلا ، لما يرى فيها من مبالغات ، كقوله في المستهل :

الدين فيك المعزى لو ثوى فينا　　　لكنهم فقدوا في فقدك الدينا

قائلا : « ان الدين لم يفقد بفقد محمد (ص) او بفقد احد من اتباعه» ولكن الحبوبي المعجب بالقصيدة ، تمسك بأثباتها بعد حذف لمستهل . فضحك الشبيبي ــ كما يقول الحبوبي ــ وقال : « يبدو ان القصيدة تعجبك . أحقق رغبتك ، بعد حذف المستهل وبعض الابيات» . وهكذا كان . (انظر : الفصل الثالث من الباب الاول من هذه الرسالة) .

ومن الغريب ايضا ان يستعظم الشبيبي ذلك في رثاء الخراساني ويرى فيه مبالغة لاتليق بمكانة الدين ، ولايرى مثل ذلك في رثاء محمد سعيد الحبوبي الذي لم يبلغ مكانة الخراساني الدينية . فيقول فيه :

علم الرجال الحاملوك بأنهم　　　حملوا الصلاة فكبروا واقاموا
فعليكما من ذاهبين تحية　　　وعليكما من غاديين سلام
إذ لست وحدك في الحقيقة ذاهبا　　　طي الردى بل انت والاسلام

←

الخراساني وطنيا غيورا ، يعشق الحرية ويدافع عنها • وقد كان بالاضافة الى تزعمه حركة المشروطة ، على رأس حركة قاومت الاستعمار المتمثل آنذاك بريطانيا وروسيا وتركيا ، وكانت تعارض الحكام المستبدين ، وتؤيد الحركات الشعبية في السلطنة العثمانية وايران ، وتفضح نوايا الدولتين الاستعماريتين ، بريطانيا وروسيا(٦٢٦) حتى كني بـ « أبي الاحرار »(٦٢٧) •

وقد استهل القصيدة ، كما يرويها كاملة الخاقاني(٦٢٨) بقوله :

الدين فيك المعزى لو نوى فينا ... لكنهم نقدوا في فقدك الدينا

بالامس كنت بعز الدين تضحكنا ... واليوم صرت بذل الدين تبكينا

وبعد ان يتحدث عن مكانة الخراساني في الدين والفضل ، اذ تمزقت بوفاته « طريقة تحصيل خمسة آلاف طالب علم يقيمون في النجف ، وألوف اليتامى والايامى عادوا بلا كافل • وقطعت كثير من جواري العلماء والمجتهدين التي رتبها لهم سرا وعلانية »(٦٢٩) ، يتحدث عن الخسارة التي تركتها وفاة الخراساني المفاجئة • فقد توفي في « ظروف غامضة ، في الليلة التي كان عازما في صباحها السفر الى ايران ، على رأس جيش كبير من المجاهدين ، ليضع حدا للتدخل الفاضح في شؤونها من قبل الانجليز والروس(٦٣٠) فيقول :

←

انظر : الديوان : ص١٨٦ .
ولعله لعل ذلك لان الخراساني فارسي الاصل ، كما حدثني من اثق به .
هذا وقد ورد في الديوان تأريخ وفاة الخراساني في المقدمة الايضاحية للقصيدة كما يلي : ١٣٢٩هـ ــ ١٩٠٧ . والتأريخ الهجري المذكور ، وهو صحيح ، يوافق الميلادي الذي ذكرناه في تاريخ وفاة الخراساني .
انظر حرز الدين : معارف الرجال : جـ٢ ص٣٢٣ .

(٦٢٦) « الحركة الدستورية واثرها في الثورة العراقية في حزيران » بحث لحسن الاسدي جريدة « البلد » : ع٩٤٦ (١٦ تموز ١٩٦٧) .
(٦٢٧) الشرقي : الاحلام ص٨٢ .
(٦٢٨) شعراء الغري : جـ٩ ص٨٧ .
(٦٢٩) جريدة « نجف » الصادرة بالفارسية : ع٣١ (٢٩ ذي الحجة ١٣٢٩) وقد وجدت هذه النبذة عن الخراساني مترجمة بين أوراق الشاعر .
(٦٣٠) « الحركة الدستورية •• » لحسن الاسدي ، جريدة «البلد» : ع٩٤٦ •

تفرق الجيش جيش الله مجتمعا   وكان بالنصر نصر الله مقرونا
تبكي عليك عوادينا مهيشة   تبكي عليك الظبا تبكي عوالينا
هيأتنا واتبعنا منك آمرنا   ولم تكن قلة الانصار تلوينا
فشيعت أمم الاصحاب صحبهم   وودّعت زمر الاهلين أهلينا
قالوا : الصباح به المسرى وما علموا   يا صبح أنك بالارزاء تأتينا
فأصبحت لا الجبال الشم مسرجة   لنا خيولا ولا الدنيا ميادينا
أضحى المجاهد يدعو : أين قائدنا؟   وطالب الفلم يدعو : أين هادينا ؟

وعندما أعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ كان الشبيبي من المهللين له المتغنين به ، وسارع الى الانضمام الى جمعية « الاتحاد والترقي » وقت ان فتح فرعها في النجف(*) . وكانت له قصيدة عن اعلان الدستور عنوانها « الحرية والشعر »(٦٣١) يقول فيها :

طرقت وضاحية النهار دُجُنَّة   والحر عبد والدنى أملاك
فأضاء عنها البرق ينبض عرقه   سلكا عليه حكى السنا أسلاك
ضحك المحيط لوقعها وتبسمت   عن ثغر أنجمها لها الافلاك
أنساكها الجَنَفُ المطاع وأهله   فمضوا وأحيا ذكرها الاتراك
طبعت على صحف الطبيعة أحرفا   لا تنمحي أو ينمحي الادراك
طلعت على سلم وكم لم تنفق   والضرب طلق والطعان دراك

ولكن عندما سقطت الاقنعة عن وجوه الاتحاديين ، وتكشفت نواياهم وحقيقتهم في الاستثار والتتريك ، أصابته الخيبة ، فقد تحول التغريد الى نعاب، وأمسى الطائر الميمون غرابا ينعب بالخراب . استمع الى قوله :

سمعت به صوت الرقي وأوجست   به النفس من أعلى (فَروق) خطابا

(*) انظر الفصل الاول من الباب الاول من هذه الرسالة .
(٦٣١) الديوان : ص٥٢ .

أخذناه تغريدا فرد به البكا على اثر أرزاء العراق نُعابا
فيالك صوتا كان طائر يُمنه يردد ورقاءً فرد غرابا

ثم استمع اليه وهو يمضي مصورا ألمه وحسرته :

هناك تأملت الديار مواثلا تفوّرن أنشازاً وضقن رحابا
فأرسلت فيهن الاماني فأخفقت وسرّحت فيهن الرجاء فخابا
وقفت عليها أنكت الارض واجماً وأضرب في خد الصعيد مُرابا
أصعّد أنفاسي بهن لوافحاً وأندب أجفاني لهن سحابا
فلم أتنفس زفرة بل حشاشة ولم أبكِ دمعاً بل بكيت شبابا
خليلي لا ذقت الشراب فانني تزودت من ماء الشؤون شرابا
نشدتكما لا تمسحان مدامعي لتتخذا مما نضحن خضابا
فقولا لبانات العراق التي ذوت وصوّح منهن العراق جنابا
سأشدو عساها أن تعود نواضرا وأبكي عساها أن ترد رطابا(٦٣٢)

وهو يصرخ في قصيدةٍ اخرى من الاعماق لما تلاقيه البلاد من جور وفساد فيقول :

ألا مدرك هذي البلاد وأهلها فقد لقيت من جور ساستها جهدا
تفرغ أيدينا لتملأ جيبها وتنهكنا جوعا لتشبعها حمدا(٦٣٣)

ولكنه وقت نشوب الحرب العثمانية الايطالية في طرابلس سنة ١٩١١ يجمع نفسه ويطويها على جراحها ويهب لمناصرة الدولة العثمانية المسلمة ضد الاجنبي الطامع ٠ فقد أثارت تلك الحرب الحماسة في النفوس ، لما بين أبناء طرابلس في المغرب وبين أبناء العراق في المشرق من روابط الدين والعروبة والبغض للاجنبي الطامع الذي حاول أن يقتطع جزءا من أرض الاسلام والعرب٠

---

(٦٣٢) الديوان : ص٦ .
(٦٣٣) الديوان : ص١٨ .

والاعتداء على جزء من الدولة العثمانية اعتداء على الأسلام والمسلمين . فشارك الشبيبي غيره من الشعراء[٦٣٤] في الدفاع عن طرابلس ، وكانت لـه في ذلـك قصيدتان ، شن فيهما الهجوم على الغرب الطامع ، وتغنى فيهما بالعرب وبأمجادهم. اسمعه وهو يخاطب ممالك الغرب فيقول :

أممالك الغرب البعيـد مُغـاره انّا نَحنُ الى المغـار الابعـد
عرب على قسمات وجه وليدهم متبين عنـوان طيب المـولـد
لا يطرقـون المـاء شِيب نميره وغـدا مخاضة رائح أو مغتدي
واذا الذئـاب وردن ماء حرّمت أسـد الشرى غشيان ذاك المورد
واذا اعتدى الباغي على أوطانهـم بطشـوا به وأروه عقبى المعتـدي
أو ما أتاك بـ « بُرقة » نبأ التي رمت البـلاد بمبرق وبمرعد
وتقدمـت فتأخرت ولو انهـا قامت قيامتها لقيـل لهـا اقعدي
أبني المطامع قوبلت أعدادكـم وقواكـم بنظائـر لم تعهـد
فسلاحكم من أذرع ورجالكـم من نسوة وجموعكم من مفرد[٦٣٥]

ويخاطب الايطاليين في القصيدة الثانية قائلا :

أبناء (رومة) مهلا ان فعلتكـم في الشرق فعلة انذل وأقـزام
أقدمتم غير هيابـين اخرهـا وما التهور الا نـوع أقـدام
أتستبيـح مواضيكـم قسـاورة وقع الظبا عندها ايقـاع أنغـام
هيهات لا يتخلى عن (طرابُلُس) في الغرب من حرسوها وهي بالشام[٦٣٦]

ومن دواعي السخرية أن تتذرع ايطاليا في غزوها لطرابلس بـ « اهمـال الدولة العثمانية لهذا القطر ، فهي [تدعي انها] تريد ان تفتح أبـواب هـذه

---

(٦٣٤) د . عز الدين : الشعر العراقي الحديث ص٤٥ وما بعدها .
(٦٣٥) الديوان : ص١٩ .
(٦٣٦) الديوان : ص٢٢ .

البلاد للمدنية الغربية »[٦٣٧]، وهي في الحقيقة، كما يقول الشبيبي، فتحت أبواب هذه البلاد لمساوىء الغرب، من استعمار واغتصاب حقوق وقتل وتشريد.

اسمعه يخاطب الايطاليين فاضحا نواياهم الخبيثة فيقول :

- يا قاذفين (طرابلساً) بنائرة   وطالبين لها تنوير أفهام
ألا حملتم لها آلات معرفة   كما حملتم لها آلات اعدام
ما خلّف الغرب فينا من حضارته   الا بواعث ارهاق وارغام[٦٣٨]

واذا كان الشبيبي قد صور لنا في قصيدته هاتين الحربين اللتين دارتا بين العثمانيين والايطاليين، فهو قد صور لنا في قصائد اخرى حربهم مع الانجليز، فهو يتحدث في « يوم الشعيبة »[٦٣٩] عن واقعة الشعيبة، تلك الواقعة التي شارك فيها فعلا، مع من تطوع من المتطوعين، استجابة لدعوة رجال الدين الى الجهاد، وعلى رأسهم الشاعر محمد سعيد الحبوبي، والتي كان قائد الجيش التركي فيها سليمان عسكري بك الذي جرح اثناء القتال فأعيد الى بغداد للمعالجة، ولكنه أصر على العودة لمواصلة القتال، محمولا في محفة، وكان ان انتحر بعد انكسار جيشه. وكان ان توفي الشاعر الحبوبي بعد هذه النتيجة بقليل، كما مر بنا في فصل سابق.

وقد استهل الشبيبي قصيدته بوصف أشلاء القتلى المبعثرة هنا وهناك مضمّخة بالدماء كأنها أوراد مبثوثة على الربى، فقال :

نبت الربى حمر أشلاء وأوراد   منثورة لك بين القصر فالوادي
دون (الشعيبة) أجساد موزعة   في البيت توزيع أعضاء باجساد
وفي (النخيلة) أرماس موثّقة   علائقاً بين أسياف وأغماد[٦٣٩]

---

(٦٣٧) بـرو : العرب والترك ص٣٢٨ .
(٦٣٨) الديوان : ص٤٧ .
(٦٣٩) الديوان : ص٤٨ .

ثم تحدث عن الجيش وكيف انه اقام ثلاثة أيام في الخنادق وحقائبه خاوية من الماء والزاد ، وكيف دارت المعركة بين جيش المسلمين المؤلف من عشرين الفا أو يزيدون وجيش الانجليز . وقد وصف القائد التركي ، سليمان عسكري بك ، جريحا محمولاً في محفته ، وكيف انه بذل ما في وسعه ، وأدى واجبه مخلصاً ، ولكن التوفيق قد خانه ، وكان بانتحاره قد سجل اسمه مع الخالدين. اسمع قوله :

وقائد حملوه في محفته — الى (الشعيبة) من زوراء بغداد
أفاتك بالعدى جيش مدبره — معطل الجسم ملقى فوق أعواد
جرى (سليمان) في استعجال مصرعه — مجرى كفاة بأمر الحرب قواد
قاد الالوف فأرداها وأتبعها — في الحال نفس أبي غير منقاد
مخاطر عاش أعمارا لان له — في اثر كل نجاة يوم ميلاد[٦٤٠]

وقد رثى الخبوبي الذي توفي بعد انتصار الانجليز بقليل(*) بقصيدة عنوانها « شهيد الدفاع أو الاستاذ الحبوبي »[٦٤١] وقد بدأ القصيدة بالحديث عن الاثر الذي تركته وفاة هذا الرجل الذي اندفع الى الجهاد وقد جاوز السبعين من عمره ، باذلاً على نفسه وعلى حاشيته من ماله الخاص ، رافضا ما قدمته الحكومة العثمانية من مال[٦٤٢] فقد كان « موته كالصاعقة ، ذهل منها كل مخلص ومتدين ، واستقبلته النجف وهي تبكي عنوانا لها ضاع منها »[٦٤٣] . مشيرا الى مرابطته مع المتطوعين والجيش قرب البصرة ، ثغر العراق ، وحماية لهذا الموضع المهم مدة تسعة أشهر ثقيلة قاسية . اقرأ قوله :

عم الثغور الموحشات ظلام — ودجت لانك ثغرها البسام

---

(٦٤٠) الديوان : ص٤٩ .
(*) كانت وفاته في الناصرية في لواء المنتفك ، محافظة ذي قار الان .
(٦٤١) الديوان : ص١٨٥ .
(٦٤٢) د . محمد مهدي البصير : نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر ص١٩ .
(٦٤٣) الخاقاني : شعراء الغري جـ٩ ص١٥٠ .

طوت الفيالق نكّسا أعلامها ... اذ ليس تخفق بعدك الاعلام
رابطت في ثغر العراق وثغرها ... يحيى الحجاز بسده والشام

وقوله :

لله تسعة أشهر موصولة ... طالت عليك فكل شهر عام

والجدير بالذكر ان وفاة الحبوبي كانت في شهر شعبان (سنة ١٣٣٣ هـ) لذا يمضي الشبيبي متخيلا ان وفاته كانت لانه ريع بعد انكسار المسلمين في حربهم مع الانجليز ، وكانوا يدعونهم كفارا ، ورأى ان شهر رمضان المبارك المقبل ، آنذاك ، سوف يصام في ظل غير المسلمين ٠ وان هذا الشهر المبارك الذي لا يطاع فيه – وفي غيره طبعا – غير الله خائف من ان تعبد فيه الاصنام في بلد الاسلام ٠ ولا يخفى ما في ذلك من مرارة في نفس المسلم الذي هو كالسيد الحبوبي ٠ استمع الى قوله :

شهر الصيام اتى فراعك انه ... في ظل غير المسلمين يصام
شهر الاطاعة والعبادة خائف ... من ان تطاع وتعبد الاصنام
فارقته لا ذلك الليل الذي ... يحيى ولا تلك الصلاة تقام

ويصور حاله وهو في جهاده لا يسوغ له شراب ولا طعام ، في قلق وسهد ، وكيف ان الناس قد أحبوه لما يتمتع به من صفات لا طمعا في شيء ٠

ولا شك ان وفاة الحبوبي خسارة كبيرة ، من أجل ذلك ذهب به التصور ، مبالغا ، اذ يحدثنا عنه انه وقت ان حملوه فاقدين ، حملوا الصلاة معهم ٠ وانه اذ ذهب طي الردى لم يذهب وحده بل ذهب هو والاسلام ! اقرأ قوله :

علم الرجال الحاملوك بانهم ... حملوا الصلاة فكبّروا وأقاموا
فعليكما من ذاهبين تحية ... وعليكما من غادين سلام
اذ لست وحدك في الحقيقة ذاهبا ... طي الردى بل أنت والاسلام

ويشير الى جمعه القبائل في دعوته الى الجهاد وصحبه ، بعـد ان كانت القبائل متفرقة ، ساحرا اياها بمنطقه السديد ورأيه الحصيف ، اذ يقول :

قدت القبائل بالامامـة فيهـم ... فمن الامامة في يديك زمـام

شافهتهم بالدر وهو مباسـم ... وأخذتهـم بالسـحر وهو كلام

كلم بهـا وبمعجزات مثلهـا ... تجلى العقـول وتصقل الافهام

أصلحت شـأنهم وكانوا عصبة ... لا الديـن يحجزهم ولا الارحام

وفي قصيدة « يوم المدائن وتل السور »[٦٤٤] يتحدث عن واقعة « المدائـن وتل السور أو سلمان باك » تلك الواقعة المهمة التي زحف فيهـا الانجليز في أوائل المحرم سنة ١٣٣٤هـ ـ ١٩١٦م ، من الكوت بقيادة « طاونسند » قاصدين أخذ بغداد ، فنهد اليهم العثمانيون بقيادة « نورالدين باشا » ، وحاصروا الجيش الانجليزي في مدينة الكوت ، واضطروه الى الاستسلام ، فعمت الفرحة النفوس ، وارتفعت معنويات الشعب[٦٤٥] . وقد استهل الشبيبي قصيدته بقوله :

أعالـم بالـذي وافت منيتـه ... كسرى وايوانـه المعقود والسور

يا موصى الناس قم للناس أوصهم ... ان الوصية شيء عنـك مأثور

اسمعهم ـ بعد ان صحت اصفحوا ـ انتقمـوا

وقـل لهم ـ بعد أن قلت : اعدلوا ـ جـوروا

الى أن يقول :

رواية النصر صحَّت بعدما اشتبهت ... وحينما رجَّمت عنك الاخابـير

لتذكري (بخليـل) أو بفيلقـه ... (سعداً) وفيلق سعد فيك منصـور

كـلُّ همـام وكـلُّ ليث ملحمة ... أزلُّ داميـةٌ منـه الاظـافـير

تجاه ايـوان كسرى مأزق ضنـك ... أودى الرجال به والخيل والعـير

---

(٦٤٤) الديوان : ص٣١ .

(٦٤٥) الديوان : ص٣٠ ، المقدمة الايضاحية للقصيدة . وانظر : البزاز : العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ص٧١ .

كـادت تُميـز ذبّاً عن حقائقهـا فيـه النقوش وتستضري التصاوير
شـأو تعاطـت سباقاً دون غـايته جُـرد البصائـر والجرد المحاضير

ومن الغريب بعد موقعة الشعيبة الانفة الذكر ، التي هب فيها العراقيـون مجاهدين لمساعدة الاتراك في صد العدوان عن الدولة العثمانية المسلمة أن يتنكر العثمانيون للعراقيين ، فيهينوا رؤساءهم ، وينكلوا بأهالي المـدن وبالعشـائر ، ويتهموهم بالخيانة ، مما يؤدي الى ازورار الكثير من العراقيين عن العثمانيين ، فيعدون العدة للتخلص من حكمهم • ولما شعر العثمانيون بما يبيت لهم أعلنـوا الاحكام العرفية ، وأرسلوا الى النجف التي كانت منطلق الدعوة الى الجهـاد ، بعد مرور شهر واحد على موقعة الشعيبة ، جيشا جرارا للقبض على الفارين من الجندية ، فعاث الجيش في المدينة فسادا وأهدر الكرامات ، مما أدى الى نشوب القتال بين النجفيين والعثمانيين • وكانت نتيجة ذلك ثورة النجفيين على العثمانيين ، تلك الثورة « التي انتهت بطردهم من النجف » وبسقوط هيبتهم وضعف شأنهـم في عامة البلاد لا سيما سقي الفرات »[٦٤٦] كما مر في فصل سابق • وقد نظم الشبيبي في ذلك قصيدته « ثورة على الاتراك أو شكوى وعتاب »[٦٤٧] قدمهـا بمقدمة ايضاحية شرح فيها ظروف تلك الثورة ، واستهلها بقوله :

لا الجبن ثار فأطفانا ولا البُخُـل الثائر الحقد بالاقوام والدَّخـل
لو كان ما بهم جبناً لما انتقمـوا وفي طريق بلوغ النقمة الاجـل
السـيف قرب منا كل قاصيـة لا المنطق الفصل في قوم ولا الجدل

ثم انتقل الى عتاب الاتراك ، معددا ما قدم لهم العرب وما بذلوا في سبيلهـم ، في لهجة تنم عن نفاد الصبر وفقدان الحيلة ، في تساؤلات متلاحقة مجروحة • اسمعه اذ يقول :

يا من يعـز علينـا ان نؤنبهـم في حيث لا ينفع التأنيب والعَذَل

(٦٤٦) المقدمة الايضاحية لقصيدة « ثورة على الاتراك » . الديوان : ص٢٦ .
(٦٤٧) المرجع السابق : الصفحة نفسها .

جفوتمونا وقلتم : نحن ساستكم		مُنىً مطيتها الاخفاق والفشل
كم تنبذون لنا ذنباً فنعذركم		لقد تقطَّعت الاعذار والعلل
أما صفحنا عن الماضي لاعينكم ؟		أما أديلت لكم أيامنا الاول ؟
أما استجيشت كما شئم كتائبنا		حتى تفايض منها السهل والجبل؟
أما مشت تذرع الدنيا ؟أما انقطعت		بها المتايه والغيطان والسبل ؟
أما أطاعوا ؟ أما بروا ؟ أما عطفوا؟		أما احتفوا بمواليهم ؟ أما احتفلوا؟

بعد ذلك يتحدث عن موقف الاتراك من العرب ، وما لقيه العرب الاباةمن استئثار الاتراك المسلمين بالمغانم ومن ظلمهم اياهم وتنكيلهم بهم ، فيقول :

نحن الالى عرض في جنب جوهركم		فيه نصال المنايا الزرق تنتصل
قوم من العرب وخز النحل حظهم		وحظ قوم سوانا الارْي والعسل
عند المغانم لا ندعى ويفدحنا		من المغارم ثقل ليس يحتمل
تأبى الحوادث الا أن نملككم		ولا ـ ودين التآخي ـ مابنا ملل
أين الرهين بأموال لنا ذهبت ؟		ومن يقيد باخوان لنا قتلوا ؟
أما شهيد معلّى فوق مشنقة		أو موثق بحبال الاسر معتقل
يا من بظلّ بني عثمان قد نشأوا		أضحيتم ، ان ظل القوم منتقل

قلنا ان الشبيبي كان يدافع عن الدولة العثمانية لرابطة الاسلام التي تربط العرب بهذه الدولة ، ولكنه عندما ظهر العثمانيون على حقيقتهم في مواقفهم من العرب قطع الرجاء فيهم ، ونفض يديه منهم ، وهو في كل ذلك لم يكن بالغافل عما كانت تقاسيه البلاد من فساد واضطراب وفوضى • فيمضي مستنهضا قومه ، حاثا اياهم على المطالبة بحقوقهم ، مستنكرا ما آلت اليه الحال • كما في قولـه :

أسكان أجواز العراقين هل لكم		نزوع الى نيل العلى وطماح ؟

فلا تضعفوا ان السعادة قوة ولا تجبنوا ان الحياة كفاح
نيام ولكن البطالة مرقد وشرب ولكن الجهالة راح(٦٤٨)

ولكنه يتلفت فيجد دعاة الاصلاح قلة قليلة :

عددت داعية الاصلاح في وطني فما عَدت رتبة الاحاد أرقامي(٦٤٩)

فتضيق نفسه بما يرى حوله من الجمود ، فيصرخ في أبناء شعبه مؤنبا ، بلهجة تنضح بالمرارة والنقمة قائلا :

متى أيها النشء الوجوه أرى لكم وجوها أفاضت نضرة ونعيما
تشع حياة غضة وطلاقة وتشبع نوراً ريِّقاً ونسيما
ويا نوماً عن عالم لم تَنَم به خطوب ولم ترفق بنا لتنيما
سبات رقود الكهف أحييتموهم وجددتم كهفاً لهم ورقيما
فموتوا ظماء حَلَّأتكم جدودكم عن الورد الا أن يكون حميما
وما الموت الا صحة معنوية لمن شاء أن يقضي الحياة سقيما(٦٥٠)

ويرى طريق الخلاص في اتباع ما سار عليه السلف الصالح ، فهو طريق الهدى والفضيلة الذي دعا اليه الرسل ، وهو سبيل الرشاد :

ولو أنكم في الواجبين اتبعتم هدى اثنين كانا شارعاً وحكيما
لسرتم على نَجدي هدى وفضيلة وجبتم حزونا دونها وحزوما
فلم أرَ مثل الشارعين ديانة أشع أساريراً وأكرم خيما
يسنون سهلا للهداية واضحاً ونهجاً لتقويم البلاء قويما
أما خفف البلوى (محمد) هادياً و (عيسى) و (موسى) داعياً وكليما
ولم أرَ مثل المصلحين تأثروا لهم مقصداً بالنائبات مروما

---

(٦٤٨) الديوان : ص٤١ .
(٦٤٩) الديوان : ص٢١ .
(٦٥٠)الديوان : ص١٠ .

أشد على هول المبادىء غـــيرة وأعصى على رد الجماح شكيما[٦٥١]

ولكنه يجد بعض القوم لم ينسوا رسالات الرســـل ودعواتهـــم الخيِّرة فحسب ، بل اتخذوا من الديانات وسيلة من وسائل الفرقة وتشتيت الشمل • ولهذا مضى يخاطبهم قائلا :

يا قـــوم ما الدين عادات معطَّلـة وانمـــا الدين تحليل وتحـــريم
وما السياسة والاوهـام فاعلـــة تحكـــم كيفمـا شاءت وتحكيـم
لا تجعلوا آلة التفريـق دينكـــم فالدين عن وصمة التفريق معصوم[٦٥٢]

ويقول في قصيدة اخرى :

ولو انصف الناس الديانـــة أجمعوا على انهـا فيهم نتيجـــة وجـــدان
فلـــم يتكلـف عالـم رد عالـــم ولم يصم الانسان مذهب انســـان
فكــــل قياس ظنه الناس حجـــة يرد بأخرى من قياس وبرهـــان
ولكنهـم ـ حتى ذويهـا وأهلهـا ـ بعيدون عن عرفانها بعد كيوان[٦٥٣]

وما أعظمه واروعه وهو الشيعي النجفي عندما يقول :

أنا شافعي ان لم يكن لـي شافع الى الله ثم الحق ديني وايماني[٦٥٤]

والاحساس بالعروبة والتغني بها ظاهر في الكثير من شعر الشبيبي ، فقـد كان مع العرب أبدا ، وفي كل مكان • وقد كانت الروح العربية تسري في شعره الى جانب روح الاسلام حتى ليتعذر التمييز بينهما في كثير من هذا الشعر ، شأنه شأن الكثير من شعراء تلك الحقبة • واعتزاز الشبيبي بالدين الاسلامي وبكتـابه الخالد (الذي يبدو أثره واضحا في كثـير من شـعره)[*] وبالرسول العربـي

(٦٥١) الديوان : ص١٠ .
(٦٥٢) الديوان : ص٥٦ .
(٦٥٣) الديوان : ص٥١ .
(٦٥٤) المكان نفسه .
(*) سنتحدث عن ذلك في الفصل القادم .

محمد (ص) ، هو اعتزاز بالعروبة ، بشكل من الاشكال ، لا لاننا نعد الدين أحد مقومات القومية العربية • فالمسيحيون ، مثلا عرب ، وكم منهم من خدم العرب وقوميتهم ، وانما لفضل رسالة محمد (ص) على العرب والعروبة • والعربي ، مهما كانت ديانته ، معتز بهذه الرسالة ، لما لها من يد في جمع شمل العـــرب ودفعهم الى ما فيه خيرهم وتقدمهم • ولما لكتابها الخالد من فضل في نشـــر لغتهم وحفظها • وماذا نتوقع من شاعر عربي يتغنى بقوميته غـــير ان يتغنـى بامجادها وبتاريخ هذه الامجاد ؟ محفزا قومه في وقت «كان [فيه] العرب المسلمون التابعون للدولة العثمانية ينظرون الى التاريخ بنظرات اسلامية بحتة ، فيذهبون الى أن المفاخر والامجاد تنحصر فيما دونه تاريخ الاسلام »[٦٥٥] •

وقد مرت بنا منذ قليل قصيدتاه في حرب طرابلس ، وها نحن نتعرض الى غيرها من قصائده •

فهو حينما أقيم في دمشق احتفال « تذكار لشهداء عسف السياسية التركية من العرب »[٦٥٦] شارك بقصيدة استهلها بقوله :

ممـــا يرد ليعـرب علياءهـــا ذكرى الشـآم وأهلهـا شهداءها
يـــا سـادة احصيتم فصلبتـــم لكم مزايا ما أرى احصاءها[٦٥٧]

معبرا فيها عن مكانة الشهداء في قلوب العرب جميعا ، اذ هم ليسوا شهـداء الشام وحدها • استمع الى قوله :

تبكيكـم أرض الشـآم وقد أرى هذي الجداول دمعهـا لا ماءهـا
يا نكبة دون الجزيـرة أثّـرت في طورهـا وتناولت سـيناءهـا

وفي سنة ١٩١٦ حينما « أذاع الانجليز في العراق أنهم ـ لا العرب ـ أخذوا دمشق الشام »[٦٥٨] نظم قصيدته « دمشق وبغداد »[٦٥٩] تلك القصيدة

(٦٥٥) ساطع الحصري : محاضرات في نشوء الفكرة القومية • ص١٦٢ •
(٦٥٦) الديوان : ص١٨٣ . المقدمة الايضاحية لقصيدة « رثاء الشهداء » .
(٦٥٧) المرجع السابق : الصفحة نفسها .
(٦٥٨) الديوان : ص٣٣ . المقدمة الايضاحية لقصيدة « دمشق وبغداد » .
(٦٥٩) الديوان : ص٣٣ .

التي دعيت في محافل الادب بـ « القصيدة الباكية »[٦٦٠] ، واستهلها ، منفجراً بقوله :

ماذا بنا وبذي الديـــار يراد ؟ فقدت دمشـــق وقبلها بغـــداد
من موطـــن الميلاد قامت نزّعا خيل لهـــن بجلـــق ميعـــاد
ساءت وقائعهـــا وما ســـرت بهـــا لا الهجرة الاولى ولا الميـــلاد

واقرأ هـــذه النفحات العربـــية في القصيدة نفسها اذ يقـــول :

(بردى) وأودية (الفرات) و (دجلة) و (النيل) غص بمـــائك الورّاد
حال العلوج من الاحامـــر بيننـــا وتعـــــذر الاصـــدار والايـــراد
لا ســـاغ يا بردى الشراب ولا هَنا عذب مـــن المـــاء القرّاح يـــراد
نبـــأ بأعلى (قاسيـــون) تجاوبـــت بدوّيـــة الاغـــوار والانجـــاد
وأصـــاب بحر الروم حتى عبّرت عن شـــجوه الامـــواج والازبـــاد

ثم يمضي في القصيدة بهذه اللهجة الاسية ، وهذا الاداء الرصين ، متلهفاً على الشام ، متحدثا عن تأريخها العربي الاسلامي المجيد ، وعن حاضر الوطن العربي المقسّم .

وهو يشارك الدروز ثورتهم على الحكم الفرنسي سنة ١٩١٨ فينظم قصيدة « الشرق الناهض »[٦٦١] ، ويستهلها بهذه الانتفاضة :

نفـــد الصبـــر فهبـــت فزعـــا وأبـــى السيف لها أن تضرعـــا
بعـــث الله لهـــا راقـــدة مـــن عصـــور ما أقض الضجّعا
ودعـــا للذود عن أحســـابهـــا شـــرف العـــرق فلبت اذ دعـــا

الى أن يقـــول :

جاهـــدي يا امم الشـــرق الالى قتلونـــا جاهديهـــم أجمعـــا

---

(٦٦٠) المقدمة الايضاحية للقصيدة . المكان نفسه .
(٦٦١) الديوان : ص٤٤ .

جدّدي عهــد (علي) غــازيــا وأعيـدي (مالكــا) و (النخعا)
واذكري ما فعـل الغــرب بمـن هـذبـوه واصنعي مـا صنعــا
رفعــوا الصلبـــان لا شـــافيـة من سـقام وأقـامـوا البيعـــا
وأمــــاتــوا ســــنناً واضحـــة موتهـــا في الارض أحيا البدعـا
وثب الريف من الغرب بهـم فأثـــار الشرق والغــرب معـا
وتعـالى في العراقـين صــدى مـن (بني الاطرش) حتى اسمعا
جمـع العِلـج لهـم فانبعـث هجمـات فرّقت مـــا جمعـــا
أ (تنـــوخ) هـذه أم أنجبـت مـرة اخرى (تنوخ) (تُبَّعـا)
ذهبـت أيامهــم فاسترجعـــوا مـا أضاعـوا رب مـاض جمعا

وهو في قصيدة « الهيام بين العراق والشام »[٦٦٢] وقد نظمها وهو فـي الشام سنة ١٩٢٠ ليعبر بها عن اشتياقه الشديد الى العراق[٦٦٣] يظهـــر حبـــه الشديد للشام مثلما يظهر حبه للعراق • ويتضح فيها توزعه العاطفي بين البلدين اللذين يعدهما وطنا واحدا • اسمعه اذ يقول :

بغـــداد اشتاق الشـآمَ وها أنـا الى الكرخ من بغداد جم التشوق
فما أنا في أرض الشـــام بمشئم ولا أنا في أرض العراق بمعرق
هما وطن فردٌ وقد فرّقوهمـا « رمى الله بالتشتيت شمل المفرق»
وفي بانياس والفـرات ودجلـــة وفي بردى مجرى البرود المصفق

ويظهر اعتزاز الشبيبي بالعرب بوضوح في قوله :

ما زالت العرب قبل الان ناهضـة فلا تقولوا اذن : فلتنهض العـرب
لا فخر في الناس مالم يهتدوا بهم أينـــزل الوحي أم تأتيهم الكتب ؟
تطـول مرضاتهم لله فـاطرهـــم حتى اذا أمكنتهـــم غضبة غضبـوا

---

(٦٦٢) الديوان : ص٤٢ .
(٦٦٣) المقدمة الايضاحية للقصيدة . المكان نفسه .

عليهم من حقوق الناس مالهم ان الحقوق تؤدي حين تكتسب
من لم تفتهم على حال نوافلهم أيتركون ـ معاذ الله ـ ما يجب ؟
اذا انتسبت انتسب في آل معدلة الحق عندهم ـ لاالباطل ـ النسب(٦٦٤)

والشبيبي المتغني بالعروبة المعتز بها وبأمجادها لا يريد لامة العرب أن تنام على هذه الامجاد ، وتتخذ قوتها اليومي مما اكتنزه الاجداد بجدهم ومضاء عزائمهم ، فان أمة تصنع هذا الصنيع لهي امة ذليلة بل ميتة . ولهذا نقرأ قوله :

ذلت حديثا امة أبداً تفاخر بالقدم
وأحال منها رِمَّة طول التباهي بالرمم
هدم الزمان فجددوا مارث وابنوا ما هدم
والفوز في الدنيا لمن نبذ المخاوف واقتحم
ولمن يشق طريقه ملحوبة في المزدحم
ولمن شأى بثباته ورسوخه الطود الاشم
ولمدرك ما استوعبت شتى العوالم من حكم
لا للذي لم يجتلب الا سقوطاً في الهمم(٦٦٥)

وقد ظهرت « سِمةُ الكفاح » ، كما اسماها عبدالجبار داود البصري(٦٦٦) حتى في شعر الشبيبي غير الحماسي ، مثله مثل غيره من الشعراء المعاصرين له ، بحكم المرحلة الزمنية المتوثبة التي كانت تمر بها الامة العربية . ويعني عبدالجبار البصري بسمة الكفاح : « وجود الحركة الصراعية في القصيدة ، والحماسة العسكرية في معالجة الموضوع ، وكثرة الالفاظ السياسية ، وازدحام

(٦٦٤) الديوان : ص٦٧ .
(٦٦٥) الديوان : ص٩٤ .
(٦٦٦) مقال في الشعر العراقي الحديث ص٤٤ .

الصور المقتبسة من مجالات النضال ، ترافقها موسيقى يقصد من ورائها ايقاظ الكرامة والانسانية الكامنة »[٦٦٧] ويمثل لذلك بقصيدة « هي الاحلام[٦٦٨] وهي قصيدة وجدانية ، يستهلها الشبيبي بقوله :

هلمَّ لنصطلح يا دهر حسبي ... وحسبك لم نزل متشاكسين
أأبذل ماء وجهي فيك ؟ كلا ... سأملكه وأملك ماء عيني
اذا ادَّاينت من زمني هناء ... تعجلني الزمان وفاء ديني
لامر ثم جردني سلاحي ... وقلَّده كليل المضربين

ويعلق البصري[٦٦٩] على هذه الابيات بقوله : « أجد أن أغلب ألفاظها كفاحية : صلح وحرب ، وتجريد للسلاح ، وضرب ورمي ومناجزة • وأجد تعابير يكثر استعمالها في ميادين الكفاح : اسئلة هجومية ، وتقرير وحساب ودعاية • وفي الابيات حالة من النضال بين جبهتين ، جبهة الشاعر الغني بابائه وطموحه ، وجبهة الدهر المتبختر بقضائه وقدره » •

ونرى هذه الظاهرة تتكرر في غير هذه القصيدة • فأذا تحدث عن فيضان دجلة ، مثلا ، رأى فيه ثورة شعب سامه الطغاة الهوان ، وكبلوه بالاغلال ، فثأر لكرامته ، وحطم أغلاله• اقرأ استهلاله لقصيدة «الفيضان»[٦٧٠]:

كفى يا مسقط الوادي اندفاقا ... أما ترعى الجزيرة والعراقا ؟
طغى الوادي كشعب أحرجوه ... فما احتمل الهوان ولا أطاقا
ولما قيدوه ليستفيدوا ... أبى من قيده الا انطلاقا

والشبيبي شاعر عميق النظرة السياسية ، يتجلى ذلك في أكثر من موقف واحد من مواقفه في شعره • فعندما قُتل ولي عهد النمسا من قبل الصرب

---

(٦٦٧) المرجع السابق . الصفحة السابقة .
(٦٦٨) الديوان : ص١٥١ .
(٦٦٩) المرجع السابق : ص٤٦ .
(٦٧٠) الديوان : ص١٦٥ .

وأعلنت الحرب العالمية الاولى على أثر مقتله ، ينفذ الشبيبي الى السبب الحقيقي لهذه الحرب ، فيرى أن ليس مصرع ولي عهد النمساء هو سببها بل ان ذلك عود الثقاب الذي رمي على مخزن البارود ، وان سبب الحرب أبعد من ذلك. لذلك نراه يقول :

وما حربنا المشبوبة ابنة آنها ولا نشأت عن قتل من ولي العهدا
ولا حمل الدولات ان تلج الوغى تعاهدها بل انها اختلفت قصدا
فناشدة تأراً لتدرك ثأرها وطالبة فتحا وحارسة مجدا[٦٧١]

وقبلها عندما أعطي امتياز سكة حديد بغداد الى الالمان في العهد العثماني ، وهي السكة التي كان مقرراً أن تمتد من اسطنبول الى بغداد ثم الى البصرة على الخليج العربي ، قال :

مدوا الحديد وما اهتززت لمده سكك الحديد بأرضنا أصفاد
طرق الحديد اذا التوت وتشابكت شرك به شرف العراق يصاد[٦٧٢]

ولكن مارون عبود[٦٧٣] علق على هذين البيتين بقوله : « والسيد الشبيبي على رأي بطاركتنا القدماء الذين رأوا في شق طرق المركبات انتهاكاً لحرية الجبل ، كما رأى شاعرنا في خط بغداد » . انه يتهم الشبيبي بالنظرة المتخلفة الساذجة التي تتمسك بالقديم وتخشى الجديد . أيا كان هذا الجديد ! وهكذا انجرت القضية عن وضعها الطبيعي . والواقع ان الشبيبي كان يعرف تمام المعرفة معنى هذا الخط ، وما هو المراد به . فهو ليس خط حديد ، انه أكثر من ذلك بكثير . فقبل ان تظهر بوادر المشروع الالماني بزمن غير قصير ، أظهر البريطانيون رغبة ملحة في القيام بانشاء سكة حديد تصل بين البحر الابيض المتوسط والخليج العربي . وقد ثابروا سنواتِ عديدة في سبيل تحقيق ذلك ، وأعدوا مختلف الدراسات .صحيح أن في مد هذه السكة نفعاللعراقين،

(٦٧١) الديوان : ص١٧ .
(٦٧٢) الديوان : ص٣٦ .
(٦٧٣) مجددون ومجترون : ص١٤١ .

ولكن البريطانيين لم يكونوا يفكرون بنفع العراقيين وانما بـ « شتى الفوائد المتوخاة من مشروعهم الذي لم يقصدوا منه ايجاد طريق مختصر للمواصلات بين الشرق والغرب فحسب ، بل توقعوا منه فوائد عسكرية واخرى اقتصادية »[٦٧٤] . ومنح الامتياز الى الالمان كان سببا لاحدى المشاكل الكبرى لما قبل الحرب العالمية الاولى ،وكان سببا من أسباب اشتعال تلك الحرب[٦٧٥].

واذن فقد كان الشبيبي بعيدا عن النظرة المتخلفة الساذجة ، بل كان بعيد النظر نافذه ، عارفا ببواطن الامور ، متفهما نوايا الغربيين المقنّعة بقناع منفعة البلاد . وماذا كسب العرب من الغربيين ؟ احتلوا وطنهم واقتسموه بينهم ، ثم امتصوا ثرواته ، وكبلوا أبناءه بالقيود المختلفة . والشبيبي العارف بذلك ، المتألم من أجل ذلك ، مضى يشن الهجوم تلو الهجوم على الغرب ، محذرا اياه من سياسته الجائرة تجاه الشرق ، فاضحا دعواه العريضة بالفضائل الانسانية والقيم الرفيعة ، هاتكا ذلك الستار المزركش الذي يختال به الغرب والذي يسميه « حضارة » . اقرأ قوله محذرا ساسة الغرب :

يا ساسة المغرب المستشرق اقتسموا فالشرق نهب وما في الشرق أنفال
اذا وجدتم سكونا في مناكبه ترقبوا ان عقبى الامر زلزال
وأنت يا شرق ان خيبت لي أملا فان كل حياتي فيك آمال[٦٧٦]

واقرأ هذه الابيات التي يفضح بها حضارة الغرب الانانية المتناقضة :

يقولون : أحيا المغربان حضارة وما حييت الا لمصلحة الذات
يعيش سعيد مفرد بين معشر شقي وحي واحد بين أموات
وكم جائع يرنو الى متفكه وعادم قوت حول واجد أقوات
وكم جسد فوق الاخادع شاخص الى جثة تحت الاخامص ملقاة[٦٧٧]

(٦٧٤) د . زكي صالح : مجمل تاريخ العراق الدولي في العهد العثماني ص٦٨.
(٦٧٥) المرجع السابق : ص٦٧ .
(٦٧٦) الديوان : ص١٢٠
(٦٧٧) الديوان : ص١١٣ .

ويمضي في هتك الستور وتسمية الاشياء باسمائها حتى ليصم العصر كله بالضلال الظالم ، اذ يقول في القصيدة نفسها :

يظنـون هذا العصر عصر هدايـة ... واجـدر لو ندعوه عصـر ضلالات
فان خرافـات مضت قد تبدلـت ... حقائق الا انهـا كالخرافـات
وأكذب عصـر ما تشدق أهلـه ... ـ على ظلمهم ـ بالعدل أو بالمساواة
ذئاب وشاء لا الذئـاب رواجـع ... عن الغـي أو تعدو على زمر الشاة

ويصنع الصنيع نفسه في قصيدة اخرى ، وبلهجة تنضح بالسخرية المـرة حـين يقـول :

انّـا دعونـا العصر عصر تقهقـر ... فليـدعَ عصـر تقـدم وتجـدد
ماذا يرجّى مـن وراء حضـارة ... عَميَ البصـير بهـا وضل المهتدي
وجِـدت فأعـدمت النفوس فضائلا ... خلقت لهـا فكأنهـا لم توجد(٦٧٨)

ويدين سياسة « العالم المتمدن » ، فما هي غير خداع وكذب وقسوة ظالمة، في قولـه :

متى نحن نحيا أو تموت سـياسة ... لهـا كـل يـوم مظهر متلـون
خـداع وكذب وافتراق وقسـوة ... وظلم • أهـذا العالـم المتمدن(٦٧٩)

هذه هي السياسة • أما منطقها فهو منطق القوة • وويل للضعيف في عالـم يحكمه هذا المنطق ! ان شعبا يريد أن يأخذ مكانه بين الشعوب • وان أمـة تريد أن تحيا سيدة في أرضها عليها أن تفهم ذلك ، وان تتخذ سلاحها في غير الكلام والمواعظ • وانه اذا كان لا بد من القلم ـ وهو لابد منه ـ فيجب أن يكون مدعوما بالسيف • اقرأ هذه الابيات التي يحدث العرب بهـا مستنهضا اياهم من قصيدته « الفوز في الحياة »(٦٨٠) •

(٦٧٨) الديوان : ص٢٠ •
(٦٧٩) الديوان : ص١٢٨ •
(٦٨٠) الديوان : ص٩٥ •

أقسم اذا كنت القــوي ... الجَلْد ، وأحنث بالقَسَمْ
فلأنتَ اصــدق من مشى ... في العــالمين عــلى قــدم
ويـل الضعيـف نماؤه ... في مسـمع الدنيـا صمم
خـان الذمــام عداتنـا ... يا عرب يا أهـل الذمـم
وفقدتـم معنــى السـيا ... دة والكيـــان المحتــرم
واراكــم لــم تندمـوا ... وأراه لا يجــدي النـدم
عِظَتــي اكـم أن تحذقوا ... غـير المواعـظ والحكــم
ونصيحتــي أن تدعمــوا ... بالسيف ما أوحى القلـم

ولهذا نراه يلح بالتأنيب والسخرية وقت ان توالت الازمات السياسية على العراق ، واستطاع الانجليز تقييد العراقيين بمعاهدة سنة ١٩٣٠ السيئة الصيت. فهو يتألم من أجل مصير البلاد . ويتألم من فساد الاوضاع واضطراب القيــم ومن غفلة المخدوعين بالمظاهر البراقة ، فيقول :

صدور من الآلام واجفـة تغــلي ... على اننــا من حاضر اللهــو في شغل
متى نتحرى الجــد فيما نقــوله ... وما نتمناه ونحــن الى الهــزل ؟
أترتفـــع الاقــوام عنا مكانـــة ... ونحــن ندير الطرف في عالم سفلي؟

ثم يقول :

وفي الشكل عند الغافلــين تعلــة ... وشــتان ما بــين الحقيقة والشــكل
لنــا كل آن عـــاذل أو مقــرّع ... يصك باسماع نوابٍ عن العذل(٦٨١)

ويضع يده على بعض الداء في قوله :

وما خرّب الاوطان الا قضاؤنا ... لاوطارنا مكسوة زِي أوطـان(٦٨٢)

---

(٦٨١) الديوان : ص٩٨ .
(٦٨٢) الديوان : ص٥٠ .

ويشن هجوما على عبيد المال الذين يبيعون أوطانهم بثمن بخس في قوله :

خسرت صفقتكـــم من معشــر شروا العار وباعــوا الوطنــا
أرخصـــوه ولو اعتاضـــوا بــه هـــذه الدنيــا لقلــت ثمنــا
يا عبيـــد المال خير منكـــم جهـلاء يعبـــدون الوثنا[683]

(683) الديوان : ص١٠٥ .

٢ ـ القضايا الاجتماعية في شعره :

عانى العراق من مشاكل عديدة هي مشاكل امثاله من الدول النامية •وعلى رأس تلك المشاكل الفقر والجهل والمرض وما يتفرع منها من مشاكل ما يزال يعاني منها ، رغم ما بذل من جهود قليلة أو كثيرة في سبيل حلها ، وهي نتيجة ما توالى عليه من استعمار فارسي وعثماني وانجليزي لم يكن يأبه لغير استمرار حكمه وتأمين مصالحه واذا كان لليد دور ، وهي فعلا ذات الدور الاول في الاصلاح ، فان للقلم ايضا دورا في ذلك السبيل • وكان الشبيبي وغيره من الشعراء كالرصافي والزهاوي والشرقي والجواهري وغيرهم قد اسهموا الى حد كبير في معالجة مشاكل المجتمع بما كتبوه من شعرهم ، ماضين في طريقهم الشائك ، غير عابئين بما يلاقون ، يوقظون النيام ، ويفتحون ، أكثر عيون الصاحين بما يبذرون من بذور الاصلاح في ثنايا هذا المجتمع • ويذهب بعض مؤرخي الادب العربي الحديث الى ان الشبيبي من أوائل من طرقوا الموضوعات الاجتماعية في الشعر ، وأولهم على الاطلاق في النجف[٦٨٤] • وقد عرفنا الشبيبي شاعرا ذا رسالة ، وقد حدد لنا رسالة الشاعر في مقدمة ديوانه[٦٨٥] • ورسالة الشبيبي هذه ، كما يقول الدكتور عناد غزوان[٦٨٦] « ذات أبعاد انسانية سامية • ومكانة الحرف في حياته تلتزم الدفاع عن الحق ، وتبشر بالخير في كل زمان ومكان • والكلمة الفاضلة هي تلك التي تستخرج العظة البالغة من سنن الاجتماع وعبر التاريخ ، والتي تسمو عن الذاتية الضيقة والفردية التي قد تكون وليدة الانانية في بعض الاحيان ، الى عالم رحب واسع تحتل فيه

---

(٦٨٤) أحمد حسن الزيات : كلمته في تأبين الشبيبي • انظر : مجمع اللغة العربية ـ الدورة الثانية والثلاثون ـ مؤتمر المجمع لسنة ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ (نشرة بالآلة الكاتبة) ص٤ .

(٦٨٥) ص : هـ .

(٦٨٦) « شاعرية الشيخ محمد رضا الشبيبي » ، بحث نشر في مجلة « البلاغ » مجـ١ ع٥ (تشرين الثاني ١٩٦٦) ص٩ .

الفضائل ومكارم الاخلاق الصدارة • فشرف الكلمة وانسانيتهـا يولـدان من قدسية الاخلاق والدعوة الفاضلة التي تسعى الى تحرير الانسان من العبوديـة والظلم لتشعره بانسانيته ومكانه اللائق في عالم النور » •

وقد عالج الشبيبي في شعره شتى القضايا الاجتماعية بروح المصلح المخلص الغيور الذي يمضه ما يعانيه مجتمعه من تأخر ، وما يعيش فيه من فسـاد • ومن أبرز القضايا الاجتماعية التي عالجها مشكلة « الجهل » ، فقد أكثر من الحديث عنها • وقد ترددت كلمة الجهل ومشتقاتها في ديوانه كثيرا • ولا شك ان اهتمامه بهذه المشكلة نابع من استفحال أمرها في البلاد وعمـق شـعوره بخطرها • فقد كان التأخر يسود المجتمع في جميع نواحيه • وكان الناس في العادات والتقاليد وفي التجمعات والاحتفالات يسيرون على نهج الآباء في القرون الماضية • وكانت الخرافة تعشش في هذا المجتمع فتحرفه عن النظر القويـم الى الامور • والانكى أن المجتمع كان راضيا عما هو فيه ، مرتاحا اليه ، متمسكا بـه ، لانه يعد ما هو فيه جزءا من دينه وأخلاقه وتقاليده(٦٨٧) •

استمع اليه وهو يخاطب قومه قائلا :

محيرون قـد استهوى عقولكـم   جهل وبعض ضروب الجهل تنويم(٦٨٨)

واستمع اليه يتحدث عنهم فيقول متسائلا :

ما لي خبـرت بني أبي فوجـدتهـم   والجهل أشرف ما يكون لهـم أبا ؟
واذا استترت بغيهـب آرائهـم   فكأنني منها استترت الغيهبا(٦٨٩)

وهو في الابيات التالية يصف حال النشء العـراقي وهـو يفتـح عينيـه في بيئة جاهلة فيقول :

كم فتى في العراق أضحى مقلا   من كمـال وكـم فتـاة مقلـه

---

(٦٨٧) « جولة في الشعر العراقي الحديث » : د . محمد مهـدي البصير ، « مجلة دار المعلمين العالية » . مجـ٣ ع١ (حزيران ١٩٥١) ص٤٠ .
(٦٨٨) الديوان : ص٥٧ .
(٦٨٩) الديوان : ص١٢٦ .

ركسا في غيابة الجهل حتى ... لم يسع جهلها المحيط وجهله
قد تربّى عن النهى مستقلا ... وتربت عن الحجا مستقله[690]

ولهذا فهو يصرخ ألمَاً مما يرى عليه حال العراق في قوله :

الى مَ أجوب القطر سال جهالة ... وماج تقاليداً وفاض خرابا[691]

وينبري « الى مواجهة مجتمعه الذي تلبد بغيوم العادات والتقاليد ، وتلفع بحجب الاساطير ، يحدثه بما لم يسمع ، وينقل اليه صورا من التجديد والتطلع . فناوأه نفر بدعوى انه عدو لمعتقداتهم وخصم لسيرتهم ، ولكنه لم يأبه بذلك[692] ، ومضى ينفض غبار التقليد والجمود ، اقرأ قوله في ذلك ، ولاحظ حزنه لتقصير الخلف عما بلغه السلف من شأو . فما هم غير نقلة ومقلدين :

أهيم بسر الابتكار لانني ... ـ وقد طال عهدي ـ لا أرى غير ناقل
ويحزنني ان الاواخر قصروا ... ولم ينزعوا في الفضل نزع الاوائل
ولم يرثوا من ديدن القوم قبلهم ... سؤال مجيب أو اجابة سائل
متى تنجلي هذي القلوب ؟ فانها ... رقاق صفاح في أكف صياقل[693]

وهو يفضح المتمسكين بالقديم الذين يظهرونه بمظهر الجديد في حين ليس له من الجدة غير الاسم والوصف فيقول :

يا ناشدي الاثر الجديد استيئسوا ... من طول نشدان القديم العافي
بقي القديم وانما جددتم ... ضربا من الاسماء والاوصاف[694]

والجهل هو السبب في كثير من المشاكل التي تنهك المجتمع العراقي . ولهذا كان الشبيبي يشعر تجاهه بما يشبه الحقد الآكل ، ويتمنى لو يمثل له شخصا ليقتله ! اقرأ قوله هذا :

---

(٦٩٠) الديوان : ص٥٥ .
(٦٩١) الديوان : ص٧ .
(٦٩٢) الخاقاني : شعراء الغري جـ٩ ص٣ .
(٦٩٣) الديوان : ص٦٣ .
(٦٩٤) الديوان : ص٧٠ .

آه لو مثلا لي الجهــــل شــخصا وتقاضوا اليَّ حللت قتلـــه[٦٩٥]

فالجهل هو الطريق الى الرذيلة • والعلم هو الطريـق الى الفضيلـــة • والعلم بلا فضيلة شيء أجوف لا قيمة له :

اذا لم يـزدك العلم تقوى وعِفّــةً فمن قلة التحصيل حفظ المسائل[٦٩٦]

ولهذا كان يكثر من الدعوة الى العلم والى محاربة الجهل • وكان دائمـا يقرن العلم بالفضيلة ، اذ كان العلم والاخلاق لديه وجهين لعملة واحدة ، كما يقولون • ولهذا نراه وهو يخاطب الشباب ، رجال الغد ، يقول:

ان عقبـي العلم من غـير هــدى هــذه العقبـى التـي لـم تحمـد
من أتانـا بالهـدى من حيـث لـم يتــأدب حائـــر لــم يهتــدِ
غير مجد – ان جهلتم قـــدركم – عدد العلـم وعلـــم العـــــدد
واذا لــم ترصــدوا أحوالكـم لم تفــدكم درجـات الرصـــد
واذا لــم تستقــم أخــلاقكم ذهب العلــم ذَهـاب الــزبـد
عدّ عنـك الروض لا أرتاد لــي غير أخلاق هي الروض الندي[٦٩٧]

فهو يرى ان ما ينتظر من العلم اشياء كثيرة • وهو يرى ان لرجال العلـم والادب دورا كبيرا • ولذلك فهو يعرّي طائفة منهم لم تكمل عدتهـا لتـؤدي دورها ، وتحمل العبء كأحسن ما يكون الحمل • فيقول ، ولا يخفى ما في قوله من مرارة :

أحقنـا بعـــد بالتعليـم طائفـــة شـعارها العلم والتعليم والادب
أخلى الرجالمن التدريب منأخذت عنه التجارب – أخذالنص – والدرب
احدى العجائب عـــداً أن يثقفنـا قوم ثقافتهم في أرضنا عجب[٦٩٨]

---

(٦٩٥) الديوان : ص ٥٥ .
(٦٩٦) الديوان : ص ٦٤ .
(٦٩٧) الديوان : ص٨٢ .
(٦٩٨) الديوان : ص٦٦ .

وقد حمّل بعض رجال الدين في بيئة دينية مثل النجف ، كان فيها هؤلاء الرجال « يمثلون الطبقة « المثقفة » في ذلك العهد ، علاوة على كونهم يمثلون الدين وتعاليمه المقدسة »[٦٩٩] الكثير من تبعات التقصير في توعية الناس ، ودفعهم عن الجمود والجهل والخرافة وغيرها من دواعي التخلف التي كان الناس مرتكسين فيها والتي كانوا يعتبرونها ، بالاضافة الى انها جزء من اخلاقهم وتقاليدهم ، جزءا من دينهم ! فقد « كان أكثر الناس يلجأون الى رجال الدين في حل مشكلاتهم العائلية والاجتماعية وغيرها . ولم يكن أفضل وأقدر من رجال الدين في حل تلك المشكلات »[٧٠٠] . واذن فدور هذه الطائفة الاجتماعي كبير وتقصيرهم فيه خطير حتى صمتهم وعدم ادلائهم بالرأي عار أكبر عار :

وأكبر عار في الاكابر صمتهم   اذا لم يبينوا الرأي أو لم يصرحوا[٧٠١]

فكيف اذا كان بعض رجال هذه الطائفة التي ينتظر منها تخليص المجتمع مما فيه من علل مملّة في جسد المجتمع ؟ اقرأ له هذه الابيات :

جارت علينا عصبة روحية   شقيت بها الارواح والاجساد
راجت نقائصها ولكن آذنت   برواجها ، ان الكمال كساد
عاداتها بليت وتلك عوائد   مما نفته لنا ثمود وعاد
ملت مسامعنا ومل نجينا   مما يكرر ذكره ويعاد
وعظت شيوخ لو أصابت لارعوت   ولنال منها الوعظ والارشاد
لا يحسدون على المعالي أمة   وهم ـ على علاتهم ـ حسّاد[٧٠٢]

وهو ، في احدى قصائده ، يصور لنا أكلة المال الحرام بلوحة تنبض بالحركة الحادة . فهذا الذي يأكل الاموال بغير حق ان هو الا أكثر غدرا وبشاعة من ذئب ضخم جائع تهابه الوحوش ، يتعرض لقطيع غنم آمن فيروعه ويشتته

(٦٩٩) د . الوردي : لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث جـ١ ص٢٩٤ .
(٧٠٠) المرجع السابق . الصفحة نفسها .
(٧٠١) الديوان : ص٨٩ .
(٧٠٢) الديوان : ص٣٨ .

وينقض على بعضه تاركا امه الثكلى نادبة . اسمع قوله :

وما طاوٍ تراع الوحش منه | عملّس يسحب الذّيل الرّفلا
يحدد منه آزمة ويلوي | ذراعاً - لا تمل البطش - فتلى
تعرّض للقطيع وقد تراءى | على زرقاء تعطي الري نهلا
فروّع سربها نهباً مباحاً | وفرّق منه بعد الجمع شملا
وألقى في براثنه أغنّاً | كسا ابشارهن دماً مطلا
يعج فيستفز فؤاد أم | رمت لعجيجه نظرات ثكلى
بأغدر منك اذ تبتز مالاً | يحرمه النهى وتراه حلا
فمن أفتاك فيه ؟ وأي شرع | أباح لك الولاية ليس الا ؟[٧٠٣]

وقد شاع الهجوم على رجال الدين على ألسنة الادباء والشعراء منذ أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن ، لما تسرب من الافكار الجديدة والنظريات الحديثة[٧٠٤] ، ولتفتح العيون على تقصير بعض رجال الدين في اداء مهمتهم وعلى تزمتهم وجمودهم ، بل قد ظهرت الزراية بالدين نفسه والانتقاص منه ، وظهر من جاهر بالالحاد ودعا اليه ، واختلط الامر على البعض ، فكانوا ملحدين يوما ومؤمنين يوما اخر[٧٠٥] » ولكن الشيخ الشبيبي ، برغم ما شهد من ارتكاس في تقاليد بيئته ، ولمس من تزمت وجمود في دعاة دينه ، ظل يشهد الخيط الفاصل بين رسالة الدين ومسلك هؤلاء ، وبين تعاليم الدين الاصيلة وما داخلها من أوشاب وأوضار . ولم يقع فيما وقع فيه غيره من حمل صنيع هؤلاء على الدين ، والقاء جريرتهم عليه ، بل ظل متمسكا بالدين ،داعيا

---

(٧٠٣) الديوان : ص١٢٢ .

(٧٠٤) انيس الخوري المقدسي : الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث ص٣٠٣ .

(٧٠٥) « حياة الشبيبي وسيرته » : بحث القاه الدكتور عبد الرزاق محي الدين في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، بمناسبة انتخابه عضوا فيه محل الشبيبي . انظر ا مجلة المجمع العلمي العراقي جـ١٧ (١٩٦٩) ص٢٨٨

اليه ، ناعيا على هؤلاء وحدهم ما أدخلوه عليه من أوشاب وأوضار »[٧٠٦] .

وهو يقول في هذا الصدد فيما يقول :

ولو انكم في الواجبين اتبعتم ... هدى اثنين كانا شارعا وحكيما
لسرتم على نَجدي هدى وفضيلة ... وجبتم حزونا دونها وحزوما
فلم أرَ مثل الشارعين ديانة ... أشحَّ أساريراً وأكرم خيما[٧٠٧]

ومن بديع ما قاله أيضا قصيدته « روح الرسول »[٧٠٨] وقد استوحاها من ذكرى الرسول الامين . وقد استهلها بقوله :

ألا ليت شعري ما ترى روح أحمد ... اذا طالعتنا من عل أو أطلت ؟
وأكبر ظني لو أتانا (محمد) ... للاقى الذي لاقاه من أهل مكة
عدلنا عن النور الذي جاءنا به ... كما عدلت عنه قريش وضلت
اذن لقضى : لا منهج الناس منهجي ... ولا ملة القوم الاواخر ملتي
دعوت الى التوحيد يجمع شملكم ... ولم أدعُ للشمل البديد المشتت
وجئت رسولا للحياة ولا أرى ... بكم غير حي في مدارج ميت
ويسرت شرعا — ما تعنت — يافعا ... وسرعان ما ملتم به للتعنّت
وحرَّمت في الاسلام من بعد حِلّها ... مساويء عادت بعد حين فحلت

الى أن يقول مختتما القصيدة :

وعالجت أدواء النفوس دفينة ... الى أن تخلى الداء عنها فصحت
وكم قائل : «نفسي» اذا النفس بوغتت ... وما قال مثلي في الملمات : « أمتي »
تلفت يا روحي وأنت غريبة ... عن الحي ، فاجتازي ولا تلفتي

وقد عالج الشبيبي مشكلة « الفقر » ، وصوّر ما كانت تعانيه أكثرية

---

(٧٠٦) المرجع السابق : ص٢٨٩ .

(٧٠٧) الديوان : ص١٠ .

(٧٠٨) الديوان : ص١٠٧ .

الشعب معذبة مسحوقة ، تعيش على ما تتفضل به أقلية ثرية مرفهة . ومضى يلفت الانظار الى هذه الاكثرية المسلوبة الحقوق في وطنها ، وعلى أرض أجدادها ، يهز الضمائر بعنف ، مهاجما اكتناز الاموال ، وعدم بذلها في سبل الخير والصالح العام . اقرأ قوله مصورا حالة الاغنياء وهم ينظرون الى الفقير نظرة استعلاء باردة ، دون أن يحسوا بما يعانيه الفقراء الاشقياء المرضى :

يقولون : من هو هذا الفقير ؟ فهل قال قائلهم : من أنا ؟
ويستعذبون عذاب المقل جزاء على غير ما قد جنى
أما تستثيركم البائسات فرادى تمر بكم أو ثنى
تقابل عزتكم بالصغار وتقرن صحتكم بالضنى
أيهنيكم أنها في الشقاء ويشقيكم أنها في الهنا ؟
فلا تنسفوا الحق عن قوة بعيد لها نسف ذاك البنا
بزرق الحدود وحمر البنود وبيض السيوف وسمر القنا(٧٠٩)

ثم يمضي في القصيدة بلهجة عنيفة محذرة متفائلة في الوقت نفسه ، من ثورة الحق في يوم من الايام ، تنجاب معها سدول الظلام ، وينبلج بها النور . ولعل هذه القصيدة المبكرة(*) قد مهدت ، مع من مهد ، الى ما اشتعل به الشعر العراقي من ثورة اجتماعية بعدئذ . اقرأ قوله :

ولا بد للحق من ثورة رويداً فاما لكم أو لنا
ولا تأمنوا أن يروغ الزمان ويظهر ما لم يكن مبطنا
فكم كان ما لم يكن كائنا وأمكن ما لم يكن ممكنا
فيا عالم الغيب هل هجمة الى عالم منك أبهى سنا ؟
ويا أيها الأزلي القدير أسارك نحن فرفقا بنا(٧١٠)

---

(٧٠٩) الديوان : ص ١٠٩ .
(*) نشرت أول مرة في جريدة «البرق» ، ع٢٣٧ (٢ آب ١٩١٣) : ص٢٥٧
(٧١٠) الديوان : ص١٠٩ .

ويهاجم في قصيدة اخرى « المال » ، فهو زائل كزوال الأنسان • وهو لا يستطيع تخليد امرىء ما • فالغنى الحقيقي هو غنى النفس • والفقير العزيز النفس غني بعزة نفسه • فيقول :

ما يريد المرء من ثروته ؟ ان عقباه وعقباها الزوال
معدن مجتمع أركانه شبهات وحرام وحلال
أفقير غير ذي مال فتى عز نفسا ؟ ان عز النفس مال
أخلودا بالغنى ما رمتم ؟ شر ما رام امروء ما لا ينال[711]

ويشن هجوما عنيفا على كانزي المال الجشعين الذين يكدسونه دون ان يفكروا في انفاقه في سبيل الخير والصلاح • بل هو يذهب الى انهم يكنزونه من أجل الشر ! من أجل اقامة الضلال ونشر الخنا • ولنقرأ :

لمن – خفف الله أطماعكم – لمن تكنزون حطام الدنى؟
لنقض الهدى وقيام الضلال وطي العفاف ونشر الخنا ؟
هموم تشوه وجه الحياة وليست سوى تبعات الغنى
ولم أر مثل غواة النضار ولا مثل معدنهم معدنا
يصونونه عن دواعي الوجود ويفنونه في دواعي الفنا
ولا مثل راحة أرواحهم وهل راحة الروح الا العنا ؟
اذا أنت لم تقتن الصالحات أيصلحك النشب المقتني ؟[712]

وتتضح نظرته الدينية الى المال في الابيات التالية • فالمال يجب أن ينفق تقربا الى الله تعالى • والله يهب رزقه لمن يفعل ذلك • وان على الانسان ان يبتعد عن الطمع وأن يتذكر في انفاقه اليوم الاخر •

المال مأرب كل من صناعته بئس الصناعة لا كانت ولا الارب

---

(711) الديوان : ص٩٣ .
(712) الديوان : ص١٠٩ .

يستعجلون من الاعراض أعجلها ... أين التطوع في الاعمال والقرب ؟
يقيض الله رزقاً غير محتسب ... اذا مضى عمل في الله محتسب
نسعى ونقعد والاقدار حاكمة ... سيان فيها سكون النفس والطلب
لا تملك النفس من حرص كفايتها ... ولو أفاقت كفاها الماء والعشب
مفاد كل اناس من حرص كفايتها ... مقدار ما أكلوا منها وما شربوا
خلّد لنفسك في العقبى ذخيرتها ... وراع عمرك ان العمر منتهب(٧١٣)

ويتعرض الشبيبي لـ « الفقر الزراعي » ان صح التعبير ، وما كانت تعانيه أراضي العراق الخصبة من سوء واهمال . فالمياه وفيرة ، وهذان الرافدان ، هبة الله الى العراق ، يجريان ، ولكن روح اللا مبالاة التي تسري في الحاكمين أدت الى جدب هذه الاراضي ومحلها . فهو ينظم اثر جولة قام بها بين الفراتين قصيدة بعنوان « دجلة والفرات »(٧١٤) تفيض فيها نفسه بالالم والحسرة فيقول :

أي دمع يفيض من أي مقله ... لوقوفي بين الفرات ودجله ؟
آه ياما أدق نظرة فكري ... يوم شاهدت موقفا ما أجلَّه !
آه ما أكثر الجداول تجري ... في ربوع نعيمها ما أقله !

ثم يقول :

جل مابي أني أرى الماء عذبا ... أخذ المالح الاجاجي جله
من ترى حرم الزلال علينا ... وعلى الساكنات فيه أحله ؟
ليت من قال : أنت يانهر سيف ... لحشا المحل حد سيفك سلَّه
ما اخال الخرير والماء الا ... صوت حزن وعبرة مستهله

ونراه في قصيدة اخرى عنوانها « على ضفاف دجلة »(٧١٥) يصور حالة الفلاح العراقي فيقول :

---

(٧١٣) الديوان : ص٦٧ .
(٧١٤) الديوان : ص٥٣ .

ياماء دجلة عذبا في موارده — لانت في كبد الفلاح يحموم
الفقر فيك مذود وهو مفتقر — والبحر فيك مجود وهو محروم
الظلم ينفيك عن أهليك مضطهداً — أأنت أم كل ماء الارض مظلوم ؟
ناديت :قومي ،وحق القوم مغتصب — وصحت :شعبي،وحق الشعب مهضوم
مالي أرى الارض جنات وأرضكم — يا امة الخير ـ مومات ودَيموم؟

وقد عالج الشبيبي ظاهرتي التزييف الاجتماعي والنفاق ، وتغير نظرة الناس الى الاشياء تبعا لمصالحهم • فكم من مذنب أسبغوا عليه صفات البراءة وكم من بريء زجوه في زمرة المذنبين ! وكم من مرموق تظاهر بالهداية والصلاح وهو في حقيقته ملئ القلب بالضلالة والبعد عن الرشاد ، لا تلبث التجربة البسيطة أن تفضح باطنه الاجوف • اقرأ قوله التالي :

كم مذنب قالوا : نقي برده — ونقي برد عد فيهم مذنبا
وموقّر في الدست لبّى قلبه — داعي الضلالة مسرحاً أو ملعبا
فاذا رأيت رأيت منه هضبة — حتى اذا حركتها طارت هبا(٧١٦)

وفي قصيدته السائرة « باطل الحمد ومكذوب الثنا »(٧١٧) يعالج الظاهرة نفسها ويقلّبها على جوانبها بأسلوب مشرق ساخر صريح ، لا يبرىء نفسه فيه، وكيف يبرئها وهو ابن هذا المجتمع ؟ وفيها يرد الكثير من الادواء الاجتماعية الى الاخلاقية • ويشير للمصلحين : أن الداء هنا ! تأمل هذه الابيات التي يستهل بها القصيدة :

فتنة الناس ـ وقينا الفتنا ـ — باطل الحمد ومكذوب الثنا
رب جهم حولاه قمراً — وقبيح صيّراه حسنا
أيها المصلح من أخلاقنا — أيها المصلح الداء هنا

(٧١٥) الديوان : ص٥٧ .
(٧١٦) الديوان : ص١٢٥ .
(٧١٧) الديوان : ص١٠٥ .

كلنـــا يطلب ماليس لــه كلنــا يطلــب ذا حتى أنــا
ربمــا تعجبنــا مخضــرة أربــع بالامس كـانت دمنــا

ويشير الى انخداع الناس بالمظاهر ، والى عدم دقتهم في الاحكام في قوله :

لم تزل ـ ويحك يا عصر أفق ـ عصـر ألقـاب كبـار وكنـى
حكـم الناس عـلى الناس بما سـمعوا عنهم وغضوا الاعينـا
فاستحالت ـ وأنا من بعضهـم ـ أذني عينـا وعينـي أذنـا

والشبيبي يرى الشر أكثر تأصلا في النفوس من الخير ولهذا يقول :

كمـن الفســاد كـأنـه في النـاس طبـع مستقر[718]

ويقـول :

لـو خلّيَ الفلك الاعلى لقارعنـا بالنيّرات ووالـت رجمنـا الشهب
ولـو تأملـت الغبـراء لاضطربت من أنهـا لركاب الجهـل مضطرب
الخـير يضلـع والشر القريـن لـه مشمر مشيه التقريب والخبب[719]

وهو في قصيدة « نظرة في الحياة »[720] يؤكد هذا المعنى ويظهر ســوء ظنه بالناس ، فهم أشرار ، محبون للظلم ، بل هم لا يختلفون عن الســوائم التي يرعى بعضها دم بعض ، قلوبهم خالية من الاخلاص والمحبة ، ونواظرهم لا تطمع الى غير المنكر ، وأعناقهم لا تلتفت الى غير الموبقات :

نظرت بني الدنيـا فأسررت أنها على الشر لا تنفك تجري النحائت
هم اضمروا حب المظالـم فاستوت دخائلهم والظاهـر المتفـاوت
سوائـم يرعى بعضها دم بعضها شتاتاً وهل تحمي السروح الشتائت
غصون حجور الامهات اهتصرنها فهم نبتها الاحوى وهنّ المنابـت

---

(718) الديوان : ص١٩٧ .
(719) الديوان : ص٦٨ .

اذا نزلت دهماء سلاّك جازعٌ ... وما هو الا أسفع القلب شامت
نواظرهم للمنكرات طوامح ... وأعناقهم للموبقات لوافت

وتضيق نفسه بعالم الارض فيتوجه الى عالم الافلاك ليسائله قائلا :

ويا عالم الافلاك غيرّك المدى ... وهل أثرّت فيك العصور الفوائت؟
وهل فيك مثل الارض عادٍ وعادل ... وواف ورواّغ وراض وماقت ؟
وهل فيك من يحيا حياة جديدة ... ومندرس رث العوائد مائت ؟
وهل فيك حيران واخر مهتد ؟ ... وهل فيك هدار واخر صامت ؟
وهل فيك من يجلو سنا الشمس حجة ... ويغمطها منه الجحود المباهت ؟

وهو لذلك شديد الخوف من الناس • نقرأ ذلك في أكثر من موضع واحد • اقرأ قوله :

خيراً أرى لك أن أخاف لتأمني ... يا نفس من أن تأمني لتخافي(٧٢١)

وقوله :

من الناس خافي أيها النفس واحذري ... ولا تأمني ان المخافة في الامن(٧٢٢)

وقوله :

ومهما أكن منهم على النفس آمناً ... فاني على تضييعها غير آمن(٧٢٣)

كل ذلك ادى به الى الشعور بالتفرد والوحدة والغربة وهو في وطنه وبين قومه ، ولشعوره ، شأن أمثاله ، بأنه قليل النصير ، لانه صاحب مثل عليا يسعى الى الوصول اليها ، وهو طالب حقيقة يجدُّ في طلبها ، وهو حامل رسالة اصلاح يبغي تبليغها ، ولكن أنّى له ذلك ؟ لذا تضنيه هذه المشاعر فيصرخ :

---

(٧٢٠) الديوان : ص٧٢ .
(٧٢١) الديوان : ص٧٠ .
(٧٢٢) الديوان : ص٧٨ .
(٧٢٣) الديوان : ص١٢٩ .

مالي أنافح عن رأي أفوه به فما فتحت فمي الا رفعت يدي؟
يا قاضياً بأضطهادي هبك تفعله فالحق قيد لساني غير مضطهد
يا قوة الحق حسبي منك أهبته فلست ذا العدة الشهباء والعدد
حب الحقيقة يصبيني وان كبرت وزج بي حبها في ماضغي أسد
لا قلت للمين : نحو الباطل التفتي أنّى يكون جلاء العين بالرمد ؟
قالوا : أتكره نقد الناس ؟قلت:نعم اذا استعار عدوي ثوب منتقد
قالوا : فقد خلّدوها عنك سيئة فقلت: ما دار سوءالقصدفي خلدي
قالوا: أتبصر أم تأسى ؟ فقلت لهم: بمثل ذاك امتحان الصبر والجلد
قالوا:فناظر ـ وصوتالحق مرتفع ـ فقلت : هذا قياس غير مطرد
مقلدون بما فاهوا وما كتموا عرفت داءهم عرفان مجتهد
ولو وجدت نصيرا ما اختلفت بهم لكن خبرت أحبائيفلم أجد[٧٢٤]

وبعث رسالة الى صديقه أحمد عارف الزين ، صاحب مجلة «العرفان»[٧٢٥] يضمنها هذه الابيات الشاكية ، ويعنونها بـ « نفثة مصدور »[٧٢٦] :

وما أهون الخطب الذي يستفزني لو انك في جنبي أبثك ما أرعى
رياء وكذبا وانقباضا ووحشة خلائق مثلي ضاق عن مثلها ذرعا
ومَشرع ضيم لست أرضاه مورداً ومرتع ذل لست أقبله مرعى
وأشقى الورى من يطلب السعي للعلا ويمنعه صوت الجهالة ان يسعى
اذا رام أن يستشرف الافق طائراً هوى صاغراً أورام أن يستوي أقعى

---

(٧٢٤) الديوان : ص٨٣ .

(٧٢٥) هامش القصيدة اذ نشرت لاول مرة . انظر : مجلة « العرفان » : مج٢ جـ٨ (تشرين الاول ١٩١٠) ص٣٩٩ .

(٧٢٦) الديوان : ص١٩٦ .

وتمضه هذه الخواطر حتى وهو يتأمل الطبيعة ، فنجده يقول في قصيدة « وحي الغروب »(٧٢٧) :

ما حيلتي بمعاشر ... تجد اللذاذة بامتعاضي
ملأى علي يسرها ... أني أمرؤ خالي الوفاض
عاشت بأبدان صحاح ... ذات أرواح مراض
يأبى اللجاجة مثلهم ... أدبي ويأباها ارتياضي

ونقرأ الابيات التالية فنجده يصف حاله ويصف تنكر قومه له ، لا لسبب لا لانه رجل مبدأ ، ومرتاد فضيلة ، لا يريد ان يسلك مسلك من اتخذوا الضلال سبيلا ، بلهجة تنضح بالمرارة :

أرى دأب قومي في العراق تجنبي ... اذا قلت : لي حب الفضيلة ديدن
كأني مسيء بين أظهر جيرتي ... ولو أنصفوني قيل : انك محسن
يقولون : مرتاد الفضيلة جاهل ... ومطّلب فصل الخطابة ألكن
ومهما أكن منهم على النفس آمنا ... فاني على تضييعها لستُ آمن
فكم أتمنى - والاماني ضلة - ... وأقتل فيها الوقت ، والوقت مثمن
وكم أتقي نبل المَقال مسدداً ... اليّ ومالي غير صبري جوشن
وما حال ملآن هدى وأمانة ... اذا قيل : هذا مارق متخون
وكم يبتغي مني رفاقي أنني ... أماثلهم في الخلق ، والخلق معدن
ولولا اختلاف في العناصر واضح ... لما كان هذا العالم المتكون
سأترك دار الهون تركي لاهلها ... فان احتمال البين عندي أهون
وأذهب لا أدري أيومي أشأم ... بما حكم التقدير أم هو ايمن
ولست آمرأ لاحت مغامز قصده ... ويلويه عنها القائف المتكهن(٧٢٨)

(٧٢٧) الديوان : ص١٧٧ .
(٧٢٨) الديوان : ص١٢٩ .

وهو بين التكيف للخيبة اقناعا للنفس ودفاعا عنها ، وبين الاعتزاز بالنفس يقــول :

لقد سرني أني عن الناس ملتـو ومنتبـذ مـن دونهـم بعراء
فـأتعب شيء للفتى كثرة العدى وأتعب منها كثرة الخلطاء[٧٢٩]

أما قضية حقوق المرأة التي أثارها في مصر قاسم أمين في مطلع هذا القرن وأثار صداها في العراق عاصفة من النقاش بين مؤيد ومعارض[٧٣٠] ، فلم نجد عنها في شعر الشبيبي غير ستة أبيات ، أختتم بها قصيدة « سراب الامـال »[٧٣١] فهو لم يقصر الحديث فيها على المرأة بل تناول فيها أكثر من غرض واحد كان من بينها الاشارة الى رأيه في هذه القضية •

والابيات هي :

وأربـاب الحجـا لهـم حقـوق بنســبتهـم كـربّات الحجال
بتدبـير المنـازل هن أولـى وهـم أولى بتدبـير النـزال
ولـو كلفـن جلب الرزق كانت وظيفتهـن طـوع الاختـلال
ومـن للنسـل تربيـة وحفظاً اذا سـاوينا في كـل حـال
فيـا بنت الكمال نعمت بـالاً ولست أقـول يا بنـت الـدلال
صنيعـك لليمين تقـوم فيها مفـاخـرة ومهـدك المشـمال

وواضح رأي الشبيبي في هذه الابيات • فهو يرى أن مكان المرأة هــو البيت ، لترعى بنيها وتنشئهم تنشئة صالحة ، كما يتضح فيها احترامه للمـرأة ، فهو يناديها بـ « بنت الكمال » لا « بنت الدلال » كما ينظر اليهـا الذيـن لا يرون في المرأة غير وعاء متعة لا أكثر • وهو ينظر اليها انطلاقا من نظرتـه الى مصلحة المجتمع • وما يزال لهذا الرأي أنصاره رغم مرور هذا الزمـن

---

(٧٢٩) الديوان : ص٧٧ .

(٧٣٠) انظر : د • عز الدين : الشعر العراقي الحديث ص٢٣٩ وما بعدها ، و د ماهر حسن فهمي : قاسم امين ، سلسلة « اعـلام العـرب » ع (٢٠) ص١٧٢ وما بعدها .

(٧٣١) الديوان : ص١٠٠ .

الطويل ، ورغم خروج المرأة الى الكثير من مجالات الحياة العملية • ورأي الشبيبي هذا ربما يكون منطلقا من الارضية الاجتماعية التي كان يقف عليها حينها ، فهو الابن الاكبر للشاعر الشيخ محمدجواد الشبيبي ، ذلك الشاعر الذي كان من أشد المعارضين لسفور المرأة • فهو « قد وضع مشكلة السفور في مصاف مشكلات الوطن وخطوبه الجسام التي أقلقت باله وأرقته »[٧٣٢] ، وهو ابن النجف التي ما زالت الى وقتنا الحاضر ، ورغم سفور المرأة العراقية في كثير من أرجاء العراق ، وخروجها الى الحياة العملية ، ورغم خروج بعض بنات النجف الى هذه الحياة ، وسفور بعضهن خارج مدينتهن ، ما زالت تحرم السفور فيها وحتى على غير المسلمات ، لوجود مرقد الامام علي بن أبي طالب فيها • ولكن الشبيبي ، بعد ذلك وفي واقع حياته ، بعد أن غادر النجف وأصبح أبا لعدة من البنات ، نراه وقد تخرجت بناته جميعا في الجامعة ، أوهن في سبيل ذلك • وهن قد دخلن الحياة العملية ، فمارست من تخرجت فيهن التعليم ، كما مر بنا • فهو ، اذن ، لم يكن متعصبا لرأيه ذاك ، ولم يكن بالرجل المتعنت ، ولكنه بشر يتأثر بما حوله مثلما يؤثر ، ويتطور مع الزمن حين يتطور الزمن •

والشبيبي يربط قضية المرأة بمجد الامة العربية الأسلامية وحضارتها واستقلالها • ويرى أن العوامل التي أدت الى زوال ذلك هي العوامل نفسها التي أدت الى سوء معاملة الرجل للمرأة في هذا الجزء من العالم[٧٣٣] • وهو يرى ان مرور الزمن هو الكفيل بحل هذه القضية[٧٣٤] وهو لا يرى فائدة في مشاركة الشعر والادب فيها • فهو يقول : « ومن رأينا ان مثل هذهالقضايا الاجتماعية المعضلة ، ومنها القضية التي يسمونها تحرير المرأة ، ومنها ما يمنح الرجل من الحرية ورفع الحيف عنها في الزواج والطلاق وغير ذلك من حقوقها ، ليست من القضايا السهلة التي تحل بقصيدة ينظمها شاعر ، أو مقالة

(٧٣٢) د . عز الدين : الشعر العراقي الحديث ص٢٥٠ .
(٧٣٣) د . بدوي طبانة : معروف الرصافي ، هامش كتبه الشبيبي : ص١٨٠ .
(٧٣٤) المرجع السابق . الصفحة نفسها .

ينشئها أديب . فقد مرت الشعوب الناهضة بأدوار عديدة الى أن وصلت المرأة عندهم الى ماهي عليه اليوم . وليس من شأننا استحسان ذلك أو استهجانه في هذه الكلمة . غير اننا نرى أن قضية المرأة وتحررها من القضايا التي يحلها الزمن . ولا مناص لنا من القول ان الدعوة الى سفور المرأة وتبرجها على لسان الشعراء والادباء هو اخر ما تحتاج اليه الشعوب الفتية الناهضة ، اذا وضعت حاجات الشعوب ومطالبها الكبرى في قائمة تقدم فيها الاهم على المهم في هذه الحياة »[٧٣٥] .

ونحن نلاحظ أن نظرة الشبيبي الى الاصلاح نظرة مثالية اخلاقية ، ترجع الكثير من العلل الاجتماعية الى الاخلاق . وهي نظرة تجزيئية ، لا تربط بين النتائج وبين أسبابها الحقيقية ، ولا تنفذ الى الاعماق فترى أساس الداء في فساد الاسس التي يقوم عليها النظام الاجتماعي القائم على الاستغلال وعدم تكافؤ الفرص ، فتسير على هدى وجهة نظر متكاملة في الاصلاح الشامل . ولم يكن الشبيبي وحده ينظر هذه النظرة بل اننا نرى الرصافي نفسه يصنع هذا الصنيع ، رغم ورود كلمات مثل « الاشتراكية » و « البلشفية »[*] في شعره . فهو يردد هذه الكلمات دون أن يكون قد وعى ما تعني وعيا واضحا[٧٣٦] . فلم تكن البلاد العربية في تلك الحقبة مهيأة لتبني وجهات نظر عميقة متكاملة شاملة كما تهيأت ، الى حد ما ، بعد الحرب العالمية الثانية[٧٣٧] .

---

(٧٣٥) المرجع السابق ، هامش ص١٨١ .

(*) يستل الرصافي قصيدته « آل السلطنة » : بقوله .

هم يعدون بالمئات ذكوراً وأناثا لهم قصور مشاله
ولهم اعبد بها و إماء ونعيم ورفعة وجلاله

ويقول فيها :

ليس هذا في مذهب الاشتراكية الا من الامور المحاله

ويقول في قصيدته « حكومة الانتداب » :

للانكليز مطامع ببلادكم لاتنتهي الا بأن تتبلشفوا

انظر : (ديوان الرصافي) : ص٣٨٨ ، ٤٣٨ .

(٧٣٦) د. يوسف عز الدين : الاشتراكية والقومية واثرها في الادب العربي الحديث ص١٠٦ .

(٧٣٧) المرجع السابق: ص١١٢ .

ـ المناسبات :

نظم الشبيبي بعض شعره في المناسبات قبل طبع ديوانه ، وقد ضم جزءا منه . وهو قليل جدا ، الى الديوان ، واسقط الجزء الاخر وهو الأكثر . والبعض الاخر نظمه بعد طبع الديوان وانقطاعه عن النظم بزمن طويل .

والشعر الذي ضمه الى الديوان هو ثلاث قصائد ضمها باب الـ « رثاء » . وهي حسب ورودها في الديوان : « رثاء الشهداء »[٧٣٨] و « شهيد الدفاع أو الاستاذ الحبوبي »[٧٣٩] و « رثاء استاذ »[٧٤٠] وهي قصائد ظاهرة الحس الوطني والقومي ، وقد تعرضنا اليها عند دراستنا للوطنية والقومية في شعر الشبيبي ، كما مر ، بالاضافة الى قصيدة « ذكرى شاعر »[٧٤١] التي قالها في أحد مهرجانات المتنبي ، وضمها الى باب « متفرقات » .

أما القسم الذي اسقطه من الديوان فهو يدور حول الرثاء والمديح والتهنئة . وهي من الموضوعات التي كان يدور حولها الكثير من الشعر النجفي في مطلع حياة الشبيبي وحتى وقتنا الحاضر . فالمناسبات الإجتماعية من أهم بواعث نظم الشعر في النجف ، لما فيها من مجال للتباهي والتنافس والدعابة والترويح عن النفس فالوفاة والزواج والقدوم من السفر « هي السوق الذي يستغله الادباء ، ويتخذون منه مناسبة لعرض منتوجهم الادبي ... ولشد ما يفرح الشعراء حين يسمعون بعرس أحد الوجهاء ، وخصوصا اذا كان الوجيه أديبا . ولشد ما كانوا يفرحون حينما يسمعون بموت أحد العلماء أو الافاضل لان مباراة الشعر ستكون بأوسع حدودها ، حتى وان لم يكن للشاعر

---

(٧٣٨) الديوان : ص١٨٣ .
(٧٣٩) الديوان : ص١٨٥ .
(٧٤٠) الديوان : ص١٨٨ .
(٧٤١) الديوان : ص١٩٣ .

كبير صلة بالعريس أو الميت . فقد كانوا يخلقون المناسبة خلقا »[٧٤٢] كما مر بنا .

واذا كان الشبيبي قد نظم في تلك الاغراض لدواعي البيئة ، أو انه فعل ذلك قياما بقسط من الواجب ، كما يقول علي الخاقاني[٧٤٣] فانه قد نظم ذلك الشعر في مطلع حياته الشعرية ، ولعله حين أخضع هذا الشعر الى مقاييسه الشعرية وقت أن طبع ديوانه ، رآه لا ينطبع عليه بعض هذه المقاييس ، ولعله الاجادة الفنية ، فأبى أن يضمه الى « ديوان الشبيبي » . فنحن نقرأ له قوله عن شعر المناسبات في مقدمته لـ « ديوان اليعقوبي »[٧٤٤] : « وأدب المناسبات نمط من الادب ، رأينا بعض النقاد والمتملحين يحاولون ان لا يقيموا له وزنا على الاطلاق ، وهو خطأ فظيع بل جناية على الادب . ومن رأينا ان العبرة في هذا الضرب من الشعر بالقصد والغاية . فاذا أخلص الشاعر ، واذا شرف قصده ، واذا عبر عن احساس لطيف ، وترجم عن خوالج نفسية رفيعة ، واذا أضاف الى ذلك الاجادة والبراعة الفنية كان الاستحسان حقا من حقوق هذا الضرب من شعر المناسبات » .

أما القسم الثالث من شعره ، وهو شعره الذي نظمه بعد طبع الديوان ، فأهمه أربع عشرة منظومة بين قصيدة ومقطوعة ، في رثاء زوجه ، هي مجموعة « رنين على الاجداث »[*] .

ونحن في درسنا شعر المناسبات عند الشبيبي نؤثر أن نقسمه الى قسمين هما : الرثاء ، والمديح والتهنئة . وسنبدأ بالرثاء لانه أكثر هذا الشعر .

(٧٤٢) الخليلي : هكذا عرفتهم جـ١ ص٣٠١ .
(٧٤٣) شعراء الغري : جـ٩ ص٣٥ .
(٧٤٤) جـ٦ ص١ .
(*) من معاني « الرنين » : الصوت الحزين والبكاء .

والقصائد التي نظمها قبل طبع الديوان ولم يثبتها فيه ، هي قصيدة في الحسين (ع)(٧٤٨) وقصيدتان في الشيخ محمد طه نجف(٧٤٩) وقصيدة في السيد أحمد القزويني(٧٥٠) وقصيدتان في السيد حسين القزويني(٧٥١) وقصيدة في الشيخ عبدالحسن الشيخ راضي(٧٥٢) وقصيدة في السيد باقر الهندي(٧٥٣) وقصيدة في احد أصدقائه(٧٥٤) .

---

(٧٤٨) الخاقاني : شعراء الغري جـ٩ ص٥٩ .

(٧٤٩) المرجع السابق : ص٥٠ ، ٦٥ .
والشيخ محمد طه من كبار علماء الدين ، وكان في زمنه مرجعا أعلى للشيعة . أديب شاعر ، ولد سنة ١٢٤١هـ/١٨٢٥م ، وتوفي سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م .
المرجع السابق : ص٣٩٠ . وانظر : حرز الدين : معارف الرجال جـ٢ ص٣٠٠ .

(٧٥٠) الخاقاني : المرجع السابق ص٨٥ .
واحمد القزويني هو ابن ميرزا صالح القزويني . شاعر رقيق ، وعالم ديني فاضل ، من بيت علم وفضل ، يرجع نسبه الى الامام علي بن ابي طالب . ولد في الحلة ، وقيل في النجف سنة ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م وتوفي سنة١٣٢٤هـ/١٩٠٦م .
انظر اليعقوبي : البابليات جـ٣ ق١ ص٧٥ .

(٧٥١) الخاقاني : المرجع السابق ص٤٨ ، ٦٦ .
وقد مرت بنا ترجمة له في الفصل الثاني من الباب الاول من هذهالرسالة

(٧٥٢) الخاقاني : المرجع السابق ، ص٨٤ .
وعبد الحسن الشيخ راضي هو ابن محمد بن محسن . كان عالما في الدين فاضلا ،ذا مكانة اجتماعية بارزة ، وقد أدى الكثير من الخدمات للنجفيين ولد سنة ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م وتوفي سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م .
انظر : آل محبوبة : ماضي النجف وحاضرها جـ٢ ص٢٩٥ و : حرز الدين : معارف الرجال جـ٢ ص٢٣ .

(٧٥٣) الخاقاني : المرجع السابق ص٧٤ .
وباقر الهندي هو ابن محمد بن هاشم الهندي النجفي . يعود نسبه الى الامام علي بن أبي طالب . عالم ديني كبير ، واديب شاعر . ولد سنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م وتوفي سنة١٣٢٩هـ/١٩١١م .
انظر حرز الدين : المرجع السابق جـ١ ص١٣٣ .

(٧٥٤) شعراء الغري جـ٩ ص٥٢ . والقصيدة من بواكير شعره ، وقد تعذرت معرفة المرثي .

وهو يبدأ قصيدته في الحسين بتبيان حاله هو ، فهو الف سهاد وسهر بعد فقده الاليف ، الذي هو الحسين وآل بيته الطيبين ، وهو لم ير النوم ولا عنّ بباله ، وهو قد فقد السرور بعدهم ، وفقد لذة الدنيا ، فما هو بالذي يشغله رحيل حبيبة فيتبع أثرها ، ولا شأنه شأن غيره من الشعراء الذين لم يزالوا يهمهم أمر الحب فيكثرون من التحدث عنه ، اذ هو قد نزّه شعره عن ذلك ، وهو في شغل بما حل بالحسين وآل بيته • اسمع قوله :

لا طفت في مقلتي بل لا طفقت كرى ... ألفت بعد الاليف السهد والسهرا
هيهات لم يقض جفني منك لي وطراً ... كلاّ ولا عنّ عندي ذِكْرُهُ وطرا
حلوت الا لعيني فالسهاد بها ... ان مر مطعمه مرا حلا ومرى
ما سرني السانح الجازي ولا خفقت ... حشاي للبارق الخفاق حين سرى
ولا ارتمى بي رسيما جف مصحره ... بكورها اتحرى الارسم الدثرا
قل للذين صبوا في الحب بعدكم ... نزهت شعري عما يفعل الشعرا[٧٥٥]

وتراه في هذه القصيدة مكثرا من الجناس والمطابقة ، مضفيا على حديثه مسحة من بداوة تهب من مسار جيش الحسين ، شأنه شأن ما الفه شعر المنبر الحسيني ، متحدثا عن الحسين وعن جيشه القليل العدد الراسخ العقيدة الشجاع، وما حل بهم على يد الجيش الاموي الكثير العدد ، في لهجة عفة عن السب والطعن •

أما قصائده الاخرى فيمن رثاهم فهي تكاد تكون متشابهة في مستواها الهابط عن شعر الديوان • وفي طابعها البعيد عن الخصوصية التي تميز شخصية المرثي ، فكلهم ـ وهذا حق ـ رجال دين عرفوا بالتقوى وعمل الخير ، وفقدهم خسارة كبيرة للدين والعلم والفضل ، وهم الشمس والبدر • لولا بعض الاشارات التي ترد في بعض القصائد ، كحديثه في احدى قصيدتيه في حسين

(٧٥٥) الخاقاني : المرجع السابق ص٥٩ .

وقصيدته في أديب التقي ، وعنوانها « ذكرى أديب » كان قد نظمها وقت أن « دعي الشاعر الى تأبينه ، فاتفقت له هذه القصيدة ... الا أن عدم اقامة حفلة تأبين للاديب الفقيد أدت الى عدم انتشارها ، وبالتالي الى عدم نشرها . وقد تهيأ للشاعر العثور عليها بين أوراقه القديمة ، فآثر نشرها رعاية لحقوق الصداقة »(٧٦٤) وكان ذلك سنة ١٩٥٥م . وقد استهلها بقوله :

ذكر لنا يمضي وذكر يعود   هيهات ننسى مالنا من عهود

وهي قصيدة في ستة وعشرين بيتا ، تنساب فيها العاطفة رقيقة هادئة . يتحدث فيها عن صداقته للمرثي ، وعن خلقه النبيل ومكانته ، وعما له من دور في الجهاد وخدمة العرب . وهو اذ يتحدث عن حفاظه على التراث العربي وعن شعره وأدبه يقول :

يا جيرة الوادي ألا مخبر   أين القباب البيض ؟ أين الوفود ؟
بل أين سمار عهدناهم   زين الملا فيهم وانس الوجود
ذخيرة الماضين أسمارهم   وحكمة القوم وأرث الجدود
ما شك منهم ذو حصاة ولا   غرّر بالقوم سراب الجحود
قالوا لمن مال به سيره   منحرفاً : نحن لزمنا العمود
طرائف من صحف تجتلى   منمنمات كحواشي البرود

ثم يتحدث عن مشاركته في الحرب العالمية الاولى ، عند أخذه ضابطا احتياطيا ، وذهابه الى جهة القفقاس ، وعن مناهضته للاستعمار الفرنسي في سوريا وقت اشتغاله في التعليم بعد ذلك(٧٦٥) قائلا :

خاض الوغى في الشرق مستقتلا   وباشر الحرب وقاد الجنود
القر من أعدائهم والطوى   والوحش والداء يذيب الكبود

(٧٦٤) جريدة « الحرية » العدد السابق . المقدمة الايضاحية للقصيدة .
(٧٦٥) « كلمة الدكتور حسني سبح » في تأبين التقي : مجلة المجمع العلمي العربي مجـ٢١ جـ٧ ، ٨ (تموز و آب ١٩٤٦)ص٣٦٩ .

قتــلى اذا عــاينت أكلاســـها خلــت غثاء جرفتــه المـــدود
مــا كان في مذهبـــه جـــائراً من حفظ العــهد وراعى العهود
يذود عن أرض وعن موطــن وأي حــر عنهمـــا لا يـــذود

أما مجموعة « رنين على الاجداث » فهي ، كمـــا قلنـــا ، أربـــع عشـرة منظومة بين قصيدة ومقطوعة . نظمها في رثاء زوجه المتوفاة سنة ١٩٦٤ . وقد عثر على مسوداتها بين أوراق الشبيبي . وكان في نيته اخراجها الى القـراء ، كما حدثني الدكتور حسين علي محفوظ[٧٦٦] الذي قرأ له الشبيبي بعضهـــا (وهو يبكي) واقترح عليه كتابة مقدمة لها عند اعدادها للطبع . ولكن المنية حالت دون ذلك . يحدثنا عنها ولده أسعد[٧٦٧] ، وهو شاعر ، كما هو معروف، فيقــول : « ويوم سألته أن يستمع الى بعض أبيات قلتها في والدتي الشـــهيدة ، أطرق اطراقة المكلوم ، وقال ، بعد ان استمع الي : اني نظمت أربع عشـــرة قصيدة في والدتك الشهيدة وسميتها : « رنين عـــلى الاجداث » . فتلهفـت منذ ذلك الوقت لسماع ذلك الرنين الباكي . وشاء الله ان نعثر على قسم من مجموعة « رنين على الاجداث » . وسنعثر على القسم الاخر » . وقـــد عثروا عليه فعلا .

وقد توفيت زوجه الفاضلة عن عمر ناهز خمسة وخمسين عاما ، نتيجـة مرض السرطان ، وحزنا على ولدها أسعد الذي كان يلاحق ، آنذاك ، بســبب اتجاه سياسي معين[٧٦٨] . وكانت وفاتها في ٢٧ نيسان سنة ١٩٦٤ . وتــوفي بعدها الشبيبي بحوالي السنة ونصف السنة . وقد بكاها الشبيبي كثيرا وهو الذي قليلا ما شوهد باكيا . وقد تركت وفاتها في نفسه جرحا غائرا ، بعـــد عشـرة رضية سادها الود والتفاهم ، دامت أربعين سنة يقول عنها في قصيدة له بمناسبة مرور أربعين يوما على انتقالها الى جوار ربها :

(٧٦٦) من حديث شخصي .
(٧٦٧) « نبذة عن والده »، الورقة الثالثة .
(٧٦٨) أسعد الشبيبي : من حديث شخصي .

لا ترى من فارق بين ذوي يسرة أو فقراء مدقعين
طالما حدنا فعدنا للهدى وتمردنا فعدنا طيعين[٧٧٥]

ويقول في قصيدة اخرى :

ليس الحياة وان طالت بباقية تبقى الاحاديث والاعمال والسير
كم غائب حاضر من بعد غيبته ألا أحبتنا غابوا وما حضروا
تمضي الحياة بنا كالطيف سائرة وينقضي دون أن ندري به العمر[٧٧٦]

* * *

قلنا اننا ونحن نقرأ (رنين على الاحداث) نشعر وكأن الذي دفع الشبيبي الى نظم هذه المراثي في زوجه هو الوفاء لهذه الزوج المخلصة التي شاركها اربعين سنة من الحياة المظللة بالحب والتفاهم ، أكثر مما يشعر بتوفيق التجربة الشعرية ، اذ نلاحظ انخفاض مستوى هذا الشعر عن شعر ديوانه ، فهو يعاود النظم فيه بعد انقطاع قارب الثلاثين عاما ، يبدو ان شاعريته فيها كادت أن تنضب .

والحقيقة اننا ، ونحن نتحدث عن شعر هذه المجموعة ، يجب أن نكون حذرين في حديثنا هذا غاية الحذر . فهي مجموعة لم تصل الى مرحلتها النهائية ، فهي لم تزل مسودات عثر عليها ذوو الشبيبي بين أوراقه ، وليس من شك انه كان في نيته معاودة النظر فيها واطالته قبل ان يخرجها الى القراء . فنحن نعرف انه وقت ان طبع ديوانه قد أعاد النظر في الكثير من قصائده المنشورة ، فاستبعد بعضها وحذف وأضاف في بعضها الاخر ، ولم يسلم من ذلك حتى عناوين القصائد . فكيف الامر وهذه القصائد لم تزل في شكلها الخام ، وامامها ، كأية قصائد لاي شاعر ، مرحلة اعادة النظر ـ التي لم يهيأ لهذه القصائد أن تكون ـ قبل أن يدفع بها الى النشر ، اذ ان ما نشر منها كان قد نشره ذووه ، وبعد وفاته . فنحن ـ مثلا ـ اذ نقرأ بعض تلك القصائد(*) نلاحظ فيها قفزا في التفكير ، وانفصاما في العلاقة بين المعنى الجزئي

---

(٧٧٥) السابق .
(٧٧٦) السابق .
(*) دوحة الأوفياء ، شتان منزلتان ، يالم اسماء ، انظر : الملحق رقم (١) .

في القصيدة والمعنى الذي يليه ، فكأن بعض أبياتها وضع لا للرابطة بينها وانما لتداعي المعاني الذي أظهرها بهذا الشكل الذي لو أتيح له معه ان يعيد النظر فيه لما كان لها أن تخرج به .

على أن أخذنا تلك النقطة ـ المهمة ـ بنظر الاعتبار لا يمنعنا من ان نذهب الى ما ذهبنا اليه من هبوط في مستوى تلك القصائد . فالنزعة النثرية ، وشحوب الخيال ، وخفوت الموسيقى ، امور لا تخطئها العين أو الاذن . وحتى العاطفة لا نحس بها على مستوى الحدث ، كما يقولون . بل اننا نرى فيها أبياتا يقف المرء تجاهها والحيرة غير بعيدة عنه . فأنت حين تقرأ بعض القصائد فلا تدري ماذا قصد الشاعر في بعض أبياتها . فماذا يقصد بقوله في البيت الثاني من البيتين التاليين اللذين يختم بهما احدى القصائد ؟ .

كل الذخائر لا تدوم لاهلها ... رغم الحفاظ وكل علق يفقد
شر الكلام وفي الكلام مراتب ... ما أهملوه وخيره ما ينقد(777)

وماذا يقصد بهذا البيت :

ما وطّدت بيتاً وحق لمن لها ... بيت بأفنية القلوب موطّد(778)

واذا كنا نحار في المقصود بهذين البيتين فنحن نستغرب ورود أبيات اخرى بين غيرها من الابيات في هذه القصائد وفي مثل هذا المقام . فهو يقول في احدى تلك القصائد :

لم يعنني الوصب الذي قاسيته ... بعد اللقاء هو الذي أعياني(779)

فنحن نلاحظ في هذا البيت ـ وهو شيء لم يقصده طبعا ـ استهانة بما قاسته من آلام مبرّحة قاومتها بشجاعة حدثنا هو عنها . فهو يقول انه لم يأبه الا لفراقها ، فكأن هذا الفراق وما يتبعه من فقدان لرعايتها وحبها وما تشيعه في

(777) الملحق رقم (1) .
(778) الملحق رقم (1) .
(779) السابق .

وله فيه عدة قصائد[٧٨٦] • وقد جارى الشبيبي محمد رضا ، الشبيبي الكبير في مطلع حياته ، فنظم في مدح الشيخ خزعل وتهنئته ست قصائد • ضمها علي الخاقاني الى شعر الشبيبي الذي لم يضمه الديوان حين ترجم له في « شعراء الغري »[٧٨٧] نقلا عن كتاب « الدرر الحسان »[*] على أغلب الظن •

وجميع القصائد التي نظمها الشبيبي في مدح الشيخ خزعل وتهنئته ، نظمها في مطلع حياته ، شأنها شأن الكثير من قصائده الاخرى التي لم يضمها الديوان ، اذ أرخ مؤلف « الدرر الحسان » مقدمة كتابه ، فهو بلا تاريخ للطبع ، بسنة ١٣٢٦هـ ، وفيها يكون عمر الشبيبي عشرين سنة •

أما القصائد الاخرى ، وهي ست قصائد أيضا ، فهي قصيدتان في مدح الشيخ هادي آل كاشف الغطاء ، استاذه ، وصديق والده المقرب[٧٨٨] وقصيدة في تهنئته بعقد قران ولده الشيخ محمد رضا[٧٨٩] واما الثلاث الاخريات ، فاثنتان في تهنئة الشيخ علي آل كاشف الغطاء[٧٩٠] بعقد قران ابن أخيه الشيخ كاظم آل كاشف الغطاء ، وقصيدة في تهنئة الشيخ عبدالكريم الجزائري بقدومه من الحج[٧٩١] •

---

(٧٨٦) انظر : عبد المسيح الانطاكي (بك) : الدرر الحسان في منظومات ومدائح ..الشيخ خزعل خان ، في أمكنة متعددة .

(٧٨٧) جـ٩ ص٥٣ وما بعدها .

(*) ورد اسمه في « شعراء الغري » خطأ ـ واكبر ظني انه مطبعي ـ « الفرر الحسان ». انظر : جـ٩ ص٣٥ .

(٧٨٨) الخاقاني : المرجع السابق جـ٩ ص٦٨ ، ٨٩ .
وقد مرت له ترجمة في احدى هوامش الفصل الثاني من الباب الاول من هذه الرسالة .

(٧٨٩) الخاقاني : المرجع السابق ص٦٢ .

(٧٩٠) المرجع السابق : ص٥٥ ، ٧٦ .

(٧٩١) والشيخ علي هو ابن الشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء . عالم ديني كبير ومؤرخ أدب . كان عميد آل كاشف الغطاء في زمنه . وله عدة مؤلفات مخطوطة اهمها : « الحصون المنيعة في طبقات الشيعة » في عشرة اجزاء . ولد في النجف سنة ١٢٦٧هـ/١٨٥٠م وتوفي سنة ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م .
انظر حرز الدين : معارف الرجال جـ٢ ص١٣٨ .

وسنضم في دراستنا هذه قصائد التهنئة الى قصائد المديح ، فهذه القصائد تتحول في الواقع الى قصائد مديح فيها بعض الاشارات الى مناسبة التهنئة •

والقصائد الآنفة الذكر جميعا ، ما كان منها في المديح أو التهنئة ، بادية التقليد ، فأنت ترى وضوح التكلف ، وظهور الصنعة ، بحكم المرحلة الزمنية التي نظمت فيها ، وهي مطلع القرن العشرين ، لا سيما في هذا اللون الشعري ، وبحكم كونها من نظم شاعر في مطلع حياته الشعرية • فهي تستهل بالنسيب ، عدا واحدة في تهنئة الشيخ خزعل ، يدخل فيها الى غرضه ، رأسا ، اذ يستهلها بقوله :

اهنأ سعدت بمنّة السلطان ... وافخر على الشعراء والاقران[792]

وهو بعد مقدمة النسيب ، ينتقل الى وصف رحلته البدوية الى الممدوح ، كما في قصيدته في تهنئة الشيخ علي كاشف الغطاء بقران ابن اخيه الشيخ كاظم كاشف الغطاء • فهو يستهلها قائلا :

أخفي خيالك واستره ... ليل رآك فضحت بدره
قطع الفجاج لمغرم ... واصلته ورفضت هجره
وفككت من أيدي الجوى ... يا مالك العشاق أسره[793]

---

(791) الخاقاني : المرجع السابق ص٣٥ .
والشيخ عبد الكريم هو ابن الشيخ كاظم الجزائري • من أعلام النجف ومن رجال القضية العراقية • نظم الشعر في صباه ثم هجره • ولد سنة ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م وتوفي سنة ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م .
انظر : الخاقاني : المرجع السابق : جـ٥ص٥٠ وما بعدها . والفضلي : دليل النجف الاشرف ص٥٢ .

(792) الخاقاني : المرجع السابق ص٩٢ .
هذا وسنمضي في الاشارة الى قصائده في الشيخ خزعل الى « شعراء الغري » لتكون هذه القصائد مع غيرها من شعر الشبيبي الذي جمعه الخاقاني .

(793) الخاقاني : المرجع السابق ص٥٥ .

ونفسي عيوف ما ألمّ بها الغوى ولا الذل ألقي في حماها وخيما
ولا وردت والواردون بنو الدنا موارد لا يعتاف من ريها الظما

ليخلص الى المديح قائلا :

ولا انقاد الا للمعز توددي واعرب الا عن سواه وأحجما

ومعاني المديح هي المعاني التقليدية المكررة • فالممدوح جواد كالبحر أو كالغيث • وهو حليم رزين كالجبل ، وشجاع كالاسد • وهو في المنزلة كالبدر أو هو أرفع • اقرأ هذه الابيات •

× لا قلت بحر منه في كف تعد البحر قطره[796]
بحر يمد وما درى كالبحر بعد المد جزره[797]
× ومن نوال يديه سيل الغمام تعلّم[798]
× أما وكفك وهي ديمة عارض وكف السماح بهاوفك العاني[799]
× اني لانقص قدره ان قست بالاطواد قدره[800]
× أبان الحجى فيحلمه وهوراسخ يهدّ أباناً شاهقاً ويلملما[801]
× تراه في الجدب غيثاً وساعة الحرب ضيغم[802]
× بدر له الشمس قد تجلت بمطلع في السعود أنجم[803]
× فتى جادَ فيه الدهر فذّ واو أتى ببدر الدجىيوماً لماكان توأما[804]

---

(٧٩٦) المرجع السابق : ص٥٦ .
(٧٩٧) المرجع السابق : الصفحة نفسها .
(٧٩٨) المرجع السابق : ص٨١ .
(٧٩٩) المرجع السابق : ص٩٣ .
(٨٠٠) المرجع السابق : ص٥٦ .
(٨٠١) المرجع السابق : ص٨٣ .
(٨٠٢) المرجع السابق : ص٨١ •
(٨٠٣) المرجع السابق : ص٧٩ .
(٨٠٤) المرجع السابق : ص٨٣ .

وهذه المعاني ظاهرة المبالغة . وقد تصل المبالغة الى درجة السذاجة ، كما في قوله في مدح الشيخ علي كاشف الغطاء :

بحـــر يمـد ولا درى   كالبحـــر بـعد المد جزره
يا واحـــد العصر الذي   كـم مـد سبعتهـا بعشره
تلـــك الانامل سيَّرت   فيضـاً حمى للدهر عسره
فَرَّ الانـــام عن الجدى   ولها عـــلى الاموال كره
أغنت فلم ترَ مملقـــاً   يشكو بهذا الدهر فقره(٨٠٥)

وقد تكون تلك السذاجة خادشة للذوق ، كما في قوله في تهنئة الشـــيخ عبدالكريم الجزائري بقدومه من الحج :

بلغت (منى) فيـــك المنى   يـــا بالغـاً أقصى المحامـد
وبنـــور وجهـــك تنتقي   تلك الجمـاد لعـين ناقـــد
عجبـــاً وفدت لهـا وفي   فسطاط بيتك الف وافد(٨٠٦)

قلنا ان الصنعة ظاهرة في هذه القصائد ، فأنت تستطيع ان تراها بوضوح في هذه المحسنات البديعية المتراكمة في قصيدته التالية في مدح الشيخ هـادي كاشـف الغطاء ، اذ يقول مستهلا القصيدة :

متى يـا ناضـــر العطـــف   تمنـــي الصـــب بالعطـف
أتخفـــي منـــك ما يبـــدي   وتبـــدي منـــه مـا يخفـــي
نصيـــف عاقنـــي عمـــا   أروم وليـــس بالنصـــف
وكـــف تتقـــى فيهـــا   ألا يـــا كفـــه كفـــي
ومـا في الصدر من حـــق   وما في الازر مـن حقـــف
ومـــا في الطرف من ظرف   ومـــا في الفرع مـن عرف

(٨٠٥) المرجع السابق : ص٥٧ .
(٨٠٦) المرجع السابق : ص ٥٤ .

ومـــا في فيـك من صفـو   زلال جل عن وصف[٨٠٧]

فأنت ترى المجانسة في البيت الاول بـــين « العطف » و « العطـــف » ، وفي البيت الثالث بين « نصيف » و « نصف » • وفي البيت الرابـــع بـين « كفه » و « كفي » • وفي البيت الخامس بين « حق » و « حقـف » • وفي البيت السادس بين « طرف و ظرف » ، وبين « فرع » و « عرف » • وفي البيت السابع بين « في » و « فيك » ، وبين « صفو » و « وصف » •

وانت ترى المطابقة في البيت الثاني بين « تخفي » و « تبدي » ، الى غير ذلك • ولسنا نريد ان نمضي في ضرب المزيد من الامثلة على ذلك • فذلـك واضح في الشعر الذي مر بنا •

بعد ذلك نلاحظ في هذا الشعر ظاهرتين • الاول : فخر الشبيبي بشـعره فهو ، مثلا ، يقول في احدى القصيدتين اللتين يهنيء بهما الشيخ علي كاشـف الغطـاء :

تســعري يا حشـــا جناني   كـــأن في وجهـــه جهنـم
ويا دموع انثـري عقيقـــاً   فالـــدر في ثغـــره تنظـــم
هـا فـأسكبيهـا كسبك شـعري   خرائـداً مالهـن تـوأم[٨٠٨]

وهو اذ يخاطبه في الثانية ، يفتخر بشعره حتى ليفضله على شعر عدد مـن كبار شعراء العربية ، بكثير من الغرور البعيد عن اللباقة ، فيقول :

واقبـــل خريـدة خاطـــر   ما فيـــه وسواس وخطـــره
لـــو للكميـــت تمثلـــت   قال اسبقـــي ما فيك ثمـره
وارم ابـــن هانـــي بالاهانـة   والمعـــري بالمعـــره[٨٠٩]

---

(٨٠٧) المرجع السابق : ص٦٨ .
(٨٠٨) المرجع السابق : ص٧٦ .
(٨٠٩) المرجع السابق: ص٥٧ .

والظاهرة الثانية التي نلاحظها في هذا الشعر هي الغزل الماجن . وهي ظاهرة لا تجدها في شعره الغزلي الذي ضمه ديوانه . فبالاضافة الى ما قرأناه في مستهل قصيدته السابقة في مدح الشيخ هادي كاشف الغطاء عن نظر من قريب أو بعيد الى معاني القصيدة المنسوبة الى النابغة الذبياني في « المتجردة » فنحن نقرأ فيها وفي غيرها حديثا عن التقبيل والرشف ، ونقرأ ذكرا للنهد والردف كما في قوله فيها :

وزوده ولا تبخل   من التقبيل والرشف

وقوله :

ألا يا بدر طوّقه   اذا انصفت في النصف
ويا جوزاء حلي منه   بين الخصر والردف[810]

ونقرأ في قصيدة يمدح بها الشيخ خزعل قوله :

لك نهد محقق طالعته   مقلتي في الهوى على التحقيق[811]

وقوله :

لست أدري وقد لثمت ثنايا   ك فعللتني بثغر وريق

وقوله في قصيدة في تهنئة الشيخ علي كاشف الغطاء :

الردف مثر بجنب خصر   منه يرى في الوجود معدم[812]

وربما كانت هاتان الظاهرتان في هذا الشعر أثرا من آثار مرحلة المراهقة التي تطغى فيها العاطفة الجنسية ، ويبرز الاعتداد بالنفس ، لا سيما في قصائد أريد لها أن تكون حديث المجالس والاندية ، في بيئة تقتنص المناسبات للمباهاة بالشعر والملكات الادبية .

---

(٨١٠) المرجع السابق ٦٨ .
(٨١١) المرجع السابق : ص٧١ .
(٨١٢) المرجع السابق : ص٧٧ .

٤ ـ النظـر الفلسفي :

كان الشبيبي شخصية حساسة ، ذات نفس تساؤلية ، وعقلية متفتحـة ، تقف في الحياة مرسلة الطرف فيما حولها ، محاولة النفاذ الى الاعماق ، معرية الاشياء من قشورها ، نافضة عنها ما تراكم عليها بحكم الالفة التي تفقد النظر دهشته . لذا نراه في الكثير من شعره قد شغل نفسه بالنظر الفلسفي الى الامور . و « نعني بالنظر الفلسفي ذلك التأمل الفكري الذي ترتفع فيه الذات عـن ملابسات التجربة المباشرة لترى رأيها في طبيعة الحياة ومغزاها ووضـع الوجود والانسان من الطبيعة والمجتمع . وذلك بان النفس كلما زاد حظها من الادراك والحساسية زادت رغبتها في التساؤل من جديد عن حقيقة الحياة الانسانية حتى وان كانت على علم بأن ذلك التساؤل ينتهي دائما بالعجز واليأس . فهي تريد أن تمارس ذلك التساؤل كأنه غاية في حد ذاته . وان تتذوق اليأس والعجـز كأنهما ثمرة فلسفية وحقيقة مريحة »[٨١٣] ، ونفس كهذه النفس تشق طريقها بذاتها ، فهي لا ترى في الطرق الممهدة ما يوصلها الى الغايـة التي تريـد . ولهذا نجد الشبيبي بعد أن قطع شوطا في طلب العلم على الطريقة المعروفة في زمنه ، ضاق بما فيها من التقليد والجمود ، فمال الى الدرس الحر والتفكـير المجرد من تأثير المعلم والمربي ، ومضى يستقي العلم بنفسه[٨١٤] .

وقد كان لاتصال الشبيبي ببعض المتنورين المتحررين في النجف من جهة، ولاطلاعه على الصحافة العربية التي كانت تصل الى النجف على نطاق ضـيق في ذلك الوقت ، من جهة اخرى ، أثر كبير في وجهة تفكيره ، فقد اتصـل بهبةالدين الشهرستاني ، الذي أصدر مجلة « العلم » في وقت مبكر من حياة الشبيبي[*] ، وقد كان لهذه المجلة ، بالاضافة الى عنايتها بالشؤون الدينـية ،

---

(٨١٣) « النظر الفلسفي في الشعر العربي » : د . محمد العلائـي : مجلـة « الشعر » . ع٤ (أبريل ١٩٦٤) ص٣ .

(٨١٤) انظر الفصل الثاني من الباب الاول من هذه الرسالة .

(*) سنة ١٩١٠ . انظر : العلوي : هبة الدين الشهرستاني ص٩ .

عناية بالشؤون العلمية ، واسمها دال عليها • « وقد حاولت [هذه المجلة] أن تحتفظ بنظرتها التقدمية الى الحياة ، دون أن تثير شكوك المحافظين من رجال الدين وغيرهم • فنشرت مرة تقول : ان الاسلام مع العلم الصحيح فرسا رهان ورضيعا لبان لا يفترقان حينا من الدهر »(٨١٥) في بيئة كان يتعرض فيها للاهانة والضرب من يقول : ان المطر من بخار الماء(٨١٦) • وكان صاحبها على صلة باعلام الوطن العربي • فهو بالاضافة الى صلته بالشيخ محمد عبده وبالسيد رشيد رضا ، عن طريق المراسلة ، فقد كان يراسل أصحاب «المقتطف» و « الهلال » وغيرهما من المجلات • وكان يبادلهم الصحف والمطبوعات التي كان بدوره يضعها تحت أنظار المتصلين به(٨١٧) ومنهم الشبيبي •

واذا كانت الاكتشافات العلمية قد قطعت شوطا بعيدا في القرن التاسع عشر• واذا كان كتاب دارون ، « أصل الانواع » ، قد ظهر في أوربا في النصف الثاني من القرن المذكور ، فأثار ما أثار من ضجة هناك ، فان ريحه وغيرها من رياح أخذت تهب على الوطن العربي في الربع الاخير من ذلك القرن(٨١٨)، لتثير ما تثير في هذه البقعة من العالم ، من مناقشات فكرية انقسم المفكرون العرب لها بين مؤيد ومعارض • وكانت المجلات من المنافذ التي نفذت منها تلك الآراء العلمية الجديدة ، ودارت على صفحاتها المناقشات(٨١٩) ففتحت تجاه الجيل الجديد آفاقا جديدة للتفكير والتأمل • ودعته الى اعادة النظر في أفكاره ومعتقداته • وكان الشبيبي من أفراد هذا الجيل الذين تأثروا بهذه الآراء قليلا أو كثيرا • فراح يتابعها ويتبنى بعضها• فنجده ينشر في مجلة «العرفان»(٨٢٠) بحثا بعنوان : « ما الفلسفة الاجتماعية ؟ » يبدؤه بقوله : « في عالم الطبيعة

---

(٨١٥) الفياض : الثورة العراقية الكبرى ص٦١ .
(٨١٦) صالح الجعفري : من حديث شخصي •
(٨١٧) العلوي : هبة الدين الشهرستاني ص١٠ .
(٨١٨) د . كمال اليازجي : الشيخ ابراهيم الحوراني في فجر النهضة الحديثة ص١٠٥ .
(٨١٩) المقدسي : الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث ص٣٠٤ .
(٨٢٠) مجـ٣ جـ١٥ (٢٧ تموز ١٩١١) ص٦٢٧ .

الادبي قضايا مقررة تسمى (السنن الاجتماعية) كما ان في عالمها المادي أصولا ثابتة تسمى (النواميس المطبيعية) • ومثالهما تنازع البقاء والجاذبية ، فكلاهما أصلان مهمان جاريان في نظامي الكون المادي والمعنوي » •

وهو في بحثه هذا لا يوضح لنا « ما الفلسفة الاجتماعية ؟ » ببحث متماسك كما ينتظر من العنوان ، وانما يتعرض الى قضايا متناثرة فيما يتصل بعلم الاجتماع ، من فناء الضعيف من الشعوب في الغالب القوي ، الى احتياج الانسان الى وازع ديني أو وضعي ، الى أن علم الاجتماع يعنى بأثر البيئة في الانسان ، وأن للبيئة أثرا كبيرا في نشأة الانسان ، وأن تطورا كبيرا قد مر على علم الاجتماع كما مر على العلوم الطبيعية • وهو يرى ان هذا التطور لم يصلح الاجتماع ولا أراح البشرية • وأن أقرب قضاء الى الفطرة هو القضاء الاسلامي • ويختتم البحث بدعوة الشرق « للفوز في تنازع البقاء مع الامم الحية » للاخذ بـ « العلم الطبيعي والكيمياء الطبيعية في الصناعة والزراعة » واحتراف المهن العلمية أكثر من الادبية •

وينشر مقالة « معربة عن آفتاب الفارسية عن الفرنسية » في «العرفان »[٨٢١] أيضا ، بعنوان : « مختصر الاكتشافات الفلكية » يستعرض فيه بعض هذه الاكتشافات •

واذا كان للآراء والنظريات العلمية صدى فيما كتب ناثرا ، فقد كان لها صدى في شعره • كما كان لها في شعر بعض الشعراء المعاصرين له • وأبرزهم جميل صدقي الزهاوي[٨٢٢] •

واذا كان « الزهاوي بما أحدث من ذلك يسعى الى أن يعد في الشعراء المجددين لعصره ••• وخاصة في أعين السذج والجهلاء ، ممن لم ينالوا قسطا

(٨٢١) مجـ٣ جـ٢٣ (٢٢تشرين الثاني ١٩١١ م) ٩٢٢ •
(٨٢٢) د . ضيف : رداسات في الشعر العربي المعاصر ص٧٣ .
(٨٢٣) المرجع السابق : ص٧٧ .

كبيرا من المعرفة»[٨٢٣] ، فاكثر من النظم في هذا الغرض » وذهب يرض آفاق العلم والعلماء ، ويجلب من كتبهم ونظرياتهم ما يحلى به طائر شعره ، وما لعله يلمع فوق أجنحته »[٨٢٤] ، فالشبيبي لم يخصص سوى موشحتين ومربع ، هي « نحن في سيارة »[٨٢٥] و « العالم والعلم »[٨٢٦] و « نظرة في النظام الشمسي »[٨٢٧] .

وحين نقرأ هذه الالوان الشعرية نجد الشبيبي لا يكتفي بعرض الظواهر الطبيعية فقط ، بل نجد فيها نظرات تأملية ، واستخلاص عبرة . كما نجد روحه التساؤلية التي تجعله مترددا لا يستقر . وقد صاحبته هذه الروح الحائرة حتى مرحلة أبعد ، حيث انصرف عن الشعر العلمي الى التأمل الميتافيزيقي ، مما ضمه ديوان شعره .

وظاهرة النظم واضحة في ألوانه الشعرية هذه ، والجانب التقريري ظاهر في عرضه للظواهر العلمية ، والتكلف باد ، كما يبدو شحوب العاطفة والخيال . وأكبر الظن ان ذلك هو الذي دعاه الى اسقاطها من الديوان مع ما اسقط من شعره الاول في أغراض اخرى . ورأيه المتأخر واضح في هذا الغرض الشعري . يقول في تصديره لكتاب الدكتور طبانة ، « معروف الرصافي»[٨٢٨]، « وللرصافي ومثله الزهاوي اسلوب خاص ينظمان بموجبه الشعر فيموضوعات العلوم الكونية ، وبعض المسائل الطبيعية أو الرياضية . تقرأ هذا الشعر فكأنك تقرأ فصلا لكاتب كتبه في موضوعه . فهذا الشعر لا يفرق عن النثر في شيء. ولست من يعجبه هذا المذهب مطلقا . ولم أجد فيه ميزة من ميزات الشعر . ولا أدري لماذا أولع الشاعران به ؟ والغالب أنهما نسجا فيه على منوال بعض الشعراء الاتراك » .

---

(٨٢٤) المكان نفسه .
(٨٢٥) الخاقاني : شعراء الغري جـ٩ ص٣٥ .
(٨٢٦) مجلة « المقتطف » : مجـ٣٨ جـ٦ (١ يونيو ــ حزيران ١٩١١) ص٥٥٣
(٨٢٧) الخاقاني : المرجع السابق ص٤٧ .
(٨٢٨) ص١٦ طـ٢ . وقد ظهرت طبعته الاولى سنة ١٩٤٧ .

واذا كان الزهاوي قد نظم في الطبيعة والكيمياء والفلك وعلم الحياة ، فان أغلب ما نظمه الشبيبي يدور حول الفلك . ومع ذلك فلا نعدم الاشارة الى ظواهر علمية لعلوم اخرى كما في مخمس « القطرات الثلاث »[٨٢٩] مما اسقطه من الديوان ، أو في شعره الذي ضمه الديوان ، والذي تبدو فيه هذه الاشارات العلمية بروح شعرية ليس فيها جفاف العلم . كما في قصيدة « تنازع البقاء »[٨٣٠] وهي قصيدة استنهاضية ، يدعو فيها قومه الى النهوض ، ويبنيها على فكرة « تنازع البقاء والبقاء للاصلح » . مما ذهب اليه دارون في نظريته . ويستهلها بقوله :

هو الدهر قتال لما ليس يصلح فكونوا كما قد يشتهي الدهر تفلحوا

قلنا ان الشبيبي عني بالنظر الفلسفي في شعره ، وأكثر من البحث والتساؤل عن حقيقة الحياة ومغزى الوجود ووضع الانسان من الطبيعة والمجتمع. وعانى من أجل ذلك الكثير[*] . وقد غذى هذا البحث وهذا التساؤل ما درسه في الفلسفة ، وما اطلع عليه من جديد الآراء العلمية . أو قل ان نفسيته وعقليته هما اللتان دفعتاه الى النظر في الفلسفة والعلوم . فـ « من طبيعة الروح التساؤلية ان تنشد الحقيقة أنّى وجدتها . وأن تبحث عن الحقيقة دائما »[٨٣١] وفي الواقع ان هذه الروح هي التي كانت السبب في نشوء المعتقدات الروحية والاديان والمذاهب الفلسفية تلك التي قامت بوضع التفسيرات لما يكتنف الحياة

---

(٨٢٩) الخاقاني : المرجع السابق ص٣٨ .

(٨٣٠) الديوان : ص٨٨ .

(*) يقول في ترجمة له بقلمه : « وقد مرت عليّ أطوار كثيرة ، وعانيت شدائد خطيرة أثناء تقلبي في مجاهل الافكار وتأملي في بدائع الآثار :

لايعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها

انظر :مجلة المجمع العلمي العربي : مجـ٨ جـ٨ (آب ١٩٢٨) ص٤٩٤ .

(٨٣١) د . زكريا ابراهيم : ابو حيان التوحيدي ، فيلسوف الادباء واديب الفلاسفة ، سلسلة « اعلام العرب » ، ع٣٥٤ ص١٧٧ .

الانسانية من غموض وابهام[٨٣٢] • والشبيبي انسان يؤمن بدين هو الدين الاسلامي الذي قام بالاجابة عن كثير من الاسئلة في هذا المجال • ولكن الاديان في بعض المراحل من حياة الافراد أو الجماعات ، لا تجيب بالشكل الذي يروي الغليل ، ولا تعطي التفسيرات بالشكل الذي يملأ الاقتناع ، فتلجأ بعض النفوس الى البحث عن الاجوبة والتفسيرات في غير الدين • وهذا ما حصل للشبيبي ، ولكنه في كل مرة يعود خائبا محتميا بالدين ، محاولا الاقتناع بأجوبته وتفسيراته بعد ألا يجد ضالته • فهو يبدأ موشح « نحن في سيارة »[٨٣٣] بقوله :

أحقا نحن في قمر منير يسير وليس نعلم بالمسير
يجول بنا على وجه الفضاء ويجذبنا اليه عن السماء
ولولاه لطرنا كالهباء وجاوزناه في أمد قصير
وصرنا حيث نجهل بالمصير

ويبدأ مربع « نظرة في النظام الشمسي »[٨٣٤] بقوله :

تعاليت في الافق أفق الكرات بحيث هوت دونك المعصرات
الى أين أيتها النيرات بسيرك هذا الفضاء انتهى ؟

ويبدأ موشح « العالم والعلم »[٨٣٥] قائلا :

النجوم الزهر كانت سدما حائرات في الزمان الاول
وحدة كانت سديماً بينا
فتجزأن فردى وثنى
هكذا أول تكوين الدنا

(٨٣٢) « النظر الفلسفي في الشعر العربي » : د . العلائي ، مجلة « الشعر » ع٤ ، ص٣ ..
(٨٣٣) الخاقاني : شعراء الغري جـ٩ ص٣٥ .
(٨٣٤) المرجع السابق :ص٤٧ .
(٨٣٥) مجلة « المقتطف » : مجـ٣٨ جـ٦ ص٥٥٣ .

ثم يمضي متسائلا عن سبب حدوث ذلك أهو « الاتفاق » أم « الكهرباء » ؟ ولكنه لا يرتضي هذا ولا ذاك • ويظل حائرا لا يدري لذلك سببا ، فالسبب كامن تحت حجاب الازل :

جملة الكون استحالت ضرما لست أدري من دعاها اشتعلي

أبحكم الاتفاق التهبا

أم تجلى فيه سر الكهربا

لم يكن ذاك ولا ذا سببا

انما المصدر أضحى مبهما كامنا تحت حجاب الازل

ثم يمضي عارضا نظريات تفسير نشوء الاجرام • ولكنه يردها دون اقتناع ، فهن :

نظريات وهل يروي الظما نظر لم يقترن بالعمل

لا سيما بعد ان وقف فيها على تفسيرات الماديين ، أمثال « بخنر » الذين غرقوا ، على حد قوله ، في علمهم الفاضح الجارح للدين • ولكن الدين ، كما يرى ، سيظل محصنا محمي الحمى وهم المخفقون :

ما كفى أنهم قد غرقوا

في علوم فضحت من سبقوا

فاستباحوا الدين لكن اخفقوا

فهو لا يبرح محمي الحمى ليس بالتالي ولا بالوكل

ثم ماذا ؟

انه لا يريد أن ينفض يديه من العلم فيلجأ الى محاولة توفيقه بين العلم والدين ، فهما ، كما يرى ، أخوان تجمعهما صلة الرحم غير المنقطعة • وهما لا ينفي أحدهما وجود الاخر :

أثر الدين مع العلم اتحد

فهو خير ورقي ورشد

غاية للعلم والدين ترد

أخوان ارتضياها رحما   غير مقطوع ولا منفصل

ليس ينفي الدين ما فوق العيان

وأرى الدين حياة وجنان

فهو تقوى واخاء وحنان

سلوة البائس بل نور العمى   أمل الروح وروح الامل

ولكن هل أطمأن ؟ لا • فالتساؤل لا يلبث أن يعود من جديد !

ما هي القوة ؟ ما أصل النوات ؟

ما هو الواقع ؟ ما أصل الحياة ؟

قف • فهذا مستراح الشبهات

وخفايا كبرت ان تعلما   لن تزال الدهر بل لم تزل

ولكن نفسه لم تقف عند « مستراح الشبهات » !! بل تمضي متسائلة مباشرة :

يا حياة في البرايا قد سرت

لست أدري هي فيالارض انبرت

أم عليها من سماها انحدرت

تصحب الشهب وتهوى الرجما   يتكورن عليها من عل

الاسئلة تترى ، والنفس لا تعرف الطمأنينة • فأين الامان ؟ •

وهذه النفس الخصبة مالها لا تنبت غير الاشواك التي تدميها قبل ان تدمي

سواها ؟! ألا توجد « الحقيقة » ؟ انها موجودة . ولكن كيف السبيل اليها ؟

أملتمس الحقيقة يدعيها ... زللت روية وضللت عقلا[٨٣٦]
رأيت المرء أنّى زاد علما ... تحير فكره فازداد جهلا
خبايا الكون أكثرها خفيّ ... ولم نستجله الا الاقلا
حقائق لا تحيط بهن بعضاً ... ولو أفنيت عمر الدهر كلا
وهب انّا علمناهنّ فرعا ... فانّا ليس نعلمهن أصلا[٨٣٧]
لئن صورتها فرأيت ذاتاً ... فقد أخطأتها فلمحت ظلا
أراك وان قتلت الدهر خبراً ... بحجر أبيك في هذا الكون ، طفلا

ولكن مع ذلك يبقى في زاوية من نفسه ما يقلق ويعكر السكينة ! فيشن هجوما ينفس به عن نفسه على الذين يقولون انهم عقلوا حقائق الدنيا ، متهماً اياهم بالكذب !

قالوا : عقلنا من الدنيا حقائقها ... وماجهلنا . أجل قالوا وقد كذبوا[٨٣٨]

ولكنه لا يرتاح ولا يطمئن !

انهم جهال اذن ! والجهل الذي وقعوا فيه ليس هو جهلهم وحدهم ، بل هو جهل عام ، بل هو ضرورة لان في الكون أشياء لا يعرف سببها ، وما الشكوك والريب الا من شهوات النفس :

ضرورة الجهل في الدنيا مسببة ... عن كون أشياء لا يدرى لها سبب
أقرّ قوم بها لكنهم وصلوا ... واغترّ قوم بها لكنهم حجبوا
من رغبة النفس في تحقيق شهوتها ... تعلق الشك بالاذهان والريب[٨٣٩]

---

(٨٣٦) الديوان : ص١٢١ .
(٨٣٧) في البيت تورية كما فيه طباق
(٨٣٨) الديوان : ص٦٦
(٨٣٩) الديوان : الصفحة نفسها .

والحل ؟

خبَّرونا عن السماء فقالوا : فلك دائر وشكل كري
ربما صح ما رأوه ولكن خير رأيك ما يراه النبي[(٨٤٠)]

انها العودة للاصطدام بالجدار ثم السقوط بقوى خائرة تحت ظل الدين، يجد فيه شيئا من السلوى والطمأنينة ، ويطرد به الأسئلة الملحة المنهمرة ، ولكن ذلك لا يستمر الا قليلا ، فهو لا يمتلك بعض قواه ، ولا تنتبه الاسئلة من غفوتها الموقتة حتى يعود من جديد ولكن بقوى واهنة ، وبما يشبه الاستسلام ليقول :

أنا يا مكبري ومطري خلالي عارف من أنا خبير بما بي
أنا من لست حين أسأل نفسي سر نفسي مزوداً بجواب
أنا من لست داريا بغدوي ورواحي ماذا يكون اكتسابي
أنا في البحر قطرة أو يخفى عنك ما شأن قطرة في العباب[(٨٤١)]

ثم يمضي :

حجبت طلعة الحقيقة عني ليتها تستشف خلف النقاب

* * *

والواقع أنه اذا كان العالم نفسه مشكلة في نظر ذوي النفوس المتسائلة والعقول المفكرة ، فما ذلك الا لانه يطوي في ثناياه الكثير من الشرور ، بحيث يكون في وسعنا أن نقول ان المشكلة الكبرى بالنسبة الى هذا الصنف من الناس انما هي « مشكلة الشر »[(٨٤٢)] . وفي الواقع ، أيضا ، أن « ليس التأمل الفلسفي نفسه سوى ضرب من « الدهشة الاليمة » لان ما يدفعنا الى

(٨٤٠) الديوان : ص١١٦ .
(٨٤١) الديوان : ص١١٥ .
(٨٤٢) د . زكريا ابراهيم : مشكلة الانسان ص١٣٢ .

التفلسف انما هو ادراكنا ما في الوجود من ألم وشر اخلاقيين »[٨٤٣] .

وقد تفتحت عينا الشبيبي بهذه « الدهشة الاليمة » ، لما وقعتا عليه من شر . ويكمن الكثير من ذلك في علاقة الشبيبي بالمجتمع ، وفي نظرته اليه . فهو يرى تزييف القيم وقلب المفاهيم ، فيقول :

كم مذنب قالوا : نقي برده ونقي برد عدّ فيهم مذنبا[٨٤٤]

ورأى أن الفضيلة عند الناس هي الوجاهة والمناصب ، فقال :

قالوا : فلان فاضل فرأيتهم لا يحسبون الفضل الا المنصبا[٨٤٥]

وأن الاهتمام منصب على القشور والاعراض ، وأن المطلب المهم هو المال :

مالي أرى الناس بالاعراض قد فتنوا والأفتان بحب الشيء قتال
اذا رأوا داعيا للمفخر انقلبوا وان رأوا داعياً للثروة انهالوا[٨٤٦]

وأن الناس غير أهل للثقة حتى الخيبة :

ولما تبينت الزمان وأهله ضربت بكفي حيرة ووجوما
ظننت مشوباً من رأيت مخلّصاً وخلت مصاباً من وجدت سليما[٨٤٧]

ولهذا فهو لا يتوقع منهم غير قلة الانصاف :

توقعي قلة الانصاف وانتظري . . . .[٨٤٨]

ويدعوه ذلك الى الخوف من الناس ، والى الحذر منهم :

---

(٨٤٣) المرجع السابق ص١١٨ .
(٨٤٤) الديوان : ص١٢٥ .
(٨٤٥) الديوان : ص١٢٦ .
(٨٤٦) الديوان : ص١١٩ .
(٨٤٧) الديوان : ص١٠ .
(٨٤٨) الديوان : ص٦٨ .

من الناس خافي أيها النفس واحذري ولا تأمني ان المخافة في الامن(٨٤٩)

ويستقر في نفسه أن نفس الانسان قد طبعت على الشر ، فهو ظالم ، يعيش عيشة السوائم التي يأكل بعضها بعضا . وهو أناني ، مظلم جوانب النفس ، لا يلفته غير الموبقات :

نظرت بني الدنيا فأسررت انها على الشر لا تنفك تجري النحائت
هم أضمروا حب المظالم فاستوت دخائلهم والظاهر المتفاوت
سوائم يرعى بعضها دم بعضها شتاتاً وهل تحمي السروح الشتائت
غصون حجور الامهات اهتصرنها فهم نبتها الاحوى وهن المنابت
اذا نزلت دهماء سلّاك جازع وما هو الا أسفع القلب شامت
نواظرهم للمنكرات طوامح وأعناقهم للموبقات لوافت(٨٥٠)

والشبيبي حين يردد تلك الاقوال فلانه صاحب مثل عليا يرجو ان تتحقق وضيقه ذاك وهجومه على الناس هذا متأت من الهوة العميقة التي يراها بين ما هو كائن وما يرى انه ينبغي أن يكون . فنفسه تنطوي على حب الخير ، وترجو لهذا الخير ان يأخذ طريقه الى الناس الذين لم ييأس منهم تمام الياس، رغم مجاهرته بذلك ، لذا نراه يكثر من الدعوة الى الخير وتتردد كثيرا نداءاته الاخلاقية المصلحة . ولك أن تقرأ أقواله التالية :

× لا خير فيمن خدرت شهواته أعضاءه فهو الاصم الابكم
ماتت مشاعره . . . . (٨٥١)

× غير راقي النفس والروح فتى وضع النفس ورقّى البدنا(٨٥٢)

---

(٨٤٩) الديوان : ص٧٨ .
(٨٥٠) الديوان : ص٧٢ .
(٨٥١) الديوان : ص١٦١ .
(٨٥٢) الديوان : ص١٠٦ .

× اذا اظلمت أخلاقنا وتجهمت فهل نافع أن الوجوه صباح؟[٨٥٣]
× اذا أنت لم تقتن الصالحات أيصلحك النشب المقتنى ؟[٨٥٤]
× وما هذه الاعمال الا مسالك الى العالم الباقي من العالم الفاني؟[٨٥٥]
× واذا أراد الله رقدة أمة حتى تضيع أضاعها أخلاقها[٨٥٦]

وهذا الشعور بين ما هو متحقق وما يريد له أن يتحقق يجعله يشعر بعد المسافة بينه وبين الاخرين ، فيقول :

وان ما بين آرائي وبينكم بعداً كما انفسحت أبعاد أجرام[٨٥٧]

ولهذا فهو يشعر بالغربة بين الناس فيقول :

أرى غربة الانسان شتى صنوفها وأعظمها لقيان من لم يشاكل
وما كل ربع غص بالناس آهل اذا كان من معروفهم غير آهل[٨٥٨]

ويقول في مستهل قصيدة بعنوان « عزلة واغتراب »[٨٥٩] :

غريب بهذي الدار طال اغترابه فلا يزدهيه أهله وصحابه
من الهم والفكر المبرّح زاده ومن مرسل الدمع السخين شرابه
لقد ألف الاحزان فالغم شانه وقد فارق الاخدان فالهجر دابه

وقد أسلمه ذلك كله الى الشعور الحاد بالاسى ، لا لانه في الاصل ذو مزاج سوداوي أو هو شخصية ميالة الى العزلة ، فقد عرفناه ميالا الى الفكاهة ، يسوق النكتة في موضعها . وقد عرفناه شخصية اجتماعية كثيرة

---

(٨٥٣) الديوان : ص٤١ .
(٨٥٤) الديوان : ص١٠٩ .
(٨٥٥) الديوان : ص٥٠ .
(٨٥٦) الديوان :ص ٤ .
(٨٥٧) الديوان : ص٢١ .
(٨٥٨) الديوان : ص٦٣ .
(٨٥٩) الديوان : ص١٠٨ .

الاختلاط بالناس • ولكن هذا الشعور بالغربة قد نشأ عن عدم الشعور بـ « التواصل » مع الاخرين في أعماق نفسه ، حتى في صميم حياته الاجتماعية• وأنت تستشعر الالم في الكثير من شعره • وتجد نظرته الى الجانب القاتم من الحياة واضحا في شعره في الطبيعة ، كما سيأتي • وهاك هذه الابيات من قصيدة من شعر ديوانه المتأخر ، تلقي ضوءا على ما نقول • فهو يستهلها بقوله عن نفسه :

قلب يحز به الالم | عبس الزمان أو ابتسم
ما أسأرت لذاته | الا الملالة والسأم
الف الضنى فاذا دنا | من صحة ذكر السقم
متضرم بصميمه | ويح الفؤاد اذا اضطرم
صهرته أيدي الحادثا | ت فراح يقذف بالحمم
أزمنت يا دائي وكم | قرح تعمَّق فالتأم
وأمضّ من داء تراه | العين داء مكتتم[860]

وليس غريبا ـ بعد هذا ـ أن يشغل التفكير بالموت ذهن الشبيبي (وهو ابن رجل عرف بشدة هلعه من الموت)[861] • ويبدو هذا الانشغال في كثير من شعره • فنرى الموت يطل عليه بوجهه الجهم ، ليقول له : « انني هنا !!» حتى وهو في « نشوة الحب » • فقد نظم قصيدة بهذا العنوان ، استهلها بقوله :

سقوه ثم قالوا : هل يفيق ؟ | أجل لو كان غيركم الرحيق[862]

ومضى متحدثا عن نشوته برحيق الحب ، مصطبحا مغتبقا ، متحدثا عن حبه المخلص ، ليقول بعدئذ مخاطبا سكان الأعقَّة :

---

(٨٦٠) الديوان : ص٩٤ .
(٨٦١) الخليلي : هكذا عرفتهم جـ١ ص٧٥ .
(٨٦٢) الديوان : ص١٥٥ .

أسكان الاعقة ان عينـي لكم من سفح أدمعها عقيق

فأما الموت بعدكم وأما حياة لا تطيب ولا تروق

* * *

حياة قد تقلصت انتهاء كما يتقلص الظل الوريق

متحدثا عن نهاية الحياة وعن الموت • ذاهبا الى ان هذه الحياة سر عميق، وأن الموت انجلاء هذا السر ، وأنه كان مع الحياة يمشيان سوية كرفيقـي دلجة ومذ دنت الابدية انتهت الطريق ، وقاطعه الرفيق ! ثم يخاطب الموت جاعلا منه بيتا يحج اليه الناس جميعا ، يدعوه « بيت الردى » وياله من بيت! مصورا حالة الانسان حين الموت البشع فتجحظ المقلة ، ويغور الصدغ ، وتندى الجبهة ، ويجف الريق • ليتحدث عن مفاجأة الموت الانسان على عجـل ، وكيف ان الانسان يقدر شيئا ولا يدري بما يخبئه له القدر ، كما تحـاول اليد تسديد سهم ولكن معاجلة السهم بالمروق تفجؤه • لينتهي ببيتين يتحدثان عن عدم دوام الحال في هذه الدنيا •

وأنت اذا تلفت بعد ذلك ، مرورا بهذا المسرى الطويل في شعاب نصف القصيدة الثاني ، راعتك هذه الخواطر والافكار التي انهالت عليه وهو في « نشوة الحب » أفكان حديثه عن حبه واخلاصه هذا حديثا عن حبه واخلاصه للحياة تخفّى عليه حتى إذا جرى على لسانه ذكر الموت انزاح الستار فاحتل « الموت » ما تبقى من مسرح القصيدة ، واكتشف أن الكأس التي في يده ما هي غير جمجمة مترعة ؟! لعل القصيدة فلسفية منذ البداية ، ولكن الستار لم ينزح الا في بداية الفصل الثاني ، ولعل الممثلين في فصل المسرحية الاول ، ان جاز لنا التعبير ، كانوا يرتدون أزياء تنكرية !

لنقرأ ما قال بعد أن جرى ذكر الموت على لسانه ، كما قلنا في البيت الانف الذكر ، وهو :

فأما الموت بعدكم وأما ... حياة لا تطيب ولا تروق

قال :

حياة قد تقلصت انتهاء ... كما يتقلص الظل الوريق
طواها الموت وهي عميق سر ... الى حيث انجلى السر العميق
مشت بي في الطريق ومذ دنت بي ... من الابدية انتهت الطريق
رفيقا دلجة سرنا ولما ... تراءى القصد قاطعني الرفيق
فيا بيت الردى لا بد أنّا ... نحجك أيها البيت العتيق
فتجحظ مقلة ويغور صدغ ... وتندى جبهة ويجف ريق
ورب حياة قوم فاجأتها ... منيتهم وعُجِّل ما أذيقوا
كما طلبت يد تسديد سهم ... فعاجله(*) عن السهم المروق
وليس تدوم في الحالات حال ... كذا الدنيا غروب أو شروق
فبعد الضيق ينتظر انفراج ... وبعد الانفراج يكون ضيق

ولكن اذا كانت الحياة « سرا عميقا » قد انجلى بالموت ، فان الموت هو أيضا سر عميق ، بل هو أكثر سرية من الحياة . وهو اذا وجد الحياة صعبة فاستهان بالموت في قوله :

وجدت الموت هينا غير صعب ... لان العيش صعب غير هين(٨٦٣)

فانه يرى في الموت شيئا هائلا دونه كل هول ، في قوله التالي :

وما هالني كالموت شيء فانني ... أرى كل شيء غيره غير هائل(٨٦٤)

ولهذا وقف كثيرا تجاه هذا الهائل ، محاولا حل لغزه . فهو اذ يرسل

(*) كذا في الديوان . لعله خطأ مطبعي ، والصواب : فعاجلها .

(٨٦٣) الديوان : ص١٥٢ .
(٨٦٤) الديوان : ص٦٥ .

الطرف في وجوم الى المقابر ينتصب الموت تجاهه سدا ضخما يحجب ما بعده ، حقيقة معمَّاة كل التعمية ، وأحجية تتضارب في حلها الاراء . اقرأ قوله :

تتبعت آثار المقابر واجماً ... لما تركت فيهن أيدي الملمات
تأملت عقبي من بهن ولم تزل ... حقيقة عقبى الموت جد معماة
وأحجية في حلها قد تضاربت ... أدلة نفي في أدلة اثبات
أبت تنجلي الاسرار لله سرها ... وقد خفيت ، لله علم الخفيات[٨٦٥]

نعم . لله علم الخفيات ، فهو الملجأ وهو الملاذ عندما يصطدم العقل والعلم بالسدود ، فلا يستطيعان النفاذ . ولكنه يمضي مقلبا وجوه الرأي . انه لا يستطيع أن ينسى هذا الذي اسمه « الموت » لانه مازال « يحيا » ، ومازال يرى أن نهر الحياة مهما طال جريانه فانه سيصب في محيط الموت اللا متناهي . فيحاول ان يطمئن نفسه بان الموت هو المصير ، وبأن الحياة اذا امتدت بالانسان فانها مسلمة اياه الى الملل ، وان هذا الملل دليل على اكتمال الحياة ، وانه ايذان بالنقص الذي هو الموت ، شأنهما شأن بدر السماء ، فهو أقرب ما يكون الى النقص حين اكتماله . استمع الى قوله :

مصيري الموت لابد منه ... اذا لم يكن خبيا فالرمل
أجنح الدجى جملا يزعمون ... لقد أخطأوا فالمنايا جمل
رأيت الحياة على حبها ... تزيد امتدادا الى أن تمل
وأقرب ما كان بدر السماء ... من النقص حين يقال: اكتمل[٨٦٦]

وأن الحياة ليل الموت انجلاؤه :

حياتي هذه ليل ... اذا مت غداً يجلى[٨٦٧]

---

(٨٦٥) الديوان : ص١١٣ .
(٨٦٦) الديوان : ص١٢٤ .
(٨٦٧) الديوان : ص١٢٧ .

ثم هو « حق » بعد انقضاء أجل الانسان في « دار الاعمال » :

هـي دار الاعمـال فاعمل لتلقى بـعد دار الاعمـال دار الثـواب
أجـل ان بلغتـه حق مـوت وكذا الحق في بلوغ النصاب[(٨٦٨)]

وهكذا ، تنتهي الرحلة بالعودة الى ما يقدمه الدين من اجابة ، فالحياة دار الاعمال • والموت حـق •

وهكذا « تنكشف » الغمة • و « تنفرج » الازمة • فينظم قصيدة بعنـوان « منتصف شوال » يقـول في مقدمتها الايضـاحية انها « اتفقـت اثـر انفـراج أزمة نفسية لازمته مدة • وقد تم انكشافها في منتصف شوال » • يقول فيها :

بوركت من رائح يا شـهر أو غادي ففيـك دون شهور الله ميـلادي
مافيك عيـد ولكن فيـك أزمنـة وفيـك ساعات حظ هن أعيـادي
في الروع نفث تعـالى الله نافثـه وجل مهلمـه مـن غـير ميعـاد
وفـي الفـؤاد الى مـا فوقـه نظـر كأنه راصد يرنـو بمرصـاد
كان انحـداري بالافكار يكربنـي فحان في سـلم الافكار اصعادي
أنجـدت من بعـد أغوار زللت بها فـانجـاب عن ثقتي بالله انجـادي
وقـد حد تني أهـواء مضللـة عدلـت عنها وضل الركب والحادي
طوبى لعبـد أسـر الله منـه لـه نجوى كنجوى كليم الله في الـوادي
يا للبرية مـن زيـغ يـراد بهـا ومـن ضلال ومن كفـر والحاد
الكـائنات تعـالى جـد محدثهـا يقال : مـوجودة من غـير ايجـاد

وهكذا يصدق في الشبيبي قول أمين الريحاني : « رضـا الشبيبي شـاعر روحي ، لا يغره العلم ، ولا يطوح به الجهل ، ان سبيله الروحي لا يخلو من الوعورة والعقبات • بيد أنه مؤمن على الدوام حتى في حيرته ، ومطمئن حتى

---

(٨٦٨) الديوان : ص١١٥ .

في اضطرابه • وقد يعد ،وهو ضمن دائرة محدودة وان اتسعت ،من المتمردين• وقد تعترضه اذا ما حاول اجتياز الحدود عناية الهية أو شبه الهية ، فيعـود الى ربوع الامان ، وافي قلبه خشوع ، وعلى لسانه كلمات الحمد والرضى •

وقد يدنو الشبيبي في غضبة طاهرة من ظل العرش الاعلى ، قد يدنو حتى من العرش ، والشعلة لا تزال في قلبه ، والشرر في ناظريه ، فيزرر بعد ذلك جبته ، ويتضمخ بالطيب ، ويجلس على فراش الحب والوداعة ، وقـد صـفا نوره ، وسكن شعوره » •

٥ ــ الغـــزل :

نشأ الشبيبي مع مطلع القرن العشرين • وكانت المرأة العراقية في ذلـك الوقت بعيدة عن الرجل ، فلا يستطيع رؤيتها الا وهي من أهله • وكانت المرأة لا تخرج الا محجبة ، مرتدية العباءة أو العباءتين ! واضعة على وجهها «البوشي» وهو برقع من الحرير الاسود • وخروجها لا يكـون الا لزيـارة أهلهـا أو صديقاتها ، وبعد الاذن من ذويها أو زوجها ، سالكة الطرق القليلة المـارة ، البعيدة عن المقاهي والاسواق(٨٦٩) •

واذا كان لدعوات التحرير التي طالبت بتغيير النظرة الى المرأة واعطائهـا بعض الحرية ، كصدى لدعوة قاسم أمين في مصر(٨٧٠) من أثر ، ولتحسس بعض الشعراء وأصحاب الرأي حال المرأة من نتيجة ، فان ما حصلت عليه المرأة العراقية من الحرية كان بطيئا ومحدودا •

واذا أصبحنا نجد الان بعض الاختلاط بين المرأة والرجل في بعض المدن الكبيرة كبغداد والبصرة والموصل ، حيث تخرجت المرأة من الجامعات ، وشاهدنا الطبيبة والمدرسة والعاملة ، فان ذلك ما يزال على نطاق ضيق • فما زالت التقاليد القديمة مسيطرة بشكل ملحوظ ، على الجامعيات الى حد ، وعلى غيرهن بشكل

---

(٨٦٩) العلاف : بغداد القديمة ص٤٣ .

(٨٧٠) د . عز الدين : الشعر العراقي الحديث ص٢٣٩ ، و د . ماهر حسن فهمي : قاسم أمين ، سلسلة « أعلام العرب » ع٢٠ ، ص١٧٢ .

لا يبعد كثيرا عما كان في السابق البعيد ، رغم مرور هذا الزمن الطويـــل • وتبدو القضية في المدن الصغيرة واضحة كل الوضوح • أما الارياف فلها حكاية اخرى • صحيح ان الكثيرات من نساء الجيل الجديد قد تخلصن من البراقـع والعباءات ، الا أن ذلك لم يغير كثيرا من العادات القديمة التي تحد من حرية المرأة وتبعدها عن الرجل ، بل اننا نجد في « العتبات المقدسة » ، وفي مدينـــة النجف ، مدينة شاعرنا ، حتى الان ، لا يسمح للمرأة ، لسبب ربطوه بالدين، بالتجرد من العباءة حتى وان كانت من غير أهل المدينة ، وحتى وان كانت غـير مسلمة ! فعلى المرأة السافر أن ترتدي العباءة بمجرد دخولها النجف • وهـي ان لم تفعل ذلك عرضت نفسها الى شتى الاهانات ، وأمام الناس ، الامر الـذي لا تملك معه الا ارتداء العباءة ، راضية أو غير راضية ! •

في هذه البيئة نشأ الشبيبي • وحال المرأة هذه الحال • وأنت تطالع شعر الشبيبي فتجد فيما تجد شعرا في الغزل • فهل أحب الشبيبي فتغزل ؟

لا أظن أن بيئة كهذه البيئة من الميسور ان يجد فيها الحب طريقا ممهـدا ، اللهم الا نظرات سريعات تختلس في غفلة من « العيون » • ولست أدري أيمكن أن نطلق على ذاك اسم « الحب » • واذا كان هناك ما يسمى حبا « مـن أول نظرة ! » فلا أظن ان هذه النظرة الاولى ، في هذا اللون من الحب ، ستكون الاخيرة أو شبيهة بذلك • أو أن ما سيتبعها سوف لا يكون غير نظرات قليلات ولا شيء غير ذلك ! وكيف ذلك في بيئة كهذه البيئة ، وبالنسبة الى فتى مثـل محمد رضا بن الشيخ محمد جواد الشبيبي ، المنصرف الى الدرس ؟

واذا كان الشبيبي قد نظم في مراهقته شعرا عاطفيا ـ لم يصل الينا ـ كمـا حدث هو الدكتور حسين علي محفوظ[٨٧١] في بداية عهده بالشعر ، فلا نظن ان ذلك يعني أنه قد أحب في حينه ، فكل مراهق تمتلىء نفسه بخيال المرأة • وطالما هو شاعر ، فلا شك أن الحديث عن المرأة سيتخذ طريقـــا الى شعره •

(٨٧١) من حديث شخصي مع د . محفوظ .

واذا كان له أن يكون على مقربة من المرأة في تلك السن ، فلا نظن أن ما أتاح له قربه منها يسمح لنا أن ندعوه حبا . ومن يدري ؟ لعله أحب وقتها ، بغض النظر عما اذا كان هذا الحب متبادلا أو من طرف واحد . هذا الحب الذي هو حب المراهقين ، وهو غير الحب الذي نتوقعه من شعره الذي بين أيدينا .

وشعره الذي بين أيدينا لا نحس فيه بتلك العاطفة الفوارة ، كما لا نجد فيه أن قلبه علق واحدة بعينها ، ناهيك عما في الكثير منه من تقليد وصنعة ، لا ينسجمان مع حب حقيقي صادق .

وغزل الشبيبي قسمان . الاول : تقليدي ، وهو ما نجده في مقدمات بعض قصائده . والاخر : نظمه في قصائد غزلية مستقلة .

أما الاول ، فأكثره غزل بارد ، يطغى عليه التكلف ، وتبدو فيه الصنعة ظاهرة . فأنت اذ تقرأه لا تحس بحرارة العاطفة ، ان لم تفتقدها ، ولا تستشعر فيه الصدق ، فهو شعر تقليدي مستعار ، ان صح التعبير ، تردده فلا تجد قلب الشاعر ، وربما وجدت عقله ! وهو في الوقت الذي يؤخذ فيه الشعراء على بداوتهم في الشعر ، وحديثهم عن الاطلال العافيات ، اذ يقول :

الى الآن لا يستلمح الشعر ان علا ولا يستجاد القول ان لم يلفق
قريض طلول عافيات واربع وشعر جمال سائرات وأينق(٨٧٢)

نراه يستهل احدى قصائده استهلالا طلليا يذكرنا بالشعراء الجاهليين في عكوفهم على الربوع التي أقوت بعد ارتحال الحبيبة عنها ، فيقول :

من العاكف الثاوي على الربع قد أقوى تكلف شكواه عسى تنفع الشكوى(٨٧٣)

« وبالرغم من التزام الشاعر بلغة الغزل التقليدية ... يحلو له ان يأخذ على غيره من الشعراء التمسك بهذه اللغة التقليدية ، فهو يقول :

(٨٧٢) الديوان : ص٤٣ .
(٨٧٣) الديوان : ص١٤٦ . قصيدة « الحب والشكوى » .

مالي أراك تقول : اني شاعر والشعر عندك بانة وأراك
الصدغ فخ والعقاص حبائل نصبت وأهداب الدمى أشراك»[٨٧٤]

ففي قصائده الغزلية هذه تجد أوصافا للحبيبة هي هذه الاوصاف التقليدية المتداولة • فهي بدر ، ولها وجنة كالشمس ، وهي ظبي وريم ، طرفها كالسيف، وقدها كالرمح • اقرأ هذه الابيات :

أخفى خيالك واستره ليل رآك فضحت بدره
ولقد أضرت مهجتي لك وجنة للشمس ضره
أنا سائل الاجفان فيك فلا ترم يا ريم نهره
أظباء وجرة والهوى حيث استقلت فيك وجره
لي فيك ظبي غرني منه بسالفة وغره[٨٧٥]

وقوله :

أمعذبي بصقيل جفني مغمد ما كان يفعل حده لو ينتضي[٨٧٦]

فلا نجد شخصية الحبيبة ، بل نجد صفات متداولة تنطبق على الكثيرات من عرائس الشعر اللاتي تغزل بهن الشعراء ، ونجد صورة غائمة ، غير واضحة المعالم ، فكأن هذا الغزل من أجل الغزل ، ألوان براقة تحاكي زجاج شبابيك الدور القديمة في النجف وغير النجف • ولا نجد حدة العاطفة وصدق المشاعر ، فحتى حديثه عن الصدود والهجر بارد واضح التكلف ، فكأن الشاعر يسعى الى ارضاء السامع أن القارىء في فنه ، هذا الارضاء الظريف السريع الذي يعبر عن الظرف أكثر مما يعبر عن لوعة الحب • وهو من أجل ذلك يلجأ الى البحور القصيرة الخفيفة الوقع • وهو في سبيل ذلك

(٨٧٤) د • ابراهيم السامرائي : لغة الشعر بين جيلين ص٦٤ . والديوان : ص٥٢ .
(٨٧٥) الخاقاني : شعراء الغري جـ٩ ص٥٥ .
(٨٧٦) المرجع السابق : ص٦٢ .

لا يكتفي بالحديث عن الخصر والردف والقبل ، بل هو يلجأ الى الاستفادة من حافظة المتلقي ومخيلته ، بالنظر الى قصائد شهيرة يرويها المتظرفون في مجالسهم الخاصة . فقارىء قصيدته في مدح الشيخ هادي كاشف االغطاء ، اذ يقرأ :

متى يا ناضر العطف تمنّي الصب بالعطف
أتخفي فيك ما يبدي وتبدي منه ما يخفي
نصيف عاقني عما أروم وليس بالنصف
وكف تقي فيها ألا يا كفه كفي
وما في الصدر من حق وما في الازر من حقف[٨٧٧]

سيتذكر قصيدة « المتجردة » للنابغة الذبياني[٨٧٨]

من آل مية رائح أو مغتد عجلان ذا زاد وغير مزود

لا سيما حيث يقول :

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد
بمخضب رخص . . . . الخ

واذا كان الكثير من شعره هذا متكلفا يطغى عليه التقليد والصنعة ، فنحن لا نعدم شعرا خاليا من ذلك ، تبدو فيه العاطفة رقيقة . اقرأ قوله في مستهل قصيدته « في العراق »[٨٧٩] وفيها ، كما يقول في مقدمتها الايضاحية ، يتذمر من سير الشؤون العامة في العراق ، ويشير الى الفتن والحروب الداخلية ، والى خيبة الامال التي عقدت في العراق على اعلان الدستور من قبل الاتراك :

أرى مهجتي بل ماء خدك ذابا معا ، فهي لطفاً وهو فيك عذابا
دعا فأجاب الوجد منه فما له دعاك فكان الصد منك جوابا؟

---

(٨٧٧) المرجع السابق : ص٦٨ .
(٨٧٨) « أحد أفاضل العصر » : التوضيح والبيان عن نابغة ذبيان ص٦٣ .
(٨٧٩) الديوان : ص٥ .

نهيت فؤادي عن هواك فما انتهى ونهنهته عن صبوة فتصابى
وعاتبني أهلي فقلت : أحبه وان لم يزد الا قلى وعتابا
تغابيت يا قلبي وليس بنافع حذار الهوى يا قلب ان تتغابى
ضعفت على بدر توطَّن كلَّة وقد كنت ضرغاماً تقيَّل غابا
تعرَّض فاستهواك فاستهدف الحشا فأرسل ماضي سهمه فأصابا

ومثلها استهلاله لقصيدة « الحب الطاهر »(٨٨٠) .

ومما يلفت النظر في مقدمة قصيدته « في سبيل الشرق »(٨٨١) . وفيها كما يقول في مقدمتها الايضاحية ، توقع تمزق شمل الدولة العثمانية ، وانسلاخ الاقطار العربية عنها ، انه رمز للحرية بالمرأة التي يجني محبوها الشقاء . شأنهم معها شأن الفراشة التي تنجذب الى اللهيب المحرق . والشاكون من حبها كثيرون، ولكن أحقهم بالشكوى من ذاق الم الصبابة ، كالشاعر الذي لو انصفت الحمامة لوعته لنضت خضابها ومزقت أطواقها .

أما القسم الثاني من شعره الغزلي فأقل تكلفا وأظهر عاطفة بالنسبة الى شعر القسم الاول ، رغم اننا لا نلحظ فيه العواطف المتأججة التي ننتظرها من شعر شاعر يتحدث عن الحب ، فهي هادئة متأنية . وقد ضمها باب «الوجدانيات» من الديوان . وهي ، كما يقول في أول الباب « مقطَّعات في موضوع الحب أو الغزل » ، تتراوح بين البيتين والعشرين بيتا ، قصر أغلبها على الحديث عن الحب أو الغزل ، وتطرق في بعضها الاخر الى أغراض اخرى . فقصيدة « سوانح في الحب والحكمة » الاولى ، يختتمها ببيتين في النقد السياسي . في حين يختتم القصيدة الثانية بثلاثة أبيات في الحديث عن بعض مفهوم الشعر عنده . وضمت قصيدة « الحب والشكوى » حديثا أوله وأقله في الحب ، وأكثره في الشكوى من .. الحياة !

(٨٨٠) الديوان : ص٤٠ .
(٨٨٢) الديوان : ص١٣٥ .

وهو في شعره هذا يقول انه « صب جمال أينما وجده » كما في البيت التالي :

وبليتي في الحب أني أينما   وجد الجمال وجدت اني صبُّه[٨٨٢]

فكأنه رجل عينه على الجمال أينما وجد ، وقلبه على راحتيه ، يتجول به وحيثما وجد الجمال حط رحاله وقدّم قلبه هدية الى صاحبة هذا الجمال ، ثم مضى يتعذب بعد ذلك من أجل هواه ! •

وهو لا يهمه ، وما هكذا العاشق ، أن تكون التي علقها قلبه موضع العيون ومنية القلوب ، اذ نجده ، أحيانا ، يتحدث عمن أحب ، ونجده يتحدث عن كثرة محبيها الذين يتعذبون في هواها معه • وربما كان الذي يعزيه في هذا الاشتراك في الحب لهذه المحبوبة ، ان كان في ذلك عزاء ! انه وحده الذي يستطيع ان يجاري هواها ، هذا الهوى الذي يحتاج ـ بلا شك ـ الى التجلد ، والذي ينتهي بغيره الى السلوى • كما في قوله :

كثير محبوك الذين تجلدوا   وأما الذي جارى هواك فواحد[٨٨٣]

وقوله :

لقد يشتاقكم غيري ويسلو   فهل أسلوكم وأنا المشوق[٨٨٤]

أو أن هؤلاء العشاق مدّعون ، لم يدركوا الحب فيبتلوا ، وانهم آثروا السلامة :

أحبِتّنا ان المحبة فيكم   على كثرة العشاق أكثرها دعوى

ولو أدركوا الحب ابتلوا غير انهم
أحبّوا ـ كما شاءوا السلامة لا البلوى[٨٨٦]

وهو أحيانا يهوى على السماع ، دون أن يرى الجمال ولا صاحبته •

---

(٨٨٣) الديوان : ص١٣٣ .
(٨٨٤) الديوان : ص١٥٥ .
(٨٨٥) الديوان : ص١٤٦ .

ويشطح به الخيال فيتصور ان صاحبته ، أيضا ، تهواه دون أن تراه ، بل هي من أجل ذلك تهواه . ورحم الله بشار بن برد . استمع الى قوله :

عنكم تفتش عيني يا أحبتها لما وعت طرفاً من ذكركم أذني
ناء عن العين أهواه ولم أره من أجل ذلك يهواني ولم يرني(٨٨٦)

والشبيبي ، فيما حدثنا ، يرى ان الهوى قضية « ارادية » فهو يهوى لانه « يود ان يهوى » وتكون موضع هواه ، حين « لا يجد من يطيب بها الهوى غير تلك التي يخاطبها في البيت التالي :

وودت أن أهوى ولكن لم أجد رشأ يطيب به الهوى الاكا(٨٨٧)

وأظنه جانب اللباقة في خطابه هذا ، فما أظن ذلك من تقاليد المحبين . وهو في موضع اخر يصرح انه « محترف هوى » . فهو يقول :

واني وان كان الهوى لي حرفة أعف ابا عن سوئه وتكرما(٨٨٨)

فالهوى ليس اخلاصا وشوقا كاويا ، ولكنه حرفة !! ولست أدري ماذا أبقى للهوى من سمو ورفعة حين انزله الى هذا المستوى ، ليعف بعد ذلك عن سوئه اباءاً وتكرما ؟!

وهو يذكر مرة اسم « ليلى » حبيبة له ، ويجعله عنوانا لمقطوعة(٨٨٩) ، ولكننا لا نطمئن الى ذلك ، فمعروف انه يتردد كثيرا في شعر الشعراء اسما لعروس من عرائس الشعر ، بل اننا نجد شاعرا هو الزهاوي يذهب مع هذا الاسم الى أبعد من ذلك ، فهو يطلقه على فتاة أحبها اسمها « راحيل » ، ويطلقه على « العراق » بلده ، ويطلقه على « الحقيقة »(٨٩٠) .

(٨٨٦) الديوان : ص١٤٢ .
(٨٨٧) الديوان : ١٥٠ .
(٨٨٨) الخاقاني : شعراء الغري جـ٩ ص٨٣ .
(٨٨٩) الديوان : ص١٣٤ .
(٨٩٠) عبد الحميد الرشودي : الزهاوي ــ دراسات ونصوص : ص٥٤ .

وأوصاف الحبيبة في شعره هذا هي الاوصاف التي تتكرر في شعره وفي شعر غيره من الشعراء ، ولكنها أقل ترددا مما كانت في القسم الاول من غزله ، وهو هنا يعنى بالحديث عن الحب وأثره في نفسه ، مذكر ايانا بالغزل العذري . فهو بالاضافة الى اقلاله من وصف الحبيبة الجسدي ، يكثر من الحديث عن العفة والحب الروحي . فالحب ألفة بين المحبين :

انَّ الهوى ألفة ما بيننا حسنت يا واحد الناس في تأليفه الحسن(٨٩١)

وهذه الالفة تقوم على مجاهدة النفس والارتفاع بها عن الشهوات :

ثنيت اليك النفس عن شهواتها وجاهدتها ، ماحب من لم يجاهد ؟(٨٩٢)

لقوله :

وأشقى الهوى ما كان غاية أهله وعقباهم منه الخلاعة واللهوا(٨٩٣)

والذين يحبون حب البدن هم قوم لا يعرفون الهوى :

لم تهو طائفة أبدانها اتصلت ان الهوى صلة ما بين أرواح(٨٩٤)

ولا خير فيمن خدرت شهواته اعضاءَه ، فهو أصم أبكم ، ماتت مشاعره ، فجهل ألم الصبابة الممض :

لا خير فيمن خدرت شهواته أعضاءه فهو الاصم الابكم
ماتت مشاعره فليس بواجد ألم الصبابة والصبابة تؤلم(٨٩٥)

وحب الجسد فان . أما الخلود فهو نصيب هوى الروح :

دواوين أهل الحب تَفنى وللهوى هوى الروح ديوان من الشعر خالد(٨٩٦)

---

(٨٩١) الديوان : ص١٤٢ .
(٨٩٢) الديوان : ص١٣٣ .
(٨٩٣) الديوان : ص١٤٦ .
(٨٩٤) الديوان : ص١٤٠ .
(٨٩٥) الديوان : ص١٦١ .
(٨٩٦) الديوان : ص١٣٣ .

وهو يكثر من الحديث عن الصد والهجر والبعد والحرمان ، وذلك متوقع من شاعر نهج في شعره هذا نهج الحب الروحي ، اذ « يسلك أصحاب المذهب الحسي مسالك عملية يصحبها النجاح في الوصول الى من يحبون ، بينما يتعثر أصحاب المذهب الاخر ، لانهم ، في الغالب ، ممن تغلب عليهم العواطف [والمثل] ، وتنقصهم الجرأة والمرونة والخبرة العملية وغير ذلك من الامور التي تمكن المرء من بلوغ أهدافه ، وتحقيق مآربه في الحياة ، فيقضون الحياة على أبواب معبد الحب حيارى ، لا يدرون ماذا يفعلون سوى ترتيل أناشيد الشوق والهيام ، واراقة الدموع ممزوجة بالانات والزفرات »(٨٩٧) . وهو في غزله هذا يردد بعض مصطلحات أهل اللغة والنحو وأهل المنطق . فهو يقول في قصيدة « لغة الحب »(٨٩٨) .

تفاهمنا عيني وعينك لحظة ... وادركنا ان القلوب شواهد
كأن الذي حاولت ثم وحاولت ... من الحب معنى بيننا متوارد
شواهد حالي مفصحات بما انطوى ... عليه ضميرى ، لا الفصاح الشوارد

وهو يقول في قصيدة « بين العقل والقلب »(٨٩٩) .

لم أدرِ ما أتهجى ؟ غير أنكم ... في اللحن لحني وفي الاعراب اعرابي

فـ « شواهد » و « الفصاح » و « الشوارد » و « أتهجى » و « اللحن » و « الاعراب » وغيرها ، من مصطلحات اللغويين والنحويين . و « قضية » و « قياس » و « موجبة » و « سلب ايجاب » و « براهين واسباب » من مصطلحات المناطقة في قوله :

قلبي يريد بلا غب زيارتكم ... والعقل ينهاه الا بعد اغباب
قضية بقياس الروح موجبة ... وللنهى جنبنا سلب وايجاب

---

(٨٩٧) د . محمد عبد العزيز الكفراوي : الشعر العربي بين الجمود والتطور ص٥٩ .
(٨٩٨) الديوان : ص١٣٣ .
(٨٩٩) الديوان : ص١٣٧ .

ما أنت ممن يريد الحبَ فلسفة   يا قلب ذات براهين وأسباب

وورود مثل هذه التعابير في مثل هذا الشعر لا يدل على صدق الشعور ، فهي حديث العقل باللسان ، لا حديث العاطفة والجنان •

٦ • الطبيعة :

في ديوان الشبيبي باب أطلق عليه اسم « الوصفيات »(٩٠٠) ، يحتوي على ثماني منظومات بين قصيدة ومقطوعة تدور حول الطبيعة ، أو انه استوحى الطبيعة فيها • كما ان له في هذا الغرض قصائد في غير هذا الباب ، مثل « الهزار الشاعر »(٩٠١) و « حديث القمر »(٩٠٢) و « خيال الصحراء »(٩٠٣) بالاضافة الى تلك الأبيات المتناثرة في شعر أبواب الديوان الاخرى •

والذي يقرأ قصائده في « الوصفيات » يلاحظ فيها طغيان الاسى أو الفاجعة! فأنت ، وانت تقرأ تلك القصائد ، لا تجد الطبيعة فيها تلك الطبيعة الزاهية الحانية التي هام بها الكثير من الشعراء والادباء والمفكرين ، فاتخذوها أما أو صديقة أو سلوى ، وانما تجدها قوة عاتية تتسلط على الكائنات فتحزنها أو تغنيها أو تتركها تجاهها مندحرة مغلوبة ! فيما عدا قصيدة واحدة هي « أيدي الربيع » التي هي في هذا الباب اخر تلك القصائد ! فأنت تجاه « تيتنيك»(٩٠٤)

---

(٩٠٠) الديوان : ص١٦٣ .
(٩٠١) الديوان : ص١٦٠ .
(٩٠٢) الديوان : ص١٥٣ .
(٩٠٣) الديوان ص١٥٨ .

(٩٠٤) وهي « احدى سفن شركة « هوايت ستار » غرقت ليلة ١٤/١٥ ابريل [نيسان]سنة ١٩١٢ عقب اصطدامها بجبل جليد بشمال المحيط الاطلنطي وجنوب نيوفوندلند وفقدت ١٥١٧ من بين الفي مسافر . من أسباب الحادث سرعتها الفائقة ، وقلة عدد قوارب النجاة [فيها] وسوء استخدامها »
انظر : الموسوعة العربية الميسرة ، مادة : تيتانك . وللاستزادة انظر : ليلة لاتنسى ، قصة غرق الباخرة تيتانيك لوالتر لورد ، ترجمة : حسين القباني ، من منشورات مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بالاشتراك مع دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٢ .

الباخرة التي اصطدمت بجبل جليد فأغرق المحيط المئات من ركابها ، وأغرق معهم اللهفة والامل ! وأنت تجاه « الزهرة الذابلة » ، وأنت تجاه « صيداء » اذ يصف ربيعها ويصف ثلوج شتائها المتساقطة على أشجارها الحمضية ، وقلبه يشتعل بنيران الغربة والشوق وكيد الجهال ! وأنت تجاه « الفيضان » الـــذي أغرق به نهر دجلة شطرا من بغداد ، وأنت تجاه « الغروب » أو غيره مــن المشاهد الآسية .

وهو اذ يصف دجلة في غيروقت الفيضان ،اذ يصف « ليالي دجلة»(٩٠٥)، لا يتبادر الى ذهنه غير الخيبة والقنوط ، ومنذ بيت القصيدة الاول ! فيقول :

أحبـاي ان خـــاب ظني بكـــم وأدميت فيكم بنان القنــوط

وعندما يمضي في القصيدة وقد اندمج مع سحر دجلة والبدر يبسط نوره على مائها الفضي في ذلك السكون الجميل حيث يقول :

ريــاض يضاحكنــي ثغرهــا ويفتــرُ عــن درّ نور لقيـــط
فمــا أحسن الضوء في جوها اذا غزل الفجر بيض الخيوط
وشادية أخذت في الهـــوى بقلب الى وفرتيهـــا منوط
خليل هذي دواعي الجــوى وعود الهوى وادّكار الخليط

لا يلبث أن يقول :

أمــا تنظران بكاء الـــورود ومــا دمعهــا غير طل سقيط

وهو في قصيدة « تيتنيك »(٩٠٦) يحدثنا عن باخرة تضـــم ألفي راكـب تصطدم بجبل جليد في أحد المحيطات ، فيغرق المحيط المئات من ركابها المتحملين عناء السفر في البحر وعذابه ، وهم مفعمون بأمل الوصول الى غاياتهم ، وهـم متلهفون الى لقاء الاهل والابناء والاحبة ، والى قضاء مشاغلهم وما عليهم مـن

---

(٩٠٥) الديوان : ص١٧٥ .
(٩٠٦) الديوان : ص١٦٩ .

شؤون الحياة ، ولكن جبل الجليد ينتصب شامخا يسد عليهم الطريق ، ولكن المحيط الهادر ، يفغر فاه ليبتلع الباخرة ويبتلع الامل واللهفة والشوق ، ويسكت نبضات القلوب الى الابد ، ويميت القبل على الشفاه ، والنجوى على أطراف الالسن . اقرأ قوله فيها :

ولرب منتظرين اخر قبلة أدنت ضحوكة مبسم لضحوك
يتشاكيان وانما هي ألسن لولا البلاء لافصحت تشكوك
أفراق أختك هين ؟ فيجيبها كلا ، يهون اذن فراق أخيك ؟

وهو في « وصف حديقة »[٩٠٧] التي يستهلها بقوله :

وناضرة خف فيها النسيم فخف الى قصدها محملي
حدا بي لها لغط العندليب وجعجع بي هزج البلبل
هواء أرق من العاطفات وماء ألذ من السلسل

لا يرى في الوردة ، اذ يراها ، غير النهاية ! الا ويد الموت تحيط بها فتحيلها الى عدم !! اقرأ قوله بعد تلك الابيات :

وآلمني مجتلى وردة تكاد تذيب حشا المجتلى
ستقطفها بعد اهمالها يد الموت كالولد المهمل

وهو في مقطوعة « الزهرة الذابلة »[٩٠٨] يصف زهرة « ذابلة » . ويقف متسائلا مندهشا تجاه زهرة مشرقة بهية ، لا تطلب غير النور والماء ، ولكن الارض ، والزهرة في محنتها ، تبخل عليها مع السماء ، فتحرمانها من هذا القليل الذي تطلبه ، وتتركانها لامر القضاء لينقض عليها الموت مستبسلا ، قاصفا ذلك القدّ اللين المستوي . استمع الى هذه الابيات :

أكذا حين يوافيها القضاء تبخل الارض عليها والسماء ؟

(٩٠٧) الديوان : ص١٧٢ .
(٩٠٨) الديوان : ص١٧٤ .

انهـــا قانعــــة معتَزَّة
كـل ما تطلبـه نـور ومـاء

أكذا ينقبـض الوجـه الـذي
سطع الاشـراق منـه والبهاء ؟

أكـذا ينقصـف القد الـذي
طبع اللـين لـه والاسـتواء ؟

أكـذا يستبسـل المـوت عـلى
غير شيء ؟ أكذا يسطو الفناء ؟

وبعد ، فهذه الزهرة ذات « قد ووجه » ، انها الانسان وهو يواجه الطبيعة المتجبـرة ! •

وهكذا نجد الشاعر في هذا الشعر لا يتخذ له أرضية ، ان صح التعبير ، الا من موقف « الخصومة » ، موقف فقدان التواصل والتعاطف مع الطبيعة •

واذا كان الاسى في ذلك ينبع من منبع فردي متوحد ، هو هموم الشاعر الشخصية ، فهو في أحيان اخرى ينبع من منبع اجتماعي قومي أو انساني • فهو يأسى لحال قومه ، ويتألم لما هم فيه من تأخر واستغلال وهضم حقـوق • وهو يضيق بما يجد عليه الناس من نضوب ود ومن تسلط يبيد فيه قويهـم الضعيف ومسلحهم الاعزل ، في لجاجة أنانية بعيدة عن الانصاف والادب •

فهو في أبيات اخرى من قصيدة « ليالي دجلة »(٩٠٩) المارة الذكر نقـرأ قوله حيث يخاطب الماء •

فيا ماء ان أبحـر الجري فيـك
فسلِّم عـلى من وراء المحيـط

وقل لهم : تـركتـه الخطوب
خيـال ضنى جانحاً للسقوط

لما يرى ما حل بأهل الشرق من كسل وهبوط همة ، جرا عليه خمول الذكر وانخفاض المكانة تجاه الغرب اذ يقول :

ارى الشرق والغرب كالكفتـين
يخـر الكسـول ازاء النشـيط

اذا ارتفعـت كفـة منهمـا
هوت وانثنت أختهـا للهبـوط

---

(٩٠٩) الديوان : ص١٧٥ .

وهو في قصيدة « الفيضان »[٩١٠] يرى في دجلة شعبا ضاق بما حمله مستعبدوه من قيود مهينة مذِلَّة ، فانطلق يحطم القيود والسدود ، ثم يسأل دجلة عما يعمل ليفك قيود امته ، ويزيل عنها رق الباغي فيقول :

كفى يا مسقط الوادي اندفاقا ... متى ترعى الجزيرة والعراقا ؟
طغى الوادي كشعب أحرجوه ... فما احتمل الهوان ولا أطاقا
ولما قيدوه ليستفيدوا ... أبى من قيده الا انطلاقا
بربك أيها الوادي أفدنا ... وعلِّم كيف نفتك الوثاقا
ألسنا أمة ضجرت وملَّت ... من الباغين رقاً لا انعتاقا ؟

ونحن حين نقرأ أبياتا اخرى من قصيدة « وصف حديقة »[٩١١] نراه « يحسد » الزهور للتعاطف الذي بينها ، وللمودة بين غصونها المتعانقة المتحابة لانه ينظر في عالم الانسان فيفتقد هذا الجو من المحبة ، فيقول :

حسدت الزهور لان الزهور ... كاخوان جامعة مثَّل
ويا للمودة بين الغصون ... اذا ما جرى نفس الشمألِ
فهذا يقول لذلك : اعتنق ... وتلك تقول لذي : قبِّلي
فما لبني نوعنا الاكرمين ... قد افترقوا كالمها الجفَّل
يبيد القوي حياة الضعيف ... ويودي المسلَّح بالاعزل
فمرتفعون لاوج العلى ... وهاوون للدرك الاسفل
واجبن من صافر في الحياة ... وأضرى من الاسد المشبل

وهو في قصيدة « وحي الغروب »[٩١٢] يرى في الغروب باعثا على الانقباض لانه يرى فيه غياب النور ، هذا العنصر المهم في الحياة ، فيوحي اليه بالوحشة

---

(٩١٠) الديوان ص١٦٥ .
(٩١١) الديوان : ص١٧٢ .
(٩١٢) الديوان : ص١٧٧ .

التي تسيل دموع العين اذ تذكره بغربته في المجتمع . لانه ذو مثل عليا يرجو أن تتحقق ، وذو نفس مرهفة . وعقلية متفتحة على كثير من عيوب هـذا المجتمع .

استمع الى قوله :

جنحـت ذكـاء بصفحة	محمرّة بعد ابيضاض
اني اذا انقبض النهار	منيـت منه بانقباض
ودّعتـه متشـائماً	أبغـي السواد من البياض
اسم الخـدود بأدمـع	كالقطر من بعد ارفضاض

فما باليد حيلة :

مـا حيلتـي بمعاشـر	تجد اللذاذة بامتعـاضي
ملأى علـيّ يسـرهـا	أني أمرؤ خالي الوفـاض
عاشـت بأبـدان صحاح	ذات أرواح مـراض
يـأبى اللجـاجـه مثلهم	أدبـي ويأباهـا ارتياضي

ومثل تلك المشاعر تجاه الطبيعة لا نجدها في باب « الوصفيات » فقط ، بل نجدها في حديثه عن الطبيعة في تلك الابيات الاخرى في غيره من الاغراض. فهو حين يقف على « دجلة والفرات »[٩١٣] في جولة قام بها بينهما[٩١٤] نجد نفسه تستثار لما يجد من جريان الفراتين في هذه الارض الطيبة ، والارض من حواليهما تكاد أن تكون مجدبة قاحلـة لم تحسن اليهـا يـد الزارع ، والمسؤولون في شغل عن الرعاية والاصلاح . والخير الدي تقدمه هذه الارض يذهب الى غير ذويها ، الى الغرباء الذين أقاموا ـ مستغلين ـ فيها . فتـذوب نفسه حسرات ، وتنبثق الدموع من عينيه . فيستهل قصيدته قائلا :

---

(٩١٣) الديوان : ص٥٣ .
(٩١٤) المقدمة الايضاحية للقصيدة . الديوان : الصفحة نفسها .

أي دمع يفيض من أي مقله لوقوفي بين الفرات ودجله
آه ما أكثر الجداول تجري في ربوع نعيمها ما أقلّه !

ثم يقول :

من ترى حرّم الزلال علينا وعلى الساكنات فيه أحلّه ؟
ليت من قال : أنت يا نهر سيف لحشا المحْل حد سيفك سلّه
ما اخال الخرير والماء الا صوت حزن وعبرة مستهله

وهو حين يرى سير الشؤون العامة في العراق ، ويرى الفتن والحروب الداخلية فيه ، بعد الخيبة باعلان الدستور العثماني ، يرى الطبيعة بكل مظاهرها – لا الانسان وحده – تناصب قومه العداء ، وتقف منهم في الصف المناوىء . فيرسل قصيدته « في العراق »(٩١٥) قائلا فيها :

سألتك آفاق السماء متى أغتدى عداؤك للارض العريضة دابا ؟
أفي كل يوم تستفزين ثاقباً الينا وتستعدين منك شهابا ؟
ذوات الذنابى كم قرعت بهولها وان كن سلما أرؤساً وذنابى
فشمسك ان تشرق بخلت فأجفلت وبدرك ان يسطع مننت فغابا
كأن ذكاء من أسنة نورها تصوّب نحو العالمين حرابا
كأن البرايا احنقتها فأزبدت وأرسلت النور النقي لعابا
كأن شعاع الشمس غص به الفضا فزمجر آذيا وماج عبابا

* * *

وهذه المواقف من الطبيعة لم تكن – بالطبع – متأصلة في نظرة الشبيبي اليها ، ولكن تغير نظره الى الامور بمرور الزمن انعكس بدوره على الطبيعة ، فاتخذ منها تلك المواقف . فنحن اذ نقرأ قصيدته « أيدي الربيع »(٩١٦)

---

(٩١٥) الديوان : ص٥ .
(٩١٦) الديوان : ص١٧٩ .

المشار اليها في أول حديثنا ، وهي كما يذكر من بواكير شعره[٩١٧] ، نجدها ذات جو مختلف عن أجواء قصائد هذا الباب الاخرى ، اذ نشيع فيها البهجة والسرور . فالطبيعة ، هنا ، في فصل الربيع ، وقد أخذت الارض زخرفها وازينت . ولو تتبعنا القسم الاخير منها وقد أسقطه من الديوان ، واثبته الخاقاني في « شعراء الغري »[٩١٨] لوجدنا الشاعر جذلان طربا يزيد ما حوله من البهجة والسرور مجلس شرب ، خمرته عصرت قبل خلق الاعصر ، وساقيه أحور يتثنى في رقة ودلال . فهو يقول في مستهل القصيدة :

خلعت أيدي الربيع النضرِ ... فوق متن الارض أبهى الحبر
وجلت تيجانها زهر الربا ... والندى كلّلها بالدرر
وانتشت أغصانها في أكؤس ... طاف فيهن نسيم السحر
وتغنت نغماً أطيارها ... فتشاجرن بأعلى الشجر

ثم يقول :

والبهار السقم قد انهكه ... فهو صب ذو اهاب أصفر
فاصطبح أو فاغتبق مشمولة ... عصرت من قبل خلق الاعصر
فدعاها العقل اني خاضع ... فخذي ما شئت مني أو ذري
واذا ذاق جبان كأسها ... هزأت سطوته في عنتر
يرشف الشرب طلاها احور ... مزج الراح بريق كوثري
رق طبعا وأديما فاذا ... مرَّ أدمى وجنتيه نظري[٩١٩]

وأنت حين تقرأ هذه القصائد التي استوحى بها الطبيعة في غير «الوصفيات» من شعره الاول تجد فيها ايناسا بالطبيعة ، واندماجا بها وارتياحا اليها . فأنت اذ تقرأ قصيدة « حديث القمر »[٩٢٠] وهو يشرب فيها كأس الحب حتى

---

(٩١٧) المقدمة الايضاحية للقصيدة . الديوان : الصفحة نفسها .
(٩١٨) جـ٩ ص٥٨ .
(٩١٩) المرجع السابق . الصفحة نفسها .
(٩٢٠) الديوان : ص١٥٣ .

الشمالية ، تجد ازدهاءاً بالطبيعة وخيالها لا يقلان كثيرا عن ازدهائه بتلك التي يساقيها كأس الهوى وحبه لهذه ودعك من عتبه على القمر المراقب ، فتلك سنة العشاق مع القمر ! فهو يستهل القصيدة قائلا :

لقد أشرقت جمل الكائنات ... لعينيّ غرقى بنور القمر
وأسهرنا الشهب الحاكيات ... عيونا يشاركننا في السهر

ثم يقول فيها :

ولما انقضت جلبة العابرين ... وطال الحديث فطاب السمر
سمعنا عزيف هبوب الرياح ... لنا وحفيف غصون الشجر
وحار أروحاً سماوية ... يشاهد ؟ أم ملكاً ؟ أم بشر ؟
وجاءت تنافس بدر السماء ... بثانيه في العين أو في الاثر
محيّا يلوح صقيل الاديم ... كما طبع المشرفيّ الذكر
اذا النور واجه بلّوره ... تحيّر في جرمه فانكسر
وأرسلت الاربع الحالكات ... فطولن ما في الدجى من قصر
وأسود من شعرها لو تشاء ... نفضت عليه سواد البصر
فما وشوشته يدا عابث ... - وحاشاه - الا نسيم السحر
ويورثه سيلان الشعاع ... عليه أعاجيب تعيي الفكر
معان تجوس خلال العقاص ... وشعر يجيء بطي الشعر
وما عتم الليل حتى انجلى ... ولاح جبين الصباح الاغر
فقبّل آخذة حذرها ... وكان كذلك نيل الوطر

وأنت لو قرأت قصيدة « السحر »(٩٢٠) لرأيته يستهلها بقوله:

يا نسمة السحر المعتلة انبسطت ... روحي لها انبعثي يا نسمة السحر
مري رفيقاً على الروح التي عشقتْ ... ولا طفي عَذَبات البانِ والشَّجرِ

(٩٢١) الديوان ص٧٤ .

نعم الليالي التي رقّت أواخرها فهي الليالي التي أعتدُ من عمري
وحسبها انها ابّان هبّتِها هبّت مطهرةً من جَلبة البشر
أرحت تحت دجاها كل جارحة مَلّت وأعملت حس السمع والبصر

وأنت ملاحظ وقوفه المعجب المنتشي بالرياض في قصيدته الاجتماعية « على ضفاف دجلة »[٩٢٢] فهو يرى فيها ما لا يرى في غيرها مما يبعث على التأمل، ويفتح تجاه النفس ، في صدق وأمانة ، آفاقا من العبرة والجمال الملّون ، حين يقول :

لي في الرياض اذا أُمرعنَ فلسفة وحكمة ملء مرآها تعاليم
ظواهر عمليات فليس بها مذاهب نظريات وتقسيم
درس الخمائل معقول ومختبر ودرس أكثر ما في الكتب موهوم
مرقومة بازاهير منوعة وأفقها بالنجوم الزهر مرقوم
السحب أرخت عليها قطرها ابراً منهن صدر الربى بالنبت موشوم
ما قيمة الشعر في تصويرها وبها شعر الطبيعة منثور ومنظوم

وهو يرى في مقطوعة « الاقليمية أو الجنسية المصطنعة »[٩٢٣] في الحقول نموذجا يود أن يحتذيه المجتمع الانساني في الالفة والود بين البشر رغم تباين انتماءاتهم • والمقطوعة هي :

وأرى من الانسان أعجب ما أرى جنسية منعته أن يتواسى
لم لا تشبه بالحقول يزيدها لطفاً تجمع وردها أجناسا
ياليت من جعل التباين زينة للورد قدَّرها تزين الناسا

وهكذا فالشبيبي فتح عينيه على الطبيعة فأحبها وهام بها ، ولكن مرور الزمن ، وما يحمل هذا المرور في طياته من هموم وخيبة ، كسا نظرته الى الطبيعة بهذا اللون المغبر الحزين •

---

(٩٢٢) الديوان : ص٥٦ .
(٩٢٣) الديوان : ص٩٠ .

الفصل الثالث

فنه الشعري

١ ـ اللغـة •

٢ ـ الصورة •

٣ ـ الموسيقى •

٤ ـ بناء القصيدة وأسلوبه الشعري •

٥ ـ الشبيبي والشعراء الاخرون •

بعد أن درسنا في الفصل السابق أغراض الشبيبي الشعرية ، وفي الفصل الذي سبقه مفهوم الشعر عنده ، نود الان أن ندرس فنه الشعري • وستدور دراستنا حول الجوانب التالية : اللغة ، الصورة ، الموسيقى ، بناء القصيدة وأسلوبه الشعري •

والحقيقة ان القصيدة كل لا يتجزأ ، وهي وحدة متكاملة تتعاون على اخراجها هذه الجوانب ، وربما غيرها أيضا ، مجتمعة • ولكننا اذ عمدنا الى ذلك فلاننا نحاول ان نسلط الضوء على شعره من زوايا متعددة ، لعلها ، في الاخير ، تجتمع ، ومعها حديثنا عن الشبيبي والشعراء الاخرين ، في بؤرة واحدة توضح لنا فنه الشعري •

ا • اللغــة :

يقول الشبيبي :

متى خيروني بالكلام ونسجه رضيت بسيط القول لم أتأنق
اذا لم يجئك القول عفواً تحامه وان لم يسعك الخلق لا تتخلق(٩٢٤)

ويعلق الدكتور ابراهيم السامرائي(٩٢٥) ، على ذلك فيقول : « والذي عرفناه ان الشاعر أنيق ذو عناية ظاهرة في شعره • أما البسيط من القول فلا نعرف ما المراد منه • فقد التزم الشاعر بلفظة البسيط التي شاعت في لغة أهل العصر • وأكبر الظن انها اندست عن طريق الترجمة في لغتنا الحاضرة » •

وحق للدكتور السامرائي أن يتساءل • فالشبيبي شاعر يعنى بشعره ، ولا يطلع به على الناس الا بعد نظر وتهذيب ، حتى يجيء كما شاء له ، صفاء ديباجة ، وتماسك تركيب ، وتناسب لفظ حتى ذهب البعض الى القول :

---

(٩٢٤) الديوان : ص٤٣ .
(٩٢٥) لغة الشعر بين جيلين : ص٦٧ .

« لعله من القلائل الذين يعجزك تبديل جملة أو كلمة أو قافية من شعره بغيرها »[٩٢٦] . وهذا يؤكد عناية الشبيبي بشعره . ولعله في قوله ذاك كان يريد أن يقول ان على الشاعر أن يكون صادقا مع نفسه ، فلا ينظم الا في الوقت الذي يشعر فيه بأن نفسه ممتلئة بالشعر راغبة في قوله . فهو كما عرفنا ، لم يكن ينظم الشعر بعد أن استوى شاعرا ، الا بدافع ذاتي . فهو يقول في احدى قصائده :

ليس هذا الشعر ما تروونه   ان هذي قطع من كبدي[٩٢٧]

ونحن نتذكر رده رفائيل بطي وقت ان طلب اليه معارضة « ياليل الصب » ، بقوله : « لا أعرف أمرا يقال له الطلب الى الشاعر أن ينظم كيت وكيت . والشعر شعور تجيش به النفس ، ويصدر عن القلب »[٩٢٨] .

واذا عرفنا في تاريخ الشعر العربي من الشعراء من يرسل شعره ارسالاً حتى سمعنا أن شاعرا هو أبو العتاهية ، يذهب الى القول انه لو شاء ان يجعل كلامه كله شعرا لفعل[٩٢٩] . فجاءت لغته سهلة بسيطة ، قريبة من الكلام المتداول كما شاء لها الشاعر ، فقد عرفنا شعراء كانوا يطيلون الوقوف تجاه شعرهم ، معيدين النظر فيه ، وربما بلغ ذلك درجة لا يخرج الشاعر معها قصيدة الا بعد مرور الحول . وما شأن زهير ابن أبي سلمى ومدرسته بمنسي . أقول اذا عرفنا ذلك كله ، فليس غايتنا وضع الشبيبي في أحد الفريقين . ولكننا نريد أن نقول ان الشبيبي كان يعنى بشعره ويطيل تنقيحه . وليس أدل على ذلك من صنيعه عند طبع ديوانه . فقد نشر أكثر شعره في الصحافة العربية والعراقية ، ثم رغبت جمعية الرابطة العلمية الادبية في النجف في طبع

---

(٩٢٦) الخليلي : هكذا عرفتهم جـ٢ ص١٢٠ .
(٩٢٧) الديوان : ص٨٢ .
(٩٢٨) الفصل الاول من الباب الثاني من هذه الرسالة .
(٩٢٩) أبو الفرج الاصفهاني : الاغاني جـ٤ ص١٣ .

ديوانه بانفاقها ونشره ، جريا على نظام الجمعية الذي ينص « على السعي في نشر خير المؤلفات العلمية والاثار الادبية »(٩٣٠) فكان لها ذلك . ولكنه لم يضم الى هذا الديوان كل ما نظم من شعر ، بل اختار منه ما وجده يستحق أن يعاد نشره مرة اخرى ، وأن يكون هذا المختار لائقا لان يحمل اسم « ديوان الشبيبي » . فصنع صنيع السياسيين ، وهو الرجل الذي خاض غمار السياسة طويلا ، فليس كل ما يتحدث به السياسيون يريدون له أن يؤخذ عنهم كشيء نهائي ، فهم يتحدثون الى الناس أحاديث المناسبة ، وأحاديث المجاملة ، وأحاديث المجالس ، ويبقى بعد ذلك الرأي « الرسمي » الذي يرتأونه والذي يلتزمون به ويريدون أن يعرفوا به . « وقد حرص الشيخ الشبيبي على أن يطبع [ديوانه] على هذه الصفة وشدّد الرقابة عليه »(٩٣١) ، فاستبعد قصائد كاملة أو أجزاءاً من قصائد ، أما لانها من شعره الاول الذي تخطى مرحلته بعد ان نضج ، وأما لانها تدور حول أغراض شخصية لاعتبارات المحيط ومناسباته . أما ما تبقى فقد وقف عنده وقفات طويلة ، فغير عناوين بعض القصائد ، واستبدل ببعض كلمات لقصائد كلمات جديدة رآها أنسب وأكثر دقة وافصاحا ، وحذف أبياتا من قصائد ، وأعاد ترتيب أبيات اخرى ، وربما أضاف البيت أو البيتين أو الابيات الى بعض القصائد . هذه الروح الناقدة المدققة ترجح الظن أنه كان يطيل الوقوف تجاه قصائده حتى قبل نشرها الاول ، من ناحية ، وتدل على العناية والاهتمام بشعره تهذيبا وتنقيحا من ناحية اخرى .

وقد غيَّر الشبيبي في الديوان الكثير من عناوين قصائده وحوَّرها ، كما قلنا . فعنوان قصيدة « الحب الطاهر والاباحي أو بنات الدوح » أصبح في الديوان « الحب الطاهر » وعنوان قصيدة « العالم والحرية أو الشعر وذووه » أصبح « الحرية والشعر » وعنوان قصيدة « البلاء الحسن » أصبح « خواطر

---

(٩٣٠) الديوان : ص ز .
(٩٣١) الخاقاني : شعراء الغري جـ٩ ص٣٥ .

فلسفية » و « الجنسية » أصبح « الاقليمية أو الجنسية المصطنعة » وهكذا[٩٣٢].

وتغيير الشبيبي لكثير من عناوين قصائده المنشورة بعد اعادة نشرها يدل على ادراكه أهمية العنوان بالنسبة الى القصيدة . فاذا كان ما وصلنا من التراث العربي لم يعرف عنوانا للقصيدة ، بل كان موضوعها أو حرف رويها هو عنوانها ، فهي قصيدة الشاعر الفلاني في مدح فلان ، وهي قصيدة الشاعر الفلاني في رثاء علان ، أو سينية البحتري أو تائية ابن الفارض أو نونية ابن زيدون ، فان العصر الحديث ادرك دور العنوان في القصيدة ، فصار للقصيدة عنوان تعرف به . وكم من شاعر اكتملت لديه القصيدة في يوم واحد وحار في اختيار عنوانها أياما ! « فعنوان القصيدة مفتاح لها ، أو واجهة عرض مكثفة تعبأ فيها القصيدة »[٩٣٣] . واذا كان بعض الناس وقت أن يكبر يتلفت فيجد ان الاسم الذي اختاره له ابوه لا يرضيه ، فيسعى الى ان يتخذ له اسما جديدا، فقد فعل الشبيبي مثل ذلك في بعض قصائده حين أصدر ديوانه . نظر في عناوين بعض قصائده فلم ترقه أو ارتأى ان ما وضعه لها من عنوان جديد أكثر مناسبة لفحوى القصيدة وأكثر تعبيرا عنه ، فغيَّر ما غيَّر وحوَّر في بعضها ما حوَّر .

وهذه العناوين المزدوجة لبعض القصائد كقصيدة « الحب الطاهر » كما مر ، التي كانت « الحب الطاهر والاباحي أو بنات الدوح » وقصيدة « الحرية والشعر » التي كانت « العالم والحرية أو الشعر وذووه » ، مثلا ، ترجح الظن بادراكه أهمية العنوان منذ النشر الاول . صحيح ان هذه العناوين المزدوجة عرفت لدى غيره من الشعراء ـ وربما كانت لديه ولدى غيره نوعا من الزركشة ـ الا انها ربما دلت على تصور الشاعر ان عنوانا واحدا منها لا يكشف ما يريده فيضع عنوانا ويردفه باخر يراه مكملا لنقص الاول .

واذا كان الشبيبي موفقا في ادراكه أهمية العنوان ، من حيث هو عنوان

---

(٩٣٢) انظر : الفصل الثالث من الباب الاول من هذه الرسالة .

(٩٣٣) انس داود : التجديد في شعر المهجر ص١٥٢ .

لقصيدة ، وكان موفقا في وضع عناوين جديدة مناسبة ، كما مر في قصيدة « الحب الطاهر أو الاباحي أو بنات الدوح » التي أصبحت « الحب الطاهر » اذ ليس في القصيدة حب اباحي ، ولم تكن بنات الدوح ذا أهمية كبيرة في القصيدة . وكما في قصيدة « العالم والحرية أو الشعر وذووه » التي أصبحت « الحرية والشعر » لان القصيدة قيلت « اثر ثورة احرار الاتراك في سبيل طلب الدستور من السلطان عبدالحميد سنة ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م » كما جاء في مقدمتها الايضاحية، ولان القضية محلية تخص البلاد التي يحكمها العثمانيون، ثم هو في العنوان الجديد قد أبرز اسم الحرية ، هذا المطلب الذي تتلهف اليه النفوس ، ويحلو لها أن تناله فيجري ذكره على الالسن . أضف الى ذلك تخلصه من العنوان المزدوج غير المركّز . كما وفق في وضع عنوان « نشوة الحب » الذي يبدو متألقا غني التعبير بالنسبة الى العنوان السابق ، « وأنا المشوق » ، وكما هو الامر في عناوين اخرى لقصائد أصبحت : « خواطر فلسفية » ، و « بين العقل والقلب » و « محاكمات » . أقول اذا كان موفقا في وضع هذه العناوين وغيرها ، فأظن أن التوفيق قد جانبه في عناوين اخرى . فالعنوان القديم لمقطوعة « الشباب الطائش » وهو « الشيب والشباب » . والاخير أكثر انطباقا على مضمون القصيدة ، رغم انه أقل جمالا ، اذ هو يتحدث فيها عن الشيب والشباب معا ، وليس عن الشباب وحدهم . والعنوان القديم لقصيدة « هي الاحلام » هو « يا دهر حسبي » ، وهو مأخوذ من المطلع ، أكثر انطباقا على جو القصيدة ، وأكثر انسجاما مع بيت القصيدة من عنوانها الجديد .

ولسنا نريد أن نطيل في الحديث عما جرى لعناوين قصائده من تغيير أو تحوير في الديوان ، وقد أشرنا الى ذلك كله في حديثنا عن « نتاجه الشعري»، ولكننا نريد أن نشير الى عناية الشاعر واهتمامه حتى بعناوين القصائد . وهو اذا كان قد فعل ذلك في العناوين ، فهو قد فعل مثله في بعض الفاظ بعض القصائد وعباراتها . فقد نظر في الفاظ هذه القصائد فاستبدل ببعضها ما هو

أنسب وأكثر دقة في التعبير • فتراه في قصيدة « باطـل الحمد ومكـذوب الثناء »[934] وضع بدل « في الاصل » فيها « بالامس » في البيت :

ربمـا تعجبنـا مخضـرة ... أربع « في الاصل » كانت دمنا

واستبدل « حقه » في البيت التالي بـ « حقها » :

بلـغ الناس الامانـي « حقها » ... وبلغنـاهـا ولكـن بالمنى

وجعل مكان « المجد » في هذا البيت ، « المال » :

يا عبـيد « المجـد » خـير منكـم ... جهلاء يعبدون الوثنا

فان قوله « بالامس » في البيت الاول ، أكثر دقة وأقرب الى روح الشعر من سابقتها التي ربما شعرنا معها بالجو العلمي • وقوله في البيت الثاني « حقه » أكثر دقة من قوله « حقها » ، وكلمة « المال » أكثر انسـجاما مـع غرض القصيدة ، اذ هو يتكلم عمن اغرتهم المطامع ، فباعوا أوطانهم بالثمن البخس • وهؤلاء ليسوا طالبي مجد وانما هم طالبو مال وما يرونه من جـاه يأتي وراء المال • ثم ان المجد يشعر بالعزة والكرامة وطالبوه ليسوا عبيدا حتى وان كانت هذه العبودية للمجد •

وهو يصنع الصنيع نفسه في أبيات اخرى من قصائد اخرى • فهو يستبدل « حنانيكم » بـ « حنانكم » في البيت التالي :

« حنانكم » فقـد خلقـت لترعى ... ومـا خلقت نفوسـكم لتقلى[935]

والتعبير الاخير أكثر مناسبة • وهذه الياء جعلته أكثر ليونـة ورقـة لمـا يستدعيه المعنى المقصود • وهو في البيت التالي جعل « تكنزون » في موضـع « تجمعـون » :

لمن ـ خفف الله أطماعكـم ـ ... لمن « تجمعون » حطام الدنى؟[936]

---

(934) انظر : الفصل الثالث من الباب الاول من هذه الرسالة •
(935) ، (936) ، انظر : الهامش السابق •

اذ أن التعبير الاول لا يخصص الحديث بـ « حطام الدنى » • فالجمع قد يكون لاي شيء • وقد يكون « الجمع » خيرا • ولكن الثاني ، بالاضافة الى احتوائه على معنى الاول ، الا انه ينصب على هذا « الحطام » ، على الاغلب ، كما انها اذ تشعر بالحرص ، تذكرنا بالآية الكريمة : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم »(٩٣٧) • وهو يضع صلبتم » في البيت التالي في موضع « قتلتم » :

يا سادة أحصيتم فـ « قتلتم »   لكم مزايا ما أرى احصاءها(٩٣٨)

اذ الحديث عن الشهداء الذين شنقهم البغي العثماني في سوريا • لهذا فالتعبير الجديد أدق من سابقه في هذا الحديث • وقد استبدل « مجاله » بـ « مناخه » في البيت التالي :

ينبو بي البلد الفسيح « مناخه »   ويضيق بي وبما أقول الصحصح(٩٣٩)

اذ ان « المناخ » لا يضيق ولا يكون فسيحا ، وانما « المجال » الذي يشغله الانسان أو يشغل بعضه ، هو الذي يضيق ويفسح •

ولسنا ، أيضا ، نريد ان نطيل في ايراد مثل هذه الامثلة ، فقد أشرنا الى كل ما حدث من مثلها في حديثنا عن « نتاجه الشعري » كما قلنا ، ولكننا في هذه الامثلة نود أن نشير الى مدى احساس الشبيبي بأهمية اللفظة ودقتها في اداء المعنى المقصود • وهو اذا كان قد فعل ذلك في تلك القصائد في نشرها الجديد ، فهو لم يكن غافلا عن ذلك أول الامر • فقد حرص على ان يختار اللفظة الموحية المعبرة في نسيج شعره • اقرأ البيت التالي ، وفيه يتحدث عما ساد البلاد من جهالة وتقاليد بالية وخراب مدمر أيام العثمانيين :

الى مَ أجوب القطر سال جهالة   وماج تقاليداً وفاض خرابا(٩٤٠)

---

(٩٣٧) التوبة : ٣٤ •
(٩٣٨) انظر الهامش في الصفحة السابقة
(٩٣٩) انظر الهامش في الصفحة السابقة
(٩٤٠) الديوان : ص٦ •

تجده اختار الافعال « سال وماج وفاض » ، موحيا بهذا الطوفان الــذي يجتاح البلاد ، والذي اذا لم يتدارك فليس بعد من نجاة !

واقرأ قوله ، في ثورة من ثوراته ، وهو يخاطب قومه دافعا اياهـم الى النهوض ونفض رداء الخمول :

متى أيها السفع الوجوه أرى لكـم وجوها أفاضت نضرة ونعيما(٩٤١)

تراه يصفهم « بسفع الوجوه » . والاسفع هو الاسـود المائل الى حمرة ، للفح نار أو سموم . فكأن السواد في وجوههم من لفح نار التأخر وسوء الحال وسمومهما امتزج بالحمرة التي ، هي في أحيان كثيرة ، تدل علـى الصحـة الجسدية . كأنه أراد أن يقول ، وهو يستنهض قومه ، ان هذه الحال التـي هم فيها قد غيَّرت معالمهم ، فشوهت وجوههم ، ولكنهم ، بالرغم من ذلـك ، هم قادرون على النهوض بما يملكون من دلائل الصحة .

لا تأمنوا خفقانـاً في قلوبكـم فانها صفرات ما بها أمل(٩٤٢)

وفيه يستنهض قومه أيضا ، وبلهجة يشوبها التقريع ، فنراه قد وصـف فراغ قلوبهم بقوله « صفرات » . والقلوب توصف بالفراغ ، والانية بالصفر . مذكرا قومه بالصفرة التي هي من علائم الموت ، رغم خفقان القلوب ! .

وهو اذ يتحدث عن ليله المضطرب ، في مناسبة اخرى ، هذا الليـل الذي لا يرى فيه غير النوم الطفيف الذي تقطعه كثرة الاستيقاظ المروّع بعد النهار المتعب . يتجنب كلمة « الليل » هذا الذي جعله الله سباتا ، ويتخذ بدلا منها كلمة « الاظلام » التي توحي بكل ما لليل من سواد وقتامة وثقل . فليله ليس كليل الاخرين ، فيه انس ومرح ثم نوم هادىء مريح ، بل هو « أظلام » وهو « يقظات » ، فهي ليست يقظة واحدة . وتشعرنا « يقظات » ، باستطالتها ، بالثقل الذي تتركه في نفس الشاعر وهو متعلق بالنوم استمع الى قوله :

---

(٩٤١) الديوان : ص١٠ .
(٩٤٢) الديوان : ص٢٨ .

نوم طفيف ويقظات مروّعة　　　لله حالة اصباحي واظلامي(٩٤٣)

وحين نقرأ البيت التالي :

أشتاق أطّرح الهموم ويقتضي　　　ظمأي الى الآلام ان أشتاقها(٩٤٤)

نراه قد أتى بالفعل المضعف « أطرح » الذي يوحي تضعيفه بما فيه من ثقل هذه الهموم وصعوبة طرحها وبهذا التردد الذي يحسه لتراكم الهموم عليه ،تجاه همومه • فهو يشتاق الى طرحها ، ولكن ظمأه الى الآلام يقتضي الا يفعل ذلك ! •

وهو يأتي بالفعل المضعف في غير هذا الموضع ليفيد مما في التضعيف من تكثيف • فيقول : مثلا : « اضّايقت » بدل « ازدحمت » في هذا البيت

وما غاية الغبراء الا خرابها　　　اذا استفحل العمران واضايقت حدا(٩٤٥)

وأنت اذا قرأت الابيات التالية التي يصور بها الحرب وفظاعتها والتي نظمها في « طلائع الحرب العامة »(٩٤٦) الاولى ، لحظت عنايته باختيار اللفظة المعبّرة الموحية :

طلائع يوم الوعد انجزت الوعدا　　　وأذهلن جيلاً ما أعاد ولا أبدى

من الغرب هدّت جانب الشرق نبأة　　　وفي الغور صوت موحش طرق النجدا

لدن أضحت الدنيا مكراً ومن بها　　　من الامم الكبرى معبأة جندا

مكشرة شوهاء ، فوهاء أنشبت　　　بنا وبأهل الارض أنيابها الدردا

فكنت اذا أطلقت طائر نظرة　　　لنكفيها أحشاءها استعرت وقدا

لظى نضجت فيها الجلود وعاذر　　　بجاحمها أن ينضج القلب لا الجلدا

فلا حرها يطفى ولا هو يتّقى　　　ولا نارها كانت سلاما ولا بردا

(٩٤٣) الديوان : ص٢١ .
(٩٤٤) الديوان : ص٣ .
(٩٤٥) الديوان : ص١٦ .
(٩٤٦) الديوان : ص١٥ .

هي الحرب ما شبَّت أداة رديئة والقاحها في غير منفعة أردى
مَظِنة جرح دبَّروها لتشتفي فما نجح التدبير فيها ولا أجدى
الى أن بدت نغارة ذات قرحة فما وجد العراف من نكثها بدا
وما زال فتل في الغوارب والذرا وما انفك خيط الشر يلحم أويسدى

* * *

والشبيبي رغم أنه يأخذ على غيره البداوة اللغوية حين يقول :

اني أراك تقول : اني شاعر والشعر عندك بانة وأراك(٩٤٧)

أو قوله ، لاصقا صفة التلفيق بشعر الشعراء الذين يتحدثون في شعرهم عن الطلول العافيات والاربع والجمال السائرات والاينق :

الى الآن لا يستملح الشعر ان علا ولا يستجاد القول ان لم يلفق
قريض طلول عافيات واربع وشعر جمال سائرات وأينق(٩٤٨)

فتوقع ، قبل ان تتصفح الديوان وغيره من شعره ، شعرا لا تأخذ اللغة البدوية سبيلها اليه ، ولكنك اذ تقرأ هذا الشعر تجده يصنع صنيع من هاجم من الشعراء • فهو يفتتح قصيدة « الحب والشكوى »(٩٤٩) متسائلا عن العاكف الثاوي على الربع الذي أقوى ، ويتحدث عن الحبيبة التي ارتحلت وباعد البين بينه وبينها في قوله :

من العاكف الثاوي على الربع قد أقوى تكلف شكواه عسى تنفع الشكوى
وآهلة ممن يحب استبانها فأعيت كما لو كان آهلها خلوا

واستمع الى قوله في مطلع قصيدة اخرى :

شجر الاراك فتنتهن أراكا حتى انبرين من النحول سواكا(٩٥٠)

---

(٩٤٧) الديوان : ص٥٢ .
(٩٤٨) الديوان : ص٤٣ .
(٩٤٩) الديوان : ص١٤٦ .
(٩٥٠) الديوان : ص١٥٠ .

وهو يحدثنا عن نظمه الشعر ، وكيف انه ينشر مما يمليه عليه الخيال من البدائع ، فـ « يغور » في طرق البيان و « ينجد » :

يملـي بدائعـه الخيال فأنشــد وأغور في طرق البيان وأنجـد[٩٥١]

وهو حين يدعو بالخير فهو يدعو دعاء البدوي بالرعي والسقي وبأن ينضّر الله عهود الحمى ، كما في البيت التالي :

نضّر الله عهــوداً بالحمــى ســالفات ورعــاها مــا رعى
وسقى ممــا يلــي عاملــة ذلــك المصطــاف والمرتبعــا
لا أغبّ الغيــث صــيداء ولا أخلف النوء المرجّى تبّعا[٩٥٢]

وهو عندما يقف « على ضفاف دجلة »[٩٥٣] ليعاهدها على المحبة والوفاء ، لا يجد أحسن مثلا من عدم جحود الابل العطشى مورد مائها • وأين من دجلة الابل العطشى ؟ في قوله :

يـد لدجلة عندي لسـت أجحدهــا الا اذا جحدت سلسالها الهيم

وأنت تقرؤه في قصيدة « عاذل وعاذر »[٩٥٤] فتجده يستغرق في البداوة حتى كأنه بدوي يعيش في الجاهلية وسط الصحراء ، مــع انه يتحــدث في القصيدة عن أرض الرافدين حين حدث فيها ما حدث من فتنة واضطراب وحين خابت النفوس في آمالها باعلان الدستور العثماني ســنة ١٩٠٨ • اقـرأ هـذه الابيـات :

كلاني أكابد في العـراق بليــة وليــلاً بأرجاء العــراق بهيما
وأسود غربيبا تهـاوى نجــومه فيهـوى به عقد الدموع نجوما

---

(٩٥١) الديوان : ص١٤٩ .
(٩٥٢) الديوان : ص٤٥ .
(٩٥٣) الديوان : ص٥٦ .
(٩٥٤) الديوان : ص٩ .

فبالله يا هذا الفراغ الذي أرى ... متى خرصتك الواهمات أديما ؟
ويا بدر قل لي كيف نجواك؟انني ... تخذتك يا بدر السماء نديما
ويا أثلات القاع روّعها الظما ... متى يتجلى روضكن وسيما ؟
رعاكن صفو الماء ينضح فضة ... وطلق الصبا الساري يفوح شميما
تذكرنني عهد الغميم وحاجر ... سقته الغوادي حاجرا وغميما
الى مَ وكم يا دهر ان قلت للمنى: ... ردي النجح أصدرن الاماني هيما
أعلل نفسي أن أرى القوم أدلجوا ... وجيفاً الى غاياتهم ورسيما

فيذكرنا في البيت الاول بقول الشاعر الجاهلي النابغة الذبياني :

كليني لهم يا أميمة ناصب ... وليل أقاسيه بطيء الكواكب[955]

بادئا الخطاب بالتثنية ، جريا على الاسلوب الجاهلي[*] ، مناديا اثلات القاع اللاتي روعهن الظما ، داعيا ــ كالشاعر في الصحراء ــ أن يرعاهن صفو الماء غزيرا ، ويرعاهن طلق الصبا الساري الفائح شميما . وهو يمضي في خياله فيرى اثلات القاع ذكرنه حاجرا وغميما ، هذين الموضعين النجديين[**] . وهو حين يخاطب الدهر فان أمانيه « تصدر هيما » كالابل التي أمضها الظمأ فهامت

(٩٥٥) « أحد افاضل العصر » : التوضيح والبيان عن شعر نابغة ذبيان ص٤٢ .
(*) هو يستخدم اسلوب التثنية في مواضع اخرى كما في الابيات التالية من الديوان :

خليلي لا ذقت الشراب فإنني ... تزودت من ماء الشجون شرابا ص:٦
خليلي ما احلى الغرام سجية ... إذا كرمته عفة وصلاح ص:٤٠
خليلي صبرا وانجماعا عن الورى ... ولاتطمعا في الناس يغنكما ذاك ص:٥١
ياخليلي إن تشاءا اسعداني ... في شجوني فالخل يسعد خله ص:٥٤
باخليلي هذي دواعي الجوى ... وعود الهوى وادكار الخليط ص:١٧٥

(**) وهو في موضع اخر من الديوان يذكر « رضوى »و « شهلان » :

فياليتها كانت ربى عربية ... مكرمة منهن رضوى وشهلان ص: ١٢

على وجوهها في الصحراء ! وهو اذ يعلل نفسه بنهضة قومه يظللها بأن قومه « أدلجوا » الى غاياتهم ، وادلاجهم هذا « وجيف ورسيم » ! .

وتعلق الشبيبي باللغة البدوية وبيئتها لم يكن بسبب رحلتيه في الحجاز وفي بادية السماوة ، فان أكثر شعره هذا يسبق هاتين الرحلتين(*) وانما لانه شاعر عاش في فترة بداية نهضة الشعر العراقي وانتقاله من ذروة التقليد في نهاية القرن التاسع عشر . فقد شهدت أواخر هذا القرن امعانا في التقليد . وكان تقيد شعراء تلك الفترة « يبدو في كثير من الاحيان مهزوزا مضطربا . وكانت الكلمات البدوية القديمة تشيع عندهم شيوعا مفرطا . وقد تكون معاني بعضها غير واضحة في أذهانهم ، فهم يكثرون من ترديد : هذيم وسعد والعقيق واللوى والمنحنى وسلع ورامة وحاجر ولعلع ويبرين وغيرها من الاماكن البدوية العربية التي يجهلون مواقعها جغرافيا ، والتي لم تكن لهم صلة بها سوى أنها وردت في أشعار القدماء . أما السماك والعيوق وكيوان(**) وما أشبهها من النجوم فهي تطرد في مدائحهم ومراثيهم »(٩٥٦) .

ونضيف الى ذلك ان شاعرنا نشأ في بيئة النجف التي شاعت الروح البدوية في شعرها ، شأنها شأن غيرها من المواطن الشيعية مثل كربلاء والكاظمية والحلة(٩٥٧) اذ يذهب الدكتور ابراهيم السامرائي الى « أن هناك قدرا مشتركا يقوم على هذا النمط الشعري عند الكثير من شعراء الشيعة ممن نشأ ودرج على المذهب التقليدي القديم(٩٥٨) ويمضي الدكتور السامرائي في تتبع جذور هذه

(*) كانت رحلته الى الحجاز سنة ١٩١٩ . وكانت رحلته في بادية السماوة سنة ١٩٢٠ . انظر : الفصل الاول في هذه الرسالة .

(**) يقول الشبيبي :

فكل قياس ظنه الناس حجة — يرد بأخرى من قياس وبرهان
ولكنهم – حتى ذويها واهلها – — بعيدون عن عرفانها بعد (كيوان)

الديوان : ص٥١ .

(٩٥٦) ابراهيم الوائلي : لغة الشعر في القرن التاسع عشر ص٨ .
(٩٥٧) د . السامرائي : لغة الشعر بين جيلين ص٢٧ .
(٩٥٨) المرجع السابق : الصفحة نفسها .

الظاهرة فيقول : انها « تنور بعيدا في التأريخ فتستقر عند الشريف الرضي ، نقيب الطالبين وشاعر الشيعة ، وربما شملت هذه المدرسة شعراء سبقوا السيد الشريف وعرفوا بنزعتهم الشيعية مثل دعبل الخزاعي والسيد الحميري . وقد أحس النقاد بخصائص هذه المدرسة التي تمثلت في شعر من جاء بعده ناهجا منهجه مثل مهيار الديلمي »(٩٥٩) .

والحقيقة أننا نجد ظاهرة البداوة أيضا في شعر غير هؤلاء الشعراء في العصر العباسي . فقد كانت تلك الظاهرة احدى ظواهر الشعر في هذا العصر. واذا كان « استخدام العباسيين ... للعناصر البدوية القديمة يخالف استخدام القدماء ، فقد كانت ترد لذاتها قديما أما عند العباسيين ... فكانت تستخدم رمزا للتعبير عن أحاسيسهم ومشاعرهم تعبيرا يستمد من جلال القديم ومن جماله الفطري الذي يروع النفس العربية في كل جيل ، فهي مهما أوغلت في التحضر لا تزال تنظر الى القديم باحثة فيه وكأنها فاتها شيء ، وهي تريد الحصول عليه ، ما هذا الشيء الا روحنا الخالدة التي ظلت حية في العصر العباسي على الرغم مما أصاب العرب من تحضر وما حصلوا عليه من فلسفات، اذ لم تمت ولم تذبل ، بل ظلت بكل عناصرها الصحراوية ، وظلت هذه العناصر تلمع لمعان السراج ، والعرب يتجمعون من حولها مستضيئين وكأنها جزء لا يتجزأ من حقيقتهم الخالدة »(٩٦٠) . وقد كان الشبيبي معجبا بعدد من شعراء العصرالعباسي. وكان الشبيبي عربيا مسلما معتزابالتراث العربيالاسلامي، مدافعا(*) عنه . ونحن حين نلاحظ الروح البدوية في شعره ، فانما يعود ذلك الى تأثره ببيئته الشعرية ، قليلا أو كثيرا ، من ناحية ، ومن ناحية اخرى الى استظلاله بظلال تلك العهود ، في عهد يخيم عليه العثمانيون ، فهم رغم ادعائهم الحفاظ على الاسلام ، فقد انطمست في عهدهم الكثير من معالم الاسلام والعروبة ولعله لذلك ، أو لعله لمحاولته اظهار طول باعه في العربية قد لجأ الى استعمال

---

(٩٥٩) المرجع السابق . الصفحة نفسها .
(٩٦٠) د . شوقي ضيف : البارودي ، رائد الشعر الحديث ص١٤٣ .
(*) انظر : الفصل الثاني من الباب الاول من هذه الرسالة .

بعض الالفاظ العربية الغريبة عنا والتي نحتاج لفهم معانيها إلى الرجوع الى المعاجم في بعض شعره . مثل : التغطمط ومتغشمر والعملّس والرّفل ، كما في الابيات الاتية :

× بحر من الرمل قامت عن تَغَطْمطه
تنزو غوارب أمواج وازباد(٩٦١)

× وقد ركبت من رأسها مُتَغَشْمراً
يمر ولا يلوي لحادثة رأسا(٩٦٢)

× وما طاوٍ تراع الوحش منه
عَملّس يسحب الذيل الرّفلا(٩٦٣)

ولاعتزاز الشبيبي بالعروبة والاسلام وبكتابهما الخالد ، القرآن الكريم ، نلاحظ تعدد ما ورد في شعره من الالفاظ القرآنية ومن الاشارات الى ما تحدث به القرآن عن الامم الخالية وما تردد في هذا الشعر من أسماء الكتب السماوية والرسل والانبياء .

فهو يذكر « الجنة » وما فيها من « روح وريحان وحور وولدان » ويذكر « ارم ذات العماد » و « النبي سليمان » في قوله :

الى جنة ما تشتهي النفس أخرجت
فروح وريحان وحور وولدان

الى ارم ذات العماد أو التي
بناها وسواها النبي سليمان(٩٦٤)

---

(٩٦١) الديوان : ص٤٩ . والتغطمط : اضطراب الامواج .
(٩٦٢) الديوان : ص١١١ . والغشمرة : التهضم والظلم ، وقيل : التهضم في الظلم والاخذ من فوق من غير تثبت كما يتغشمر السيل .
(٩٦٣) الديوان : ص١٢٢ ، العملس ، هنا ، الذئب الخبيث . الرفل الطويل الذنب .
(٩٦٤) الديوان : ص١٣ .

آخذا في البيت الاول من الآيات الكريمة : « فأما ان كان من المقربين • فروح وريحان وجنات نعيم »[٩٦٥] و « في جنات النعيم • ثلة من الاولين • وقليل من الاخرين • على سرر موضونة • متكئين عليها متقابلين • يطوف عليهم ولدان مخلدون • بأكواب وأباريق وكأس من معين • لا يصدعون عنها ولا ينزفون • وفاكهة مما يتخيرون • ولحم طير مما يشتهون • وحورعين »[٩٦٦] •

وفي البيت الثاني من الآيتين الكريمتين : « ارم ذات العماد • التي لم يخلق مثلها في البلاد »[٩٦٧] •

ويذكر « الخلد والكوثر » و « الغساق والغسلين » في قوله :

يا شاربا من حياض الخلد كوثرها　　　سقيتنا الوجد غساقا وغسلينا[٩٦٨]

آخذا من الآيات الكريمة : « قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون »[٩٦٩] و « انما أعطيناك الكوثر »[٩٧٠] و « لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا • الا حميما وغساقا »[٩٧١] و « أما من أوتي كتابه بشماله ••• ولا طعام الا من غسلين »[٩٧٢] •

ونقرأ له في مواضع اخرى ذكرا لـ « عاد وثمود » كما في البيت التالي :

عاداتها بليت وتلك عوائد　　　مما نفته لنا ثمود وعاد[٩٧٣]

كما نقرأ ذكراً لـ « بابل وهاروت » في البيت التالي :

يا بابل البحر الخضم سحرتنا　　　سحراً أرى هاروت في تيتنيك[٩٧٤]

---

(٩٦٥) الواقعة : ٨٨ ، ٨٩ .
(٩٦٦) الواقعة : ١٢ ــ ٢٢ .
(٩٦٧) الفجر : ٧ ، ٨ .
(٩٦٨) الديوان : ص١٨٨ .
(٩٦٩) الفرقان : ١٥ .
(٩٧٠) الكوثر : ١ .
(٩٧١) النبأ : ٢٤ ، ٢٥ .
(٩٧٢) الحاقة : ٢٥ ــ ٣٦ .
(٩٧٣) الديوان : ص٣٨ .
(٩٧٤) الديوان : ص١٦٩ .

ناظراً في البيت الثاني الى الآية الكريمة : « .. وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت »[٩٧٥] .

ونحن اذ نقرأ قوله :

سبات رقود الكهف أحيتموهم وجددتم كهفا لهم ورقيما[٩٧٦]

نلاحظ فيه ذكر « الكهف والرقيم » مشيرا الى أهل الكهف في السورة التي تحمل اسمهم .

ونحن اذ نقرأ الابيات التالية نلاحظ فيها ذكره للرسل والانبياء والكتب السماوية :

× من آدم ثم من حواء زوجته
للناس أم نمتهم - كلهم - وأب[٩٧٧]

× كأن لم يكن انجيل عيسى بن مريم
ولا أوحيت توراة موسى بن عمران[٩٧٨]

× وشرعتم في المنكرات فأوجبت
انكار كل مثلّث وموحّد

وشرعتم في دينكم مالم يكن
في شرع موسى والمسيح وأحمد[٩٧٩]

× أما خفف البلوى محمد هادياً
وعيسى وموسى داعيا وكليما ؟[٩٨٠]

---

(٩٧٥) البقرة : ص١٠٢ .
(٩٧٦) الديوان : ص١٠ .
(٩٧٧) الديوان : ص٦٧ .
(٩٧٨) الديوان : ص٥١ .
(٩٧٩) الديوان : ص٢٠ .
(٩٨٠) الديوان : ص١١ .

وواضح نظره في عجز البيت الاخير الى الآية الكريمة : « وكلّم الله موسى تكليما »[981] .

وهو اذا أشار في البيت الاخير الى تكليم الله تعالى موسى ، فهو يشير في البيتين التاليين الى « عصا موسى » والى « الطور » و « النار » التي آنسها :

كأني موسى ذو العصا غير أنني
رجعت ومقباسي رماد ودخان

ولما ارتقى موسى على الطور أشرقت
من الله أنوار عليه ونيران[982]

مفيدا من الآيتين الكريمتين : « فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين[983] و « فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله أنس من جانب الطور ناراً قال لاهله امكثوا اني أنس نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون»[984] .

وهو في بيت آخر من قصيدة اخرى يشير الى « مدين موسى » ، حين يقول :

تخوّن موسى قوم موسى وشردت أخا مديَن عما يحاول مدين[985]

ومثلما رأينا أثر القرآن واضحا في شعره فاننا نرى اثر التاريخ العربي في هذا الشعر بما ورد فيه من أعلام المواضع العربية ، وأعلام رجال العرب الذين كان لهم شأن في التاريخ . فأنت تلتقي بـ « تدمر والخورنق والسدير وصفين والجمل والكرخ » . وأنت تلتقي بـ « عنترة وعلي والحجاج والمنصور والرشيد والمأمون » وغيرهم من الاعلام . اقرأ الابيات التالية :

(٩٨١) النساء : ١٦٤ .
(٩٨٢) الديوان : ص١٤ .
(٩٨٣) الاعراف : ١٠٧ .
(٩٨٤) القصص : ٢٩ .
(٩٨٥) الديوان : ص١٢٨ .

× انا قمت نصب العـــين يا عهد تدمر

ذكــرت ادكار الطيف عهد الخورنـــق[٩٨٦]

× لــم تخلفـوا انـي السـدير بما بنى

ومشـــيديه بمــا أتــوا وأشـــادوا[٩٨٧]

× انـي يـــذكرنـي الشـــهامة عنتــر

فينــــا ووالــــد عنتــر شـــداد

ويهزني عصــر العــراق تســوسه

لخـــم وآل محــرّق وايـــــاد[٩٨٨]

× جـــددي عهـــد علـي غـــازيــا

وأعيـــدي مـــالكـــاً والنخعـــا[٩٨٨]

× هـــذي المـــواقـع ما تنفـك ظاهـرة

بهــا الفضــائع لا صفـــين والجمـــل[٩٩٠]

× رجال لهم في العرب دعوى كما ادعـى

بـــآل زيـــاد قبلهـم آل مـــروان[٩٩١]

× الآن لا الحجـــاج فينــــا قــــائـــم

لننـــال منــه ولا الدعـيُ زيـــاد[٩٩٢]

---

(٩٨٦) الديوان : ص٤٢ .
(٩٨٧) الديوان : ص٣٦ .
(٩٨٨) الديوان : ص٣٥ .
(٩٨٩) الديوان : ص٤٥ .
(٩٩٠) الديوان : ص٢٨ .
(٩٩١) الديوان : ص٣٩ .
(٩٩٢) الديوان : ص٣٧ .

× من جالب جرح بغداد ؟ وقد علمت
أن الرشيد بذاك الجرح موتور

للكرخ عهد من المأمون مؤتمن
وفيه روح من المنصور منصور(٩٩٣)

والشبيبي الى ذلك ، أولع بذكر الفاظ العلماء ومصطلحاتهم في شعره الذي نظمه وهو في النجف(*) وقد مدته ثقافته بالكثير من ذلك . فأنت تجد مصطلحات النحو وغيره من علوم العربية . ولنت تجد مصطلحات المنطق والفلسفة والفلك . وأنت لا تعدم أن تجد مصطلحات من علمي الكيمياء والاحياء .

وقد كان لضعف العربية في مطلع القرن العشرين وما سبقه من عهود أثر واضح فيما نلاحظه من ظهور هذه المصطلحات العلمية والفلسفية في الشعر فـ « من يمعن النظر في اللغة العربية الفصحى قبل الحرب [العالمية الاولى] لا يرى لها رسما ولا أثرا الا بين أناس يعدون على الاصابع ، اذ كان لسان التدريس وأغلب الجرائد باللغة التركية »(٩٩٤) ومن لا يحسن التركية من عامة الناس فهو لا يحسن غير اللهجة العامية . فلا يبقى للشاعر ممن يتوجه اليهم بشعره ، وهو يسكن النجف ، غير الخاصة في المساجد والمراكز الدينية ومن حولهم ، أولئك الذين تعيش الفصحى بين أكنافهم ، وهذه العربية التي تستقى من كتب التراث لا من الواقع المعاش ، فتنغلق مكبرة مقدسة . وهذه البيئة في الوقت الذي تحافظ فيه على العربية وتكون لها حصنا فهي تجمدها وتبقيها في قوالبها ، لانها ترى أنه ليس من حقها التصرف فيها ، فهي ليست سليقة وطبيعة عندها كما كانت لدى العرب الاولين ، وانما تعلمتها تعلما وأخذتها عن التراث . فالشاعر وهو يرى الشعر قد بلغ ما بلغ من التقليد والجمود

---

(٩٩٣) الديوان : ص٩٢ .
(*) غادر النجف سنة ١٩٢٤ .
(٩٩٤) د . جواد : المباحث اللغوية في العراق . ص٥٤

والعقم ، وهو يريد أن يخطو في طريق الابتكار ، في الوقت الذي يريــد أن يكسب اعجابا وشهرة ، يتلفت فلا يجد تجاهه الا هذه الخاصة • ومن هــي غير العلماء وطلابهم وهم مثقفو تلك البيئة ؟ فيلجأ الى الفاظهم ومصطلحاتهــم ويسمعهم اياها شعرا ، بعد أن ألفوا رؤيتها في كتب العلــوم منثــورة(٩٩٥) • ولهذا نجد هذه الالفاظ والمصلحات تختفي في شعر الشبيبي بعد أن غادر ذلك المحيط وذلك ناتج عن تغير الجمهور المتلقي ، مثلما هو ناتج عن تطور نظرة الشاعر الى الشعر •

فنحن نقرأ في شعره الاول قصيدة عنوانها « لغة الحب »(٩٩٦) • واللغـة التي يعنيها هي « لغة العيون ! » ولكنك تقرأ القصيدة فلا تقرأ غير لغة العلوم ! اقرأ استهلاله اياها :

تفاهمنا عيني وعينــك لحظــة ... فأدركتـــا أن القلوب (شواهد)
مشت نظرة بيني وبينك وانبرى ... الى القلب (مدلولاً) من القلب رائد
كأن الذي حاولت ثم وحـــاولـت ... من الحب (معنى) بيننا (متوارد)
(شواهد) حالي مفصحات بما انطوى ... عليه(ضميري)لا (الفصاح الشوارد)

واقرأ هذه الابيات الغزلية التي يعبر بها عن الشوق الــذي برّح بـه في استهلاله قصيدة اخرى :

قلبي يريد بلا غب زيارتكـــم ... والعقــل ينهـاه الا بعـد اغباب
(قضية) بـ (قياس)الروح (موجبة) ... وللنهى جنبنـا (ســلب وايجاب)
ما أنت ممن يريد الحب (فلسفة) ... يا قلب ذات (براهين وأسـباب)
تنبـه العقل للسلوى يحركني ... فنبهـت حركات الشوق أعصابي
مازال في الصلوات الخمس ذكركم ... نجوى مصلاي أو تسبيح محرابي

---

(٩٩٥) د . عبد العزيز الاهواني : ابن سناء الملك ص٣٢ وما بعدها .
(٩٩٦) الديوان : ص١٣٣ .

لم أدرِ ما (أتهجى) ؟ غير انكم
في (اللحن لحني) وفي (الاعراب اعرابي)(٩٩٧)

فأنت تراه ينسى حبيبته وحبه . ماذا أقول ؟ بل ينسى ، وهو العاشق المشوق ، ينسى نفسه ولا يفكر في غير العلماء وطلابهم فيحدثهم بألفاظهم ومصطلحاتهم . انه مهتم بهؤلاء المتلقين الذين سيرون « لغتهم » الجافة وقد تحوّلت الى شعر ! .

واقرأ هذه الابيات :

× نحن الالى (عرض) في جنب (جوهركم)
فيه نصال المنايا الزرق تنتصل(٩٩٨)

× هم استعجلوا اللذات ينتهبونها
وهم أبدلوا بـ (الجوهر العرض) الفاني(٩٩٩)

× فكل (قياس) ظنّه الناس (حجة)
يرد بأخرى من (قياس وبرهان)(١٠٠٠)

× يا دهر من (لفظك) الدهري أحسبه
ومن (بنائك مشتقاً ومنحوتا)(١٠٠١)

واذا قرأت في الابيات السابقة الفاظ المناطقة واللغويين ومصطلحاتهم ، فأنت قارىء في الابيات التالية الفاظ الفقهاء والفلكيين وعلماء الكيمياء والحياة ومصطلحاتهم:

(٩٩٧) الديوان : ص١٣٧ .
(٩٩٨) الديوان : ص٢٩
(٩٩٩) الديوان : ص٣٩ .
(١٠٠٠) الديوان : ص٥١ .
(١٠٠١) الديوان : ص٧٥ .

× يقولون : اتيان (الكبائر جائز" وفعل (الخطايا المنكرات مباح)[1002]
× صلة الشرقي بالماضي اسلمي لا تعودي (سنداً منقطعا)[1003]
× معـدن مجتمـع أركـانه (شبهـات وحلال وحرام)[1004]
× فمن (أفتاك) فيه ؟ وأي (شرع) (أباح)لك (الولاية) ليس الا؟[1005]
× ولكنهم ـ حتى ذويها وأهلها ـ بعيدون عن عرفانها بعد(كيوان)[1006]
× هذي(البروج) فسلّط من مواقعها عليهم(الاسد)الغضبان و(الحوتا)[1007]
× ماللسماء التي تهطالها حمم ألاّ تجود (فلـزا) أو يواقيتـا
× تجللتنـا وأخلـق أن تجللنـا (قارا) تضيع به الدنيا و(كبريتا)[1008]
× واذا (تنازعت البقاء) عوالـم (صح الاصح بقاؤه والاصلح)[1009]

* * *

من ذلك كله نرى ان الشبيبي شاعر يعنى باللغة ، ويتحسس اللفظة والعبارة المناسبتين ، ولكنه ، بحكم المرحلة التي جاء فيها وهي المرحلة المشبعة برواسب القرون الماضية المفرقة في التقليد ، لم يستطع أن يفلت من بعض القيود ، وهو الى ذلك ، حاول أن يطعّم شعره بما زحزح به تلك القيود ، مستفيدا من حسه الشعري ومن ثقافته العربية والاسلامية ومما استجد في عصره في الثقافة والمعرفة.

٢ ـ الصـورة :

لا نقول ان شعر الشبيبي يطفح بالصور الشعرية ، فذلك لا يطابق الواقـع ، بل اننا ان تخيلنا ذلك نكون قد طالبناه بأكثر مما يستطيع . فالحقبة الزمنية التي

(١٠٠٢) الديوان : ص٤٠ .
(١٠٠٣) الديوان : ص٤٥ .
(١٠٠٤) الديوان : ص٩٣ .
(١٠٠٥) الديوان : ص١٢٢ .
(١٠٠٦) الديوان : ص٥١ .
(١٠٠٧) الديوان : ص٧٥ .
(١٠٠٨) الديوان : ص٧٦ .
(١٠٠٩) الديوان : ص١١٨ .

عاش فيها تحمل تركة ثقيلة من العقم الشعري ، كما مر ذكره ، وتنوء بقيود من الخطابية والنثرية تحدان من انطلاق الخيال وتلوينه . وحين خرج الشعر عن دائرة موضوعاته الضيقة ليضم دائرة أوسع تضم ، فيما تضم ، هذا الانفتاح على عامة الناس ، وتصوير ما في حياتهم من مظاهر التأخر والبؤس ، محاولا اصلاح الامور ، لم يستطع أن يتخلص من الخطابية والنثرية اللتين تتطلبهما موضوعات كهذه موجهة الى جمهور عريض لا يحفل كثيرا بفنية الشعر كاهتمامه بفكرته الصريحة المباشرة ، بل ان ذلك جر الى وضوح ظاهرة في شعر هذه الحقبة هي اكثار « الشعراء من استعمال أفعال الامر وأدوات التصميم ، مثل : يجب علينا وعليكم ويالهم ويالنا ، في أشعارهم الاصلاحية »(١٠١٠) فأبعدت التصوير كثيرا عن شعر الشعراء .

ذلك كله لا يعنى انعدام التصوير في هذا الشعر ، كما انه لم يحل دون أن نلتقي بالكثير من الصور الشعرية التي تقوم بالايحاء بالافكار والاحاسيس عن طريق التصوير لا عن طريق التصريح والمباشرة ، تاركة في النفس ما يراد لها من الوقع والاثر عن هذا الطريق .

والصور في معناها الجزئي والكلي هي الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة الشعرية . فما هذه التجربة الا صورة كبيرة ذات أجزاء هي بدورها صور جزئية تقوم عن الصورة الكلية مقام الحوادث الجزئية من الحدث الاساس في المسرحية والقصة(١٠١١) يقوم فيها الشاعر ببعث ما في اللغة ، بكلماتها وعباراتها ، من قدرة تصويرية ورثتها عن عهودها الاولى يوم كان الانسان يعبر عما يريد عن طريق الرسم(١٠١٢) .

ومثلما تعتمد الصورة على التعبير المجازي فهي تعتمد على التعبير الحقيقي في استعمال اللغة . وليس المهم في ذلك السبيل الذي تسلكه ، ولكن المهم هو

(١٠١٠) د . جلال الخياط : الشعر العراقي الحديث ، مرحلة وتطور ص٧٥.
(١٠١١) د . محمد غنيمي هلال : النقد الادبي الحديث ص : ٤٤٣ .
(١٠١٢) المرجع السابق : ص٣٣٩ .

قدرتها على التعبير الموحي ونجاحها في ترك الاثر والانطباع من غير تصريح ولا مباشرة • ونحن ان نلتقي في شعر الشبيبي بقصيدة « حديث القمر »(١٠١٣) نجد غلبة التعبير الحقيقي في رسمه للصورة التالية :

ولما انقضت جلبة العابرين	وطال الحديث فطاب السمر
سمعنا عزيف هبوب الرياح	لنا وحفيف غصون الشجر
وحار أروحا سماوية	يشاهد ؟ أم ملكا ؟ أم بشر؟
وجاءت تنافس بدر السماء	بثانيه في العين أو في الاثر
محيا يلوح صقيل الاديم	كما طبع المشرفي الذكر .
اذا النور واجه بلّوره	تحيَّر في جرمه فانكسر
وارسلت الاربع الحالكات	فطولن ما في الدجى من قصر
وأسود من شعرها لو تشاء	نفضت عليه سواد البصر
فما وشوشته يدا عابث	ـ وحاشاه ـ الا نسيم السحر
ويورثه سيلان الشعاع	عليه أعاجيب تعيي الفكر
معانٍ تجوس خلال العقاص	وشعر يجيء بطي الشَعَر
وما عتم الليل حتى أنجلى	ولاح جبين الصباح الاغر
فقبَّل آخذة حذرها	وكان كذلك نيل الوطر

وغير خاف ما في هذه الابيات من توفيق في نقل الجو الذي أراد الشاعر نقله بما حوته من ألوان وظلال وحيوية ، زاد عليها ما فيها من سمات القص ما حرّكها وأطّرها •

واذا لاحظنا الحداثة في التصوير في الابيات السابقة ، فاننا نلاحظ لجوءه الى الصور التقليدية القديمة في مواضع اخرى • ولا أظن أن هناك ضيراً على الشاعر في صنيعه ذاك طالما ان لهذه الصور امتداداً الى الوقت الحاضر ، أو

(١٠١٣) الديوان : ص١٥٤ .

انها تخدم وسيلته في التعبير لتخرجها كما شاء لهـــا الخروج • ومن صـــور الشبيبي تلك قوله مادحا حسين القزويني :

تشب على نشــز من الارض نــاره ... فينتشـــق الناؤون عنها كباءهــا
تــزاحم في قلب السماء ضرامها ... فأذكى بمشبوب الوقود ذكاءها
اذا نفخت وجه الوفود أمالهــا ... الى ظلــه الممــدود حتى أفاءها
تشـيم السنا منه بنو السفر هاديا ... اذا التمست تحت الظلام اهتداءها
نجت بالسرى قصداً لمن لو تطلبت ... مواشيه منه ما أباح نجاءها(١٠١٤)

وقوله اثر انكشـاف أزمة نفسيـة لازمته مـــدة • ويبدو أنهـــا أزمـــة ميتافيزيقية :

كان انحداري بالافكار يكربنــي ... فحان في سلم الافكار اصعادي
أنجدت من بعد أغوار زللت بها ... فأنجاب عـن ثقتــي بالله انجــادي
وقــد حــدثنــي أهـــواء مضللـــة
عدلــت عنهــا وضل الركب والحادي(١٠١٥)

ويميل الشبيبي الى الصور ذات الحركة ، كما مر بعضها • وأنت ملاحظ ذلك أيضا في هذه الصورة النابضة بالحركة حين يصف ذلك الــذي يســـتحل الحرام بأغدر من ذئب ضخم أمضَّه الجوع يهيم على وجهه ممنيا النفس بالبطش، يتعرض الى قطيع آمن جاء يطلب الري ، فيهجم عليه وينشب براثنه فيه ، فيروع أمنه ويغرقه نازف الدماء ، تاركا أماً ثكلى تنتظر • وماذا ترى في آكـل أموال اليتامى الآمنين ، بغير حق ، غير ذئب تردى رداء الانسان في صحراء اليتم القاسية• اقرأ قوله :

ومـــا طاوٍ تراع الوحش منه ... عملّس يســحب الذيل الرفّلا

(١٠١٤) الخاقاني : شعراء الغري جـ٩ ص٥٠ .
(١٠١٥) الديوان : ص١١٢ .

يحدد منــــه آزمــــة ويلـــوي ذراعاً ـ لا تمـل البطش ـ فتـلى
تعرَّض للقطيــــع وقدْ ترامــى علـى زرقاء تعطي الرِّي نهـلا
وألقـــــى في براثنـه اغنّـــا كســا أبشـــارهن دمــا مطـلا
يعـج فيســـتفز فــــؤاد أم رمـت لعجيجـه نظـــرات ثكلى
بأغدر منـــك اذ تبتـز مـــالاً يحرمـه النهى وتراه حـلا[١٠١٦]

ونلاحظ صوره ذات الحركة تبدو أكثر ما تبدو في حديثه عن الشـؤون الاجتماعية • ونراها ذات مسحة حادة ، تمور بما يدور في نفســـه ويغلي مـن مشاهدة مظاهر التأخر والفساد ، كما بدا ذلك في أبياته السابقة ، وكما في قوله وقد وقف على أحد رافدي العراق ، وهو يرى ماءه يذهب هـــدرا دون أن يستفاد منه في ري الاراضي القاحلة •

ليت من قال : أنت يا نهر سيف لحشـا المحل حد سـيفك سَلَّه
مـــا اخـــال الخرير والماء الا صوت حزن وعبرة مستهِلَّه[١٠١٧]

ونلاحظ مثل ذلك في قوله وهو يستحث قومه للنهوض مما هم فيه مـن التأخر والجهل ، في صورة مشحونة متوترة :

لـو خلّيَ الفلـك الاعلى لقارعنـا بالنـيرات ووالـت رجمنـا الشهب
ولـو تأملت الغبـراء لاضطربت من انها لركاب الجهـل مضـطرب
الخـير يظلـع والشـر القريـن له مشمـِّر مشيه التقريب والخبب[١٠١٨]

واقرأ قوله في قصيدة يتذمر فيها من سير الشؤون العامـة في العـراق ، ويشير الى الفتن والحروب الداخلية ، والى خيبة الآمال التي عقدت في العراق على اعلان الدستور من قبل الاتراك سنة ١٩٠٨م • ولاحظ فيه هذه التشبيهات

(١٠١٦) الديوان : ١٢٢ .
(١٠١٧) الديوان : ص٥٣ .
(١٠١٨) الديوان : ص٦٨ .

الحادة المتلاحقة المتلونة مع كل بيت ، فخيوط أشعة الشمس ان هي الا حراب تصوب نحو الناس • والنور الذي يسيل منها ان هو الا لعاب الشمس الغضبى المزبد • وهذا الفضاء الواسع قد غص بهذا الشعاع فماج كالبحر الصاخب ، في صورة تضم السماء والارض !

سألتك آفاق السماء متى اغتدى ... عداؤك للارض العريضة دابا؟
أفي كل يوم تستفزين ثاقباً ... الينا وتستعدين منك شهابا ؟
ذوات الذنابى كم قرعت بهولها ... وان كن سلما أرؤسا وذنابى
فشمسك ان تشرق بخلت فأجفلت ... وبدرك ان يطلع مننت فغابا
كأن ذكاء من أسنة نورها ... تصوّب نحو العالمين حرابا
كأن البرايا أحنقتها فأزبدت ... وأرسلت النور النقي لعابا
كأن شعاع الشمس غص به الفضا ... فزمجر آذيا وماج عبابا[١٠١٩]

ولم يكن ميله الى الصور ذات الحركة والحدة مقصورا على الشؤون الاجتماعية بل هو يظهر في غيرها من الموضوعات التي تشغل باله كالموت الذي أطال الحديث عنه • اقرأ قوله فيه :

حياة قد تقلصت انتهاء ... كما يتقلص الظل الرقيق
طواها الموت وهي عميق سر ... الى حيث انجلى السر العميق
مشت بي في الطريق ومذ دنت بي ... من الابدية انتهت الطريق
رفيقا دلجة سرنا ولما ... تراءى القصد قاطعني الرفيق
فيا بيت الردى لا بد أنّا ... نحجك أيها البيت العتيق
فتجحظ مقلة ويغور صدغ ... وتندى جبهة ويجف ريق
ورب حياة قوم فاجأتها ... منيتهم وعجل ما أذيقوا

(١٠١٩) الديوان : ص٧ .

كما طلبت يد تسديد سهم　　فعاجلها عن السهم المروق[١٠٢٠]

أي لوحة مأسوية !

الحياة ، هذا السر العميق ، كالظل الرقيق الذي يتقلص تدريجيا دون أن نحس به ؛ انه موجود مفقود في آن واحد ! فهي تنسحب من تحتنا برفق كما ينسحب البساط بيد ماهرة ، يطويهـا الردى فيطوينـا . ثم يلجـأ الى التشخيص فيراها رفيقا في هذا العالم الذي يلفه الضباب وتكتنفه الاسرار حتى يصل الى النهاية ، فيفترق عنا هذا الرفيق ، وما أمرها من فرقة ! ولكن النهاية هي الحج الى هذا البيت العتيق الغريب الذي يحج اليـه الناس ، ولكـن ليس من استطاع اليه سبيلا ، بل هو حج مفروض على كل نفس ، لا بد من تأديته، حج لا يذهب اليه المرء متشوقا ملهوفا ليعود منه مغسول النفس راضيا مرضيا ، ولكنه يتم :

فتجحظ مقلـة ويغـور صدغ　　وتندى جبهة ويجف ريـق

صورة موحشة تتمثلها النفس فتقف تجاه الموت ، أو تنحني ، فيقشعـر البدن من تمثلها ، وقد رسمتها ريشة ماهرة .

لاحظنا قبل قليل أن الشبيبي يعمد الى التشخيص حين صـور الحيـاة بالرفيق الذي يتخلى عنا وقت أن يحين الفراق . وأنت واجـد مثل ذلـك في صورة اخرى يمثل فيها وادي الرافدين بشعب أبي مكبل بالاغـلال ثار عـلى مقيديه بفيضان أحد رافديه ، منطلقا من أساره ، كمـا في قولـه في قصـيدة « الفيضان »[١٠٢١] التي يصف فيها فيضان دجلة سنة ١٩٢٧ :

طغى الوادي كشعب احرجـوه　　فما احتمل الهوان ولا أطـاقـا

ولمـا قيـدوه ليستفيـدوا　　أبـى من قيـده الا انطلاقـا

(١٠٢٠) الديوان : ص١٥٦ .

(١٠٢١) الديوان : ص١٦٥ .

وتجد مثله في قوله لحبيبته انها اذا اعتراها الشك في كل شيء في الوجود فعليها أن تثق بهواه « المتبوىء » مكانا لا يرقى اليه الشك في البيتين التاليين :

اذا الشك اعتراك بكل شيء ورابك في الوجود وساكنيه
ثقي بهوى تبوأ في فؤادي مكاناً لا يليق الشك فيه[١٠٢٢]

وفي قوله التالي حيث يصور خداعنا حين نقضي مآربنا ملبسينها ثوب الاخلاص للوطن :

وما خرّب الأوطان الا قضاؤنا لأوطارنا مكسوة زي أوطان[١٠٢٣]

وفي قوله التالي عن مدينة « صيدا »[١٠٢٤] :

ألم بصيداء المشيب مبكرا وأسرع فيها وهي غانية بكر
فمازادها الا شباباً وفسحة من العمر طالت كلما انفسح العمر

ونلاحظه أحيانا يلجأ الى « التصوير المركب » ، فيأتي بصورة مركبة ناتجة عن صورتين جزئيتين متعاكستين ، كما في قوله في البيت الثاني ، وفيه يصرخ ضاجاً من تسلط الحكام الطغاة في البيتين التاليين :

ألا مدرك هذى البلاد وأهلها فقد لقيت من جور ساستنا جهدا
تفرغ أيدينا لتملأ جيبها وتنهكنا جوعا لنشبعها حمدا[١٠٢٥]

فهؤلاء الحكام يفرغون جيوب أبناء البلاد ويفقرونهم ليملأوا جيوبهم على حسابهم ، وينهكون الشعب جوعا ومسغبة لا ليشبعوا فقط ، بل ليتلقوا الحمد والشكر على صنيعهم هذا ! واذن أنت تجاه الشعب وتجاه حكامه ، واذن أنت تجاه البلد بكل ما فيه .

(١٠٢٢) الديوان : ص١٤٤ .
(١٠٢٣) الديوان : ص٥٠ .
(١٠٢٤) الديوان : ص١٦٦ .
(١٠٢٥) الديوان : ص١٨ .

واقرأ قوله هذا :

متى زحمت عوادي الدهر ركني وألفتني مهيض الجانبين
بسطت الى مليك الشعر كفي فردّ الهم منقبض اليدين(١٠٢٦)

ترى الشاعر وقد أحاطت به النكبات وتركته طائرا كسير الجناح ، يأتي الى مليك الشعر باسطا كفه ، طالبا أن يعينه على ماهو فيه ، فيستجاب طلبه ،ويعود وقد ردت اليه سكينة نفسه . فأنت تجاه الشاعر في دنياه ، في همه وراحته ، في ضيقه وانفراج هذا الضيق . تجاه الشاعر في دمعته وابتسامه . وهل الحياة غير دمعة وابتسامة ؟

واستمع الى قوله هنا :

فتشّت عن شي أحب بقاءه ويحب أن أفنى فكان هواكا(١٠٢٧)

وقوله هذا :

كسا الفيضان أربعنا ثيابا مصندلة وأردية رشاقا
فآونةً مضاعفة غلاظا وآونة مهفهفة رقاقا(١٠٢٨)

كما نقع له على بعض الصور الرمزية حين يعبر عن بعض حالاته الوجدانية بواسطة الصور التي ترمز الى تلك الحالات فتنقل المشاعر من نفس الشاعر الى النفوس المتلقية . وهو اتجاه وقع عليه بعض الشعراء العرب الأقدمين كذي الرمة ومجنون ليلى ، بشكل تلقائي . وقصده الرمزيون في الغرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر(١٠٢٩) فهو بعد قوله :

هناك تأملت الديار مواثلا تغوّرن أنشازا وضقن رحابا

(١٠٢٦) الديوان : ص١٥٢ .
(١٠٢٧) الديوان : ص١٥٠ .
(١٠٢٨) الديوان : ص١٦٥ .
(١٠٢٩) محمد مندور : فن الشعر ص٦٠ .

فأرسلت فيهن الأماني فأخفقت وسرحت فيهن الرجاء فخابا[١٠٣٠]
وقفت عليها أنكت الأرض واجما وأضرب في خد الصعيد مرابا

وهو اذا كان في بيته هذا يذكرنا ببيتي الرمة :

عشية مالي حيلة غير أنني بلقط الحصى والخط في الترب مولع
أخط وأمحو الخط ثم أعيده بكفي والغربان حولي وقّع[١٠٣١]

فهو في موضع آخر يصور عن أصالة وابتكار حين يخاطب أحبابه قائلا :

قد يحجز الدهر ما بيني وبينكم مذ ساعة فأراها منذ أحقاب
وطالما صرت في وجه لم أرني الا وقد علقت يمناى بالباب[١٠٣٢]

واذا وفق الشبيبي فيما مر من صور فاستوقفنا لنتأمل فنعجب ، فنحن في مواضع أخرى نرى صورا يشوبها مايكدّر صفو صفحتها ؛ كأن تجيء مثقلة بألفاظ العلوم ومصطلحاتها ، كما مر في حديثنا عن « اللغة » ، أو تجيء مفككة غير متناسقة الأجزاء ، أو غير مصقولة تعوزها اللباقة . فهو حين يصف مدينة « صيدا »[١٠٣٣] في القصيدة التي تحمل الاسم نفسه ، نجد القصيدة على ما فيها من جمال ، ذات صور مفككة غير متناسقة الأجزاء ، يقفز فيها مبعثرا على « صيداء » النعوت ؛ فهي ملاءة ، وهي فتاة ، وهي على واقعها مدينة ، ثم هي مرة أخرى فتاة ، ثم مدينة . اقرأ هذه الأبيات :

وما أنت ياصيداء الا ملاءة من الورد محبوب لرائدك النشر
جبالك تحنانا عليك عواطف ومحدودبات مثلما احدودب الظهر
ترجّل ـ ان هبت ـ غدائرك الصبا ويغسل بالأمواج أرجلك البحر
أبت جملة الأشياء الا لطافة بصيداء حتى أنت يا أيها الصخر

(١٠٣٠)الديوان : ص٦ .
(١٠٣١) ديوان ذي الرمة : ص٣٤٢ .
(١٠٣٢) الديوان : ص١٣٧ .
(١٠٣٣) الديوان : ص١٦٦ .

وان أنسها لـم أنس منهـا عشية ... تساقط فيها الثلج وانبعث القـر
فأمواجهـا زرق بديع صفاؤهـا ... وأجبلهـا بيض وأربعهـا خضر
ألـم بصيـداء المشـيب مبكـرا ... وأسـرع فيهـا وهي غانية بكر
فما زادها الا شـبابا وفسـحة ... من العمر طالت كلما انكمش العمر
أيا شجرات في كوانين أصـبحت ... كوانين ملقى في جوانبهـا جمر
لقد غمرت الا بقـايا كأنهـا ... عيون بزاة دأبهـا نظـر شزر
أفي شكل مبيضّ من الثلج أنزلت ... عليك من الله النزاهـة والطهر
مواسـم صيداءٍ من الثلج وضّح ... وأيـام صـيداءٍ محجّلـة غـر

وهو يقول في قصيدة « حديث القمر »[١٠٣٤] :

ونفذت في القلب حكم الهـوى ... ومن يستهين بحكـم القـدر ؟
فأني رضيت : قسـا أو رعـى ... واني رضـيت ، نهـى او أمـر

فهو في قوله « نفذت في القلب حكم الهوى » أراد أن يقول : استسلمت لما ألاقي في حبي من ألم وعذاب . ولكنه حين لجأ الى تعبيره ذاك ، ذكرنا بأحكام الاعدام ! والحديث حديث الحب . وما أغناه عن ذلك في قصيدةٍ غرضـها هذا ، وعنوانها ذاك !

وهو في بعض أبيات قصيدة أخرى يخاطب الجاحظ ، عمرو بن بحـر ، فتجيء الصورة رديئة منفـرة . اقرأ قوله :

وما حال يا عمرو بن بحـر ودادنا ... وان صرت ذا لونٍ من السقم حائل ؟
سـلاف الكؤوس السـائلات لطافـة ... جرى من لعاب بين شدقيك سائل[١٠٣٥] .

(١٠٣٤) الديوان : ص١٥٣ .
(١٠٣٥) الديوان : ص٦٢ .

مشيرا الى قول الجاحظ ـ كما يذكر في الهامش ـ لمن سأله عن حاله وهو مريض مفلوج : شق مائل ، ولعاب سائل ، ولون حائل .

* * *

فشعر الشبيبي ، اذن ، قد توفرت له الصورة الشعرية ، هذه الوسيلة الجوهرية لنقل التجربة الشعرية ، رغم ما سبقه أو اكتنفه من خطابية ونثرية في الشعر . وهو مثلما يعمد الى التعبير الحقيقي في رسم صوره ، يعمد الى التعبير المجازي . ومثلما نجد في شعره التصوير التقليدى القديم ، نجد التصوير الجديد المستحدث . وهو يميل في بعض شعره الى الصور ذات الحركة ، الحادة أحيانا ، لاسيما في حديثه عن الشؤون الاجتماعية . ويبدو التشخيص ، والصور المركبة والصور الرمزية أدوات يتوسل بها في بعض صوره .

٣ ـ الموسيقى :

جرى الشبيبي في شعره على أوزان الشعر العربي وقوافيه التقليدية ، ولم يشذ عنها الاقليلا ، وفي مطلع حياته الشعرية اذ نظم في الموشح والمخمّس والمربّع[١٠٣٦] ما لا يتجاوز السبع محاولات ، بالاضافة الى أبيات قليلة في لزوم ما لايلزم ضمتها مقطوعة حملت الاسم نفسه . وقد استبعد تلك المحاولات من الديوان ، وضم اليه الأبيات الأخيرة منها[١٠٣٧] .

وقد جرى في بعض شعره على حروف روي قليلة الشيوع أو نادرة كالضاد والطاء والشين والواو ورغم ذلك نجد قوافي القصائد مستقرة غير قلقة ، وضعت الكلمة فيها في موضعها المناسب .

أما البحور التي جرى عليها في ديوانه البالغ عدد أبياته (١٨٧٩) بيتا ، فهي موزعة على الشكل التالي : الطويل ٥٤٧ بيتا ، الكامل ٤٥٧ بيتا ، البسيط ٣٩١ بيتا ، الوافر ١٨٠ بيتا ، الرمل ١٢٦ بيتا ،الخفيف٩٩بيتا ، المتقارب٥٧ بيتا ،

(١٠٣٦) الخاقاني : شعراء الغري ، جـ٩ ص٣٥ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٤٧ ومجلة « المقتطف » : مجـ٣٨ جـ٦ (حزيران ١٩١١) ص٥٥٣ .

(١٠٣٧) الديوان : ص١٢٧ .

السريع ١٧ بيتا ، الهزج ٥ أبيات • وهكذا نجد أن نسبة البحر الطويل في شعر ديوانه هي ٢٩٪ من شعره • ونسبة الكامل ٢٥٪ والبسيط ٢١٪ والـ ٢٥٪ الباقية للبحور الأخرى • وشيوع هذه البحور في شعره متناسب مع شيوعها في الشعر العربي[١٠٣٨] هذا وقد قلل الشبيبي بعد نضجه من النظم في البحور القصيره والمجزوءة المرقصة ، فلانجد له في ديوانه شيئا من المتدارك أو المجتث • ولعل ذلك متأت من شخصية الشبيبي الوقور التي ترى في البحور القصيرة والمجزوءة مالا يناسبها[١٠٣٩] ولكننا نجد في مجموعة « رنين على الأجداث » التي نظمها بعد انقطاع عن الشعر دام ثلاثة عقود تقريبا ، قصيدتين هما : « أيا ملهمـــة الشعر »[١٠٤٠] و « النائي القــريب »[١٠٤١] الأولى من مجــزوء الهــزج ، والثانية من مجزوء الرمل • ونحن نعرف أن هذين البحرين انسب للغناء منهما للرثاء • وربما كان الانفعال القلق هو الذى دفعه اليهما • « فاذا قيل الشــعر وقت المصيبة والهلع تأثر بالأنفعال النفسي ، وتطلب بحرا قصيرا يتلاءم وسرعة التنفس وازدياد النبضات القلبية »[١٠٤٢] •

والشبيبي شاعر يعنى بموسيقى شعره ، ويتخذ أكثر من سبيل لاكســاب هذا الشعر الموسيقى والرنين المناسبين اللذين يضفيان عليه التأثير والجمال •

فاذا قرأت ــ مثلا ــ قصيدته « دمشق وبغداد »[١٠٤٣] التي قالها حينمــا أذاع الانجليز في العراق أنهم ــ لا العرب ــ أخذوا دمشق الشام ، والتي يستهلها قائــلا :

ماذا بنا وبذي الديــار يـراد ؟ فقدت دمشــق وقبلهــا بغـــداد
من موطن الميــلاد قامت نـزّعا خيل لهـــن بجلـــق ميعـــاد

(١٠٣٨)د . انيس : موسيقى الشعر ص٥٩ وما بعدها .
(١٠٣٩)« شاعر يجب تكريمه ــ محمد رضا الشبيبي » د • صفاء خلوصـــي ، مجلة « المعرفة » ، مجــ١ جــ١٨ (١ تشرين الاول ١٩٦١) ص٧ .
(١٠٤٠) (١٠٤١) الملحق رقم (١) .
(١٠٤٢) د . أنيس : موسيقى الشعر ص١٧٧ .
(١٠٤٣) الديوان : ص٣٣ .

سـاءت وقائعهـا ومـاســرت بها لا الهجرة الأولى ولا الميــلاد

وردت مياه الرافدين مغيرة شُقرٌ من القب البطون وراد

هجن طردن من الجيـاد كرائماً عربيـة فكأنهـن جيـاد

بـردى وأودية الفـرات ودجلة والنيـل غص بمـائك الـوراد

حـال العلوج من الأحامر بيننا وتعـذر الأصـدار و الايـراد

لاساغ يا بردى الشراب ولاهنا عـذب من المـاء القـراح يراد

وجدت القوة في الألفاظ التي تتخلى عن القوالب البلاغية والتي تناسب موضوعها ، فالألف والدال في القافية تراها كوقع الفؤوس أو صوت المدافع المتكرر .. دو .. دو .. دو .. وهي تحيط بهذه الألفاظ القوية الوقع ، المشدودة وكأنها توحي بصرير الأسنان الغاضب(١٠٤٤) .

واذا قرأت قصيدته « سوانح في الحب »(١٠٤٥) أحسست بحلاوة النغم وهو ينساب مع كلماتها وأبياتها اذ يردد :

عَـدِّهـا للصُحـاة بالله عنـي أي شيء أبقت لتأخـذ منـي ؟

كيف يصحو وقد أعـان عليه حامل الكأس في الهوى والمغني

هي يا متـرع الاغاني أدر لي انني قـد سكرت لكن بأذني

سؤر عينيـك باعـث نشـواتي ـ أي وعينيك ـ لم يكن سؤر دن

لـم تجيء آفـة القطيعـة الا من تجنيـك يا كثير التجني

(١٠٤٤) انظر : البصري : مقال في الشعر العراقي الحديث ص٧١ .
(١٠٤٥) الديوان : ص١٤٤ .
قال الدكتور صفاء خلوصي : « كم كنت أود لو ان بعض مغنينا البارعين قاموا بتلحين هذه القصيدة ، وقصيدة « حديث القمر » التي هي اروع من قصيدة « الشابي » المفناة « إرادة الحياة » .. رغم ان كلتا القصيدتين من نفس الوزن والقافية ، ومعانيهما في بعض الابيات متقاربة على ان قصيدة الشبيبي اقدم إذ هي مما اتفق له سنة ١٩١٢ » .
انظر مجلة « المعرفة » : مجـ١ جـ١٨ (١ تشرين الاول ١٩٦١) ص١٠

لـي ظن ـ وان أسأتَ ـ جميل بك يا قاطعـي فكن عند ظنـي
ما ملكتُ الذي هويـتُ ولكـن قـد تمنيت لو أفـاد التمنـي

وهو يعمد الى ظاهرة دعاها بعض النقاد بـ « المناسبة » • وهي كما قال عبدالغني النابلسي[١٠٤٦] ، الاتيان بكلمات متناسبات • اقرأ قوله :

شواهد حالي مفصحات بما انطوى عليه ضميري لا الفصاح الشوارد[١٠٤٧]

تره ناسب بين « شواهد » و « شوارد » •

وقوله :

تعللني الاوهام في قرب من نأى وتطمعني الاحلام في وصل من يجفو[١٠٤٨]

وفيه ناسب بين « تعللني » و « تطمعني » ، وبين « الاوهام » و «الاحلام» وبين « قرب » و « وصل » •

وقولـه :

هل أسال البكـــاء عينا كعيني ؟ أو أذاب الفراق قلبا كقلبي[١٠٤٩] ؟

وفيه ناسب بين « هل أســال » و « أو أذاب » ، وبـــين « البكـــاء » و « الفراق » ، وبين « عينا » و « قلبا » ، وبين « كعيني » و « كقلبي » •

وغير خاف ما في كل من الابيات التالية من مناسبة :

× أديار ؟ لا بـــل مكـامن أسْد ورجال؟ لا بل ليوث مُدِلّه[١٠٥٠]
× القفر فيـك مذوذ وهو مفتقر والبحر فيك مجود وهو محروم[١٠٥١]

(١٠٤٦) نازك الملائكة : محاضرات في شعر علي محمود طه ص١٤٩ .
(١٠٤٧) الديوان : ص١٣٣ .
(١٠٤٨) الديوان : ص١٣٤ .
(١٠٤٩) الديوان : ص١٥٧ .
(١٠٥٠) الديوان : ص ٥٤ •
(١٠٥١) الديوان ص ٩٦ •

× اذا رأوا داعيا للمفخر انقلبوا | وان رأوا داعياً للثروة انهالوا
المفصح العلم لا صوت ولا زجل | والكاشف العلم لازجر ولا فال[١٠٥٢]
× سوف أقضي من الصبابة حقي | حين أقضي من الصبابة نحبي[١٠٥٣]

واذا كانت النماذج السابقة عالية النغم ، كما تصف أمثالها نازك الملائكة[١٠٥٤] فالنماذج التالية أقل علواً :

× مالي أراك تقول : اني شاعر | والشعر عندك بانة وأراك
الصدغ فخ والعقاص حبائل | نصبت وأهداب الدمى أشراك[١٠٥٥]
× لمن ـ خفف الله ـ اطماعكم | لمن تكنزون حطام الدنى ؟
لنقض الهدى واقام الضلال | وطي العفاف ونشر الخنا؟[١٠٥٦]

وهو يفيد من « التكرار » . فيعطي شعره لوناً من الموسيقى والقدرة التعبيرية . و « التكرار » في حقيقته ، الحاح على جهة هامة في العبارة يعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها . وهذا هو القانون الاول البسيط الذي نلمسه كامنا في كل تكرار يخطر على البال . فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها »[١٠٥٧] فنحن حين نقرأ مقطوعة « الزهرة الذابلة »[١٠٥٨] وهي سبعة أبيات ، نجد خمسة منها بدأت بـ «أكذا» وهي تتكرر مرتين في البيت الخامس . ولنقرأها :

أكذا حين يوافيها القضاء | تبخل الارض عليها والسماء ؟
انها قانعة معتزة | كل ما تطلبه نور وماء

(١٠٥٢) الديوان : ص١١٩ .
(١٠٥٣) الديوان : ص١٥٧ .
(١٠٥٤) محاضرات في شعر علي محمود طه : ص١٥٠ .
(١٠٥٥) الديوان : ص٥٢ .
(١٠٥٦) الديوان : ص١٠٩ .
(١٠٥٧) نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر ص٢٤٢ .
(١٠٥٨) الديوان : ص١٧٤ .

أكـذا ينقبض الوجـه الذي   سـطع الاشـراق منه والبهاء ؟
أكـذا ينقصف القـد الذي   طبـع اللين لـه والاسـتواء ؟
أكـذا يستبسـل الموت عـلى   غير شيء ؟ أكـذا يسطو الفناء ؟
هوّن المـوت علينـا اننـا   شَرَعٌ في مذهب الموت سواء

فالتكرار هنا يعبر عن دهشة الشاعر امام جبروت الموت ! انه يصـرخ متسائلاً كيف يفعل الموت فعلته هذه بزهرة .. ؟ هذا الكـائن اللين الـذي يشيع الجمال لونا وعطرا ، يشيع الاشراق والبهاء ، وكل ما يطلبـه لقـاء ذلـك ليس غير نور وماء . كيف ينال الموت هذا الكائن الضعيف الجميل ، متوحداً بـه ، فتتخلى عنه الارض والسماء .. العالم كله ؟!

ولنقرأ أبياتاً اخرى من قصيدة عنوانها « بين الادب والاخـلاق »(١٠٥٩) اذ يقول :

أنا يا مكبري ومطري خـلالي   عـارف من أنا خبير بما بي
أنا من لست حين اسأل نفسـي   سـر نفسـي مـزوداً بجواب
أنا من لست داريـا بغـدوي   أو رواحي ماذا يكـون اكتسابي
أنا في البحر قطرة أو يخفـى   عنك ما شأن قطرة في العـباب ؟

فنلاحظ في هذه الابيات الاربعة تكرار كلمة « أنا » في بداية كل بيت ، ونحن نستمع فيها الى هذا الصوت الذي يتوالى ايقاعه مع توالي الابيات في رنين خافت لا يخلو من شكوى . انه ليس صوت الادعاء الذي عودتنا عليه هـذه الكلمة ، ولكنه صوت من عرف قدر نفسه في هذا العالم الكبير الغامض !

وقد يكون « التكرار » في البيت الواحد ، يبلغ به رنينا للفظة لا يبلغـه بغير هذا التكرار . ويمنح به اللفظة شحنة عاطفية لا تتأتى دونه .

(١٠٥٩) الديوان : ص١١٥ .

اقرأ هذه الابيات :

× ما (حـــب) أهــل (الحب) الا أدمـــــع
حمـــر تسيل عـــلى شـفاه تبســــم[1060]

× أأنسى زمان (الكرخ) و (الكرخ) معرس
وتذهب عن ذكرى الرصافة والجسر[1061]

× متى خنت (بغداد) و (بغـداد) بلـــدة
اذا رمت عنها (الصبر) خانني (الصبر)[1062]

× حسدت (الزهـــور) لان (الزهـــور)
كـــاخــــوان جـــامعــــة مُثّـــل[1063]

وانت ملاحظ في الابيات الاتية افادته مما يعرف بـ « رد العجز عـــلى الصـدر » .

× خليلـــى لاذقـــت (الشراب) فانـــي
تزودت من مـــاء الشـؤون (شرابـا)[1064]

× ذوات الــ (ذنابـى) كم قرعت بهولهـا
وان كـــن سلما أرؤســـاء و (ذنابى)[1065]

× خــــراب سيغدو الغرب (مهد) ظهوره
كمـــا كـــان للعمران قبلئـذ (مهدا)[1066]

(١٠٦٠) الديوان : ص١٦١ .
(١٠٦١) الديوان : ص١٦٧ .
(١٠٦٢) الديوان : ص١٦٨ .
(١٠٦٣) الديوان : ص١٧٢ .
(١٠٦٤) الديوان : ص٦ .
(١٠٦٥) الديوان : ص٨ .
(١٠٦٦) الديوان : ص١٦ .

× و (مرد) تنتهـا الحرب شيبا بما حثـت
وشيب تعاطوا خوض غمرتها (مـردا)[١٠٦٧]

× (أعياد) هــذا الشـرق صـرن مآتمـا
لكنهـا لعـداتنـا (أعيــاد)[١٠٦٨]

× (ظلـــم) الشـعوب طغـاتهـا
فنجـت بنـا ممـن (ظلـم)[١٠٦٩]

× كـم (مذنب) قالـوا (نقي برده)
و (نقي بـرد) عد فيهـم (مذنبـا)[١٠٧٠]

× تركتـكم غـير مشتـاق الى (بـدل)
يـا تاركـي وما اشتاقـوا الى (بدل)[١٠٧١]

فالشبيبي اذن ، رغم التزامه الطريقة التقليدية في الوزن والقافية بصـورة عامة ، حريص على اغناء موسيقى شعره واكسابها التأثير والجمال باللفظةوالعبارة والوزن المنتقـاة وبما يعمد اليه من مناسبة وتكرار ورد العجز على الصدر وغيرها من وسائل فنية •

٤ ـ بناء القصيدة واسلوبه الشعري :

يضم ديوان الشبيبي القصيدة التي بلغ عدد أبياتها خمسة وثمانين بيتا الى جانب المقطوعة والبيت اليتيم بالاضافة الى الموشح والمخمس والمربع ممـا ضمه شعره الذي استبعده من الديوان ، كما مر بنا •

وما نظمه في الموشح موشحتان هما : « نحن في سيارة »[١٠٧٢] و « العالم والعلم »[١٠٧٣] وهما تدوران حول موضوع تأملي ، بأسلوب جـاف ، فهمـا

(١٠٦٧) الديوان : ص ١٦ .
(١٠٦٩) الديوان : ص٩٥ .
(١٠٧٠) الديوان : ص ١٢٥ .
(١٠٧١) الديوان : ص١٤١ •
(١٠٧٢) الخاقاني : شعراء الغري جـ ـ ٩ ص ٣٥ •
(١٠٧٣) مجلة «المقتطف» مجـ٣٨ جـ٦ (حزيران ١٩١١) ص ٥٥٤ •

شاحبتا العاطفة ، فقيرتان الى الصور الشعرية • وقد مر بنا بعض منهما •

أما ما نظمه في التخميس فهو مخمسان • الاول : « هـــا أنـا »(١٠٧٤) والثاني « القطرات الثلاث »(١٠٧٥) مع تخميسين اخريـــن ، الاول لقصـــيدة لوالده(١٠٧٦) والثاني لبعض مقصورة ابن دريد(١٠٧٧) •

ومخمس « ها أنا » ذو موضوع علمي يدعو فيه الانسان الى أن يســـعى في الحياة بجد وشعاره عنوان المخمس : ها أنا •

و « القطرات الثلاث » وهو أفضل المخمسات ، محاورة بين قطرات ثـلاث كل تفتخر بأصلها ، قطرة مطر ، وقطرة سقطت من جنـــاح قمرية غمســـت نفسها بالماء ، وقطرة دمع •

وقد استهل المخمس الاول بقوله :

أفـق لا صحـوت لداعي المنى وخـل الجدود وقـل : ها أنـا
ودع كـــل قـول قليل الغنى بنا لا بكـم وبكـــم لا بنـــا
تحل وخـــل الهجا والثنا

واستهل الثاني قائلا :

قطـرات قــد انتشرن ثلاثـــا فـــوق زهـــراء من نتاج الربيع

★ ★ ★

قلن : من أصلهـــا أعز وأعـلى فانبـــرت قطرة دعتهـن : مهلا
أنــا أصلي مـاء السماء المعـلى وهو حسبي يـــوم المفاخر أصلا
والد باسمه حياة الربوع

أما تخميساه الاخران فأولهما تخميس قصيدة لوالده مطلعها :

علّم الغصن أن يميـل كقـــدك ومـر المسك أن يفوح كندك

(١٠٧٤) الخاقاني : المرجع السابق ص٣٩ .
(١٠٧٥) المرجع السابق ص٣٨ .
(١٠٧٦) المرجع السابق ص٤٦ .
(١٠٧٧) المرجع السابق ص٤٠ .

وقد خمسها على الشكل التالي :

عد وف واصلاً لمطول وعدك   وافضح الورد في شقايق خدك
واذا ملت فائحا نشر جعدك   علم الغصن ان يميل كقدك

ومر المسك أن يفوح كندك »

والتخميس الثاني ، وهو تخميس مقصورة ابن دريد ، وقد وقف فيه عند البيت الثالث والاربعين للمقصورة ولم يتم تخميسها . وفيه اخطأ فجعل مطلع المقصورة البيت :

يا ظبية أشبه شيء بالمها   ترعى الخزامى بين أشجار النقا

وهو ليس لابن دريد وانما لابن الانباري من مقصورة مطلعها :

شرّد عن عيني الكرى طيف سرى   من أم عمرو في غياهب الدجى(١٠٧٨)

وقد بدأ التخميس كما يلي :

لا تطلبه للهوى بعد النهى   ولو لها لاختار فيك الولها
فأنت مثّلت الجوازي شبها   « يا ظبية أشبه شيء بالمها

ترعى الخزامى بين أشجار النقا

أين الهوى أعيى الفؤاد أينه ؟   قرّت ثواغيه وحان حينه
أرى شبابي جد فيه بينه   « أما ترى رأسي حاكى لونه

(١٠٧٨) الخطيب التبريزي : شرح مقصورة ابن دريد ، هامش ص٣ .
وانظر : الخاقاني : شعراء الغري جـ٩ هامش ص٤٠ ، و « مقصورة ابن دريد » بحث لجمال الدين الآلوسي نشر في مجلة « الاقلام » مجـ٣ جـ٦ (شباط ١٩٦٧) ص٨٢ .
ولم يكن الشبيبي هو الوحيد الذي اخطأ هذا الخطأ فكثير من الروايات تروي هذا المطلع على انه لابن دريد ، وكثير من الشراح يفعلون ذلك انظر : التبريزي : المكان نفسه ، والخاقاني : المكان نفسه .

وهما تخميسان ظاهرا التكلف • والحقيقة أن تخميس القصائد لا ينبع من تجربة الشاعر ، أي شاعر ، اذ كل ما في الامر هو أن يعمد الى قصيدة ما محاولا أن يتقمص شخصية ناظمها ، موسعا رقعتها ، مطيلا في تفاصيلها ، ليخرج لنا بعد ذلك هذا اللون من الشعر الذي لم يبق به على قصيدة الشاعر الاصلية ولم يأتنا بقصيدة جديدة من نظمه • ولعل الذي دفع الشبيبي الى هذا الصنيع هو مجاراة الشعراء الاخرين الذين أولعوا بهذا اللون في مطلع حياة الشبيبي وقبلها•

وأما المربع فهو « نظرة في النظام الشمسي »(١٠٧٩) • وعنوانه دال على مضمونه • وهو لا يختلف عن الموشحتين والمخمّسات بتكلفه وتثريته •

وقد نشأ الشبيبي والشعر في مطلع هذا القرن يجري في أساليب رسختها العصور المتأخرة • « وبناء القصيدة لم يطرأ عليه تبديل أو تغيير ، فقد كان لزاما على الشاعر أن يبدأ القصيدة بالغزل أو النسيب أو وصف الفرس أو الناقة أو الليل أو الخمر وما يتصل بها من ذكر الساقي والكؤوس والندماء وأسمائها ودنانها ونقلها ، أو وصف الرياحين والورد بمختلف أشكالها والوانها • ثم ان الابيات الثلاثة : المستهل والتخلص والختام ، يجب أن تكون بارزة ناشزة عن بقية أبيات القصيدة • وهذا تقليد لا يحيد عنه شاعر مهما ارتفع أو هبط • واذا حاد عن التخلص فالقصيدة مقتضبة • والاقتضاب هو الانتقال بالقصيدة من المقدمة الى الغرض المقصود ، بدون تخلص »(١٠٨٠) •

والشبيبي يلتزم بعض هذه التقاليد ويخرج على البعض الاخر منها •فأنت تجده يستهل بعض قصائده بالنسيب ، كما مر • فأنت اذ تفتح الديوان تطالعك أولى قصائده « في سبيل الشرق »(١٠٨١) وهي قصيدة يتحدث فيها عن توقعه

(١٠٧٩) الخاقاني : شعراء الغري جـ٩ ص٤٧ .
(١٠٨٠) الدجيلي : محاضرات عن الشعر العراقي الحديث ص٧ .
(١٠٨١) الديوان : ص٣ .

تمزق شمل الدولة العثمانية وانسلاخ الأقطار العربية عنها ، كما يقول في تقديمه اياها وهو يستهلها بقوله :

لم يبق لي الا الشباب وانه ديباجة ضمن الأسى اخلاقها
نزلت بجيرتي الهموم فلم تطق حتى نزلن بكاهلي فأطاقها
وكرهتها ومن العجائب أنني لشديد ألفتها كرهت فراقها
أشتاق أطَّرح الهموم ويقتضي ظمأي الى الآلام أن اشتاقها
ولربما عرف المحبون التي تجني الشقاء فأصبحوا عشاقها
شأن الفراشة واللهيب فانها تغشاه وهو مسبب احراقها
يشكو الصبابة كل يوم مدع واحقنا دعوى لها من ذاقها
لو انصفت تلك الحمامة لوعتي نضت الخضاب ومزقت أطواقها
يا هذه حتى الغصون ... ... الخ

وتطالع القصيدة التي تليها ، وعنوانها « في العراق »[(١٠٨٢)] وفيها يتذمر من سير الشؤون العامة ويشير الى الفتن والحروب الداخلية والى خيبة الآمال التي عقدت في العراق على اعلان الدستور من قبل الاتراك ، فتقرأ في مستهلها :

أرى مهجتي بل ماء خدك ذابا معا فهو لطفاً وهي فيك عذابا
دعا فأجاب الوجد قلبي فما له دعاك فكان الصد منك جوابا
نهيت فؤادي عن هواك فما انتهى ونهنهته عن صبوة فتصابى
وعاتبني أهلي فقلت : أحبه وان لم يزد الا قلى وعتابا
تغابيت يا قلبي وليس بنافع حذار الهوى يا قلب أن تتغابى
ضعفت على بدر توطَّن كلة وقد كنت ضرغاماً تقيل غابا
تعرض فاستهواك فاستهدف الحشا فأرسل ماضي سهمه فأصابا

(١٠٨٢) الديوان : ص٥ .

وتقرأ قصيدة « بقاء الاصلح »[١٠٨٣] وهي قصيدة تأملية يتحدث فيها عن طلب الحقيقة ، فتجده يستهلها بقوله :

في كل آونة خيال يسنح   نمسي بذكركم الحميد ونصبح
يبقى لقاؤكم ويلغى غيره   ويطاع قولكم وتعصى النصَّح
العاشقون . . . . الخ

ويستمر في حديثه هذا حتى البيت الحادي عشر ، حيث غرض القصيدة ليحدثنا عنه في أبيات تسعة !

بل هو يفتتح قصيدة « الحب والشكوى »[١٠٨٤] وهي قصيدة في الشكوى والتأمل في الحياة وشؤونها بهذه المقدمة الطللية وبألفاظ مغرقة في التقليد :

من العاكف الثاوي على الربع قد أقوى
تكلف شكواه عسى تنفع الشكوى ؟

ويبدأ اثنتين من قصائده الغزلية ومقطوعة اخرى في الغرض نفسه ، بمقدمة خمرية ، وهذه عناوينها ومطالعها :

« أعيادوافراح »[١٠٨٥] ومطلعها:

عَدوا عن العيد لست اليوم بالصاحي   مواسم القرب أعيادي وأفراحي

« سوانح في الحب »[١٠٨٦] ومطلعها :

عَدِّها للصحاة بالله عني   أي شيء أبقت لتأخذ مني

نشوة الحب[٧٨] ومطلعها :

سقوه ثم قالوا : هل يفيق ؟   أجل لو كان غيركم الرحيق

(١٠٨٣) الديوان : ص١١٧ .
(١٠٨٤) الديوان : ص١٤٦ .
(١٠٨٥) الديوان : ص١٣٩ .
(١٠٨٦) الديوان : ص١٤٤ .

ولو ان هذه الاستهلال هو من باب الجري مع التقليد الذي جرت عليه القصيدة العربية منذ العصر الجاهلي ، ونشأ الشبيبي فوجد الشعر يلتزمه في كثير من الاحيان ، فهو كيفما يكون محاولة للفت ذهن المتلقي لما يريد أن يقوله الشاعر ، كما ذهب ابن قتيبة(١٠٨٨) . ومن شاركه من النقاد ، قدماء ومحدثين في هذا التعليل لظاهرة مقدمة النسيب في القصيدة العربية .وان استبدال الحديث الخمري بمقدمة النسيب ، لدى الحقيقة ، لا يعدو أن يكون استمراراً لهذا التقليد بموضوع اخر . أقول ولو ان هذه المقدمة صارت تقليداً فأنت ترى فيها لدى الشبيبي تمهيدا لذهن القارىء لما يطرحة في قصيدته . وقد عد بعض النقاد أنه « من براعة الاستهلال هذا الغزل الذي يقع في مفتتح القصائد اذا كان الجو المخيم عليه هو الجو نفسه المخيم على القصيدة الاصلية . والواقع ان الشاعر الذي يسيطر عليه غرض خاص يخيم عليه جو يناسب هذا الغرض ، وحينئذ يكون الغزل الذي في مفتتح القصيدة مسيطرا عليه هذا الجو ، فيكون الغزل فرحا ان كانت القصيدة فرحة ، وحزينا ان كانت حزينة ، ومفتخرا ان كانت فخرا ، ومعاتبا ان كانت عتابا ، ومخاصما اذا كانت القصيدة خصاما »(١٠٨٩) . وهذا ما نشاهده في مقدمة النسيب في شعر الشبيبي . فأنت اذ تقرأ قصائده المستهلة بالنسيب تجد في كل منها جوا شاكيا ودافقا لغبن أو ملفوفا بالضيق والحزن . وما تجده في مقدمة النسيب هو صوت العاشق المتألم الذي يقدم كل ما يملك دون مقابل ، يقدم به لقصائد جلها حول شؤون العراق والبلاد العربية في ظل الحكم العثماني .

وأنت اذ تسترسل مع المقدمة لا تجد شاعرنا يتخلص منها بلباقة ، كما اعتدنا من كثير من الشعراء حين يتخلصون ، أو كما حدثنا النقاد العرب عن حسن التخلص ، بل تجده يقفز مقتضبا ، وتجد ان هذه الرفقة المنسجمة منذ أول القصيدة وحتى الوصول الى الغرض المقصود قد ذهبت ، وانت مضطر

(١٠٨٨) الشعر والشعراء ص٢٠

(١٠٨٩) د . احمد احمد بدوي : أسس النقد الادبي عند العرب ص٣٠٧

منذ انتهاء تلك المقدمة أن تدخل ، مع ما ترسب في نفسك من جو الى الغرض فجأة ، وكأن هذا الشوط الذي قطعته ليس في امكانه أن يوصلك الا الى هنا لا أكثر .

وهو في غير هذه القصائد يتخلص من هذه المقدمة التقليدية وهو في بعضها يجعل المطالع غير مصرّعة . والتصريع من القليل الذي نتطلبه في مطالع القصائد من عناية « واذا كان القدماء قد عنوا بمطلع القصيدة ، فاهتم به الشعراء من ناحية ، ووقف عنده النقاد من ناحية اخرى ، فذلك لعلمهم بأنه أول ما يقرع السمع ، فشرطوا فيه ما شرطوه ، من ناحية المعنى وناحية اللفظ ، ورأوا من كماله أن يكون تام الموسيقى بالتصريع بأن يستوي اخر جزء في صدر البيت واخر جزء في عجزه وزنا واعرابا ورويا »[١٠٩٠] . و « اذا لم يصرع الشاعر قصيدته كان كالمتسور ، الداخل من غير باب »[١٠٩١] . ولست أريد أن أقول ان قصائد الشبيبي هذه رديئة المطالع ، ولكني أقول ان التوفيق يخونه أحيانا في القصائد غير ذات المقدمة النسيبية . واذا كانت لديه قصائد قوية المطالع مثل القصائد التي مطالعها المطالع التالية :

× لا الجبن ثار فأطفانا ولا البخل	الثائر الحقد بالاقوام والدخل[١٠٩٢]
× ماذا بنا وبذي الديار يراد ؟	فقدت دمشق وقبلها بغداد[١٠٩٣]
× نبت الربا حمر أشلاء وأوراد	منثورة لك بين القصر فالوادي[١٠٩٤]
× أي دمع يفيض من أي مقله	لوقوفي بين الفرات ودجله[١٠٩٥]
× شباب طائش نزق	وشيب ما بهم رمق[١٠٩٦]

(١٠٩٠) المرجع السابق : الصفحة نفسها .
(١٠٩١) ابن رشيق القيرواني : العمدة جـ١ ص١٧٧ .
(١٠٩٢) الديوان : ص٢٧ ، قصيدة « ثورة على الاتراك » .
(١٠٩٣) الديوان : ص٣٣ ، « دمشق وبغداد » .
(١٠٩٤) الديوان : ص٤٨ ، « يوم الشعيبة » .
(١٠٩٥) الديوان : ص٥٣ ، « دجلة والفرات » .
(١٠٩٦) الديوان : ص٩٦ ، « الشباب الطائش » .

× فتنة الناس ـ وقينا الفتنا ـ باطل الحمد ومكذوب الثنا[١٠٩٧]

× عم الثغور الموحشات ظلام ودجت لانك ثغرها البسام[١٠٩٨]

فان لديه مثل مطالع القصائد التالية :

× « لغة الحب »[١٠٩٩] ومطلعها :

تفاهمتا عيني وعينك لحظة وأدركتا أن القلوب شواهد

وفيه أعاد الضمير ، الف الاثنين ، على متأخر ، واستعمل تعبير « القلوب شواهد » وهو اسلوب ضعيف ، كثيرا ما استعمل في لغة الحياة اليومية » • ثم اعتادوا أن يعتبروا القلب موضع الحب ، فاذا كانت القلوب شواهد على الحب فأين سيكون الحب الذي أدى اليه تفاهم العينين ؟ •

× « نحن تماثيل ، نحن مرائي »[١١٠٠] ومطلعها :

بعينيك يا بدر السماء عنائي فأنت ـ وان لم تدر ـ من ندمائي

ونحن لا نعرف أن للبدر عينين ، بل نعرف أن للناظر اليه عينين ، وليس في التعبير استعارة مناسبة •

× « الحب والشكوى »[١١٠١] ومطلعها :

من العاكف الثاوي على الربع قد أقوى تكلف شكواه عسى تنفع الشكوى

فذكر « تكلف » وأظن أنه أراد « شكا » عسى تنفع الشكوى • اذ كيف « يتكلف » الشكوى وهو في حال تدعو اليها • وان لم يكن الامر كذلك فقد أوقعنا في اللبس •

(١٠٩٧) الديوان : ص١٠٥ « باطل الحمد » .
(١٠٩٨) الديوان : ص١٨٥ « شهيد الدفاع » .
(١٠٩٩) الديوان: ص١٣٣ .
(١١٠٠) الديوان : ص٧٧ .
(١٠٥١) الديوان : ص٥٦ .

× « رثاء الشهداء »[١١٠٢] الذين شنقهم البغي العثماني في سوريا • ومطلعها :

مما يرد ليعرب عليـاءها ذكرى الشآم وأهلها شهداءهـا

فقد حصر زيادة علياء العروبة بذكرى الشآم وأهلها هؤلاء الشهداء • وزيادة علياء العروبة هي بهؤلاء الشهداء ، والعروبة كلها في جميع أوقاتها وليس بذكرى الشآم وأهلها فقط •

× « منتصف شوال »[١١٠٣] ومطلعها :

بوركت من رائح يا شهر أو غـادي ففيك دون شهور الله ميلادي

فهو بنسبة الشهور الى الله قد زاده في قلوبنا ، ولكنه اذ قال « رائح أو غادي » ، علاوة على هبوطها ، قد استجلبها بتعبير « ميلادي » ، الرائع •

× « سوانح في الحب والحكمة »[١١٠٤] ومطلعها :

كان الهوى بيننا سراً ـ ولم نكن ـ في عالم الروح لا في عالم البدن

فالجملة المعترضة غير ذات مؤدى ، و « عالم الروح » انهت المعنى وما بعدها جاء فائضا •

هذا ونلاحظ النثرية في مطالع قصائد اخرى مثل :

× الا أصلحوا من شأنها فهي أمـة الى الآن لاتنفك غامضة الشان[١١٠٥]

× يسائلني مـن لو درى لـم يسائل أنا الآن في شغل عن الردشاغل[١١٠٦]

× يقولون : أحيا المغربان حضـارة وما حييت الا لمصلحة الـذات[١١٠٧]

(١١٠٢) الديوان : ص١٨٤ .
(١١٠٣) الديوان : ص١١٢ .
(١١٠٤) الديوان : ص١٤٢ .
(١١٠٥) الديوان : ص٥٠ ، قصيدة « أوطار واوطان » .
(١١٠٦) الديوان : ص٦١ ، « الشعر بين الحق والباطل » .
(١١٠٧) الديوان : ص٦٤ ، « ولم ار كالانسان » •

ومقدمت النسيب التي مرت بنا هي احدى ظواهر تعدد الاغراض في بعض شعر الشبيبي ، وفقدان الوحدة الموضوعية . فهو اذ يبدأ بعض قصائده بالغزل ثم ينتقل الى غرض القصيدة ـ أو تفتقد هذه المقدمة ـ فهو لا يقصر القصيدة على موضوع واحد بل هو ينتقل الى جديد بغير ربط .

فأنت حين تقرأ قصيدة « الحرية والشعر »(١١٠٨) ، وقد اتفقت اثر ثورة احرار الاتراك من أجل الدستور سنة ١٩٠٨ ، تراه يبدأ القصيدة متحدثا عن الفرحة التي عمت البلاد في نهارها المظلم اثر اعلان الدستور ، وقد انعكست هذه الفرحة على ظواهر الطبيعة ، فأضاء عنها البرق وضحك المحيـــط وتبســـمت الافلاك ، وكتبت هذه المناسبة بحروف لا تنمحي ، واذا به ينتقل الى النعي على الشعراء المشغولين بالغزل التقليدي عما يدور حولهم . صحيح انه يدعو هؤلاء الى مشاركة الشعب . ولكنك حين تقرأ تشعر وكأنك تقرأ مقطوعتين مستقلتين على صفحة واحدة ، حاول أن يربط بينهما برابط العنوان !

واقرأ قصيدة « سوانح في الحب والحكمة »(١١٠٩) تره يستهلها بالحديث عن هواه ثم يمضي في ذلك لينتقل ليحدثنا عن بعض مفهومه للشعر . انـــه يستهلها بقوله :

كان الهوى بيننا سرا ـ ولم نكن ـ في عالم الروح لا في عالـــم البدن

الى أن يقول :

نـــاء عن العـين أهواه ولـــم أره من أجل ذلك يهواني ولـم يرني

ليقـــول :

ما من بصير بحق الشعر يحفظـــه كن شاعر الوقت أو كن شاعر الزمن
زن قبـل لفظك معنى البيت تنشه فرب بيت بمعنى غـــــير متـــزن
ركن الرفيـع من الابيات قافيـــة لا شأن للبيت تبنيه بـــلا ركـــن

(١١٠٨) الديوان : ص٥٢ .
(١١٠٩) الديوان : ص١٤٢ .

واستمع اليه في قصيدة « نشوة الحب »[1110] انه يستهلها بقوله :

سقوه ثم قالوا : هــل يفيــق   أجـل لو كان غـيركـم الرحيق

ويمضي يبث سكان الاعقة هواه حتى يقول :

فأمـا المــوت بعدكـــم وأمـا   حيـاة لا تطيب ولا تـــروق

وكأن ذكر الموت ، الذي يتردد ذكره في هذه المواضع مبالغة في التعبير عن الحب والاخلاص لدى الشعراء ، أقول وكأن ذكر الموت هنا فتح البـاب على مصراعيه للحديث عن « الموت » ، حديثا بعيدا عن الجو السابق . فهـو يقـول :

حياة قـد تقلصت انتهـــاء   كمـا يتقلص الظـل الوريق

طواها الموت وهي عميق سر   الى حيث انجلى السر العميق

مشت بي في الطريق ومذدنت بي   مــن الابديــة انتهت الطريق

. . . . الخ

واذا لاحظنا عدم وحدة الموضوع فيما مر ، وهو يجري بين موضوعـين يقتسمان القصيدة فاننا نلاحظ في بعض القصائد التنقل بين أكثر من ذلك .وقد تتحول القصيدة الى خواطر متفرقة يجمعها الوزن والقافية . وخير مثال عـلى ذلك قصيدته « الشعر بين الحق والباطل »[1111] . فهو يبدأ القصيدة بقوله :

يسائلني مــن لـو درى لم يسائـل   أنا الآن في شغل عن الرد شـــاغل

ويطلب منــي أن أقـــول ولم أشأ   وان شئت لـم أترك مقالا لقـــائـل

ولم يقل من الذي سأله وعن أي شيء . ولماذا هو في شغل عن الـــرد شاغل ؟ وربما كان الذي يحدثه هو الشبيبي نفسه ، وقد رغبت نفسه في نظم الشعر في وقت لم تكن هنالك تجربة ، بل رغبة في النظم وكفى ! .

(١١١٠) الديوان : ص١٥٥ .
(١١١١) الديوان : ص٦١ .

وهو بعد ذلك يمضي ليحدثنا عن أن الشعر يجب ألا يقال الا من أجل غاية مقترنة بالعمل تفرق بين الحق والباطل • وان القرائح منها الغزيرة المتدفقة ومنها الضحلة كالجدول نسبة الى البحر • ثم يتحدث عن صعوبة قرض الشعر فلا يقدر عليه غير المتمكن منه ، ثم يدير الحديث الى أثر الشعر عند القبائل وأهمية الشاعر عندها ليذكر لنا بيتا لا نعرف القصد به هو :

نشيدك من أبيات شعر نواقص دليل على أبيات شعر كوامل

ثم يعود ليتحدث عن أثر المعنى في الشعر حين يقول :

عقائل عقل الالمعي أرى لها من الصون عندي ما أرى للعقائل

ويتذكر وصف شعر « أبي تمام » بسلاسل الذهب ، فتجره « السلاسل » الى ادخالها في بيت شعر هو :

أما رفع (الطائي) في الذكر نعتنا وتشبيهنا أشعاره بالسلاسل ؟

ثم يتذكر رد « أبي عثمان الجاحظ » على من سأله عن حاله وهو مريض حين قال : شق مائل ، ولعاب سائل ، ولون حائل(*) ولم يكن الجاحظ في الشعراء ، كما هو معروف ، وليس هناك رابطة بين ما قاله عنه وبين ما سبقه سوى ان رد الجاحظ المسجوع يصلح لتقفية ثلاثة أبيات ! يعود بعدها الى الكلام على طبيعة الشعر ومعانيه فيقول :

من الشعر هزل مستجاد وربما أتاك صريح القول من هزل هازل

وتعجبنا منه حقائق جمة على انها منا تخاييل خائل

ويتذكر انه شاعر ، وان الشعر يعصيه مرة ويطاوعه اخرى أو يأتيه عفوا ثالثة ، ليقول لنا بعد ذلك انه يهيم بالابتكار ، وقد طال به العهد وهو لا يرى غير ناقلين ، ليعود مر اخرى ليتحدث عن المعنى في الشعر لينتقل الى

(*) يشير الشبيبي الى هذا الرد في هامش القصيدة • الديوان : ص٦٢ •

الى الكلام على غربة الانسان ، وعلى رأيه في الصديق المثالي • اقرأ الابيات التاليـة :

عفت بابل أم العـراق وجـددت | معانيك ـ اذ اوتيتها ـ سحر بابـل
معانيـك أرواح هياكلهـا اللغى | وسرك في الارواح لافي الهياكـل
تمر بـك الاسراب من كل خاطر | فتنقض فيهن انقضاض الاجـادل
وتسـجع ألحـانا تثير بـلابـلا | وتنسي حسان الطير سجع البلابـل
تسافر مـن معنى بعيـد لآخـر | وتطوي سهوب الفكر طي المراحل
اذا ارتفعـت نفس وجلت تعشقت | جـلال المعاني لا جـلال المنـازل
أرى غربـة الانسان شتى صنوفها | وأعظمهـا لقيان من لـم يشاكـل
وما كـل ربع غص بالناس آهـل | اذا كـان من معروفهـم غير آهل
شكا الناس فقد المجملين فليتهـم | دروا أن مـا نشكوه فقد المُجامِلِ
يرومـون من فرض المغارم سؤددا | وقـد سودً السادات حل الحمائل
يقـر لعينـي أن تطالـع صاحبا | اذا طـال في الاقران لـم يتطاول
أخا شدّة في العيش يزداد رقـة | • • • • • • • الخ

بعد ذلك يمضي مردداً :

يهون خروج المرء من كل مـأزق | اذا اعتاد ـ فيما اعتاد ـ لطف المداخل
من الطبع والذوق السليـم أدلـة | كفت ناقـد الاشياء وضع الدلائـل
اذا قام حسن الشيء في حد ذاتـه | فاثبات ذاك الحسن تحصيل حاصل

ثم يبين أهمية العلم للعاملين ، وان علم العالم اذا لم ينتفع به خير منـه جهل الجاهل ، وان العلم قرين العفة ، ليعود الى ترديد خواطر متفرقة حول الاخلاق والقدر والتواضع والموت ! •

* * *

وهناك خصائص اخرى نلحظها في شعر الشبيبي منها أنه يحاول احتذاء قصائد بعض الشعراء القدماء، أو أن بعض قصائده تذكرنا بقصائد لشعراء عرفهم وعرفناهم في تراثنا العربي . فأنت حين تقرأ قصيدة « عاذل وعاذر »(١١١٢) وتصل الى قوله :

كلاني أكابد في العراق بلية وليلا بأرجاء العراق بهيما
وأسود غربيباً تهاوى نجومه فيهوى به عقد الدموع نجوما

تتذكر قول النابغة الذبياني :

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب(١١١٣)

وأنت اذ تمضي في قراءة قصيدة « الاجتماع والشعراء »(١١١٤) التي مطلعها:

اذا استجليت بارقة اجتماع أضاء بنوره مجرى اليراع

تتذكر قصيدة قطري بن الفجاءة ، الشاعر الخارجي ، التي مطلعها :

أقول لها وقد طارت شعاعا من الابطال ويحك لا تراعي(١١١٥)

وأنت حين تمضي في مطالعة قصيدة « صيداء »(١١١٦) التي يستهلها بقوله:

عروس من البلدان ليس لها مهر ومصر سبتني لا الصعيد ولا مصر

تتذكر قصيدة أبي فراس الحمداني التي يستهلها بقوله :

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهي عليك ولا أمر(١١١٧)

(١١١٢) الديوان : ص٩ .
(١١١٣) « احد افاضل العصر » : التوضيح والبيان عن شعر نابغة ذبيان ص٤٢ .
(١١١٤) الديوان : ص١٦ .
(١١١٥) ابن خلكان : وفيات الاعيان في أنباء ابناء الزمان جـ٣ ص٢٥٦ .
(١١١٦) الديوان : ص١٦٦ .
(١١١٧) ديوان ابي فراس الحمداني : ص٢٠٩ .

ولسنا نريد ، هنا ، أن نطيل في الحديث عن هذه الظاهرة ، لاننا سنفعل ذلك في حديثنا عن « الشبيبي والشعراء الاخرون » في صفحات مقبلة •

ومما يلفت النظر في شعر الشبيبي كثرة استعماله أسلوب « الاعتراض» • وحدُّه ، كما يقول ابن الاثير[١١١٨] « كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب لو سقط لبقي الاول على حاله » • وهو يقسمه الى قسمين • الاول : جار مجرى التوكيد • والثاني : ما لا فائدة فيه أو كان منقصا للمعنى أو مفسداً اياه• وأكثر شعر الشبيبي من القسم الاول ، اذ يأتي ما يريد به وقد كسب قوة أكدت ما أراده ، ومده بطاقة تزيد من أبعاد معناه • استمع الى قوله :

واذا أراد الله رقدة أمة — حتى تضيع — أضاعها أخلاقها[١١١٩]

فهو باعتراضه هذا قد زاد معناه قوة ، اذ به أوضح لنا ان ضياع اخلاق أمة لا يعنى ان الله يسلمها الى الرقاد فحسب بل ان هذا الرقاد رقاد ضياع • ان ضياع أخلاق أمة من الامم رقاد مضيِّع ، مسلم الى التيه والضلال !

واستمع الى قوله وهو يتحدث عن أحوال العراق في أواخر العهد العثماني:

سهرت له السود الغرابيب انها ليالي افتكار ما لهن صباح
قتلت بآمالي دجاهن والمنى — اذا كافحتك النائبات — سلاح[١١٢٠]

فقوله « اذا كافحتك النائبات » زاد بعداً جديداً لمعنى المنى • فالانسان يحيا على المنى ، والحياة بدونها صحراء قاسية ، فكيف اذا كان المرء في شدة ، في كفاح مع فساد مستشر يسد عليه المسالك ، وكيف اذا كان المرء في حال كهذه والنوائب ليست تسد عليه الطريق فحسب بل هي أيضا تكافحه ؟!

(١١١٨) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : جـ٣ ص٤٠ .
(١١١٩) الديوان : ص٤ .
(١١٢٠) الديوان : ص٤١ .

واستمع اليه مخاطبا « الشباب » • انه يستهل قصيدته بقوله :

أنتم ـ متعتم بالسؤدد يا شباب اليوم ـ أشياخ الغد[1121]

فهو يبدأ خطابه بهذا الدعاء للشباب بالسؤدد ، وهو ما يأمله الشباب ويسعون اليه ، ويأمل منهم وينتظر • متعتم بالسؤدد ، أي شيء يريده الشباب ويراد منهم غير السؤدد وأن يمتعوا به ؟!

واقرأ قوله مخاطباً « العصر » :

لم تزل ـ ويحك يا عصر أفق ـ عصر ألقاب كبار وكنى[1122]

فهو في « ويحك يا عصر أفق » يقرّع هذا العصر السادر في غفوته ، هذا العصر الذي لم يفرق بين الجوهر والعرض لانه مشغول بالالقاب والكنى عن وضع الامور في نصابها •

ولسنا نريد أن نستشهد بكل ما ورد من ذلك في شعره ، ونكتفي بالاشارة الى أمثلة أخرى • استمع الى هذه الابيات :

× فتنة الناس ـ وقيت الفتنا ـ باطل الحمد ومكذوب الثنا[1123]

× لمن ـ خفف الله أطماعكم ـ لمن تكنزون حطام الدنى[1124]

× واكذب عصر ما تشدق أهله
على ظلمهم ـ بالعدل أو بالمساواة[1125]

× فكم أتمنى ـ والاماني ضلة ـ
وأقتل فيها الوقت والوقت متمن[1126]

(1121) الديوان : ص81 .
(1122) الديوان : ص105 .
(1123) الديوان : ص105 .
(1124) الديوان : ص109 .
(1125) الديوان : ص113 .
(1126) الديوان : ص129 .

× كتبت وقـــد جاريـت ـ فيمـــا ظننتـه

علاجـاً لاهواء النفوس ـ هـوى نفسي[(١١٢٧)]

× ســـؤر عينيـــك باعـث نشــــواتي

ـ اى وعينيـك ـ يـــا كـثير التجنـي[(١١٢٨)]

ولسنا نقول ان كل ما ورد في شعره من اعتراض كان في موضعه ، فشعره لا يخلو من مواضع لا يكون فيها ذلك غير حشو من الحشو ، لم يأت لفائـدة، وانما تعكَّز به ليستقيم له الوزن ، كما في الابيات الاتية ، مثلا :

× مغارب الارض لا تهوى مشارقهـــا

هيهات ندنو ـ نعم ـ هيهات نقترب[(١١٢٩)]

× من آدم ثم مــن حـــواء زوجتـــه

للناس أم نمتهـم ـ كلهـــم ـ وأب[(١١٣٠)]

× غبنا فلـم نر في الوجـود ســـواهم

هذا المغيب ـ أجل ـ فكيف المشهد[(١١٣١)]

× عفت بابـل أم العراق وجـــددت

معانيـك ـ اذ اوتيتها ـ سحر بابل[(١١٣٢)]

والشبيبي يلجأ في شعره الى ما يعرف بـ « التذييل الجارى مجرى المثل »» ويختم به بعض الابيات بذيل ترفل به يستدعيه المقام ، يكمل به معنى البيت بتألق . وليس ذلك متأت من معنى جديد توصل اليه الشبيبي دون غيره ، أو

(١١٢٧) الديوان : ص١٢٩ .
(١١٢٨) الديوان : ص١٤٤ .
(١١٢٩) الديوان : ص٦٦ .
(١١٣٠) الديوان : ص٦٧ .
(١١٣١) الديوان : ص١٤٩ .
(١١٣٢) الديوان : : ص٦٣ .

حكمة نافذة عجزت عن بلوغها بصائر الاخرين ، وانما لهذه الصياغة الجميلة ، ولهذا التناسب بين البيت وما ذيل به • اقرأ قوله :

العلـم والمـال اثراء واقـلال — وامتع الثروتين العلم لا المال[(١١٣٣)]
ما لي آرى الناس بالاعراض قدفتنوا — (والافتتان بحب الشيء قتال)

وإقرأ قوله في القصيدة نفسها :

وظامىء لا يذوق العذب وارده — ولفظه بفم الظمآن سلسال
اذا فتحت ضميرا منه أقفله — حمدته (وقلوب الناس أقفال)

فقوله « والافتتان بحب الشيء قتال » وقوله « قلوب الناس أقفال » ليسا من المعاني المبتكرة ، وانما هما معنيان معروفان ، تصل معرفتهما حتى الى عامة الناس ، ولكننا نجدها هنا بلورا ومعنى يضفي على ما سبقهما سعة وشمولا • وانت واجد شبه ذلك في الابيات التالية :

× يا خليليَّ ان تشاءا اسعداني
في شجوني (والخل يسعد خله)[(١١٣٤)]

× أيها الآخرون هلا أراكم
كالأوالي (والفرع يتبع أصله)[(١١٣٥)]

× محيرون قد استهوى عقولكم
جهل (وبعض ضروب الجهل تنويم)[(١١٣٦)]

(١١٣٣) الديوان : ص١١٩ .
(١١٣٤) الديوان : ص٥٤ .
(١١٣٥) الديوان : الصفحة نفسها .
(١١٣٦) الديوان : ص٥٧ .

× وكـم يبتغـي مني رفـاقي أننـي
أماثلهم في الخلق (والخلق معدن)[١١٣٧]
× كـان الزمـان الذي ولى بشرّتنـا
ظلاً و (أية ظل غـير منتقـل)[١١٣٨]
× أيـاد حميدات أرى الشكر دونهـا
(ورب أياد لا يقوم بها الشـكر)[١١٣٩]

او هو يذيّل بعض أبيات شعره بتضمينه أشطراً من شعر بعض الشـعراء القدامى ، كما في قـولـه في قصيدة « خـــواطر اليوم أقـــوال الغد وأعمـــال مـا بعد »[١١٤٠] .

مضت قرون ودالـت قبلهـــا دول « أخنى عليها الذي أخنى على لبد »

وهو مأخوذ من قول النابغة الذبياني في داليته :

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد[١١٤١]

وقوله في قصيدة « جولة في الغابرين »[١١٤٢] .

ودرجت أسبح في الخيـــال فمر بي شبحٌ عليه سكينة ووقـار
أوحـى الـي فكـــان همس بيـــانـه « لا أنت أنت ولا الديارديار »

وهو مأخوذ من مطلع قصيدة لابي تمام هو :

لا أنـت أنـت ولا الديـــار ديـار خف الهوى وتولت الأوطار[١١٤٣]

(١١٣٨) الديوان : ص١٤١ .
(١١٣٩) الديوان : ص١٦٧ .
(١١٤٠) الديوان : ص٨٤ .
(١١٤١) التبريزي : شرح القصائد العشر ص٣٩٦ .
(١١٤٢) الديوان : ص٦٩ .
(١١٤٣) ديوان ابي تمام : مجـ٢ ص١٦٦ .

وقوله في رثاء باقر الهندي :

ولـم أر نعشــا بالثناء مشـيعا « يمر على الوادي فتثنى رماله»(١١٤٤)

× وهو مأخوذ من قول أبي يعلى حمزة بن عبدالرزاق بن أبي حصين في رثاء مخلص الدولة مقلد بن نصر الكناني :

كأن ابن نصر سـائرا في سـريره حياء من الوسمى أقشـع هاطلـه
يمر على الوادي فتثني رمالـه عليـه وبالنادي فتبكي أرامله(١١٤٥)

وقوله في قصيدة « رثاء أستاذ »(١١٤٦)

اذا تدانوا وقلنـا : قومنـا اتفقـوا « أضحى التنائي بديلاً من تدانينا»

وهو من قول ابن زيدون :

أضحى التنائي بديلا من تدانينـا وناب عن طيب لقيانا تجافينـا(١١٤٧)

ومما يلاحظ في شعر الشبيبي أنه يعمد الى اسلوب « الحوار » ، ملونا به نسيج شعره مضفيا عليه ضربا من الحركة وقوة التعبير ، كما نلاحـظ في قصيدته « الهوى »(١١٤٨) ، فهو يقول فيها :

قالوا : الفـراق فقلت : اي وحياته ان الفـراق عليَّ سـهل صعبـه
مـا فـارق القمر المزايل ناظري الا وعرَّس في الجوانـح ركبـه
قالوا : اعتزلت الناس قلت : متيـم في الحـب ديدنـه النفـار ودأبـه

وفي الابيات التالية من قصيدة « خواطر اليوم أقـوال الغـد وأعمـال

(١١٤٤) الخاقاني : شعراء الغري جـ٩ ص٧٥ .
(١١٤٥) علي الخاقاني : العلامة الصادق في ذكراه الاولى ، هامش ص٤٤ .
(١١٤٦) الديوان : ص١٨٩ .
(١١٤٧) ديوان ابن زيدون : ص١٦٥ .
(١١٤٨) الديوان : ص١٣٥ .

مـا بعد »[١١٤٩] نجد الحوار وقد تشابك بحيوية وتدفق لما يشوبه من انفعـال وهو يجري بين الشاعر وبين « الآخرين » !

لا قلت للعين نحو الباطل التفتـي ... أنّى يكون جلاء العين بالرمـد ؟!
قـالوا : أتكره نقد الناس قلت : نعم ... اذا استعار عدوي ثـــوب منتقـــد
قالــوا : فقد خلّدوهــا عنك سيئة ... فقلت : ما دار سوء القصد في خلدي
قالوا :فناظر ـ وصوت الحق مرتفع ـ ... فقلت : هذا قياس غـــير مطـــرد
مقلـدون بما فاهـوا وما كتمــوا ... عرفـت داءهـم عرفان مجتهـــد

وهو في قصيدة « تيتنيك »[١١٥٠] وقد نظمها في غرق الباخرة التي تحمـل الأسم نفسه ، يصور شبه مسرحية قصيرة تبدأ بتعريفنا بشخصياتها ثم يديـر الحوار بينها . ولنقرأ قوله :

ولرب منتظرين آخـــر قبلـــة ... أدنت ضحوكـة مبســـم لضحوك
يتشـــاكيـان وانمـا هـي ألســن ... لولا البـلاء لأفصحت تشـــكوك
أفراق أختـك هيّن" ؟ فيجيبها ... كلا ، يهون اذن فـــراق أخيـــك
يـا روحي احتملي الشقاء فربما ... يـا روح أسعدك الذي يشـقيـك

ويجري مخمس « القطرات الثلاث »[١١٥١] في حوار يدور بين قطـرات ثلاث : قطرة مطر ، وقطرة نفضتها قمرية غمرت نفسها بماء قراح على خدود الاقاحي ، وقطرة دمع . وهي تبدأ بقوله :

قطرات قـــد انتثرن ثلاثـــا ... فوق زهـراء من نتاج الربيـع
* * *
قلن : من أصلهـا أعزّ وأغلى ... فانبـــرت قطـرة دعتهن : مهلا

(١١٤٩) الديوان : ص٨٣ .
(١١٥٠) الديوان : ص١٦٩ .
(١١٥١) الخاقاني : شعراء الغري جـ٩ ص٣٨ .

أنا أصلـي ماء السـيناء المعلّى وهو حسبي يـوم المفاخر أصلا

والد بأسمه حيـاة الربـــوع

وتمضي هذه القطرة في حديثها عن نفسها وكيف أنها تولدت من البخار، ثم أخذت تروي الحقول والازهار وتحيى ميت الارض •

فادّعـت قطـرة كقطـرة راح أن قمريـــة خفـوق الجنـــاح

غمرت نفسها بمـــاء قـــراح نفضتني عـــلى خـدود الاقـاح

باسقات الاصول خضل الفروع

وانها بنت جدول ذي منظر يستبي القلوب ، هو وقت الغروب ذوب التبر وفي الشروق اللجين •

فرنت قطرة لها الطير هينـــم ولهـــا عابس الوجـــود تبسَّم

أنا ، قالت ، وقولها غير مبهـم : أنـا من ذلك البخار الـــذي لم

يتصعَّد الا بنار الضلوع

ثم تمضي متحدثة عن نفسها شأن الاخرين •

وهو يعمد الى « الفصل » في بعض أبيات شعره ، فتجد البيت وقد ضـم جملتين مستقلتين يضمهما الى بعض معنى البيت العام ، فيضفي بذلك لونا مـن الجمال المعبر ، كما في قوله في الغزل :

كم أداريكم واسـتخذي لكـم ضعف الصبر وقل الاحتمال(١١٥٢)

فأنت تراه في الشطر الاول يشكو متاعب حبه الى محبوبته ، فهـو يداري ويستخذي ولكن دونما نتيجة • فتظن أنه عبر عما أراد وسلم أمره الى الله ! ولكن قلبه المشوق يعود بجملة شاكية ما آل اليه حاله من ضعف صـبر وقلـة احتمال ، وكأنه يتنهد بالكلمات !

(١١٥٢) الديوان : ص٩٢ .

واقرأ البيت التالي ، وهو في الغزل أيضا :

ثنيت اليك النفس عن شهواتها وجاهدتها . ما حُبُّ من لم يجاهد ؟[1153]

فكأنه حين شرح للحبيبة عفته ومغالبة نفسه ثم انتبه ، وربما محدثا نفسه قبل غيره ، وكأنه يريد أن يقول انه غير متفضل بذلك ، فما حب من لا يجاهد ؟ .

واستمع الى قوله في « صيداء »[1154] :

وغير كثير من بدائع بلدة كصيداء أن أغرى بها انها السحر

فهو قد جعل « انها السحر » مستقلة ، دون أن يربطها لانه يريد لهذه الجملة أن تقف وحدها لتعبر عن سحر صيداء . وكأن هذا السحر قضية لا جدال فيها ! .

واذا لاحظنا توفيقه في الامثلة السابقة فنحن نجده في أبيات اخرى يعوزه التوفيق ، وكأنه ألصق الجمل بعضها ببعض لتكملة البيت كما في قوله الغزلي:

ما لمن لا بكم معذرة ان هذي عثرات لا تقال[1155]

أو قوله في مخاطبة البدر :

واشرقت يا بدر فصل الرقيب علينا ، لقد جئت احدى الكبر[1156]

ومما يراه مطالع شعر الشبيبي هو كثرة استعماله « نون النسوة » للدلالة على غير العاقل . وهذه بعض الامثلة على ذلك :

× نزلت بحيرتي الهموم فلم تطق

حتى (نزلن) بكاهلي فأطاقها[1157]

(1153) الديوان : ص١٣٣ .
(1154) الديوان : ص١٦٦
(1155) الديوان : ص٩٢ .
(1156) الديوان :ص١٥٣ .
(1157) الديوان : ص٣ .

× ألنت بهـا جنب الخطوب شـدائـداً
وسـاهلت وقـع الحـادثات صـعابـا
(فثقفن) أضلاعـي و (كن) حوانيـا
و (عاجمن) أعوادي و (كن) صلابا(١١٥٨)

× هنـاك تأملت الديـار مواثـلا
(تفوّرنَ) أنشازا و (ضقن) رحابا(١١٥٩)
فأرسـلت (فيهن) الامـاني فأخفقت
وسرحت (فيهن) الرجاء فخـابـا(١١٥٩)

× أصـعّد أنفاسي (بهن) لـوافحـاً
وأندب أجفـاني (لهن) سـحابـا(١١٦٠)

× قد كنت أحسب أن الحُلْك من زمني
هذي لياليَّ (فاحلـولكن) أيامـي(١١٦١)

× فررت من عقبـات كنت أحسبهـا
خلفـي فلاقيـت (أدهاهن) قدامي(١١٦٢)

× رأيـت المنى للناشـين سـعادة
وان لـم يصدق (حملهن) نجـاح
وأي حياة ليس تعـذب بالمنـى
و (هن) على خصر الحياة وشـاح

(١١٥٨) الديوان : ص٦ .
(١١٥٩) الديوان : ص٦ .
(١١٦٠) الديوان : ص٦ .
(١١٦١) الديوان : ص٢١ . يلاحظ انه اتى بفاعلين للفعل (احلولك) نـون النسوة وايام .
(١١٦٢) الديوان : ص٢١ .

ولو شئت كللت الزمـــان أمانيـــا

(لهن) بفكـــري غـــدوة ورواح[١١٦٣]

× حقـائق لا نحـــيط (بهن) بعضـــاً

ولو أفنيت عمـر الـــدهر كـلا

وهـــب أنـــا (علمناهـن) فزعـــاً

فـانا ليس (نعلمهـن) أصـــــلا[١١٦٤]

× يا حائما فوق الغصـون ومـــا درى

وقعـت (عليهن) النفوس الحـوّم[١١٦٥]

* * *

وهكذا التزم الشبيبي في القصيدة بناءها التقليدي ، وتراوح فيها بين الطول والقصر وقد خرج عنها قليلاً في مطلع حياته الشعرية .

وهو اذ فتح عينيه على قواعد راسخة في بناء القصيدة العربيـــة مـن حيث المستهل والتخلص والختام وغيرها سار على بعضها وخرج عن البعض الاخـــر كغيره من الشعراء البارزين في حقبته ، فالتقت في شعره رواسب القديم وبواكـير الجديـد .

ويبدو في شعره الميل الى الاعتراض والتذييل الجاري مجرى المثل والتضمين والفصل والاكثار من استعمال نون النسوة لغير العاقل هذا بالاضافة الى محـاولات في احتذاء بعض قصائد معروفة أو أبيات مشهورة لشعراء العرب القدامى ممـــا سنفصّله في الصفحات الآتية :

٥ ـ الشبيبي والشعراء الآخـرون :

لا شك أن شاعرا مثل الشبيبي قد أطلع على جوانب واسعة مـــن التراث

(١١٦٣) الديوان : ص٤١ .

(١١٦٤) الديوان : ص١٢١ .

(١١٦٥) الديوان : ص١٦٠ .

الشعري العربي ، والا ما بلغ ما بلغه في مضمار الشعر • ومعروف أن من أهم ما يغني شاعرية الشاعر ويصقل ملكته أن يقرأ قمم هذا التراث فيحسن القراءة وقد فعل الشبيبي ذلك كله • وقد رد على سؤال وجهته اليه مجلة « الحديث »(١١٦٦) الحلبية عن الكتب التي أفادته في ثقافته الادبية قائلا :

« قرأت من كتب اللغة والشعر والادب أشهر دواوين شعراء اللغة العربية من ذلك دواوين أبي تمام والبحتري والمتنبي وأبي العلاء المعري والشريف الرضي وكثيرا من الكتب المؤلفة في أخبارهم ونقد أشعارهم » • وقد أشار في شعره الى اعجابه بعدد من فحول شعراء العربية ومبرزيهم • فأنت تراه حين يفتخر بشعره يرنو اليهم • فهو يقول في احدى قصائده :

أنا من سيَّر الكواكب شعرا تتوالى بكم فيملأن كتبي
ربما جاء في القريض نبي همُّه نسخ آية المتنبي(١١٦٧)

فهو هنا يفخر بشعره حتى الادعاء بنبوة جديدة للشعر تنسخ نبوة نبي الشعر المتنبي ! وربما كان تلقيب أبي الطيب بالمتنبي هي التي جرته الى اعتباره نبي الشعر ومن ثم الى افتخاره بنسخ نبوته ، الا أن ذلك يدل ولا شك على اعجابه الشديد بالمتنبي وتعظيمه اياه •

وهو يقول في قصيدة اخرى :

لولا انفراد أحبتي بخصالهم ما سار لي في الدهر بيت مفرد
فاذا نظمت لهم فاني (مسلم) واذا شدوت بهم فاني (معبد)
يتجسَّد (الطائي) بي وقريضه و (البحتري)من الفحول و (أحمد)(١١٦٨)

وواضح في هذه الابيات أيضا اعجابه بمسلم بن الوليد وابي تمام والبحتري

(١١٦٦) مجـ١٦ ع٢ (شباط ١٩٤٢) ص٦٦ .
(١١٦٧) الديوان : ص٦٦ .
(١١٦٨) الديوان : ص١٤٩ .

والمتنبي ، واعتبارهم ذروة الشاعرية • ولكن هـل تأثر الشبيبي بهـؤلاء أو بغيرهم ؟ لنستمع الى جوابه عن سؤال وجه اليه بهذا الصدد • فقد طرح عليه السؤال التالي : « يرى بعض النقاد أن من المحتم تأثر شاعر بشاعر • ما هـي كلمتكم حول هذا الرأي ؟ وهل تأثرتم بأحد من شعراء العرب أو الغرب ؟ » فأجاب : « لا يستغرب تأثر شاعر حديث بشاعر قديم ، ولا يستنكر اعجاب شاعر بشاعر معين ، فكثير من الشعراء القدماء والمحدثين حذوا حذو آخرين وقلدوهم في أساليبهم • أما أنا فلم أتأثر بشاعر عربي أو غربي »(١١٦٩) •

ذاك هو السؤال وهذا هو الجواب • والذي أود أن أعلق به على السؤال انه ليس من المحتم أن يتأثر شاعر بشاعر • أعني ان هذه الحتمية غير موجودة، فهناك بعض الشعراء من كان شعرهم حصيلة الموهبة والاطلاع الواسع على النتاج الشعري القديم والحديث وغير ذلك مما تستلزمه الشاعرية ، دون أن نقـول ونحن نقرأ شعر هؤلاء الشعراء ان هذا الشاعر متأثر بذلك الشاعر • ولسـنا نريد أن نمضي في مناقشة سؤال السائل ، طالما انه قد ذكر في سؤاله ان هذه الحتمية هي رأي « بعض » النقاد •

أما عن جواب الشبيبي فلم نعرف أن الشبيبي أهتم يوما بالشعر الغربي عامة ، ناهيك عن شاعر معين يتأثر به • أما عن تأثره بشاعر عربي ، فهو ذكر لنا أنه لم يفعل • ولو اننا لا نتوقع وقت أن يطرح هذا السؤال عـلى شاعر ، أي شاعر ، أنه سيجيب بالايجاب دائما ، فربما منعه الكبرياء أو شيء مـن قبيل ذلك • ولكنني أرى ــ وأرجو ان أكون قد وفقت الى الصـواب ــ أن الشبيبي لم يتأثر بشاعر بعينه • نحن قد نجد عنده « هذه الديباجة العباسـية المتماسكة كالدمقس، اللماعة كالارجوان» كما قال عن شعره مارون عبود(١١٧٠)، ولكننا ، وقد عرفنا الشعراء الذين أعجب بهم وكلهم من العباسيين ، لا نقـرأ شعر الشبيبي فنقول انه تأثر بهذا الشاعر بعينه • صحيح ان دماء القديم تجري

(١١٦٩) خضر الولي : آراء في الشعر والقصة جـ١ ص٨ .
(١١٧٠) مجددون ومجترون : ص١٤٠ .

في الكثير من شرايين شعره ، ولكن تلك مسألة اخرى • واذا كنا قد قلنا ذلك فانه لا يمنعنا من أن نرى تأثر الشبيبي ببعض قصائد لهؤلاء أو ببعض أبيات لهم أو لغيرهم ، فان تأثر شاعر بقصيدة معينة ، أو ببيت معين من البداهة أنه لا يترتب عليه أن نقول انه متأثر بهذا الشاعر • والشبيبي الذي سبق أن حدثنا عن اعجابه بشعراء معينين ، يحدثنا عن اعجابه بقصائد معينة • فهو يقول في جواب عن سؤال وجه اليه حول الكتاب الذي يؤثر قراءته لما فيه من متاع فني :

« ••• ولا يجهدنا العثور في أدب شعرائنا الفحول على درر ثمينة وقطع فنية نفيسة من ذلك ، مثلا ، سينية البحتري في وصف ايوان كسرى ، ورائيته في وصف جمال الربيع في الشام ، وقصيدته في وصف الاسد ، وقصائد أبي فراس الحمداني التي قالها وهو أسير في الروم ، ومن بينها قصيدة أرسلها الى والدته من أبدع ما قيل في التعبير عن علاقة والد بوالدته • وهي تذكرنا بقصيدة لابي الطيب المتنبي في رثاء سيدة من قريباته • وهكذا الى قصائد أبي فراس في حروب بني حمدان مع الروم • هذا الى قطع وقصائد من أنفس ما يقرأ في شعر أبي فراس وابن الرومي والمعري والشريف الرضي وابن هاني واخرين من شعرائنا الفحول »(١١٧١) •

وهو اذا قال لنا عن بعض ما أعجبه من شعر هؤلاء الشعراء فنحن نرى اعجابه بقصائد اخرى لهؤلاء الشعراء أو لغيرهم • فقد لاحظنا ونحن نقرأ بعض قصائده أنها تذكرنا بقصائد لغيره من الشعراء ، كما مر • ونحن ـ اضافة ـ اذا قرأنا قصيدة « صيداء »(١١٧٢) التي مطلعها :

عروس من البلدان ليس لها مهر ومصر سبتني لا الصعيد ولا مصر

تتذكر رائية أبي فراس الحمداني التي مطلعها :

(١١٧١) « حوار قديم في الادب والفلسفة وفي مآخذ الدراسات العراقية » ، مجلة « الحديث » العدد المفقود .

(١١٧٢) الديوان : ص١٦٦ .

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهي عليك ولا أمر[1173]

لما بينهما من لمحات في الشكل . واذا قرأنا قصيدته « خيال الصحراء»[1174] التي مطلعهـا :

حمامـة هذا المشرف المتعـالي خذي العيش رغدا مستريحة بال

نلاحظ معارضة الشبيبي لاحدى روميات هذا الشاعر ، وهي لاميته التي يناجي بها الحمامة . ومطلعها :

أقول وقد ناحت بقربي حمامة أيا جارتا هل بات حالك حالي ؟[1175]

ورومية أبي فراس هذه من سبعة أبيات ، قصرها على مناجاة الحمامة وبثها شكواه ، في حين بلغت قصيدة الشبيبي ثمانية عشر بيتا بدأها كما بدأ الحمداني بمخاطبة الحمامة ، ثم تخلص الى النسيب والى الوصـف . والحمداني يعجب من نوع حمامته ، ويتساءل أبات حالها حاله فناحت ؟ مع أنها لم تعرف آلام الفراق ولا خطرت منها الهموم ببال . ثم كيف تكون حزينة ولها من القـوة ما تستطيع بها الوصول الى الغصن الثاني المرتفع ؟ وكيف تبكي وهي الطليقـة في الوقت الذي يضحك فيه وهو المأسور المحزون المفارق ؟ ولو اننا لا ندري أي ضحك هذا الذي يضحكه مثله ، ذو الروح الضعيفة التي تتردد في جسم بال يتعذّب ، يطلب صاحبهما الانصاف من هذه الحمامة ليقاسمها الهموم !

في حين ان حمامة الشبيبي طروب ، فجناحها الملوّن من صنع الربيـع ، وصدرها مزدان وجيدها حال وهي تأوي الى بانة تلاعبها ريح الصبا ، وشملهـا مجموع وقلبها سال . فحالها غير حال الشاعر .

ومقطوعة الحمداني في هذه التجربة الشعرية أكثر كثافة وتركيزا مـن أبيات الشبيبي ، ولهذا يشعر القارىء بالتعاطف معها أكثر مما يشعر حين يقرأ

(١١٧٣) ديوان ابي فراس الحمداني : ص٢٠٩ .
(١١٧٤) الديوان : ص١٥٨ .
(١١٧٥) ديوان أبي فراس الحمداني : ص٣٢٥ .

قصيدة الشبيبي . وروح الفروسية التي كان يتمتع بها أبو فراس واضحة في أبياته ، فهو يضحك رغم ما فيه ، اذ ان دمعه في الحوادث غال . ونحن اذ نقرأ قصيدة الشبيبي نلاحظ فيها شيئا من التناقض . فهو في البيت الاول يدعو الحمامة الى العيش رغدا مستريحة بال ، فكل شيء فيها وحولها يدعوها الى ذلك . ولكنه بعدئذ ،وبعد أن يعدد ما تنعم به ، يتساءل ماله لا يلقاها الا طروبا؟ ويتساءل أما لها ما تشكو منه ؟ .

وواضح تأثر الشبيبي في صياغة البيت الاخير من أبياته ببيت الحمداني الذي قبل الاخير . فأبو فراس يقول :

أيضحك مأسور وتبكي طليقة ويسكت محزون ويندب سالي؟

ويقول الشبيبي :

فشملي مصدوع وشملك جامع وقلبي مشتاق وقلبك سالي

وحين تقرأ قصيدة الشبيبي « ثورة على الاتراك أو شكوى وعتاب »(١١٧٦) ومطلعها :

لا الجبن ثار فأطفانا ولا البخل الثائر الحقد بالاقوام والدخل

نلاحظ معارضته بها قصيدة المتنبي الميمية في عتاب سيف الدولة الحمداني التي يستهلها بقوله :

واحر قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده سقم(١١٧٧)

فالقصيدتان المتشابهتا الوزن المختلفتا الروى كلتاهما في عتاب محبوب ـ قدم له الشاعر ما يستطيع ، المتنبي مدائحه الرائعة ، والشبيبي وقومه ولاءهم وتضحياتهم ـ بعد أن طفح به الكيل وقت أن لقي غير ما كان ينتظر .

فقصيدة المتنبي في سيف الدولة أنشدها وقت أن « كان سيف الدولة

(١١٧٦) الديوان : ص٣٦ .
(١١٧٧) عبد الرحمن البرقوقي شرح ديوان المتنبي جـ٢ ص٢٥٨ .

اذا تأخر عنه مدحه شق عليه وأحضر من لا خير فيه وتقدم اليه بالتعرض له في مجلسه بما لا يحب وأكثر عليه مرة بعد مرة »[١١٧٨] . والشبيبي قال قصيدته بعد أن أدمى الاتراك قلبه بأفعالهم في العراقيين والنجفيين ، وهم الذين أحبوهم وآزروهم وضحوا في سبيلهم فكانت حصيلة ذلك غمط الحقوق والتنكيل والتشريد والشنق ! المتنبي والشبيبي كلاهما أحب الطرف الآخر ولكنه لم يلق ما كان ينتظر . ولو اننا نلاحظ أن عتاب المتنبي أرق فالامر بينه وبين سيف الدولة « عتاب » حول أمر كان المتنبي يرجو اصلاحه . والطرفان ما زالا على صلة ، ولكن الامر بين الشبيبي والاتراك « عتاب » ولكنه كما عنون القصيدة « ثورة على الاتراك » انتهت بعدها العلاقة بين الطرفين . ولهذا نجد المتنبي يبدأ قصيدته بمدح سيف الدولة وباظهار مودته نحوه ، ويظل يضرب على هذا الوتر ، رغم أن نغمه قد يخفت أحيانا عندما تعلو أنغام أخرى . ولكن الشبيبي منفعل مستفز حتى الثورة . قال في قصيدته ما امتلأت به نفس طالما داراها ، وكانت بعدها القطيعة ! .

والطول في قصيدة الشبيبي متأت من اتساع القضية التي يتحدث عنها فهي قضية أمة في مجالات متعددة ومتشابكة وعلى اتساع زمن طويل ، في حين أن قضية المتنبي شخصية ، وهو ما يزال ذا أمل في اصلاح الامور . واذا كان المتنبي يفخر بنفسه وبشاعريته وفروسيته ، وليس له الا أن يفعل ذلك ، منذ قوله :

أنا الذي نظر الاعمى الى أدبي ... واسمعت كلماتي من به صمم

حتى قوله :

صبحت في الفلوات الوحش منفردا ... حتى تعجب مني الغور والأكم

فان الشبيبي يعدد ما قدمه قومه العرب والعراقيون الى الاتراك ، وفي

(١١٧٨) المقدمة الايضاحية للقصيدة . المرجع السابق . الصفحة نفسها .

اسئلة تتوالى كتوالي السهام المنطلقة ، وبلهجة يسيطر فيها ، ان استطاع ، على أعصابه بصعوبة . اقرأ قوله :

أما صفحنا عن الماضي لاعينكـم ؟   أما أديلت لكـم أيامنـا الأول ؟
أمـا استجيشت كما شئتم كتائبنـا   حتى تفايض منها السهل والجبل؟
أما مشت تذرع الدنيا ؟ أما انقطعت   بها المتايه والغيطـان والسبل ؟
أمـا أطاعوا ؟ أما بروا ؟ أما عطفوا؟   أما احتفوا بمواليهم ؟ أما احتفلوا؟
بالله لا تجرحوا أكبادنا ودعـوا   جراح (برقة) و (البلقان)تندمل

واذا كنا نلاحظ أن الغرض الجوهري للقصيدتين واحد ، فاننا نـلاحـظ تشابها في صياغة بعض الابيات . قال المتنبي :

يا من يعـز علينـا أن نفارقهـم   وجداننا كـل شيء بعدكـم عدم

وقال الشبيبي :

يا من يعز علينـا أن نؤنبهـم   في حـين لا ينفع التأنيـب والعذل

وقال المتنبي :

كم تطلبون لنا عيـا فيعجزكـم   ويكـره الله مـا تأتـون والكرم

وقال الشبيبي :

كـم تنبذون لنـا ذنبا فنعذركم   لقد تقطعت الاعـذار والعلـل

واختتم المتنبي قصيدته بالاعتذار عن عتابه ليقول ضمنا انه اضطر الى ذلك حين قـال :

هـذا عتابـك الا أنه مقـة   قد ضمّن الدر الا انـه كلم

واختتم الشبيبي قصيدته بما ينبىء عن ذلك في قوله :

قد اعتذرنا وقد صحّت مقالتنا   أخوكم مكره في الحرب لا بطل

ونحن نجد في شعر الشبيبي تلميحا الى أبيات مشهورة لغيره ونجد أبياتا اخرى تلتقي مع أبيات لشعراء غيره جرت على الالسن •

وهو في القسم الاول يلمح الى تلك الابيات يحاول بذلك أن يثير ذاكرة المتلقى اذ باثارته تلك يكون قد فتح نافذة تساعد المتلقي على الاطلاع منها على زاوية تغنى المعنى الذي يريده وبلمحة • مثل قوله في تهنئة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء بقران ولده الشيخ محمد رضا :

قد لذت من رمضاء عذل عواذلي — في نار وجنته فكانت أرمضى(١١٧٩)

وفيه يشير الى بيت التكلام الضبعي :

المستغيث بعمرو عند شدته — كالمستغيث من الرمضاء بالنار(١١٨٠)

ومثله قوله في القصيدة نفسها :

واذا أرى غراء لي ألقى بها — فأعاب عين السخط لاعين الرضا

وفيه يشير الى قول عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة — كما أن عين السخط تبدى المساويا(١١٨١)

وفي قوله في قصيدة « صيداء »(١١٨٢) :

أأنسى زمان الكرخ والكرخ معرس — وتذهب عن ذكري الرصافة والجسر؟

وأزعجني من بلدتي مزعج القطا — فهل أنت لي صيداء _ لابلدي _ وكر؟

في البيت الاول يشير الى قول علي بن الجهم :

(١١٧٩) الخاقاني : شعراء الغري جـ٩ ص٦٢ •
(١١٨٠) أبو عبيد البكري الأونبي : فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ص٣٠٠ •
(١١٨١) الحصري القيرواني : زهر الآداب وثمرة الألباب جـ١ ص٨٥ •
(١١٨٢) الديوان : ص١٦٦ •

عيــون المهـا بـين الرصافة والجسـر

جَلَبْنَ الهوى من حيث أدري ولا ادري(١١٨٣)

وفي الثاني يشير الى قول حذام بنت الريان :

ألا يا قومنا ارتحلوا وسـيروا فلو ترك القطا ليـلا لنامـا(١١٨٤)

وقوله في قصيدة « ذكريات الماضي »(١١٨٥) .

البيت مورث صدع غير ملتئم - صدع الزجاج - وجرح غير مندمل

وفيه يشير الى قول أبي العلاء المعري :

يحطمنا ريب الزمـان كأننـا زجاج ولكن لا يعاد له سبك(١١٨٦)

أما بالنسبة الى القسم الثاني وهو ما نلاحظ فيه من التقاء بين أبيات الشبيبي وأبيات غيره من الشعراء القدامى ، فأراني مجازفا اذا عددتها سرقات .

أولا : لدوران تلك الابيات على الالسن ، فان ادعاء الشبيبي ايـاهـا لا يكون سرقة بل سلبا في ظاهر النهار !

ثانيا : « اذا حسب بعض النقاد الاقدمين أن [مثل] ذلك من باب السرقة التي يجب محاسبة الشاعر المحدث عليها ، ولم يفهموا طبيعة الاطار الشـعري الذي يفرض عليه قراءة من سبقوه ومن ثم اختزان ما قرأ في ذاكرته حتـى اذا ما هبط الالهام وبدأت عملية الابداع الفني امتاح الشاعر صوره ومعانيه من ذاكرته - تلك البئر العميقة كما يسميها هنري جيمس - الغنية بالقـراءات والتأملات . فاذا حدث تشابه بين بعض معاني الشاعر وصوره ومعانـي وصـور بعض الشعراء الاقدمين كان ذلك نتيجة التذكر التلقائي المعتمد على فكرة تداعي

(١١٨٣) ديوان علي بن الجهم : ص٢٢٠ .
(١١٨٤) البكري الاونبي : فصل المقال ص٣٧ .
(١١٨٥) الديوان : ص١٤١ .
(١١٨٦) لزوم مالايلزم : جـ٢ ص١٤٧ .

المعاني أو نتيجة الاستدعاء المعتمد على [قانون] ... التردد »(١١٨٧) .

وعلى ذلك فاننا نعد هذا اللقاء بين هذه الابيات من شعر الشبيبي وبين أبيات غيره من الشعراء الاقدمين نتيجة لذلك . ونعد ما حصل تأثرا بهذه الابيات . وهكذا سنضع أبيات الشبيبي ونضع بعد كل بيت الشاعر الذي تأثر به :

× من قصيدة « من الحرب الى الحزب »(١١٨٨) .

لا يطرقون الماء شيب نميره ... وغدا مخاضة رائح أو مغتدي

قول عمر بن كلثوم :

وانا الشاربون الماء صفوا ... ويشرب غيرنا كدرا وطينا(١١٨٩)

× من قصيدة « في سبيل الشرق »(١١٩٠) .

مثل التي لزم الخفوق جناحها ... أصبحت مرتكض الحشا خفّاقها

قول عروة بن حزام :

كأن قطاة علقت بجناحها ... على كبدي من شدّة الخفقان(١١٩١)

× من قصيدة « في العراق »(١١٩٢) .

بأي كتاب أم بأية سنّة ... يبيحون ظلمي سنّة وكتابا ؟

(١١٨٧) محمد مصطفى هداره : مشكلة السرقات في النقد الادبي : ص٢٥٩ . والمقصود بقانون التردد هو : « ان الصور والمعاني التي يتكرر ورودها في الادراك الخارجي او في الذهن تكون أسهل استدعاء من غيرها » . د . يوسف مراد : مبادىء علم النفس العام ، دار المعارف بمصر ، ص٢٢٥ ، ط٢ ، ١٩٥٤ . اقتبسه هداره : المرجع السابق ص٢٥١

(١١٨٨) الديوان : ص١٩ .

(١١٨٩) التبريزي : شرح القصائد العشر ص٣١٨ .

(١١٩٠) الديوان : ص٣ .

(١١٩١) شعر عروة بن حزام : ص١٣ .

(١١٩٢) الديوان : ص٥ .

قول الكميت بن زيد :

بـــأي كتـــاب أم بأيـــة سنـــة ترى حبهم عارا علي وتحسب[1193]

× وللشبيبي في القصيدة نفسها:

وقفت عليها أنكت الارض واجمـــا وأضرب في خـــد الصعيد مرابـــا

قول ذي الرمة :

عشية مـــا لي حيلـــة غير أننـــي بلقط الحصى والخط في الترب مولع

أخط وأمحو الخط ثـم أعيـــده بكفي والغربان حولي وقّع[1194]

× وقوله في تهنئة الشيخ علي كاشف الغطاء بعقد قران ابن أخيه الشيخ كاظم كاشف الغطاء .

يـــا حبـــذا مـــا ساءنـــي مـــن حبه ان كان سرّه[1195]

بيت عبدالله بن الدمينة :

لئن ساءني أن نلتنـــي بمســـاءة لقد سرني أني خطرت ببالك[1196]

× قول الشبيبي في رثاء السيد باقر الهندي[1197] :

أظن الردى استجداك نفسك ســـائلا

ومثلـــك سمحاً لا يرد ســـؤاله

بيت أبي تمام :

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله[1198]

(١١٩٣) محمد محمود الرافعي : شرح الهاشميات ص٣٨ .
(١١٩٤) ديوان ذي الرمة : ص٣٤٢ .
(١١٩٥) الخاقاني : شعراء الغري جـ٩ ص٥٦ .
(١١٩٦) ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ٢ ص٢٧٦ .
(١١٩٧) الخاقاني : المرجع السابق ص٧٥ .
(١١٩٨) ديوان أبي تمام : مجـ٢ ص٢٩ .

× من قصيدة « بين القول والعمل »[1199] .

وأقرب ما كان بدر السماء من النقص حين يقال : اكتمل

قول الشاعر :

اذا تم شيء بدا نقصه ترقب زوالا اذا قيل : تم[1200]

أو قول المتنبي :

متى ما ازددت من بعد التناهي فقد وقع انتقاص في ازدياد[1201]

× من قصيدة « الحب الطاهر »[1202] .

اذا أظلمت أخلاقنا وتجهمت فهل نافع أن الوجوه صباح

بيت المتنبي :

وما الحسن في وجه الفتى شرفاً له اذا لم يكن في فعله والخلائق[1203]

× قول الشبيبي في القصيدة نفسها:

رأيت المنى للناشئين سعادة وان لم يصدق حملهن نجاح

قول الشاعر :

منى ان تكن حقا تكن أسعد المنى والا فقد عشنا بها زمنا رغدا[1204]

× من قصيدة « عودة الشعر »[1205] .

(١١٩٩) الديوان : ص١٢٤ .

(١٢٠٠) محمد بن قاسم بن يعقوب : روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ص٢٨٥ .

(١٢٠١) البرقوقي : شرح ديوان المتنبي جـ١ ص٢٢٦ .

(١٢٠٢) الديوان : ص٤١ .

(١٢٠٣) البرقوقي : المرجع السابق ص٤٦٩ .

(١٢٠٤) محمد ناجي القشطيني : من عيون الشعر ص٤٨ .

(١٢٠٥) الملحق رقم (١) .

تتمنى الردى وحسبك داء ان ترى الموت مستساغ الورود

بيت المتنبي أيضا :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا[(١٢٠٦)]

× من قصيدة « الشعر بين الحق والباطل »[(١٢٠٧)] .

شكا الناس فقد المجملين وليتهم دروا أن ما نشكوه فقد المجامل

بيت أبي فراس الحمداني :

لقد قل ان نلقى من الناس مجملا وأخشى قريبا أن يقل المجامل[(١٢٠٨)]

× قول الشبيبي في القصيدة نفسها:

أرى غربة الانسان شتى صنوفها وأعظمها لقيان من لم يشاكل

بيت المعيطي ، عمر بن الوليد بن عقبة بن معيط الاموي :

وأنزلني طول النوى دار غربة اذا شئت لاقيت الذي لا أشاكله[(١٢٠٩)]

× من قصيدة « دجلة والفرات »[(١٢١٠)]

آه لو مثلوا لي الجهل شخصا وتقاضوا الي حللت قتله

قول أبي اسحاق الصابي :

يا جامعاً لخلال قبيحة ليس تحصى

نقصت من كل فضل فقد تكاملت نقصا

لو ان للجهل شخصا لكنت للجهل شخصا[(١٢١١)]

(١٢٠٦) البرقوقي : المرجع السابق جـ٢ ص٥٠٩ .
(١٢٠٧) الديوان : ص٦١ .
(١٢٠٨) ديوان أبي فراس الحمداني : ص٢٩٢ .
(١٢٠٩) الجاحظ : البيان والتبيين : جـ٢ ص٢٣٩ .
(١٢١٠) الديوان : ص٥٣ .
(١٢١١) ابو منصور الثعالبي : يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر جـ٢ ص٢٨٥ .

× من قصيدة « حلوان بعد العراق »[١٢١٢] :

وجهّلني في الناس ثمة أنهم أناني لديها الجهل فاش وذكران

بيت أبي العلاء المعري :

ولما رأيت الجهل في الناس فاشيا تجاهلت حتى ظن أني جاهل[١٢١٣]

× من قصيدة « أعياد وافراح »[١٢١٤]

قالت :نريد لك الاصلاح عاذلة لم تدر أن فساد الحب اصلاحي

قول عمر بن الفارض :

ان رمت اصلاحي فاني لم ارد لفساد قلبي في الهوى اصلاحا[١٢١٥]

× من قصيدة « الهوى »[١٢١٦]:

وبليتي في الحب أني أينما وجد الجمال وجدت أني صبه

بيت محيى الدين بن العربي :

أدين بدين الحب أنّى توجهت ركائبه فالحب ديني وايماني[١٢١٧]

نخلص من ذلك الى ان الشبيبي كان معجبا بعدد من فحول الشعراء العرب القدامى لا سيما في العصر العباسي ، ولكنه لم يتأثر بشاعر معين ترك لمساته على شعره ، وانما هو تأثر بقصائد معينة فعارضها أو بان تأثره بها أو بأبيات معينة من قصائد غيرها .

(١٢١٢) الديوان : ص١٢ .
(١٢١٣) سقط الزند : ص١٩٤ .
(١٢١٤) الديوان : ص١٣٩ .
(١٢١٥) ديوان ابن الفارض : ص١٢٤ .
(١٢١٧) ترجمان الاشواق : ص٤٤ .

الفصل الرابع
مكانة الشبيبي في الشعر العراقي الحديث

- بقي الشعر العراقي منذ سقوط بغداد سنة ١٢٥٨م (٦٥٦هـ) حتى أوائل القرن العشرين ألفاظاً مجردة مصفوفة على نمط يكاد لا يتغير رغم مرور الزمن « فلو جردنا شعر القرن التاسع عشر من الاسماء والحوادث والسنين وقرأناه على أنه شعر القرن السادس عشر أو السابع عشر لما شككنا فيه • وعلى هذا فالاصالةمفقودة ،وليس لهذا الشعر ما يميزه ويطبعه بطابعخاص »(١٢١٨)• فالشعراء لا هم لهم الا النظم في امور محدودة في حياة محدودة بين المقاهي ومجالس الاغنياء والمساجد • والموضوعات الشعرية لم تتغير ، في الغزل والمديح والرثاء والاخوانيات وتأريخ الاحداث والمنشآت ، بل أسفوا حتى نظموا في موضوعات تافهة ، مثل وصف وسادة أو مسبحة أو دجاجة ! واذا حاولوا أن يجاروا ما استجد في عصرهم فهم يصفون التراموا أو الباخرة أو اسلاكالبرق أو الساعة(١٢١٩) • وقد ثقل هذا الشعر بالمحسنات البديعية من طباق وجناس وتورية « كما ان بناء القصيدة لم يطرأ عليه تبديل أو تغيير ، فقد كان لزاما على الشاعر أن يبدأ بالغزل أو النسيب أو وصف الفرسأو الناقة أو الليلأو الخمر وما يتصل بها من ذكر الساقي والكؤوس والندماء ، أو اسمائها ودنانها ونقلها أو وصف الرياض والرياحين والورود بمختلف أشكالها وألوانها • ثم أن الابيات الثلاثة : المستهل والتخلص وحسن الختام يجب أن تكون بارزة ناتئة عن بقية القصيدة »(١٢٢٠) •

(١٢١٨) الشعر العراقي الحديث في مراحله الثلاث : د .الخياط مجلة «الاداب» ع٩ (ايلول ١٩٦٧) ص٣٠ •

(١٢١٩) د . يوسف عز الدين : الشعر العراقي ، اهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر ص٢٧ وما بعدها . وانظر : الدجيلي : محاضرات عن الشعر العراقي الحديث ص٦ وما بعدها ، والدكتور الخياط : المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(١٢٢٠) د . عز الدين : المرجع السابق ص١٦٠ وما بعدها ، والدجيلي : المرجع السابق ص٧ .

وقد كان الشعر النجفي لا يختلف عن غيره من الشعر العراقي اللهم الا في الاكثار من النظم في مأساة الحسين وآل بيته . و « على هذا سار الادب النجفي يماشي أدب العصور الوسطى في الاتجاه والتقليد ، بعيدا كل البعد عن تمثيل الحياة الاجتماعية والسياسية ، فلا يهم الشاعر أقام الشعب أم قعد ، جاع أم شبع ، مرض أم برىء . واستمر على هذا الجمود لا يتعداه طوال القرون التي خلفت العصر العباسي »(١٢٢١) .

ولكننا رغم ذلك نجد بعض الشعراء قد أسهموا الى حد ما في كسر هذا الجمود والتخفف من التقليد . فقد اتخذ عبدالغني الجميل(*) من الشعر وسيلة الى ترك الخمول وتصوير الفساد الذي نشره الحكم العثماني . « وبقي يدافع عن حقوق الاهلين بأشعاره الثائرة طيلة حياته ، ولم ينظم في غير السياسة ومهاجمة العثمانيين والشكوى من الزمن . وبهذا يكون الوحيد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الذي اختص بموضوع واحد في شعره »(١٢٢٢).

وقد ابتعد موسى الطالقاني(**) عن المألوف في المديح في عصره ، وكان أكثر اخلاصا للشعر ، فقد اهتم بالغزل الذي بلغ أكثر من نصف شعره(***) ورغم أنه كرر في المعاني القديمة المعادة الا أننا اذا قرأنا « قسما كبيرا من غزله شككنا انه لشاعر من القرن التاسع عشر ، فهو يبدو ذا روح عباسية ... ويمكننا أن نعتبر شعره النقطة البعيدة للانطلاق نحو محاولات التجديد في الشعر العراقي الحديث والبحث عن نماذج عراقية أصيلة ذات روح جديدة »(١٢٢٣).

(١٢٢١) الخاقاني : شعراء الفري جـ١ ص٢١ .

(*) ولد سنة ١٧٨٠م وتوفي سنة ١٨٦٣م . انظر ابراهيم الوائلي : الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ص١٦٨ .

(١٢٢٢) د . الخياط : الشعر العراقي الحديث ص٢٢ .

(**) ولد سنة ١٨٣٤م وتوفي سنة ١٨٩٨م . انظر حرز الدين : معارف الرجال جـ٣ ص٤٥ .

(***) أخرجت ديوانه مطبعة الفري الحديثة في النجف سنة ١٩٥٧ ، بتحقيق محمد حسن الطالقاني .

(١٢٢٣) الشعر العراقي الحديث في مراحله الثلاث : د . الخياط مجلة « الآداب » ع٩ (ايلول ١٩٦٧) ص٣١ .

وكان هناك شاعران لا ثالث لهما ، كما يقول الدكتور محمد مهدي البصير[١٢٢٤] هما حيدر الحلي ومحمد سعيد الحبوبي . وقد كان الحلي[****] رغم افتتانه بالبديع ، كغيره من شعراء عصره ، الا أن قارىء شعره « يشعر بحلاوة الالفاظ وبتمازجها وتكوينها نغما واحدا ... ويشعر ، بعد ذلك ، بمتانة المعاني ورقتها وملاءمتها للموضوع المطروق[١٢٢٥] . وقد اشتهر بمراثيه العديدة ، لا سيما في رثاء آل البيت . ورغم انه نظم في مختلف الاغراض الشعرية المعروفة الا انه بلغ أوج شاعريته في الرثاء[١٢٢٦] .

أما الحبوبي[*] فقد عده بعض مؤرخي الشعر العراقي الحديث رائد هذا الشعر[١٢٢٧] . يقول عنه الدكتور البصير[١٢٢٨] « مما لا شك فيه أنه كان بلبل العراق الفريد نحوا من ربع قرن ، وأن الحانه الجميلة وأغاريده العذبة كانت تسمع في كل مناسبة ، تهز قرائح الشعراء ، وتستوحي أخيلتهم وأحاسيسهم في ذلك الحين[**] ... لقد كان الشعر عنده فيض النفس وصدى الخاطر ومتعة الروح ، وان لم يكن في لغته المزخرفة التي كان عصره يفرضها عليه فرضا ما يؤيد هذا الزعم تأييدا تاما . هذا الى مظهر كبير من مظاهر وفائه وكرمه،

(١٢٢٤) نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر ص١٣ .

(****) ولد سنة ١٣٤٦هـ/١٨٣٠م . وله ديوان مطبوع . وله « العقد المفصل » وهو كتاب يضم شعرا ونثرا واخبارا وما قاله في آل كبة . توفي سنة ١٣٠٤هـ/١٨٨٧م . انظر : حرز الدين : معارف الرجال جـ١ ص٢٩٠ .

(١٢٢٥) الشاعر العراقي السيد حيدر الحلي : علي الحسيني ، مجلة«الاديب» مجـ١٦ جـ٨ (أغسطس ١٩٥٧) ص٤٦ .

(١٢٢٦) د . البصير : نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر ص٤٩ .

(*) توفي سنة ١٨٥٠/١٩١٥م .

(١٢٢٧) الدجيلي : محاضرات عن الشعر العراقي الحديث ص١ ، ٤ .

(١٢٢٨) نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر ص١٧ .

(**) يقول عنه عبدالله الجبوري : « ومن المعلوم ان الحبوبي محمد سعيد كان شاعرا معروفا في محيطه فقط ، وان تعداه فلن (كذا) تتعدى سمعته العراق ، حيث لم ينشر في الصحف آنذاك » انظر : نقد وتعريف ص١٣٢ .

لانه كان يتحف به أصدقاءه في شتى المناسبات ، مشاركا لهم في أفراحهم ، مواسيا اياهم في أحزانهم وأتراحهم . ومن هنا يتبين أن الدواعي التي كانت تحمله على قرض الشعر من أفضل الدواعي » .

وقد اشتهر الحبوبي بموشحاته التي عد الدكتور البصير (١٢٢٩) أربعا منها ، كما مر ، تفضل كل ما انتجه الوشاحون القدماء ومن بينهم لسان الدين بن الخطيب وابن زمرك وابن سناء الملك وصفي الدين الحلي .

وقد ذكرنا ان أغراض شعر الحبوبي محدودة ، فأكثر شعره يدور حول الغزل والخمرة ووصف الطبيعة والاخوانيات ،الا أن براعته وابتكاره ، اللذين من أجلهما عده عبدالكريم الدجيلي(١٢٣٠) رائد الشعر العراقي الحديث ، تبدوان في « الاخيلة والاساليب ... فجميع شعره ـ المنشور(*) وغير المنشور ـ طري الاساليب ، طري الاخيلة ، تقبل عليه النفس لجريه على الطبيعة ، ولانه لا تعقيد فيه ولا تكلف » .

واذا كانت محاولات هؤلاء الشعراء قد ساهمت منذ القرن التاسع عشر الى حد ما في بذر بذور جديدة في حقل الشعر العراقي القاحل ، فان اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨م قد أتاح للناس الحرية زمنا استطاع بها أهل الرأي أن يعبروا عن بعض آراء طالما كبتوها . وصدر العديد من الصحف العراقية ، على ما فيها من عيوب الصحافة الناشئة ، فساهمت في فتح الاذهان وأضحت القصيدة في الصحف الاداة الاولى للتعبير عما يسمى بـ « الرأي العام » ، والرائد الحقيقي لبقية فنون الادب(١٢٣١) .

(١٢٢٩) المرجع السابق ص٢١ .
(١٢٣٠) محاضرات عن الشعر العراقي الحديث ص١ .
(*) ظهرت الطبعة الاولى من ديوانه باسم « ديوان السيد محمد سعيد حبوبي النجفي ». وقد عني بتصميمه وتذيليه الشيخ عبد العزيز الجواهري ، في المطبعة الاهلية ببيروت سنة ١٣٣١هـ . وظهرت طبعته الثانية باسم « ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي » في منشورات مكتبة العرفان ومطابع الوطن في صيدا ، ولم تذكر سنة الطبع
(١٢٣١) التكريتي : الصحافة العراقية ص٢٢٤ .

فأخذ الشعراء يواكبون الاحداث السياسية والاجتماعية ، ويبدون الرأي فيها • واذا كان الشعراء في سابق عهدهم يدورون في حلقة مفرغة من النظم في الاغراض التقليدية واقتناص المناسبات الاجتماعية والاخوانية أو النظم في موضوعات مستقاة من محيطهم الضيق المحدود ، فقد وجدوا تجاههم عند ذلك موضوعات جديدة ينظمون فيها • واذا كان محرما أن ترد في الصحف ألفاظ مثل : الحرية ، الدستور ، الانصاف ، سلطة الامة ، العدل وغيرها فان هذه الالفاظ قد أخذت طريقها اليها • وليست هذه الالفاظ الا دلالات على مفاهيم وقيم ومثل كان المجتمع يتلهف اليها •

واذا كان الشاعر في السابق يخاطب في شعره الخاصة التي تفهم اللغةالتي ينظم فيها ، والتي يحاول أن يرضيها بما يطرق من موضوعات ، فقد أصبح عن طريق الصحافة يخاطب الجمهور العريض ، في وسط تطغى عليه الامية من ناحية ، وتسوده اللغة التركية ، لغة البلاد الرسمية ، من ناحية اخرى • لذا فقد اضطر الى أن يتجنب الالفاظ الغريبة والاساليب المزخرفة والتكلف العقلي، ويلجأ الى البساطة في اللغة والتعبير ، خاصة وأن كثيرا من الصحفيين كانوا شعراء كالرصافي والزهاوي وشكري الفضلي وحسين الازري وابراهيم منيب • ومن لم يكن منهم شاعرا جعل عنوان مقالته بيتاً من الشعر أو رصع مقالته بأبيات من الشعر تكثر أو تقل بغية التأثير في نفوس القراء[١٢٣٢] •

واذا كان اعلان الدستور قد فتح المجال تجاه الصحف العراقية لتصدر ، فهو قد فتح الباب للصحافة العربية لتدخل العراق بصورة أوسع • فأصبح في متناول الناس مجلات وصحف من أمثال : المقتطف والهلال والمقطم المصرية ، والعرفان والمقتبس والبرق الشامية ، رغم أن ذلك كان مقتصرا على عدد ضئيل من المدن كبغداد والنجف والموصل[١٢٣٣] الا انها مع ذلك كانت ذات أثر مهم في فتح الآفاق تجاه الاذهان في عكسها الجديد في شؤون الفكر والعلم

(١٢٣٢) التكريتي : المرجع السابق ص٢٢٥ .
(١٢٣٣) الفياض : الثورة العراقية الكبرى ص٥٦ .

والأدب ، مضافاً الى ما حصل عليه البعض من اطلاع على الجديد في زيارة تركيا والبلاد العربية ، وما كان ذلك ميسورا مثل هذا اليسر ، فأصبح الشاعر يطلع على ما يدور حوله ويتفاعل معه .

وكان دخول الانجليز العراق في الحرب العالمية الاولى ذا أثر في شؤون متعددة . فقد كانت الحياة تجري لعدة قرون على وتيرة واحدة ، في عزلة ورتابة ، ولكن الانجليز الذين تغلغلوا في شؤون البلاد ، حملوا مع استعمارهم البغيض عدداً من المظاهر الجديدة على المجتمع العراقي ، مادية ومعنوية من أسلحة ومخترعات ونمط من اللباس والعلاقات الاجتماعية . وظهرت المرأة سافراً مع الرجل وهي ترتدي الملابس البعيدة عن الاحتشام ، ووضعت قوانين وقيود غريبة كثيرا ما رافق تطبيقها العنت والاهانة . فارتجت الاذهان ، واهتزت القيم ، وتزعزعت النفوس ، وأخذ الناس يعيدون النظر في المثل والمفاهيم ، فعمق الفكر ومضى يفتش عن السبل القويمة التي عليه اتباعها(١٢٣٤) .

ولكن هل الانتقال من القرن التاسع عشر الى القرن العشرين سيغير الشعر حالا فيستوى جديدا منبت الصلة عن سابقه ؟ بالطبع لا . فطبيعة الاشياء لا تعرف ذلك . والتطور الذي حصل للشعر ، شأنه شأن غيره من شؤون الحياة ، قد تم بالتدريج . وظل الماضي الممتد بطوله مؤثرا في الحاضر حتى يزول ظله شيئاً فشيئاً . فقد بقي القرن التاسع عشر يؤثر في الشعر . ولو قرأنا شعر مطلع القرن العشرين لرأيناه يعنى عناية كبيرة بالمحسنات البديعية والزخرفة اللفظية أكثر من عنايته بالمعنى . فلم يكن يختلف عن شعر القرن التاسع عشر كثيراً ، ولكنه راح يأخذ بالتطورات الجديدة فاعتنى بالمعنى وبالموضوعات السياسية والاجتماعية مع بساطة في اسلوبه وتعابيره .

والشبيبي الذي هو واحد من أبرز شعراء تلك الحقبة حين تقرأ شعره الذي استبعده من الديوان ، وهو من شعره الاول ، تجد احتفاله بالمحسنات البديعية من طباق وجناس وغيرهما . وتجد فيه التخميس والتربيع وشعر المديح

(١٢٣٤) د . عز الدين : في الادب العربي الحديث ص٥٦ وما بعدها .

والمناسبات الضيقة كالتهنئة بقران أو بعودة حاج من الديار المقدسة ، مما كان منساقا به مع بيئته ، في قصائد مستهلة بنسيب يطول أو يقصر • كما تجد المبالغة التي تقلب مظاهر الطبيعة والحياة من أجل وفاة فرد واحد في قصائد الرثاء •

وأنت اذا وجدت ذلك في هذا الشعر فأنت واجد في شعر ديوانه مقدمة النسيب الا أنك تجدها بصورة قليلة ، وتجد بعضها وقد اكتسى بحلة جديدة(*) بل تراه في بعض شعره يهاجم هذه المقدمة(**) وينعى على الشعراء التزامهم بها وبالحديث عن الاطلال •

ومما يلاحظ في هذا الشعر اعجابه بالشعر العربي القديم ، فهو اذ يفخر بشعر ويحاول أن يظهره بالمظهر الانموذجي يرنو الى شعراء العرب السالفين ، فأنت حين تقرأ بعض قصائده تتذكر أبياتا أو قصائد لشعراء قدامى • وقد مر حديث تأثره بهؤلاء الشعراء كما مر الحديث عن ظاهرة البداوة في شعره •

ولكننا نلاحظ ، في الوقت نفسه ، تقليله من المحسنات البديعية حتى اننا نجد في كثير من شعره انها لا تأتي الا منسابة مع طبيعة النظم دونما تكلف يذكر، شأنه شأن بارزي شعراء تلك الفترة • فقد أخذ مع مرور الزمن يعنى بالمعنى أكثر من صرف جهده في تزويق اللفظ • فاذا كانت الحياة العراقية فيما مضى من قرون تسير ببطء ورتابة ، فانها اهتزت وتحركت وأخذ الشاعر ، يهتم بما يقول أكثر من اهتمامه بزخرفة القول • فالعصر عصر يقظة في الفكر والشعور ، كما يقول الشبيبي(١٢٣٥) في مقدمة ديوانه ، وذلك كما يقول الدكتور محمد طاهر درويش(١٢٣٦) « أمر مألوف في عصور التطور والانتقال وأزمان النهضات ، اذ يكون الشغل الشاغل للشعراء والادباء والمفكرين

(*) انظر : قصيدة « في سبيل الشرق » ص٣ .
(**) انظر : قصيدتي « الهيام بين العراق والشام » ص٤٢ ، « الشعر والحرية » ص٥٢ .
(١٢٣٥) ص : د .
(١٢٣٦) حسان بن ثابت : ص٤٦٦ .

بيان الافكار الجديدة ، والكشف عن المعاني المستحدثة » . واذا كان الرصافي قد اندفع في التجديد و « هوى الزهاوي الى الحضيض في طلب التجديد »[١٢٣٧] فقد كان الشبيبي داعية تجديد هاديء متزن . وقد ترددت دعوته هذه في أكثر من موضع في شعره ، كما ترددت في أكثر من موضع في نثره . فقد دعا الى نبذ المقاييس القديمة البالية في تقويم الشعر على أساس من الصناعة اللفظية والمحسنات البديعية والمشاعر المصطنعة والعواطف الكاذبة ، كما دعا الى النظر في تقويم الآثار بغض النظر عن أزمانها ، فليس القديم كله سوء، ولا الجديد كله خير ، بل رأى العبرة في أن يكون الاثر لطيف المعنى ، سليم المبنى ، بليغ العبارة ، صادق العاطفة ، جميل الشعور والتصوير .

وقد دعا الشبيبي العراقيين والعرب الى النهوض للحاق بالامم المتقدمة ، بالتزام أخلاقي يبدو في الكثير من شعره . فتغنى بالعروبة في كل جزء من أجزائها ، وأنّ لكل جرح من جراحها بل « ان مصائب الوطن أصبحت جزءا من كيانه فلا يخلو شعره منها حتى وان كان غزلا ، فقد انعكست هذه المصائب في نفسه ، ولم يقدر أن ينظمها بصراحة ، فتسربت الى أغراض شعره الاخرى، فان ما يشكوه من جور الزمان ، وما جرته عليه الايام لم يكن في حقيقة الامر الا شكوى كامنة ضد الحكام الذين تسلطوا على العراق وعاثوا في مقدراته »[١٢٣٨] .

وقد حارب الشبيبي في شعره الكثير من الآفات الاجتماعية التي تنخر في جسد المجتمع ، وكان من أوائل من طرقوا الموضوعات الاجتماعية في العراق ، وأول من طرق تلك الموضوعات بين شعراء النجف كما يذهب بعض مؤرخي الشعر العراقي الحديث ، حارب الجهل والفقر ودعا الى انصاف الفلاح ، ومضى يفضح الخرافة والتزيف الاجتماعي ، ودعا أبناء الشعب الى الوحدة واتخاذ الدين وسيلة توحيد لا فرقة .

(١٢٣٧) د . يوسف عز الدين : مقدمة كتاب « الزهاوي ، دراسات ونصوص » جمع واعداد عبد الحميد الرشودي ص١٠ .
(١٢٣٨) د . عز الدين : في الادب العربي الحديث ص١٢٩ .

وأنت اذ ترى الفكرة تلتمع في هذا الشعر فذلك يتـم دونمـا تفريـط بالديباجة . فقد كان الشبيبي خير ناقد لشعره ، فهو حين أعاد نشر شعره وقت أن أصدر ديوانه استبعد منه الكثير من شعره الذي نظمه في أول عهده بالشعر ممـا رأى فيه هبوطاً عن المستوى والغاية اللذين يريد ، كما أعاد النظر في كثير من القصائد التي أثبتها في الديوان ، فحذف من بعض القصائد الابيـات التـي ارتأى أنها لا تستقيم وما يريده لشعره من مستوى وغايـة ، واستبدل ببعض التعابير في أبيات اخرى غيرها ارتأى أنها أكثر مناسبة وأدق تعبيراً عما يريد . وقد مضى في ذلك حتى تناول بعض عناوين تلك القصائد ، وقد مر بنا ذلك كله . وذلك اذا دل على حرصه على اخراج ديوانه كما شاء له أن يخرج ، فانه يدل ، في الوقت نفسه ، على مدى عنايته بالشعر واهتمامه به فأنت اذ تقرأ « ديوان الشبيبي » فأنت ترى جمال الصياغة وسلامة اللغة وعلـو الاسـلوب والبعد عن النثرية التي تردى فيها شعر أحمد الصافي النجفي والزهاوي وكثير من شعر الرصافي . فقد استهوت البساطة الشديدة في الموضوعـات اليوميـة والافكار الجزئية الصافي النجفي . صحيح أنك تحس بصدق الكثير من شعره ، ولكن متى اكتفينا في الشعر بالصدق وحده ؟ .

وقد أغرم الزهاوي بالآراء والنظريات العلمية التي استقاها من مطالعاته . واندفع في الثورة على القديم يصوغها شعراء تسري فيه روح النثر و « أخـذ الناس بالآراء ، وتأثروا بصداها أكثر من تأثرهم بشعره وأدبه ، اذ قد تأثروا بثورته على القديم وعلى الاستبداد وعلى الحكم الفردي ... أكثر من تأثرهـم بجمال العبارة وسلامة الموضوع وقوة نسيج القصيدة . وتأثر الناس بعاطفتـه الصادقة وتدفق أحاسيسه ومظهره المشلول وعمره أكثر من تأثرهم بجمال بيانه وروعة أسلوبه »(١٢٣٩) .

وقد كان من اندفاع الرصافي المخلص الى النظم في كل مناسبة يرى فيهـا مجالا الى وجه من وجوه الاصلاح والى مخاطبة الجماهير وبث الوعي فيها أن

(١٢٣٩) د . عز الدين : المرجع السابق ص١١ .

اتسم الكثير من شعره بروح نثرية واضحة ، دفعت عبدالقادر المغربي ، مقدم ديوانه ، الى القول في تلك المقدمة انك لو عمدت الى أكثر قصائد الرصافي وحاولت تحويلها الى مقال من النثر لامكنك . ولا تدري حين تسمع القصيدة له أهي نظم منثور أو نثر موزون(١٢٤٠) بل ان الرصافي نفسه يقول عن شعره :

وأرسلته نظماً يروق انسجامه فيحسبه المصغي لانشاده نثرا(١٢٤١)

أما شعر الشبيبي فانه ، كما يقول الدكتور يوسف عزالدين(١٢٤٢) « يتصف بقوة السبك وجزالة الالفاظ ومتانة الاسلوب والبعد عن سخف القول وركاكته . وهو يأسر القارىء بألفاظه المأنوسة ، وديباجته الناصعة ، مع اقتدار على تصوير خلجات نفسه وهمسات وجدانه أتم تصوير ... وقد تفوق الشبيبي تفوقا بارزا على كثير من معاصريه ، وطفر ديوانه بالشعر العراقي بعيداً ... حتى انه فاق الرصافي والزهاوي ، وهما قائدا النهضة الادبية ، في كثير من صفات شعره العالية . ويندر أن يجد الناقد له بيتا يعاني من ضعف وركاكة ، مع انه نظم بعض قصائده على قواف صعبة كالضاد والشين واللام والهاء ، وقد اسعفه الطبع وواتته القريحة » .

وسيذكر الشبيبي ، كما يقول الدكتور علي جواد الطاهر(١٢٤٣) « هنا وهناك من تاريخ العراق ، ولكنه سيذكر أكثر من ذلك ، ويعيش أطول من ذلك ، على أنه شاعر ، وشاعر معدود ذو ديباجة . وان كنا نأسى ... على شيء ، فاننا نأسى ونأسف على أن شواغل الحياة ودواعي السياسة صرفته عن مواصلة قول الشعر » . فقد كان شاعراً يضع الشعر في مكانه المرموق . فهو ينظم الشعر عن صدق لانه مر بالتجربة ، فينساب الشعر على لسانه ، وتكون القصيدة الطويلة أو البيت والبيتان ، وهو في كل ذلك يعبر عن نبع نفسه ودفق

(١٢٤٠) ص : د .
(١٢٤٢) في الادب العربي الحديث : ص١٤٤ .
(١٢٤٣) الشيخ الشبيبي : مجلة « الاديب » ، مجـ٢٥ ع١ (يناير ١٩٩٦٦) ص٥٣ .

روحه(*) فهو لا ينظم لدافع خارجي ، واذا كان قد فعل ذلك في بعض المناسبات في أول حياته ، فان ذلك قد كان بدافع تطويع شيطان شعره ، وهو الشاعر الناشيء ، في بيئة تقتنص المناسبات لصقل الملكات الادبية والمباهاة بها ، أو خضوعاً لبعض الاعتبارات • ولكنه عندما استقام عوده ، واستوى شاعرا يعرف مكانة الشعر ، التزم بمبدأ لا يحيد عنه • ونحن نتذكر رده رفائيل بطي حين طلب اليه أن يعارض احدى القصائد • وكانت معرفته بمكانة الشعر ، ومكانة شعره ، تجعله لا يقتنص جلساءَه ليلقي عليهم شباك شعره[(١٢٤٤)] مطوقاً اياهم بما استجد لديه من هذا الشعر ، مستجدياً المديح والثناء شأنه شأن الكثير من الشعراء ، رغم ان كثيرا من هذا الثناء في مثل هذه المواقف يكون بدافع المجاملة أكثر مما هو بدافع الاعجاب ، ورغم أن الشبيبي كان يعلم سلفا أن الثناء سيأتي اليه من اعجاب بهذا الشعر لا عن مجاملة •

والاعجاب بشعر الشبيبي دفع عددا من الشعراء الى معارضة عدد من قصائده • يحدثنا جعفر الخليلي في كتابه « هكذا عرفتهم »[(١٢٤٥)] فيقول : « عرفت الشبيبي مما كان يصل الى أخي من صحف ومجلات ، وعلى الاخص مجلة « العرفان » ••• وأول ما حفظت للشبيبي من شعره كانت قصيدته القومية المردفة الهاء والتي يقول فيها :

أي دمع يفيض من أي مقله ... لوقوفي بين الفرات ودجله
لست أبكي على فراتي فرداً ... أنا أبكي على الجزيرة جمله(*)

وحين شبيت وأصدرت جريدة « الهاتف » ، نشرت لعدد من الشعراء في

(*) مر بنا قول الشبيبي :
ليس هذا الشعر ما تروونه ... ان هذي قطع من كبدي
(١٢٤٤) عبد الكريم الدجيلي : من حديث شخصي .
(١٢٤٥) جـ٢ ص١١٣ .
(*) هذا البيت هو البيت الرابع من القصيدة لا الثاني . انظر : ديوان الشبيبي ص٥٣ .

الهاتف قصائد على هذا الروي والقافية ، مبارين فيها الشبيبي ... ثم حفظت القصيدة القافيّة التي يقول فيها الشبيبي :

لم يبق لي الا الشباب وانه   ديباجة ضمن الاسى اخلاقها
نزلت بثهلان(**) الهموم فلم تطق   حتى نزلن بكاهلي فأطاقها

ولم تزل ذاكرتي تحتفظ بالشيء الكثير من أبيات هذه القصيدة ، ولم يستطع تباعد الزمن ومرور الايام أن يمحوها من ذهني ، بل انني لفرط تعلقي بهذه القصيدة خاصة ، نظمت قصيدة أهنيء بها ابن عمي ، محمد الخليلي ، بعرسه في أوائل نظمي الشعر فجاءت من حيث لم التفت على رويها وقافيتها ، باستثناء اعرابها الذي جعل قافيتي مجرورة ، فكان منها ما يلي :

رغم الهموم ورغم ضيق نطاقها   فرَّجت عن نفسي بكأس دهاقها

ولم أكن وحدي الذي تأثرت بشعر الشبيبي ، وتأثرت بهذه القصيدة خاصة ، بل ان كثيرا من الشعراء باروا قصائد الشبيبي » .

فقد عارض محمد مهدي الجواهري في مطلع حياته شعر بعض الشعراء كأحمد شوقي وايليا أبي ماضي وعلي الشرقي وابن التعاويذي ولسان الدين بن الخطيب كل شاعر بقصيدة واحدة من قصائده ، ولكنه عارض الشبيبي بخمس من قصائده . وقد جمعت القصائد المعارضة وقصائد الجواهري في كتاب أطلق عليه اسم « حلبة الأدب »(***) .

وقصائد الشبيبي التي عارضها الجواهري هي :

× باطل الحمد ومكذوب الثنا(١٢٤٦)   ومطلعها :

فتنة الناس وقيت الفتنا   باطل الحمد ومكذوب الثنا

(**) استبدل الشبيبي بـ « ثهلان » في ديوانه « جيرتي » . انظر : ص٣ .
(***) عني بطبعه وشرح الفاظه ، ضياء سعيد ، واخرجت المطبعة الحيدرية طبعته الثانية سنة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .
(١٢٤٦) الديوان : ص١٠٥ .

وقد عارضها الجواهري بقصيدة عنوانها « جناية الاماني »[1247] ومطلعها:

جلبت لي الهم والهم عنا … آه ما أروحنا لولا المنى

× في سبيل الشرق[1248] ومطلعها :

لم يبق لي الا الشباب وانه … ديباجة ضمن الاسى اخلاقها

وقد عارضها الجواهري بقصيدة عنوانها « الشباب المر »[1249] ومطلعها :

طوت الخطوب من الشباب صحيفة … لم ألق منها ما يعز فراقها

× وصف حديقة[1250] ومطلعها :

وناضرة خف فيها النسيم … فخف الى قصدها محملي

وقد عارضها الجواهري بقصيدة بعنوان « ذكرت الوئام »[1251] ومطلعها:

وليل ذكرت به صبوتي … فعدت الى الزمن الأول

× الشعر خيال[1252] ومطلعها :

أشرق النير يعلوه الجلال … فتخيلتك والشعر خيال

وعنوان قصيدة الجواهري التي عارضه فيها « استعطاف الاحبة »[1253] ومطلعها :

كل ما في الكون حب وجمال … بتجليك وان عز المنال

(1247) حلية الادب : ص29 .
(1248) الديوان : ص3 .
(1249) حلية الادب : ص33 .
(1250) الديوان : ص172 .
(1251) حلية الادب : ص38 .
(1252) الديوان : ص92 .
(1253) حلية الادب : ص43 .

× لغة الحب[1256] ومطلعها :

تفاهمتا عيني وعينك لحظة فأدركتا أن القلوب شواهد

وعنوان قصيدة الجواهري التي عارضه فيها « النشيد الخالد »[1255] ومطلعها :

تزاحمت الآمال حولك وانبرت قلوب عليهن العيون شواهد

ويعلق عبدالكريم الدجيلي في كتابه « محاضرات عن الشعر العراقي الحديث »[1256] على ذلك بقوله : « ولا يبعد أن الاستاذ الجواهري كان لا يخشى من شاعر عراقي في ذلك الوقت غير الاستاذ الشبيبي » •

واذا كان الامر كذلك ، فلا يبعد ـ أيضا ـ أن الجواهري كان يعد الشبيبي أبرز شاعر عراقي •

واذا كان ذلك قد حصل في العراق ، فانه لم يكن مقصورا عليه • فقد كان شعر الشبيبي يتردد في أرجاء الوطن العربي من المشرق حتى المغرب[1257] اذ كان مصدرا لاعجاب الكثير من جمهور الشعر ومتذوقيه • واذا كان قد عارض قصائده العديد من شعراء العراق فقد تعدى ذلك الى أجزاء اخرى من الوطن العربي ، فعدوا شعره من النماذج التي تحتذي ، فاذا قال قصيدة عارضها الشعراء ورددتها الشفاه • يحدثنا شفيق جبري في كتابه « أنا والشعر »[1258] عن اعجابه المبكر بشعر بعض الشعراء ومعارضته ما ينظمون ، وكيف كان الشبيبي من أبرز هؤلاء الشعراء • فيذكر انه عندما قال الشبيبي قصيدته :

(١٢٥٤) الديوان : ص١٣٣ .
(١٢٥٥) حلبة الادب : ص٤٧ .
(١٢٥٦) ص١٧٥
(١٢٥٧) الشيخ الشبيبي معلمة من معالم العراق : عبد الهادي التازي ، مجلة « اللسان العربي » ، ع٤ (غشت ١٩٦٦) ص٣٤٥ .
(١٢٥٨) ص ٩٠ .

فتنة الناس وقينا الفتنا باطل الحمد ومكذوب الثنا(*)

عارضه بقصيدته :

علمــوه كيف يعنو فعنا وثنوه عن علاه فانثنى(**)

وعندما قال الشبيبي قصيدته :

ببغداد اشتاق الشآم وها أنا الى الكرخ من بغداد جم التشوق(***)

عارضه بقصيدته :

أحن الى بغداد من أرض جلق وأسأل أهل الشام عن كل معرق

ولهذا كان من دواعي سرور بعض الشعراء أن يحلوا صدور مجاميعهم بشيء مما يسيل به قلم الشبيبي . يحدثنا جعفر الخليلي(١٢٥٩) ان الشيخ قاسم محي الدين جاء الى الشبيبي مرة عارضا عليه مجموعة من شعره المسمّاة بالشعر المقبول التي تتضمن جانبا من أخبار الرسول ومدائح في آل البيت ورثائهم في شواهد الاخبار والاشعار المروية ، طالبا من الشبيبي أن يقرظها ببيت أو بيتين من الشعر (هذا ويعود نسب آل محي الدين الى أبي جامع) فتناول الشبيبي هذه المجموعة ، وبعد تأمل دقائق كتب له ثلاثة أبيات هي :

يا قاسم يا بن أبي جامع يا ناظم الاشعار مرويه
يا راثي الهادي وأبناءه ذرية من بعد ذريه
أحسن ما فيها على حسنها أنك فيها حسن النيه

(*) عنوانها : « باطل الحمد ومكذوب الثنا » . انظر : الديوان : ص١٠٥ .

(**) يعلق شفيق جبري في الهامش بقوله : « ما اشبه هذا المطلع بقول شوقي : علموه كيف يجفو فجفا ...
ولكني قلت قصيدتي في شباط سنة ١٩٢١ اي قبل أن يغني محمد عبد الوهاب قصيدة شوقي » .

(***) عنوانها « الهيام بين العراق والشام » . انظر : الديوان : ص٤٢ .

(١٢٥٩) هكذا عرفتهم : جـ٢ ص١٣٤ .

ويعقب الخليلي على ذلك بقوله : « والشيخ قاسم محي‌الدين يعرف الشعر جيدا ، ولم يخف عليه شيء ، ومع ذلك فقد استساغ الابيات وطبعها على صدر ديوانه • وبعد زمن سألت الشيخ قاسم كيف رضي بأبيات الشبيبي تقريظا وثناءاً وهي الى الهجاء أقرب منها الى الثناء ؟ فقال لي : يكفيني من طبع أبيات الشبيبي في صدر هذه المجموعة أمران : الاول ، اعتراف الشبيبي بحسن النظم في قوله : « أحسن ما فيها على حسنها » • والثاني ، كونها من الشبيبي تكفي أن تكون تقريظاً جميلا عند أكثر الناس ، اذا لم تكن عندك وعندي !! » •

هذا وقد استكتب كثير من الشعراء وغير الشعراء الشبيبي مقدمات لنتاجهم ايمانا بمكانته(*) •

(*) من ذلك :

- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة : منسوب لكمال الدين الغوطي •
مطبعة الفرات ـ بغداد ١٣٥١هـ .
- مباحث عراقية : يعقوب سركيس .
شركة التجارة والطباعة المحدودة ـ بغداد ١٩٤٨م .
- الوان شتى : (شعر) طالب الحيدري .
مطابع دار الكشاف ـ بيروت ١٩٤٩ .
- البابليات : محمد علي اليعقوبي ، ق٣ .
المطبعة العلمية ـ النجف ١٩٥٤ .
- ديوان الصاحب بن عباد : (تحقيق) محمد حسن آل ياسين .
منشورات دار المعارف ـ بغداد ١٩٥٧
- ديوان اليعقوبي : محمد علي اليعقوبي .
مطبعة النعمان ـ النجف ١٩٥٧ .
- قلب العراق : امين الريحاني ط٢ .
دار ريحاني للطباعة والنشر ـ بيروت ١٩٥٧ .
- معروف الرصافي ، حياته وبيئته وشعره : د بدوي طبانة ط٢ .
مطبعة الرسالة ـ القاهرة ١٩٥٧ .
- ديوان الشريف المرتضى : (تحقيق) رشيد الصفار المحامي
دار احياء الكتب العربية ـ القاهرة ١٩٥٨ .
- الشعاع : (شعر) وليد الاعظمي .
المطبعة الاسلامية ـ بغداد ١٩٥٩

وهكذا فعندما انتقل الشبيبي الى جوار ربه كان لذلك صدى كبير في العراق والوطن العربي ، اذ ان فقده ليس انطفاءاً لشعلة الشبيبي رجل الوطنية والعروبة، ولا الشبيبي اللغوي والمعني بالتراث ، ولا الشبيبي الانسان فحسب ، وانما هو انطفاء لشعلة شاعر بارز من كوكبة من الشعراء الذين كان لهم دورهم الخطير مع مطلع القرن العشرين الذين غذوا الشعر فيه بعصارة فكرهم وذوب أفئدتهم وتوهج مشاعرهم ، وعملوا على فك الشعر العراقي من أغلال الجمود ودفعه ـ بقدر ما تحتمل تلك المرحلة ـ في طريق الاصالة والتطور والتجديد •

ـ بغداد القديمة : عبد الكريم العلاف
مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٦٠ .
ـ ديوان المزرد بن ضرار الفطفاني : (تحقيق) خليل ابراهيم العطية .
مطبعة اسعد ـ بغداد ١٩٦٢ .
ـ الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ : عبد الله الفياض .
مطبعة الارشاد ـ بغداد ١٩٦٣ .
ـ الشاعر الثائر الشيخ محمد باقر الشبيبي : عبد الرزاق الهلالي .
مطابع شركة الطبع والنشر الاهلية ـ بغداد ١٩٦٥ .
ـ تكوين الحكم الوطني للعراق : مذكرتان للسر برسي كوكس وهنري دوبس : (ترجمة) بشير فرجو.
مطبعة الاتحاد الجديدة ـ الموصل (؟)
ـ مصائر مجهولة : ويلا كارثر : (ترجمة) بشير فرجو .
مطبعة شفيق ـ بغداد (؟)

الخاتمة

وبعد ،

فقد كانت دراستي هذه مقسمة الى بابين • تناولت في الباب الاول الحديث عن الشبيبي وعصره وثقافته ونتاجه الشعري • تحدثت في الفصل الاول منه عن الشبيبي وعصره ، فذكرت نبذة عن مدينة النجف التي ولد فيها شاعرنا ونشأ وشب ، من حيث طبيعتها وتاريخها ومكانتها الدينية والثقافية ، مشيرا الى دورها في الحفاظ على العربية وتراثها • وكان حديثي عنها بؤرة للحديث عن العراق الذي هي جزء منه والذي هو آنذاك جزء من السلطنة العثمانية ، سلطت فيه الاضواء على الاحوال المختلفة في السياسة والاجتماع والثقافة ، مبينا ما كانت عليه هذه الاحوال من تأخر وسوء • ثم تحدثت عن أسرة الشبيبي العربية التي عرفت بالفضل والعلم ، منذ مقرها الاول في الجبايش حتى استقرار الشيخ محمد جواد الشبيبي ، والد شاعرنا ، في النجف ، حيث بدأت لهذه الاسرة صفحة جديدة أكثر اشراقاً ، اذ برز الشيخ محمد جواد في الشعر والادب والمكانة الاجتماعية • وهنا تحدثت عن ولادة شاعرنا في كنف هذا الوالد ثم نشأته ناهلاً من أدبه ورعايته ، مثلما ينهل مما كانت تزخر به النجف من مجالس يدور فيها حديث الشعر والادب ، ومكتبات عديدة تضم ذخائر العربية وتراثها • واقتفيت أثر الشبيبي طوال حياته التي بلغت ستة وسبعين عاماً ، أسلط الاضواء عليها وعلى النجف والعراق بما يكوّن اطاراً يبرز صورة هذا الرجل ، منذ تفتح عينيه على الجمود والقيود في محيطه الضيق ، فمشاركته رهطا من الشباب وغيرهم يشتركون في التفكير في رسم أهدافهم للوصول الى حياة كريمة تنهض بالبلاد وتزيح عنها ما كان يجثم عليها من جمود وتأخر وفقدان الشعور بالواجب ثم يرون في حركة المشروطة منفذا لتحقيق بعض ما يصبون اليه لولا انتكاسها ، يجدون في اعلان الدستور العثماني وجمعية الاتحاد والترقي باباً لتحقيق الآمال، ولكن خيبتهم في الاتحاديين ثم نفضهم اليد من الاتراك جعل النفوس تتطلع الى

منافذ جديدة ، ولكن اعلان الحرب العالمية الاولى جعل الامور تجري في طريق جديدة رأينا الشبيبي فيها يشارك المتطوعين والجيش في رد القوات الانجليزية التي دخلت العراق بعدئذ طاردة الاتراك غازية . وهنا . كان لا بد من اعطاء صورة عن الوضع الجديد بعد احتلال الانجليز العراق ، أوضحت فيها كيف حكم هؤلاء العراق بالعنت والاستبداد ، مدخلين أساليب جديدة في الحياة أدت مع ثقل الاحتلال الى اهتزاز القيم والمفاهيم وتحرك الاذهان برؤية جديدة الى الامور، كما جعلت المخلصين يقفون في وجه المحتل . وكان في موقف الشبيبي المتألق في وجه الاحتلال في الاستفتاء الذي أجراء المحتلون في النجف ما حدد الطريق الذي سار فيه هذا الرجل في حياته من أجل وطنه وأمته . فقد رأينا كيف انتدبه العراقيون لابلاغ صوتهم الى الملك حسين في الحجاز ، ثم كيف مضى بعد ذلك في جهوده لاقامة حكم وطني برز في مشاركاته في الوزارات العراقية بعد قيام الحكم الملكي ، حين كان يتوسم في الوزارة خيراً ، وفي استقالته أكثر من مرة من الوزارة حين كان يرى انحرافاً في سياستها عما كان يصبو اليه ، كما برز في مواقفه في مجلس الامة نائباً وعيناً ، يدافع عن حقوق الشعب ويعارض الظلم والاستبداد مثلما برز في مشاركاته في الاحزاب حزبيا نزيها ، وفي مبادراته الفردية فردا يعرف دوره في صفوف شعبه .

وبعد حديثي عن ذلك التفت لاتحدث عن مشاركاته في المؤسسات الثقافية اذ ان انشغاله بالعمل الوطني والسياسي لم يكن ليشغله عن المساهمة في هذه المؤسسات وهو من أوائل من يذكرون حين تتجه النية الى انشاء مؤسسة أدبية أو ثقافية ، أو حين تفتقر مؤسسة من هذه المؤسسات الى التشجيع في العراق والوطن العربي . وقد لاحظنا أن من أبرز مشاركاته عضويته في المجمع العلمي العربي بدمشق ومجمع اللغة العربية في القاهرة ورئاسته للمجمع العلمي العراقي حتى قبل وفاته بقليل . وهو خلال ذلك لا يني ينظم الشعر ويكتب البحوث ويلقي المحاضرات .

ثم بينت كيف كان لصيقاً في غير تلك المجالات بالحياة الاجتماعية حين تحدثت عن « مجلسه » الذي كان يضم مختلف فئات الشعب ، تأتيه ناهلة من أدبه وعلمه وكرم خلقه ، حتى كان جلساؤه يشغلونه عن أهل بيته •

بعد ذلك رسمت صورة لشخصيته وخلقه وما لهما من دور في الوصول الى ما وصل اليه في مساهماته المختلفة ، مسلطاً الضوء على زوجه المخلصة التي كانت تهيء له الجو المنزلي الذي يرتاح اليه في ظلال الوئام والمحبة ، تلك الزوج التي بانت مكانتها في قلبه حين لم يعمر بعد انتقالها الى جوار ربها طويلا •

وبعد أن تحدثت عن « وفاته » ، اختتمت الفصل بالحديث عن الاثر الذي تركه فقده في العراق والوطن العربي بما ذكرت من أصداء وبما أوردت من شعر قيل في رثائه •

أما الفصل الثاني فقد تحدثت فيه عن ثقافته ، محاولا أن أوضح الروافد التي استقى منها هذه الثقافة ، والمصبات التي صبت فيها ، للوصول الى اعطاء صورة عن عقليته • وقد بينت أنها حصيلة نفس طلعة ، ورعاية والد شاعر أديب ذي مكانة اجتماعية بارزة ، ودراسة قصيرة على طريقة النجف التقليدية في الدراسة لم يلبث أن انصرف عنها ، لما فيها من تقليد وجمود ، الى الاطلاع الحر الذي راح يجول به في شتى مجالات العربية وتراثها ، في الشعر والادب والفلسفة والتأريخ والبلدانيات وغيرها من مجالات ، كانت حصيلتها هذه البحوث العديدة والمؤلفات المتنوعة التي رأينا فيها عنايته باللغة العربية من حيث المعاجم والمصطلحات واللهجات والحرف والخط ، سعى فيها الى الحفاظ على هذه اللغة واغنائها • كما رأينا شغفه بالتراث العربي حين عرّف بما لم يكن معروفا كما يريد له ، ونشر ما عثر عليه حين وجد ما لم يكن منشورا ، وحقق ما تسنى له تحقيقه ، وهو الى ذلك كان يود لو يطوى المسافات في العلم والمعرفة ، ومن هنا كان شغفه بأدب الرحلات ، ومن هنا كان تسجيله رحلتيه في بادية السماوة والى المغرب الاقصى اللتين بدت فيهما سعة اطلاعه وقوة ملاحظته ولمح نظرته •

واذا كنت قد تحدثت عن ثقافته في الفصل السابق فقد تحدثت في الفصل الذي يليه ، وهو الثالث ، عن نتاجه الشعري • بينت فيه انه بدأ النظم في سن مبكرة من حياته ، وأن نتاجه الشعري ، بعدئذ ، انتشر على صفحات كبريات الصحف والمجلات العربية والعراقية ، وأنه كان ينقطع عن النظم أحيانا ، وأن أطول فترة انقطع فيها عن النظم كانت بين سنتي ١٩٣٦ و١٩٦٤ •

وقد قمت ، في هذا الفصل بترتيب جميع شعره زمنيا • واثبت الفروق في شعر ديوانه بين نشره الاول في الصحف والمجلات وبين نشره في الديوان •

أما الباب الثاني من هذه الدراسة فقد خصصته للحديث عن « الشبيبي الشاعر » وقد درست في الفصل الاول منه مفهوم الشعر عند الشبيبي • ووجدته يرى أن الشعر مسؤولية ورسالة لخدمة المجتمع يقوم فيها الشاعر بوصف الدواء بعد تشخيص الداء ، واستخراج العبرة من الحياة ، والدعوة الى الفضيلة ومكارم الاخلاق ، لجعل الشعر أرفع من أن يدور حول أغراض ضيقة تحط من قيمته وتقلل من دوره • كما يرى أن الاحتفال بالمحسنات البديعية والصناعة اللفظية والعواطف الكاذبة هو أسلوب قديم يجب أن يتخلص منه الشعر بالاهتمام بالمعنى الموجز دون تفريط في الالفاظ للوصول الى الشعر الجيد الجديد •

وهو لا يفرط في الشعر القديم من أجل الجديد لانه يرى أن لا علاقة بين الزمن وبين الجدة ، اذ يرى أن الجدة بلطف المعنى وسلامة المبنى وبلاغة العبارة وصدق العاطفة وجمال الشعور والتصور ، فتلك هي الامور التي تجعل الشعر يهز النفس ويرضي الوجدان ويلهم الى الصواب ويهدى الى الحكمة ، وبها يكون الشعر جديدا قديما كان أو حديثا •

وهو الى ذلك يحرص على القافية رغم ما يرى فيها من تقييد ، لانه يراها ركن البيت الرفيع ، ولا خير في بيت بغير ركن • ولعله من أجل ذلك رأى في الشعر الحر شعراً غير أصيل يعجز عن مجاراة الاصيل •

هذا وقد درست في الفصل الثاني أغراضه الشعرية ، وقد قسمتها الى

أغراض هي غير الاغراض التي قسمها اليها في ديوانه ، لانني رأيت أن ذلك أدعى الى استقامة الدراسة • وقد رتبتها حسب أهميتها عنده أو اتساعها في شعره •

وقد بدأت بالحديث عن الوطنية والقومية في شعره لانه أهم الاغراض ، أو هكذا أراد لها • وقد بينت في هذا الحديث أن الوطنية والقومية بارزتان في شعره • وأن شعره فيهما صدى لاحداث العراق والامة العربية وآمالهما نابع عن ايمان الشبيبي بالاسلام والعروبة معاً • فناصر به الحكم العثماني ما ناصر الاسلام ولم يظلم العرب ، ووقف عن مناصرته حين تخلى عن ذلك • وكان به مع العروبة في كل جزء من أجزائها في المشرق والمغرب ، الامر الذي وسم شعره بسمة الكفاح في بعض أغراض شعره الاخرى •

وبعد حديثي عن الوطنية والقومية في شعره تحدثت عن القضايا الاجتماعية في هذا الشعر ، وأشرت الى القول انه من أوائل من طرقوا هذا الموضوع من شعراء العراق وأولهم بين شعراء النجف • ولاحظت أن القضايا الاجتماعية التي عالجها في شعره هذا هي الجهل والفقر وما اسميته بالفقر الزراعي والتزييف الاجتماعي • وأوضحت أن قلة حديثه عما يعرف بحقوق المرأة راجع الى ربطه هذه القضية بمرور الزمن وبمستقبل الامة العربية الاسلامية ، من ناحية ، ولانه يرى أن معالجة هذه القضايا لا تأتي عن طريق الشعر والشعراء • هذا وقد بينت أن الشبيبي ينظر الى الاصلاح نظرة اخلاقية مثالية تنظر الى الامور من أعلى دون أن تعالجها من الاساس على ضوء نظرية أو فلسفة متكاملة ، شأنه شأن غيره من معاصريه من شعراء تلك الحقبة التي لم تكن تحتمل أكثر من ذلك •

وحين تحدثت عن شعر المناسبات اشرت الى رأي الشبيبي في هذا الشعر وكيف انه يشترط فيه نبل القصد والاجادة الفنية • وقد وجدت أن شعره في المناسبات قسمان ، الرثاء ، والمديح والتهنئة ، وقد ضممت شعره في رثاء من رثاهم ممن كان لهم دورهم الوطني او القومي الى دراستي للوطنية والقومية في شعره لالتصاقه بهما • وقد ضممت شعر التهنئة ــ الى المديح ، لان المديح يسود الكثير

من هذا الشعر • هذا وقد كان بعض شعره في المناسبات قد نظمه قبل طبع الديوان وقد استبعده منه حين طبع الديوان ، والاخر نظمه بعد طبع الديوان وهومجموعة « رنين على الاجداث » • وقد ساد التكلف والصناعة اللفظية الشعر الاول ، وبدأ الميل الى شيء من المجون والى الافتخار بالشعر في بعضه ، كما بان هبوط الثاني عن مستوى شعره بصورة عامة ، وبدا فيه سروره بالعودة الى نظم الشعر بعد انقطاع قارب الثلاثين عاما •

وقد وجدت ان النظر الفلسفي متوفر في شعر الشبيبي ، لذا افردت مكانا للحديث عنه ، لما كان الشبيبي يتصف به من شخصية حساسة ونفس تساؤلية وعقلية متفتحة أذكاها اتصاله ببعض المتنورين واتساع مطالعاته وتنوعها ، وظهر في شعره شكه في بعض المسلمات ، الا انه كان في النهاية يعود الى الايمان عن طريق الدين •

وحين درست شعره الغزلي بينت أن غزله قسمان ، الاول ، يفتتح به بعض قصائده ، وأكثره بارد يميل الى الصنعة والتكلف • والثاني ، قصائد يبنيها على الغزل ، وهو أقل تكلفا وميلا الى الصناعة • ولاحظت أن غزله ، بصورة عامة ، تنقصه العفوية وحرارة العاطفة اللتان تنبئان عن معاناة الحب ، ولهذا ، ولانه عاش في بيئة مغلقة تحول دون اتصاله بالمرأة ، رجحت أنه لم يكن يتبادل الحب مع واحدة بعينها • كما وجدت ان غزله الذي استبعده من الديوان لا يخلو من مجون في حين يميل غزله في الديوان الى البراءة والعذرية •

أما شعره في الطبيعة فقد لاحظت أن أغلبه يطغى عليه الشعور بالاسى أو الفاجعة ، فهو لا يرى من الطبيعة غير جانبها الآسي أو الفاجع • وقد اتضح لي أن ذلك ينبع من منبع فردي هو هموم الشاعر الشخصية أحيانا ، وأحيانا من منبع اجتماعي • وقد ذهبت في تعليل ذلك الى أنه كان نتيجة لتغير نظرته الى الحياة مع مرور الزمن وما وجد فيها من شعور بالخيبة والتناقض اللذين يسمان الكثير من مظاهر الحياة •

أما الفصل الثالث فقد درست فيه فنه الشعري من حيث اللغة ، والصورة ، والموسيقى ، وبناء القصيدة وأسلوبه الشعري ، وأختتمته بالحديث عن الشبيبي والشعراء الآخرين • وقد وجدت ، الى ما في لغته من ميل الى التقليد والبداوة والتأثر بالقرآن الكريم وترديد لالفاظ العلماء ومصطلحاتهم ، احساساً باللفظة والعبارة ، وتخيراً لهما بعناية واضحة • ورأيت الصور الشعرية في شعره رغم أنه لم يكن يطفح بها ، اذ أن ذلك لا نتوقعه من شاعر عاش في فترة نقلة في الشعر من ظلام التقليد الى فجر التجديد ، اتجه فيها الكثير من الشعر الى شؤون السياسة والاجتماع ، يخاطب الجماهير فيها بلهجة تقترب من المباشرة والنثرية • ووجدت أن هذه الصور تقليدية حينا ، وجديدة حينا آخر ، تتراوح بين الحقيقة والمجاز ، ويميل بعضها الى الحركة ، والحدة فيها أحيانا ، لا سيما في تصوير الشؤون الاجتماعية • وهو يتوسل في صوره بالتشخيص والصور المركبة والرمز • وهو في موسيقى شعره يجري على الاسلوب التقليدي في الوزن والقافية ، وان شذ عنه قليلا في مطلع حياته الشعرية فوقع في تقليدية جديدة حين نظم في التوشيح والتخميس والتربيع ثم استبعد هذه من الديوان الذي له فيه بضعة أبيات في لزوم ما لا يلزم • هذا وقد جرى في بعض شعره على حروف روي قليلة الشيوع أو نادرة ورغم ذلك وفق فيه • ورغم اننا نجد في بواكير شعره بحورا قصيرة ، الا أنه يميل الى البحور الطويلة الشائعة في الشعر العربي ، وربما كان ذلك متأت من مزاجه الوقور • وقد أرجعت وجود البحور القصيرة في مجموعة « رنين على الاجداث » الى شدة انفعاله الذي ألجأه اليها وهو ينظم في رثاء زوج مخلصة أعانته كثيرا في دروب الحياة • وبينت أنه يلجأ في سبيل اغناء موسيقى شعره الى المناسبة والتكرار ورد العجز على الصدر وغيرها ومع أنه سار على النمط التقليدي في بناء القصيدة الا انه مال الى الخروج عليه فتجنب مقدمة النسيب في كثير من قصائده ، أو حاول أن يعطيها بعدا جديدا ، وترك تصريع المطالع واقتضب في بعض القصائد • ووجدت أنه يميل في شعره الى الاعتراض والتذييل الجاري مجرى المثل والتضمين والحوار والفصل بين

جملتين مع ميل الى احتذاء قصائد معروفة أو أبيات مشهورة لشعراء العرب القدماء ٠

أما حين تحدثت عن الشبيبي والشعراء الآخرين ، فقد أوضحت العلاقة بين الشبيبي وغيره من الشعراء الذين قرأ شعرهم أو أعجب بهم وذلك من خلال أحاديثه وشعره ٠ هذا وقد لاحظت أنه ، كما قال ، لم يتأثر بشاعر بعينه بحيث نجد لمسات ذلك الشاعر على صفحات شعر الشبيبي ولكننا نجد له قصائد تذكرنا بقصائد لغيره من الشعراء القدماء ، أو قصائد نلاحظ معارضته فيها قصائد معينة لهؤلاء الشعراء ، كما نقرأ له أبياتا يلمح فيها الى أبيات من شعر غيره من القدامى أو تلتقي مع أبيات لهم ٠ وقد ذكرت انني لا أعتبر هذه سرقة لانها أبيات شائعة معروفة لا يمكن سرقتها من جهة ، ومن جهة اخرى ذهبت مذهب من يقول ان الشاعر نتيجة لقراءاته الكثيرة لشعر الشعراء القدماء ترد على لسانه صور ومعان مما اختزنته ذاكرته ، فاذا حدث تشابه بين معاني الشاعر وصوره ومعاني الشعراء القدماء وصورهم ، كان ذلك نتيجة التذكر التلقائي المعتمد على فكرة تداعي المعاني أو نتيجة الاستدعاء المعتمد على قانون التردد ٠

وفي الفصل الاخير ، وهو مكانة الشبيبي في الشعر العراقي الحديث ، أعطيت صورة لما كانت عليه حالة الشعر العراقي قبل الشبيبي من حيث فقدان الاصالة والكلف بالمحسنات البديعية والزخرفة اللفظية والدوران حول موضوعات قليلة الاهمية ٠ كما أوضحت ما كان عليه بناء القصيدة وما التزم به الشعراء في هذا البناء ٠ ثم بينت أن شعراء بدأوا يبذرون بذور التجديد في الموضوعات والأخلية والاساليب مثل عبدالغني الجميل وموسى الطالقاني وحيدر الحلي ومحمد سعيد الحبوبي ، ساعدهم في انماء تلك البذور تغير الاوضاع السياسية من اعلان الدستور في العهد العثماني وما رافقه من حرية ساعدت على انطلاق الالسن بالتعبير عن المكنونات وبروز الشعر في الصحافة التي عنيت به في مخاطبة الجماهير معنية بمشاكلهم بلهجة خالية من التعقيد ، كما ساعدت على

دخول الصحافة العربية بشكل أوسع حاملة الجديد في الفكر والعلم وغيرها ، عاكسة النتاج العراقي بما نشرته من نتاج شعرائه • ومن احتلال انجليزي حمل مع عسفه وظلمه مظاهر مادية ومعنوية اهتزت لها القيم والافكار واخذ الناس يعيدون النظر الى الحياة تفتيشا عن السبل القويمة التي يجب اتباعها في التخلص من المحتل الغاشم وفي شؤون الحياة الاخرى • فبدأت الاشياء تتغير بالتدريج ، والشعر منها ، اذ أخذ يتجه الى معالجة الاوضاع السياسية والاجتماعية متجنبا الاهتمام المسرف بالتحسين البديعي والزخرف اللفظي صارفا العناية الى المعنى والمضمون •

والشبيبي كواحد من أبرز شعراء تلك الحقبة ظهرت في شعره سمات القديم وبوادر الجديد ، بحكم المرحلة الزمنية التي عاش فيها والتي لا تحتمل القفزات • وقد تميز شعره بقلة النثرية وبجمال الصياغة وصفاء الديباجة في لفظ وعبارة مختارين ، نفذ فيه الى أعماق الشعب والمجتمع بخط اخلاقي ، والى صميم الحياة بروح متسائلة ، وساهم مع كوكبة من معاصريه في دفع الشعر العراقي في طريق التطور والتجديد •

واذا كان لي أن أقول كلمة أخيرة فهي أنني أرجو أن أكون قد قدمت في دراستي هذه صورة واضحة للشبيبي •• الشاعر •

الملاحـــق

* الملحق رقم (١) : مجموعة « رنين على الاجداث »
* الملحق رقم (٢) : شعر أتيح لي جمعه .

الملحق رقم (١)

* * *

مجموعـــة

رنين على الاجداث

* * *

هو الحمام(*)

هو الحمام كنا يـا أم أسـماء ... ما انفك يعصف في لـب الألبّاء
أشد مـا يصدع الأحلام راسية ... لغير مارجعـــة منأى الاحبـــاء
عادت وقد عجز التدبير شاكيـة ... مـن المداواة شـكواها من الداء
والتاع للرزء من لا ينتمون لها ... في الأهـــل لوعة اخوان أحمّاء
أخت الملائك في طهر وفي شرف ... خدينة الحور في سمت وسيماء
مـا كنت يوماً اذا نوديت ذا أُذُنٍ ... ثقيلةٍ عـــن نداء الخير صمّـــاءِ
وما ذهبت الى رأي بمعضلـــة ... الا وعزّزت بالبرهـــان آرائـــي
أكان ضربا من التخليط ما وصفوا ... أم كان مخرفة طـب الاطبـــاء
تضوّع البيت عَرفاً منك وانتشرت ... ريا الأزاهر رفت غبَّ أنـداء

* * *

(*) ستكون هذه العلامة (*) بجانب العناوين التي تم وضعها من قبلي لان الشبيبي ــ رحمه الله ــ ترك بعض هذه القصائـد والمقطوعات دون عنوان .

النائي القريب

عدت للـدار غـريبا حـين واريت الحبيبا
غيبـة مـن ذي وداد ليس يـرجى أن يؤوبا
غـير نكر لـو أذاب الـ وجـد منهـن قلوبـا
حـدث ضـاق بالـف فـارق الكـون الرحيبا
ومـن الـداء دفـين شـد ما أعيى الطبيبا
ما وجدنـا لك في الخلـ ـق وفي الخلـق ضريبا
تجد النفس عـلى النفـ ـس مـن الله رقيبـا
أنكرتـني الـدار وانحســي وأنكـرت الـدروبا
وبعيـد عـن عيـان زرت مثـواه قـريبـا
غـير بـدع من شقيقا تـك لـو شـقت جيوبا
وخليـق بفـؤاد مـا حواكـم أن يذوبا
زدت في العـين ائتلاقـاً كلمـا زدت شـحوبا
ومـن الـداء عظيـم غالـب المضنى وثـوبـا
شـمسنا بعـد شـروق آذنتنـا أن تغيبـا

* * *

فراق الأحبة(*)

فراق الاحبة احدى الهنـات وما هي من هـذه الهينـات
حنتـك الليالـي وأنت الـذي أرى باعتدالـك صـدر القنـاة
أرى الهـدم في جيلنـا شائع فأيـن غدا المصلحون الثبـات ؟
يـدان البريء الذي ما جنـى وينجـو ويسـلم قوم جنـاة

تحمـــل أحبابنـــا مســرعـين وضقنـا ولو لحظـة بالأنـــاة

* * *

ماذا دهاك(*)

تلقاء عينك للأحباب أشـــــباح كأنهم ما غدوا عنها ولا راحوا
فاءوا وغابوا عن الدنيا وقد بقيت شمائـل حيـة منهـم وأرواح
لا يستطيع ثراهـا أن يغيبهـــا وليس يحجبهـا في اللحد صفاح
لجّوا على غير جدوى في مناحتهـم وهـل يرد رهين اللحـد نواح
خاب الرجـاء بقوم ليس يصلحهم ذكر حكيـم وأسفار والـواح
ماذا دهاك ولم أعهدك غاضبـة أمـا محياك هنا فهو وضـاح
تفاؤل وابتسـامات مشـــــجعة كأنمـــا الكون أعياد وأفـراح
وأين صارت أقاويـل مفوفــة من بعضهـا أدب حي واصلاح
في برهة ما تراخت ذاب هيكلها واجتاحه من وبيل الداء مجتـاح
كأنمـا أغمـدت بيض مهنَّـــدة في الجسم أو أشرعت في الصدر أرماح
وعاودتنـــي بنات الشعر سـانحة وآض بلبل روضي وهو صداح
حمداً لمن ألهمتني القول راحلة عن عالـم جله غـم وأتـــراح
وانقاد صعب القوافي طوع رائضة فها أنا في بحور الشعر أمتـــاح
ماضل مستنصر بالرأي يرشده والرأي في الطخية الظلماء مصباح
وقد تصنع بعض القوم فافتضحـوا ان التصنع في الأخـلاق فضاح

دوحة الأفياء(*)

•••••• البحر روت كل من وردا	فما انتجعنا ضفاف النيل أو بردى
يا دوحة تمنح الأفياء وارفة	لم أنس عيشا مضى في ظلها رغدا
يا موئلا لاذ من ريب الزمان به	من لاذ مضطربا أو عاد مضطهدا
تاهت وضلت عن المنهاج طائفة	أما سواها فأمَّت منهجا جددا
ظن الأمان ولم يسمح لعادية	وبدل الصفو من حالاته نكدا
لم لا نقارع بالأسفار أنفسنا	ونترك الدهر حار الدهر أو قصدا
آليته لست مختارا على بلد	مثل العراق الذي أوطنته بلدا
اذا انتسبت الى الأيام مفسدة	فأنت مدرك أن الجيل قد فسدا
ذخيرة من بقايا الدهر قد نفدت	فما احتيالك في صبر اذا نفدا

شتان منزلتان(*)

شيم الرجال تصبر وتجلد	ومن التجلد عنك ما لا يحمد
يا للرزية لا رزية مثلها	ناح الغري لها وضج المشهد
يا رقدة ليست تليها يقظة	ولكل حي في النهاية مرقد
طورا يطيش بها الحديث وتارة	في منطق متخير تتشهد
أقوى الندي كثيرة رواده	وخلا ليحضر في الندي العوَّد
ما وطدت بيتا وحق لمن لها	بيت" بأفنية القلوب موطد
أعيى الأساة وفت في أعضادهم	داء على حوبائها مستأسد

يا معهـــداً شـــحّ الزمان بقربـــه ما راق لي تالله بعـدك معهـــد
كثر الذين فقدتهــم فكأنهــم من فرط تذكار لهم لم يفقــدوا
ومضى الذين سلوتهـم فكأنهـم من طول سلوان لهم لم يولدوا
منذ افتقدتـك يا أبـر فقيـــدة أنا ذاك اما منشىء أو منشـد
قطـع كريمات اللغـى منشـورة وقصائـد في النائبـــات تقصّد
شتـان منزلتان قصر مشـــرف يــا أم أسماء وقبـــر مفـــرد
هـذا المـآل مآل كـل متـوّج ومصير من رفعوا البلاد وشيدوا
سيان ما اختلفت بأدنى رتبـــة هذي الوصائف والحسـان الخرّد
ولأنت من بعـد الفراق قمينـة برثاء من نظموا القريض وجودوا
كل الذخائر ما اجتهدت تصونها تلقى الضياع وكـل علق يفقد
شر الكـلام وفي الكلام مراتب ما أهملوه وخـــيره مـا ينقـد

أم البنـــين

يغنى الزمان وذكرهم يتجـــدد فلهـــم يقـوم بكل ناد مشـــهد
كثر الألى حرموا الخلود وفاتهم شرف البقاء وقل قوم خلـدوا
أم البنـين وأمجد مـن بينهـم لـو تعلمـين بمـا يعـانى أمجد
واذا لمحـت مـن الوليد سجية طـابت فقل اذ ذاك طالب المولد
أعزز عليّ بأن أرى حوريـــة وأرى محاسنهـا الرغام الأسود

عودة الشعر(*)

عاود الشعر بعد طول صـــدود ونهضنا الى تعاطـــي القصيـــد

ان تقضت تلك العهـود فشعري | وشعوري من نسج تلك العهود
في قديـم من الصياغـة الا | انـه حاز كل معنـى جديـد
واستطلنا عصر (النواسي) يزهو | وطيوفا من (أحمد) و (الوليد)
زايلونا وقد علمنـا وشيكاً | أنهم زايلوا بأنس الوجـود
لم أصدق على شفا اللحد أني | صنت أغلى يتيمة في اللحود
هوّن الموت عندنا ما توالى | من أذى واصب وكرب شديد
لم تصب وحدها فكم من ذويها | من مصاب ومن معنًّى عميد
تتمنى الردى وحسبك داء | أن ترى الموت مستساغ الورود
في ضمير الليل البهيم تناجي : | ربِّ رفقاً لما ترى من صمودي
ليس لي عدة ألوب اليهـا | ثقتي فيك عدتي وعديدي
رجموا الغيب بين برء أكيـد | أو شفاء للداء غير أكيد
يا هواة النشيد صار رثائي | وادكاري لهم شعار نشيدي
من وعى مرة بغام مهاة | سيعي تارة زئير أسود
أفلح الحاصدون غيري فهذا | من متاع الدنيا الغرور حصيدي
نحن في فترة اختلال كبير | في الموازين وانتكاس بعيد(١٢٦٠)

أيا ملهمة الشعر

أفي الأوطان أوطار | اذا أوحشت الدار
وماذا تنفع الدار | اذا لم يك ديار ؟
ولم تهو اليها قط | ركبان و زوار
ولم تروِ أحاديث | طليات و أسمار

(١٢٦٠) نشرت في جريدة « البلد » ع٧١٦ (٣ تشرين الاول ١٩٦٦) ، بلاعنوان

ولم تسطع من الأوجه … في الظلماء أنوار
ولم تبد شموس من … مغانيها و أقمار
ومن عاشرت بالأمس … هم الساعة أخبار
عطاء غير ممنون … واسعاف وايثار
وقد أنكرك الأهل … كأن الأهل أغيار
ألم يجمعك بالاخوا … ن أرحام وآصار ؟
أما دافع عنك الضيم … أشياع وأنصار ؟
وفي الخلقة والأخلا … ق ألوان وأطوار
ومن لم تكفه الدنيا … كفته اليوم أشبار
أللدهر بما يجني … على من هلكوا ثار ؟
وهل تدرك للموتور … من دنياه أوتار ؟
بقايا الناس في الدنيا … أحاديث وآثار
جهاز المرء في الرحلة … أعمال وأطمار
ولله شؤون في … مآسينا وأسرار
أيا ملهمة الشعر … ستروى فيك أشعار
اذا ما بلغت مصراً … تهادتهن أمصار
وما في الحزن من عار … تجافينا هو العار
لنا في البر والبحر … وفي الأجواء أسفار
ألم تقطع من البيداء … أنجاد وأغوار
وللاعصار نيران … وللأمواج تيار
صحبناك فما زاغت … لنا في اللج أبصار

وخاطرنا فما راعت أخا ودك أخطار[1261]

المأوى والأثر(*)

في كل ركن من المأوى لها أثر فكيف تحجبها الأرماس والحفر؟!
يا صورة تتراءى كل آونة لواجد ما زهته بعدك الصور
في كل يوم لنا في الحي ناعية وليس فيمن نعى الناعي لنا عبر

* * *

ليس الحياة وان طالت بباقية تبقى الأحاديث والأعمال والسير
كم غائب حاضر من بعد غيبته الا أحبتنا غابوا وما حضروا
تمضي الحياة بنا كالطيف سادرة
وينقضي ، دون أن ندري به ، العمر[1262]

يا أم أسماء(*)

الدار موحشة من بعد ايناس ما نفحة الورد والريحان والآس
لا تمكن الداء الا انها صبرت تقول ان خوطبت : ما فيّ من باس
الزهد شيمتها من كل ما علقت به نفوس من الياقوت والماس
هي المقادير والآجال ان حضرت حار الطبيب وضلّت حيلة الآسي

(١٢٦١) نشرت في جريدة « الحرية » ، ع ١٩٦٠ (٢٧ تشرين الثاني ١٩٦٨) .

(١٢٦٢) نشرت في جريدة « المنار » ع٣٥٧٣ (٢٦ تشرين الثاني ١٩٦٦) بلا عنوان .

هل خلَّد الدهر أو أبقى لنا أثراً ... من آل مروان أو من آل عباس
ما فارقتها ولاغابت بشاشتها ... وطالما هزلت من دائها القاسي
وانتابنا اليأس الا من شمائلها ... فانها ما تبالي سورة الياس
في كل عضو رسيس غير منقطع ... مجمّع الزور حتى مفرق الراس
لا بد للحي أن ينسى ولست لها ... ولا لسيرتها البيضاء بالناسي
في اليأس كنت أراها غير ان لها ... هديا به انفردت عن جملة الناس
وأخطر الداء أن يبقى بلا عصب ... ولا جهاز دقيق الوعي حساس
يا أم أسماء ما تدرين ما نزلت ... تلك الرزية في صحبي وجلاسي
وكيف شق عليهم ما [رزئت] به(**) ... وكيف ضعضع ركن الاعصم الراسي

أضغاث أحلام

هل الحياة سوى أضغاث أحلام ... طيف ألم وغادي بعد إلمام
رفيقة العمر هل تدرين ما تركت ... مواقف البين من شجو وآلام
اذا سرت من خلال الروض عابقة ... وهل تضوع منها نشرك السامي
يا حرة فارقتنا غير قالية ... نقية الثوب من عاب ومن ذام
طبّ الأساة جراح الناس واندملت ... يا أم أسماء الا جرحنا الدامي
انا نشيع هذا اليوم طيبة ... موفورة الحظ من تقوى واسلام
هي التي ألهمتني الشعر ثانية ... من بعدما انقطعت أسباب الهام
ما مر عهد كعهدي في نضارته ... ولا انقضت قط أيام كأيامي
يا علة أحدثت في نفسها عللا ... ويا سقاما تمادى بين أسقام

(*) ما بين القوسين من وضعي .

في الاربعين

جددوا العهد غداة « الأربعين » ... وعلت زفرتهم لو تسمعين
وتخلصنا الى واعية ... هزت الحي وما كنت تعين
كنت عونا لهم فانقلبوا ... كاليتامى فقدوا حدب المعين
ياسريراً أحدق الأهل به ... ورنا القوم اليه جزعين
أنهكتها علة موجعة ... تركت كل ذويها وجعين
حقق الله لها منزلة ... بين حور في جنان الخلد عين
ورع سيرته موروثة ... من نساء ورجال ورعين
أزمعت بيناً وليست وحدها ... سترانا بعد حين مزمعين
عشرة ما اعترضتها نبوة ... أو هناة في سنين أربعين
ما ادعينا كذبا في ودنا ... فضح التجريب كذب المدعين
ملك الموت ينادي أبداً ... كم صريع برماحي وطعين
ما دعا يوما الى طيته ... معشرا الا ولبوا مسرعين
لا ترى من فارق بين ذوي ... يسرة أو فقراء مدقعين
طالما حدنا فعدنا للهدى ... وتمردنا فأبنا طيعين
يا زمان القرب ممن رحلوا ... جادك الغيث وروّاك المعين
قد بكيناك بشعر رائق ... مستجاد من هواة مبدعين
يا نزول الربع في أرض الحمى ... كم طرقنا حيكم مرتبعين
بعدت نجعتكم فاغتربوا ... واقتفوا آثاركم منتجعين

أي ركب لم يغادر داره ونزول لم تجدهم مقلمين(١٢٦٣)

في ذمة الله

وقت السرور ووقت ما أشجاني نعمى الحياة وبؤسها سيان
دنيا تحيرني وتبطل منطقي أبدا وتعقد بالخطوب لساني
ولقد نفى عني الشكوك وردها برد اليقين ونعمة الايمان
النزع نزع الروح موت أول والجهل جهل الحل موت ثاني
قد نستكين الى الصلاح وطالما غلبت علينا نزوة الحيوان
ما بين مبدئه وبين معاده ضلت وحارت فكرة الانسان
في هيكلي كون كبير سره ما زال عند مكوّن الأكوان
يا ربة البيت الذي أودت به وتخبطته بوائق الأزمان
أعزز عليَّ بأن أراك أخيذة بعد الكفاح وشيكة الاضعان
في ذمة الله اذهبي مبكية منعوتة بالبر والاحسان
معصومة مما يشين مصونة مما يريب نقية الأردان
من سار يحدوه الهدى غير الذي أخذ الطريق على هدى القرآن
عصف الردى بالطيبين أرومة من رهطي الأدنى ومن اخواني
السابقين فتوة ومروءة والعاملين لرفعة الأوطان
قد ترتقي همم وتشرف أنفس تدع المحال بحيز الامكان
ومن الضنى ملأ الحياة مرارة ماهوّنوه بحكمة الديان

(١٢٦٣) نشرت في مجلة « البلاغ » مجـ١ ع٥ (تشرين الثاني ١٩٦٦) .

لـــم يعينـي الوصب الذي قاسيته		بعـــد اللقاء هـــو الذي أضنانـــي
وانا اختبـــرت أصبت في أحوالكم		رأى الشيوخ ونجدة الشبان(*)

(*) نشرت في مجلة « البلاغ » ، مج ١ ع ٤ (تشرين الاول ١٩٦٦) . والجدير بالذكر أنني حصلت على هذه المجموعة من « رنين على الاجداث » من السيد أسعد محمد رضا الشبيبي ، وما نشر منها قام هو بنشره بعد وفاة المرحوم الشبيبي كما هو واضح .

هذا وللسيد أسعد قصيدة بعنوان « صدى الرنين » يستهلها قوله :

ابنتي .. يهلك الظـــلام وتبقى		كالدراري ـ تألقـــا ـ وانعقـــود
أنت في روضـــة الحيـــاة هزار		عبقري وفي جنـــان الخلـــود
قـــد أهاج (الرنين) اي رنين		وأثار النشـــيد اي نشـــيد

انظر جريدة « البلد » : ع ٧١٨ (٥ تشرين الاول ١٩٦٦) .

الملحق رقم (٢)

« شعر أتيح لي جمعه »

من شعره في معنى قطع بجدل اصبع الحسين (ع) :

ما بال بجدل لا بلت مضاجعه　　قد حز اصبعه في مخذم ذرب
لو كان يطلب منه بذل خاتمه　　لقال هاك وهذا قبل فعل أبي(١٢٦٤)

الرجاء بعد اليأس

الى الشيخ سليمان أحمد

سليمان ترج ذوي جناح　　بقومك للعلى وذوي جنوح
بكرت محذرا عبث الليالي　　بهم تحذير نوح قوم نوح
دعوت القوم باسمك وهو فال　　عسى يتسخرون بساط ريح(١٢٦٥)

ذكرى أديب(*)

ذكر لنا يمضي وذكر يعود　　هيهات ننسى ما لنا من عهود

(١٢٦٤) آل محبوبة : ماضي النجف وحاضرها جـ٢ ص٣٨٢ .

(١٢٦٥) مجلة « العرفان » : مجـ٥ جـ٧ (٢٥ تموز ١٩١٤) ص٢٢٧ .

(*) هو الاديب الشهير أديب التقي البغدادي . وقد تعرف عليه الشاعر خلال اقامته في الشام سنة ١٩٢٠ ، ولمس فيه الخلق والادب الجم وقد اختاره الله الى جواره سنة ١٩٤٦ ، مبكيا عليه جميع عارفيه فدعي الشاعر الى تأبينه فاتفقت له هذه القصيدة التي تصوير فترة من الحياة الادبية في السنوات الخالية ، الا ان عدم اقامة حفلة تأبين للاديب الفقيد أدت الى عدم انشادها وبالتالي عدم نشرها . وقد تهيأ للشاعر العثور عليها بين أوراقه القديمة فآثر نشرها رعاية لحقوق الصداقة والادب .

يا جيرة الـوادي ألا مخبـــر ... أين القباب البيض ؟ أين الوفود؟
بـل أين سمار عهدنـــاهـــم ... زين الملا فيهم وأنس الوجود
ذخيرة المــاضـين أســمارهم ... وحكمـــة القـــوم وارث الجـدود
ما شك منهم ذو حصـــاة ولا ... غـــرر بالقوم سـراب الجحود
قالـوا لمن مـال بـه سـيره ... منحرفـــاً : نحـن لزمنا العمود
طـــرائف مـن أدب خالـــد ... مـا كـل معنى يستحـق الخلود
وأوجـــه من صحف تجتـــلى ... منمنمـا مثـل حواشـي البرود

* * *

هــل أقوت الدار وهل أقفرت ... مــن خلق سهل ورفد وجود؟
مضـوا دراكـا وتهاووا كمـــا ... تهـوى اللآلـي أسـلمتها العقود
أحــوج مـا كنـــا الى رأيـــه ... غـاب أديب في مطاوي اللحود
خاض الوغى في الشرق مستقتلا ... وباشر الحرب وقاد الجنود(**)
القر من اعدائهـــم والطـــوى ... والوحشـ والداء يذيب الكبود
قتلى اذا عاينـــــت أكداســـها ... خلـت غثاء جرفتـــه المـدود
ما كــان في مذهبـه جـائـــراً ... من حفظ العهد وراعى الحدود
يذود عن عــرض وعن موطـن ... وأي حــر عنهمـــا لا يذود ؟

* * *

ألمح في الشـــام وأرجائهـــــا ... مشـابها عن حضن أو زرود(*)
مـا القنا الأعـوار من بعـدكـم ... يا عربـا ما الفهـا في النجــود
نصـــد عنكـم الهوى أنتــم ... فيعـرف الواشون معنى الصدود
لا أجعـي مناً وأنتـــم عـــلى ... مـا قلت من عهد بعيد شـهود

(**) إشارة الى اشتراك الشاعر [المرثي] في الحرب الكونية .
(*) أسماء مواقع عربية .

آضت ثغاماً وفراتي التي ... ما ينتمو هن غرابيب سود
كم علة كابدها مدنف ... ولم تكابد مثل داء الجمود

* * *

يا أمة آلت على نفسها ... أن تدع الراحة حتى تسود
لا بد للأمة من مرتقى ... فلنرتقب بعد الهبوط الصعود
تحية يعبق منها الشذا ... طيا ونستاف عبير الورود(١٢٦٦)

العالم والعلم

النجوم الزهر كانت سدما ... حائرات في الزمان الأول

وحدة كانت سديما بينا
فتجزأن فرادى وثنى
هكذا أول تكوين الدنا

جملة الكون استحالت ضرما ... لست أدري من دعاها اشتعلي

أبحكم الاتفاق التهبا
أم تجلى فيه سر الكهربا
لم يكن ذاك ولاذا سببا

انما المصدر أضحى مبهما ... كامنا تحت حجاب الأزل

شع في العالم غاز نير
ملأ الأبعاد منه الجوهر

(١٢٦٦) جريدة « الحرية » : ع٣١١ (٢٠ حزيران ١٩٥٥) . والهوامش السابقة منقولة عن الجريدة .

فهو في عرض الفضا منتشر

كـان غازا فالتقـى فانتظمـا كتـلا أغرب بهـا مـن كتل

شـد ما أدهش أفكـار الملا

أبناموس الرقـي انتقـلا

كـان غـازا فتلاقى كتلا

وبسـيطا فترقـى أنجمـا بهـرت في النـور عين المجتلى

أنجـم تشرق فيهـا الظلـم

أرضنـا منهـا ولسنا نعلـم

حسبوهـا مركزا يا وهموا

ان هذي الأرض من تلك السما لـم تكـن بالمركـز المنعـزل

مذهـب كـان الطريق الأمثلا

فـأتى الآخـر ينعـى الأولا

قيـل : رأي باطل قلت : بلى

عـرش بطليموس شيخ الحكما طـاح دكـا بمبادي هرشل

أكبـروا الأفلاك شأنـا كبرا

فهي أجسـام ولكـن لا ترى

فكـر كانـت وثيقـات العرى

أوليـات دعـاهـا القدمـا فاذا تفنيدهـن الأولـي

سـائرات لم تطـأ مافـي الثـرى

وبسـيطات نبـذن العنصرا

ركّبوهـا كيف شـاءوا صـورا

بعضها من فوق بعض رسملا   فحوى الأعلى محيط الأسفل

وضعوا فلسفة القوم الألى
زعموا ان المفيض المفضلا
خلق الفعال عقلا أولا

خالق ثان والا لزما   كثرة المعلول دون العلل

وعلوم بالغوا فيها سدى
حسبوها للظمايا موردا
كلما زادوا روى زادوا صدى

نظريات وهل يروى الظما   نظر لم يقترن بالعمل

أمة العرب بها قد علمت
ليتها ما تركت ما استعملت
أو عساها تركت واستبدلت

بعدها علما يزين العلما   فهي في خوف مخوف مجهل

أمة قد أشرقت شمس ضحى
نور ماضيها به الليل امحى
تركتني استجد البرحا

أذكر الماضي فاستمرى الدما   فعلة تنظر للمستقبل

غرة العالم في ابانها
رفع التاريخ ذكرى شانها
آه ما أدري سدى سلطانها

أم كانت يقظة أو حلما دولة الآباء بين الدول

تركوا الدين وخانوا عهده
ضيعوه لا أضاعوا مجده
وجروا في كل شيء ضده

فترات الجهل لما انقسما نالت المرأة ضعف الرجل

قتل التقليد أفكار الأمم
أو كذب غير مأثور القدم
كم أبى الحق من التالي وكم

ترك الأول للآخر ما جد في الآخر أصل الأول

انما العرفان كالليث انكفا
كل جيل من نداه اغترفا
لم يخص الفضل فيمن سلفا

لمت طاليس درى ما نجما بعده من بخنر أو هكسلي

ما كفى أنهم قد غرقوا
في علوم فضحت ما سبقوا
فاستباحوا الدين لكن أخفقوا

فهو لا يبرح محمي الحمى ليس بالتالي ولا بالوكل

لام في الأديان قوم وهموا
أو يخشى الدين مما نقموا
فليكيدوا كيدهم انهم

عبسوا في وجهه فابتسما عبث النور بأعشى المقل

ركبوا الوهم اليه سلما
مرهب المزلق طودا عصما
صوبوا النقد عليه أسهما
ورموه وهو أنـاى مرتمى   عرضا أخطاه رامي المقتل

أثر الدين مع العلم اتحد
فهو خير ورقي ورشد
غاية للعلم والدين ترد
أخوان ارتضياها رحما   غير مقطوع ولا منفصل

ليس ينفي العلم ما فوق العيان
وأرى الدين حياة وجنان
فهو تقوى واخاء وحنان
سلوة البائس بل نور العمى   أمل الروح وروح الأمل

جهل العالم مما ائتلفا
غامض باد تجلى واختفى
كان سرا مشكلا فانكشفا
قوة فاعلة قد حكما   فعلها في قابل منفعل

ما هي القوة ؟ ما أصل الذوات ؟
ما هو الواقع ؟ ما أصل الحياة ؟
قف ، فهذا مستراح الشبهات
وخفايا كبرت أن تعلما   لن تزال الدهر بل لم تزل

يا حياة في البرايا قد سرت

لست أدري أهي الارض انبرت
أم عليها من سماها انحدرت
تصحب الشهب وتهوى الرجما يتكـورن عليهـا مـن عـل
قـرت الغبـراء بعـد الاتقـاد
فنشـا فيهـا ثلاث في أحـاد
حيـوان فنبـات فجمـاد
قـد ترقى من بسيط ونمـى مـا عليهـا من دنـي لعلـي
تـاه في العالـم فكـر الحائر
أوجود لـم يكـن بالغابـر
أم وجـود من وجـود آخـر
لم يكن مبـدأ ذاك العـدمـا فهو في سلسـلة لـم تفصـل
خبـروه فـاحصـا أو باحثا
فاستمـر الخلـف فيـه ماكثا
ففـريـق وجـدوه حـادثـا
وفريـق لـز فيه القدمـا ظنه في العقـل لم يستحل(١٢٦٧)

* * *

مقطوعتان لشاعر العرب الشبيبي

في مثل هذه الآونة من سنة ١٩١٨ أي منذ سبع وعشـرين سنة وهي آونة مل البشر فيها أخبار الحرب الماضية ، وتاقوا من صميم أفئدتهم الى حلول عهد سعيد من عهود الظلام ، ذاعت في العراق فجأة أخبار الهدنة ، وأرهفت

(١٢٦٧) مجلة « المقتطف » : مجـ٣٨ جـ٦ (حزيران ١٩١١) ص٥٥٣ .

الاسماع لمساع كل ما يتعلق بأنباء مؤتمر السلام ، بعد حرب طاحنـــة دامت أربع سنوات كان العراق إحد ميادينها .

هذه المقطوعة التي لم تنشر الى الآن لمعالي محمد رضا الشبيبي من وحي تلك الآونة العصيبة . وفي هذه الابيات تعبير صادق عن سوء الأثر الذي تركته الحرب الماضية في الحياة على اختلاف مناحيها ، وتصوير جميل لمبلـــغ تبرّم البشر يومئذ بالقتال ، فكيف بهذا القتال الدائر الآن :

نغمة الصلح

أنا لا أطـرب للشادي الرخيـم — أطربتنـي نغمة الصلـح المروم
قد أمـالتنـي وهزتنـي كمـا — هز غصن البـان خفاق النسيم
يا زمـان السلم ، والسـلم منى، — للبرايا أنـت دريـاق السـليم
ادن مني أيهـا الراقي تجـد — أممـا أرمضهـا نفث السـموم
أنهكتهـــا علـل مـــزمنـــة — وعقابيــل من الداء القديـــم
مـــن ترى يبــدل منّا شـــدّة — برخـــاء وشـقاء بنعيـــم ؟
كـم هجـــوم ودفاع مضيــا — ثم عادا بدفـــاع وهجـــوم

* * *

أي جهـل وظـــلام غلبـــا — يـا زمـان النور يا عصر العلوم
ومناكيـد فشـــت أيسـرهـــا — نقض عهد فيك أو هتك حريم
ما لهـذي الأمم اشـــتد بهـا — سـفه الرأي وطيشـات الحلوم
قد بغى قوم عـلى قـوم ومـــا — أدركـــوا عاقبـــة البغي الوخيم
ضعفـاء الرأي لـولا بغيهـــم — لاستقـاموا كالصراط المستقيم
لا تطيلـــوا الحرب مـا بينكم — فجســيم أثر الخطب الجسيم

الدست المهجور

وهذه مقطوعة أخرى مضى على نظمها أكثر من عشر سنوات ، لم يسبق نشرها الى الآن . وهي نفثة عبر بها الشاعر الكبير معالي الشبيبي عن غرض في نفسه :

هجر الحكم ولو شاء حكم شيمة الدنيا جفاء وسأم
رب بؤس ونعيم كامن بين « لا » تصدر منه و « نعم »
ما تجافى نادما . ليس علي فائت من نكد العيش ندم
محتب بالدست الا انه صنم حف بعباد صنم
رام بعث الذكر كالشمس سنا وبناء المجد كالطود أشم
راع ما حاول قوم ما لهم قدم في النهج تسعى أو قدم
أيها الخالون لا خامركم ما أقاسي من عذاب وألم
ومن الشقوة انا لا نرى قيّماً بالحكم الا من ظلم
زورة الباطل جيل كامل وطروق العدل في الدنيا لمم(١٢٦٨)

(١٢٦٨) مجلة « الحضارة » : ع٣٨ (٨ مايس ١٩٤٥) ص٥ . ومقدمتا القصيدتين من وضع المجلة .

احسن ما فيها(*)

وهذه أبيات قرظ بها مجموعة الشيخ قاسم محي‌الدين المسماة بـ «الشعر المقبول » وهي تتضمن جانبا من أخبار الرسول ومدائح آل البيت ومراثيهم في شواهد من الأخبار والأشعار المروية ، بناء على طلبه ، علماً بأن نسب الشيخ محي‌الدين يرجع الى ابن أبي جامع :

يا قاسم يـا بن أبي جامـع ... يـا ناظـم الأشـعار مرويـه
يا راثـي الهـادي وأبنـاء ... ذريـة مـن بعـد ذريـه
أحسن مـا فيهـا على حسنها ... انك فيها حسن النيـه[1269]

(١٢٦٩) الخليلي : هكذا عرفتهم جـ٢ ص١٣٤ .

المصادر والمراجع

الكتب

١ ـ ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر : د . عبدالعزيز الأهواني ، مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٦٢ .

٢ ـ أبو حيان التوحيدي ، فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة : د . زكريا ابراهيم ، سلسلة « أعلام العرب » ، ع ٣٥ ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر ـ القاهرة ، بلا تاريخ .

٣ ـ الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث : أنيس الخوري المقدسي ، ط ٣ ، دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٦٣ .

٤ ـ الاحلام : علي الشرقي ، شركة الطبع والنشر الاهلية ـ بغداد ١٩٦٣ .

٥ ـ الادب العصري في العراق العربي : رفائيل بطي ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٩٢٣ .

٦ ـ أدب المغاربة والاندلسيين في أصوله المصرية ونصوصه العربية : محمد رضا الشبيبي ، مطبعة الرسالة ـ القاهرة ١٩٦١ .

٧ ـ آراء في الشعر والقصة : خضر الولي ، مطبعة دار المعرفة ـ بغداد ١٩٥٦ .

٨ ـ أسس النقد الادبي عند العرب : د . أحمد أحمد بدوي ، ط ٢ ، مكتبة نهضة مصر ـ القاهرة ١٩٦٠ .

٩ ـ الاشتراكية والقومية وأثرهما في الادب العربي الحديث : د. يوسف عزالدين ، مطبعة الجبلاوي ـ القاهرة ١٩٦٨ .

١٠ ـ اصول الفاظ اللهجة العراقية : محمد رضا الشبيبي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ١٩٥٦ .

١١ ـ الاعلام : خيرالدين الزركلي ، ط ٢ ، مطبعة كوستاتسوماس القاهرة ـ ١٩٥٤ .

١٢ ـ الاغاني : أبو فرج الاصفهاني ، مصورة عن دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٩٥٠ •
١٣ ـ أنا والشعر : شفيق جبري ، المطبعة الكمالية ـ القاهرة ١٩٥٩ •
١٤ ـ الانسان والاسر : عبدالمنعم الغلامي ، مطبعة شفيق ـ بغداد ١٩٦٥ •
١٥ ـ البابليات : محمدعلي اليعقوبي ، المطبعة العلمية ـ النجف ١٩٥٥ •
١٦ ـ البارودي ، رائد الشعر الحديث : د • شوقي ضيف ـ دار المعارف بمصر ١٩٦٤ •
١٧ ـ البطولة في ثورة العشرين : عبدالشهيد الياسري ، مطبعة النعمان النجف ١٩٦٦ •
١٨ ـ بغداد القديمة : عبدالكريم العلاف ، مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٦٠ •
١٩ ـ البند في الادب العربي : عبدالكريم الدجيلي ، مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٥٩ •
٢٠ ـ البيان والتبيين : ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق : حسن السندوبي ، ط ٣ ، مطبعة الاستقامة ـ القاهرة ١٩٤٧ •
٢١ ـ تاريخ الامة العربية (عصر الانبعاث) : محمد أسعد طلس ، دار الاندلس ـ بيروت ١٩٦٣ •
٢٢ ـ تاريخ الحزب الوطني الدمقراطي : د • فاضل حسين ، مطبعة الشعب ـ بغداد ١٩٦٣ •
٢٣ ـ تاريخ الصحافة العراقية : عبدالرزاق الحسني ، ط ٢ ، مطبعة الزهراء ـ بغداد ١٩٥٧ •
٢٤ ـ تاريخ العراق السياسي الحديث : عبدالرزاق الحسني ، ط ٢ ، مطبعة العرفان ـ صيدا ١٩٥٧ •
٢٥ ـ تاريخ مقدرات العراق السياسية : محمد طاهر العمري الموصلي ، مطبعة دار السلام ـ بغداد ١٩٢٥ •

٢٦ ـ تاريخ الوزارات العراقية : عبدالرزاق الحسني ، مطبعة العرفان ـ صيدا ١٩٥٣ـ١٩٥٥م •
٢٧ ـ التجديد في شعر المهجر : أنس داود ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٦٧ •
٢٨ ـ تراثنا الفلسفي ، حاجته الى النقد والتمحيص : محمد رضا الشبيبي ، مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٦٥ •
٢٩ ـ ترجمان الاشواق : محيي‌الدين بن العربي ، دار صادر ودار بيروت ـ بيروت ١٩٦١ •
٣٠ ـ التطور الفكري في العراق : محمدعلي كمال‌الدين ، شركة التجارة والطباعة ـ بغداد ١٩٦٠ •
٣١ ـ تقويم جامعة القاهرة ، لسنة ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥ : جامعة القاهرة •
٣٢ ـ التوضيح والبيان عن شعر نابغة ذبيان : احد أفاضل العصر ، مطبعة السعادة ـ القاهرة ، بلا تاريخ •
٣٣ ـ الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ : عبدالله الفياض ، مطبعة الارشاد ـ بغداد ١٩٦٣ •
٣٤ ـ الجبايش : د • شاكر مصطفى سليم ، ط ٢، مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٧٠ •
٣٥ ـ حسان بن ثابت : د • محمد طاهر درويش ، دار المعارف بمصر بلا تاريخ •
٣٦ ـ الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها : فريق المزهر آل فرعون ، مطبعة النجاح ـ بغداد ١٩٥٢ •
٣٧ ـ حكايات من تاريخ العراق الحديث : خيري العمري ، دار الهلال ـ القاهرة ، بلا تاريخ •
٣٨ ـ حلبة الادب : محمد مهدي الجواهري ، ط ٢ ، المطبعة الحيدرية ـ النجف ١٩٦٥ •

٣٩ ـ الحياة في العراق منذ قرن : بييردي فوصيل ، ترجمة : د • أكـــرم فاضل ، دار الجمهورية ـ بغداد ١٩٦٨ •
٤٠ ـ خلاصة أعمال المجمـع (العلمـي العــراقي) ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤ • : د • يوسف عزالدين ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ١٩٦٥ •
٤١ ـ خلاصة اعمال المجمع العلمي العراقي لعام ١٩٦٤ـ١٩٦٥ •
٤٢ ـ دراسات في الشعر العربي المعاصر : د • شوقي ضيف ، ط ٣ ، دار المعارف بمصر ، بلا تاريخ •
٤٣ ـ دراسات في طبيعة المجتمع العراقي : علي الـوردي ، مطبعـة العاني ـ بغداد ١٩٦٥ •
٤٤ ـ الدرر الحسان في منظومات ومدائح مولانا معز السلطنة ســـردار سمو الشيخ خزعل خان : عبدالمسيح الانطاكي بك ، مطبعة العرب ـ القاهرة، بلا تاريخ •
٤٥ ـ دليل النجف الاشرف : عبدالهادي الفضلي ، مطبعة الآداب ـ النجـف، بلا تاريخ •
٤٦ ـ ديوان بحر العلوم : محمدصالح بحر العلوم ، مطبعة التضامن ـ بغـداد ١٩٦٨ •
٤٧ ـ ديوان أبي تمام : تحقيق : د • محمد عبدة عزام ، دار المعارف بمصر ـ ١٩٥٧ •
٤٨ ـ ديوان ذي الرمة : تصحيح وتنقيح : كارليل هيس مكارتني ، مطبعـــة جامعة كمبريج ـ كمبريج ١٩١٩ •
٤٩ ـ ديوان الرصافي : معروف الرصافي ،مطبعة دار المعرض ـ بيروت ١٩٣١•
٥٠ ـ شرح ديوان ابن زيدون : شرح وتحقيق : محمد سيد كيلاني ، ط ٢ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ـ ١٩٥٦ •
٥١ ـ ديوان أبي فراس الحمداني : عناية : د • سامي الدهـان ، المطبعـــة الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٤٤ •

٥٢ ـ ديوان الشبيبي : محمد رضا الشبيبي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٤٠ .

٥٣ ـ ديوان علي بن الجهم : تحقيق خليل مردم بك ، المطبعة الهاشمية ـ دمشق ١٩٤٩ .

٥٤ ـ رحلة الى المغرب الاقصى : محمدرضا الشبيبي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ١٩٦٥ .

٥٥ ـ رحلة في بادية السماوة : محمدرضا الشبيبي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ١٩٦٤ .

٥٦ ـ روض الاخيار المنتخب من ربيع الابرار : محمد بن قاسم بن يعقوب ، المطبعة المصرية ـ القاهرة ١٢٨٠هـ .

٥٧ ـ الزهاوي ، دراسات ونصوص : جمع واعداد : عبدالحميد الرشودي دار مكتبة الحياة ـ بيروت ١٩٦٦ .

٥٨ ـ زهر الآداب وثمر الألباب : الحصري القيرواني ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار احياء الكتب العربية ـ القاهرة ١٩٥٣ .

٥٩ ـ سقط الزند : أبو العلاء المعري ، دار صادر ودار بيروت ـ بيروت ١٩٦٣ .

٦٠ ـ الشاعر الثائر الشيخ محمدرضا الشبيبي : عبدالرزاق الهلالي ، شركة الطبع والنشر الأهلية ـ بغداد ١٩٦٥ .

٦١ ـ شرح ديوان المتنبي : عبدالرحمن البرقوقي ، المطبعة الرحمانية ـ القاهرة ١٩٣٠ .

٦٢ ـ شرح القصائد العشر : الخطيب التبريزي : محمد محيالدين عبدالحميد، مطبعة المدني ـ القاهرة ١٩٦٢ .

٦٣ ـ شرح مقصورة ابن دريد : الخطيب التبريزي ، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر بدمشق ١٩٦١ .

٦٤ ـ شرح الهاشميات : محمد محمود الـرافعي ، ط ٢ ، مطبعـة شـركة التمدن الصناعية بمصر ـ ١٣٢٩هـ •
٦٥ ـ شعراء العصر : محمد صبري ، مطبعة هندية بمصر ـ ١٩١٢ •
٦٦ ـ شعراء الغري أو النجفيات : علي الخاقاني ، المطبعة الحيدرية ـ النجف ـ ١٩٥٤-١٩٥٦ •
٦٧ ـ الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر : ابراهيم الوائلي ،مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٦١ •
٦٨ ـ الشعر العراقي الحديث ، مرحلة وتطور : د • جلال الخياط ، دار صادر ـ بيروت ١٩٧٠ •
٦٩ ـ الشعر العراقي الحديث وأثر التيـــارات السياسية والاجتمـــاعية فيه : د • يوسف عزالدين ، الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٦٥•
٧٠ ـ الشعر العربي بين الجمود والتطور : د • محمد عبدالعزيز الكفراوي ، مكتبة نهضة مصر ـ القاهرة ١٩٥٧ •
٧١ ـ شعر عروة بن حزام : تحقيق : د • ابراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، مستل من مجلة كلية الآداب ـ جامعة بغداد ، ع ٤ ، ١٩٦١ •
٧٢ ـ الشعر المصري بعد شوقي (الحلقة الأولى) : د • محمد مندور ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ـ القاهرة ، بلا تاريخ •
٧٣ ـ الشعر والشعراء : ابن قتيبة ، تحقيـــق : أحمد محمد شـــاكر ، دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٦ •
٧٤ ـ الشيخ ابراهيم الحوراني في فجر النهضة الحديثة : د • كمال اليازجي، مطبعة الرسالة ـ القاهرة ١٩٦١ •
٧٥ ـ صحافة الأحزاب وتاريخ الحركة الوطنية : فائق بطي ، مطبعة الأديب ـ بغداد ١٩٦٩ •
٧٦ ـ صحافة العراق ، تاريخها وكفاح أجيالها : فائق بطي ، مطبعة الاديب ـ بغداد ، بلا تاريخ •

٧٧ ـ الصحافة العراقية واتجاهاتها السياسية والاجتماعية والأدبية : منير بكر التكريتي ، مطبعة الارشاد ـ بغداد ١٩٦٩ ٠
٧٨ ـ الصحافة في العراق : رفائيل بطي ، مطبعة الهنا بمصر ـ ١٩٥٥ ٠
٧٩ ـ طبقات أعيان الشيعة : آغا بزرك الطهراني ، المطبعة العلمية ـ النجف ١٩٥٤ ٠
٨٠ ـ العراق ، دراسة في تطوره السياسي : فيليب ويلارد آيرلند ، ترجمة : جعفر الخياط ، دار الكشاف ـ بيروت ١٩٤٩ ٠
٨١ ـ العراق في دوري الاحتلال والانتداب : عبدالرزاق الحسني ، مطبعة العرفان ـ صيدا ١٩٣٥ ٠
٨٢ ـ العراق قديما وحديثا : عبدالرزاق الحسني ، ط ٢ ، مطبعة العرفان ـ صيدا ١٩٥٦ ٠
٨٣ ـ العراق من الاحتلال حتى الاستقلال : عبدالرحمن البزاز ، ط ٣ ، مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٦٧ ٠
٨٤ ـ العرب والترك في العهد الدستوري العثماني : توفيق علي برو ، مطبعة الهنا ـ القاهرة ١٩٦٠ ٠
٨٥ ـ العقد الفريد : ابن عبد ربه ، تحقيق : أحمد أمين وآخرين ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٥٦ ٠
٨٦ ـ العلامة الصادق في ذكراه الأولى : علي الخاقاني ، مطبعة الارشاد ـ بغداد ١٩٦٥ ٠
٨٧ ـ العمدة في صناعة الشعر ونقده : ابن رشيق القيرواني ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، ط ٣ ، مطبعة السعادة بمصر ـ ١٩٦٣ ٠
٨٨ ـ فصل المقال في شرح كتاب الأمثال : أبو عبيد البكري الأونبي ، تحقيق: د ٠ عبدالمجيد عابدين و د٠ احسان عباس : مطبعة مصر ـ القاهرة ١٩٥٨ ٠

٨٩ - فلسطين في الشعر النجفي المعاصر : محمد حسين الصغير ، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٨ .
٩٠ - فن الشعر : د . محمد مندور ، سلسلة « المكتبة الثقافية » ، ع ١٢ ، وزارة الثقافة والارشاد القومي - مصر ، بلا تاريخ .
٩١ - في الادب العربي الحديث : د. يوسف عزالدين ، مطبعة البصري - بغداد ١٩٦٧ .
٩٢ - في غمرة النضال : سليمان فيضي ، شركة الطباعة والتجارة المحدودة - بغداد ١٩٥٢ .
٩٣ - قاسم أمين : د. ماهر حسن فهمي ، سلسلة « أعلام العرب » ، ع ٢٠ ، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر - مصر ، بلا تاريخ.
٩٤ - قضايا الشعر المعاصر : نازك الملائكة ، ط ٣ ، مطبعة التضامن - بغداد ١٩٦٧ .
٩٥ - القضية العربية ، أسبابها ومقدماتها وتطورها : أحمد عزت الأعظمي ، مطبعة الشعب - بغداد ١٩٣٢ .
٩٦ - قلب العراق : أمين الريحاني ، ط ٢ ، دار ريحاني للطباعة والنشر - بيروت ١٩٥٧ .
٩٧ - اللباب : جميل صدقي الزهاوي ، مطبعة الفرات - بغداد ١٩٢٨ .
٩٨ - لزوم ما لا يلزم : أبو العلا المعري ، تحقيق : أمين عبدالعزيز ، ط ٢، مطبعة التوفيق الأدبية - القاهرة ١٩٢٣ .
٩٩ - لغة الشعر بين جيلين : د. ابراهيم السامرائي ، دار الثقافة - بيروت، بلا تاريخ .
١٠٠- لغة الشعر في القرن التاسع عشر : ابراهيم الوائلي ، مطبعة الارشاد - بغداد ١٩٦٥ .
١٠١- لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث : د . علي الوردي ، مطبعة الارشاد - بغداد ١٩٦٩ .

١٠٢ـ الكتاب الذهبي ، جامعة القرويين في ذكراها المائة بعد الالـف : وزارة التربية الوطنية المغربية ، مطبعة فضالة ـ المحمدية ، بلا تاريخ •

١٠٣ـ ماضي النجف وحاضرها : جعفر الشيخ باقر آل محبوبة ، ج ١ ط ٢ ، مطبعة الآداب ـ النجف ١٩٥٨ • ج ٢ ، المطبعة العلمية ـ النجـف ١٩٥٥ •

١٠٤ـ المباحث اللغوية في العراق ومشكلة العربية العصرية : د • مصطفـى جواد ، ط ٢ ، مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٦٥ •

١٠٥ـ المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر : ابن الاثير ، تحقيق : د • أحمد الحوفي و د • بدوي طبانة ، مكتبة نهضة مصر ـ القاهرة ١٩٦٢ •

١٠٦ـ مجددون ومجترون : مارون عبود ، ط ٢ ، دار الثقافة ـ بيروت ١٩٦١•

١٠٧ـ المجمع العلمي العراقي ، نشأته ، أعضاؤه ، أعماله : عبدالله الجبوري ، مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٦٥ •

١٠٨ـ مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما (المجمعيون) : د • محمد مهـدي عـلام وآخرون ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ـ القاهرة ١٩٦٦•

١٠٩ـ مجمل تاريخ العراق في العهد العثماني : د • زكي صالح ، المطبعة الفنية الحديثة ـ االقاهرة ١٩٦٦ •

١١٠ـ مجموعة التواريخ الشعرية : محمد الحسيني الحلي مطبعة الآداب ـ النجف ١٩٦٨ •

١١١ـ مجموعة نادي القلم العراقي (المجموعة الاولى) : نادي لقلم العراقي، مطبعة الجزيرة ـ بغداد ١٩٣٨ •

١١٢ـ محاضرات عن شعر الحماسة والعروبة في بلاد الشـام : د • أمجـد الطرابلسي ، مطبعة نهضة مصر ـ القاهرة ١٩٥٦ •

١١٣ـ محاضرات عن الشعر العراقي الحديث : عبـدالكريـم الدجيلي ، لـم تذكر المطبعة ، ١٩٥٩ •

١١٤ـ محاضرات عن شعر علي محمود طه : نازك الملائكة ، دار الرائد للطباعة ـ القاهرة ١٩٦٥ .
١١٥ـ محاضرات في نشوء الفكرة القومية : ساطع الحصري ، مطبعة الرسالة ـ القاهرة ١٩٥١ .
١٦٦ـ مدرسة النجف وتطور الحركة الاصلاحية فيها : محمد مهدي الآصفي، مطبعة النعمان ـ النجف ، بلا تاريخ .
١١٧ـ مذكراتي في العراق : ساطع الحصري ، دار الطليعة ـ بيروت ١٩٦٧ .
١١٨ـ مشكلة الانسان : د . زكريا ابراهيم ، مكتبة مصر ـ القاهرة ١٩٥٩ .
١١٩ـ مشكلة السرقات الادبية في النقد الادبي : محمد مصطفى هدارة ، مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٥٨ .
١٢٠ـ معارف الرجال في تراجم العلماء والادباء : محمد حرزالدين ، ج ١ ، مطبعة النجف ـ النجف ١٩٦٤ . ج ٢ ، مطبعة الاديب ـ النجف ١٩٦٤ . ج ٣ ، مطبعة الآداب ـ النجف ١٩٦٥ .
١٢١ـ معجم العراق : عبدالرزاق الهلالي ، مطبعة النجاح ـ بغداد ١٩٥٣ .
١٢٢ـ معروف الرصافي ، حياته وبيئته وشعره : د . بدوي طبانة ، ط ٢ ، مكتبة الانجلو المصرية ـ ١٩٤٧ .
١٢٣ـ مقال في الشعر العراقي الحديث : عبدالجبار داود البصري ، دار الجمهورية ـ بغداد ١٩٦٨ .
١٢٤ـ من عيون الشعر : محمد ناجي القشطيني ، دار الجمهورية ـ بغداد ١٩٦٨ .
١٢٥ـ مؤرخ العراق ابن الفوطي : محمد رضا الشبيبي ، ج ١ ، مطبعة التفيض ـ بغداد ١٩٥٠ ، ج ٢ ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ـ ١٩٥٨
١٢٦ـ موسيقى الشعر : د . ابراهيم أنيس ، ط ٣ ، مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٦٥ .

١٢٧ـ نظرات في التيارات الادبية الحديثة في العراق : د • جميل سعيد ، مطبعة دار الهنا ـ القاهرة ١٩٥٤ •
١٢٨ـ النقد الادبي الحديث : د • محمد غنيمي هلال ، ط ع ، مطبعة الاستقلال الكبرى ـ القاهرة ١٩٦٩ •
١٢٩ـ نهضة الحسين : هبة الدين الشهرستاني ، مطبعة دار التضامن ـ بغداد ١٩٦٩ •
١٣٠ـ نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر : د • محمد مهدي البصير ، مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٤٦ •
١٣١ـ هبةالدين الشهرستاني : محمد هادي العلوي ، مطبعة الآداب ـ بغداد ١٩٢٩ •
١٣٢ـ هكذا عرفتهم : جعفر الخليلي ، ج ١ ، مطبعة الزهراء ـ بغداد • ج٢ مطبعة دار الكتب ـ بيروت ١٩٦٨ •
١٣٣ـ وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان : ابن خلكان ، تحقيق : محمد محيالدين عبدالحميد ، مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٤٨ •
١٣٤ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر : أبو منصور الثعالبي ، مطبعة حجازي ـ القاهرة ١٩٤٧ •

الدوريات

المجلات

١ ـ الآداب ـ بيروت •
٢ ـ الأديب ـ بيروت •
٣ ـ الأستاذ ـ بغداد •
٤ ـ الاعتدال ـ النجف •
٥ ـ الأقلام ـ بغداد •
٦ ـ بغداد ـ بغداد •
٧ ـ البلاغ ـ الكاظمية •
٨ ـ الحديث ـ حلب •
٩ ـ الحضارة ـ بغداد •
١٠ ـ الرسالة ـ القاهرة •
١١ ـ الزهور ـ القاهرة •
١٢ ـ الشعر ـ القاهرة •
١٣ ـ عالم الغد ـ بغداد •
١٤ ـ العرفان ـ صيدا •
١٥ ـ لغة العرب ـ بغداد •
١٦ ـ الغري ـ النجف •
١٧ ـ الفكر ـ بغداد •
١٨ ـ قرندل ـ بغداد •
١٩ ـ اللسان العربي ـ الرباط •
٢٠ ـ مجلة دار المعلمين العالية ـ بغداد •
٢١ ـ مجلة المجمع العلمي العراقي ـ بغداد •
٢٢ ـ مجلة المجمع العلمي العربي ـ دمشق •

٢٣ ـ مجلة مجمع اللغة العربية ـ القاهرة •
٢٤ ـ المعرفة ـ بغداد •
٢٥ ـ المقتبس ـ دمشق •
٢٦ ـ المقتطف ـ القاهرة •
٢٧ ـ النجف ـ النجف •
٢٨ ـ اليقين ـ النجف •

الصحف

١ ـ الأيام ـ بغداد •
٢ ـ البرق ـ بيروت •
٣ ـ البلد ـ بغداد •
٤ ـ التآخي ـ بغداد •
٥ ـ الجمهورية ـ بغداد •
٦ ـ الحرية ـ بغداد •
٧ ـ كل شيء ـ بغداد •
٨ ـ المحرر ـ بيروت •
٩ ـ المنار ـ بغداد •
١٠ ـ النور ـ بغداد •

مجموعات بحوث ومحاضرات

١ ـ مجموعة البحوث والمحاضرات التي القيت في مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الدورة الخامسة والعشرين (١٩٦٠) •
٢ ـ مجموعة البحوث والمحاضرات التي القيت في مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الدورة الثلاثين (١٩٦٥) •
٣ ـ مجموعة البحوث والمحاضرات التي القيت في مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الدورة الثانية والثلاثين (١٩٦٥-١٩٦٦) •

محاضر جلسات

١ ـ محاضر جلسات مجلس الاعيان العراقي (١٩٤٥ـ١٩٥٥) ـ مجلس الاعيان العراقي .

٢ ـ محاضر جلسات المجمع العلمي العراقي (١٩٦٥) ـ المجمع العلمي العراقي

المخطوطات

١ ـ ترجمته الذاتية ـ وهو اسم اطلقته على ترجمة ذاتية للشبيبي في سبع عشرة ورقة مكتوبة بالآلة الكاتبة ـ حصلت عليها من ذويه .

٢ ـ نبذة عن والده ـ وهو اسم اطلقته على نبذة كتبها أسعد محمد رضا الشبيبي عن والده في ثلاث أوراق مكتوبة بالآلة الكاتبة ـ حصلت عليها من أسعد .

٣ ـ المأنوس من لغة القاموس : محمد رضا الشبيبي ـ أطلعني عليه أسعد محمد رضا الشبيبي .

الابواب والفصول

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
(٧٤٣ لسنة ١٩٧٥)

دار الحرية للطباعة ـ بغداد
١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م